سلسلة الكتاب الجامعي

-٢-

كلية الدراسات الإسلامية والعربية بدبي
قسم اللغة العربية وآدابها

مباحث في اللسانيات

مبحث دلالي

مبحث صوتي

مبحث تركيبي

أ. د. أحمد حساني

مباحث في اللسانيات

الطبعة الأولى : ٢٠٠٧ م

الطبعة الثانية : ١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م

ISBN978-9948-16-731-0

مباحث في اللسانيات

نسخة إلكترونية

المؤلف : أ.د أحمد حساني

الطبعة الثانية 1434 **هـ-**2013 **م**

سلسلة الكتاب الجامعي -2. ISBN978-9948-16-731-0

منشورات كلية الدراسات الإسلامية والعربية

دبي - الكرامة - شارع زعبيل - ص.ب:50106، **الإمارات العربية المتحدة.**

الموقع الإلكتروني: www.islamic-college.ae

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

يعد الكتاب الجامعي من أهم مرتكزات العملية التعليمية الناجعة، ولذلك تحرص الجامعات ومؤسسات التعليم العالي على استثمار نتائج التقويم الشامل للخطط الدراسية والبرامج التعليمية في تطويره، وتحديث مضامينه، وتحسين جودته باستمرار ليرقى إلى مستوى الأهداف الاستراتيجية،الآنية والمستقبلية، للمشروع العلمي والتعليمي المعتمد .

وتماشياً مع هذا التوجه وبتوجيهات من مجلس أمناء الكلية برئاسة السيد جمعة الماجد اعتمدت الكلية مشروع التطوير الشامل للكتاب الجامعي حسب المعايير الأكاديمية لتحسين جودة الكتاب المقرر، وجعله وسيلة تعليمية ناجعة لتجاوز كثير من المعوقات التي تعترض سبيل الأستاذ و الطالب معًا؛ تلك المعوقات الناتجة عن عدم الانسجام بين الكتاب المقرر الذي تقتنيه الكلية من دور النشر، ومفردات المادة التعليمية الواردة في التوصيف الأكاديمي للمقررات الدراسية.

وتأسيسًا على ذلك فإنَّ الكتاب الجامعي المؤلف من قبل أعضاء هيئة التدريس، وهو البديل المتوخى، في إطار لجان دائمة منبثقة عن الأقسام العلمية تُشكل لهذا الغرض، يكون أكثر واقعية، ويتميز بالموضوعية والفاعلية في الوقت نفسه؛ إذ سيساعد على انتظام العملية التعليمية، ويعزز استقرارها، ويحقق التوافق المنهجي بين مكونات البرنامج التعليمي.

وأملنا كبير في أنْ يسهم الجميع في إثراء هذا المشروع الطموح بالتفاعل الإيجابي وبتقديم الملاحظات البناءة لنحقق الأهداف المتوخاة منه، من أجل الرقي به إلى المستوى العلمي الذي ننشده جميعًا.

الدكتور محمد عبد الرحمن

مدير كلية الدراسات الإسلامية والعربية دبي

رئيس مشروع الكتاب الجامعي.

مقدمة:

يقتضي التأسيس المعرفي والمنهجي للعلوم بعامة، والعلوم الإنسانية بخاصة، إدراكًا واعيًا لمنطلقاتها النظرية الأساسية، وفهمًا عميقًا للمتغيرات الطارئة في مسار تشكلها،سواء أكان ذلك على مستوى التأسيس النظري، أم كان على مستوى الإجراء التطبيقي.

ومما لاريب فيه هو أنَّ أيّ إنجاز فكري لا يرقى إلى مستوى التفكير العلمي المُؤَسَّسِ والهادف إلاَّ بتوافر ثلاثة مرتكزات أساسية :

أولاً : المرجعية المعرفية التي تُؤَطِّرُ البحث العلمي؛ نعني بالمرجعية، ههنا، الإطار النظري الذي يقدِّم الأدوات العلمية والمنهجية الكافية لإيجاد إجابات علمية دقيقة للتساؤلات الافتراضية التي تثيرها الإشكاليات العلمية والمنهجية الكبرى في الثقافة الإنسانية.

ثانيا: المفاهيم والاصطلاحات التي تُعَزِّزُ البحث العلمي، وتُضْفِي عليه شرعية الانتماء إلى حقل علمي معين، من حيث هو إنجاز نظري وإجرائي في الوقت نفسه، ينتمي إلى عالم المعرفة الإنسانية الشاملة .

ثالثاً : الإجراءات التطبيقية التي تتبدى في آليات تفعيل المعطيات النظرية في الواقع الفعلي للخبرة الإنسانية ؛أي إخراج المعرفة من الموجود بالقوة إلى الموجود بالفعل .

ومن ههنا فإنَّ اكتساب المعرفة اللسانية العالمية يستدعي اكتساب مهارة التفاعل الواعي مع هذه المعرفة، سواء أكان هذا التفاعل على مستوى إدراك منطلقاتها المنهجية، وتمثل مفاهيمها واصطلاحاتها، أم كان على مستوى توظيف معطياتها النظرية واستثمارها استثمارًا هادفًا لترقية الوعي المنهجي في الثقافة اللسانية العربية المعاصرة .

وتأسيسًا على هذا التوجه المنهجي يمكن لنا أنْ نسلك سبيلين اثنين في التعامل مع المعرفة اللسانية العالمية :

سبيل الفهم والإدراك : يسمح لنا هذا السبيل بفهم المعرفة في بيئتها العلمية والثقافية الأصلية دون تحييد أو تغييب أو إقصاء .

سبيل التوظيف والاستثمار: يقتضي هذا السبيل الانتقاء والاختيار الواعي للمرتكزات النظرية الفاعلة التي تُسْهِمُ في ترقية الوعي العلمي والمنهجي لدى المتلقي العربي للمعرفة اللسانية الوافدة .

ومن هذا المنطلق فإنَّ اللسانيات في الفكر العربي المعاصر، بكل مكوناته الثقافية والحضارية، يجب أنْ تستقطب إنجازات الفكر اللساني العالمي بوعي علمي عميق لاستيعاب النظرية اللسانية العالمية استيعاباً واعياً من جهة، واستلهام الجوهر العلمي للرصيد المعرفي للتراث العربي الأصيل من جهة أخرى .

إذا وُفق العقل العربي المعاصر في تهيئة الأرضية المنهجية لهذا التلاقي، والتقاطع بين مرجعيتين فكريتين، فإنَّه حتماً سينتقل من مرحلة التلقي السلبي، عن طريق الترجمة وتحويل المعرفة، إلى مرحلة المشاركة والحضور والإرسال الكثيف والدائم في الوقت نفسه ، للمضامين العلمية للتراث اللساني العربي عن طريق التأصيل المعرفي، والتفعيل الإجرائي لمرتكزاته الفاعلة ليسهم في ترقية الخطاب العلمي العالمي .

في رحاب هذا الاهتمام يندرج هذا البحث الذي نحن بشأنه ، من حيث إنَّه يسعى أساساً إلى التفكير في وضع أرضية أولية لإمكانية وجود ثقافة لسانية عربية معاصرة ، وذلك بامتلاك جميع الأدوات العلمية اللازمة ، والآليات المنهجية الكافية، لتكوين كفاية لسانية لدى القارئ العربي .

توخينا من أجل تحقيق ذلك منهجية محددة ترتكز أساساً على التعقب المرحلي للمسار التحولي للنظرية اللسانية المعاصرة، والوقوف عند أهم المعالم البارزة في هذا المسار ، مع الحرص الشديد على الدقة في التحري والتقصي للمعطيات النظرية المتوافرة في ظل المقاربة العلمية للظاهرة اللغوية بكل مستوياتها: الصوتية والتركيبية والدلالية .

اعتمدنا ، لتحقيق الأهداف المتوخاة ، منهجًا يستمد أصوله المعرفية من مرجعيتين اثنتين:
إحداهما : النظرية اللسانية العالمية بكل توجهاتها الفلسفية والفكرية دون إقصاء أي اتجاه أو مدرسة من المدارس اللسانية المعروفة عالمياً.

والأخرى : التراث اللساني العربي بكل روافده الدينية واللغوية والبلاغية والفلسفية.

تستدعي الأهداف المنشودة من هذا الكتاب، من حيث إنَّه مشروع يهدف إلى إيجاد مناخ علمي يجد فيه القارئ العربي الأدوات الكافية لتشكيل أسس المعرفة اللسانية، اعتماد منهج متجانس في منطلقاته النظرية من جهة ، وفي إجراءاته التطبيقية من جهة أخرى .

لقد سلكنا سبيلاً منهجيًا، في إنجاز هذا الكتاب ، تتبدى معالمه في قسمين :

القسم الأول: الأسس والمفاهيم ، تناولنا فيه الإطار النظري لتشكل الفكر اللساني المعاصر،من حيث المرجعية النظرية، والمفاهيم والاصطلاحات والإجراءات التطبيقية .

القسم الثاني :المباحث

أ ـ المبحث الصوتي: يتناول هذا المبحث المجال النظري والإجرائي للدراسة الصوتية بعامة،والدراسة الصوتية العربية بخاصة، بجميع مستوياتها الفيزيولوجية والفيزيائية والوظيفية.
ب ـ المبحث التركيبي : تتأسس الأرضية النظرية لهذا المبحث على جهود الدارسين اللسانيين في مجال وصف البنية التركيبية وتحليلها لمعرفة الآلية الضمنية للعلاقات الوظيفية القائمة بين العناصر اللسانية في تشكيل الخطاب المنجز في الثقافة الإنسانية .
ج ـ المبحث الدلالي: يتعلق هذا المبحث بالمقاربة العلمية للدلالة في ظل النظرية الدلالية الحديثة، مع الحرص الشديد على الإيماءة إلى جهود الدارسين العرب الأقدمين (علماء اللغة والبلاغة والأصول والفلاسفة ...) ، إذ إنَّهم جميعًا لم يألوا جهدًا في البحث في الخصائص البيانية والإبلاغية للخطاب ، فكان اهتمامهم شديدًا بالدلالة ، وهو الأمر الذي جعلهم يفردون مباحث شتى في مدوناتهم الكبرى تفي في مجملها بمتطلبات الدال والمدلول على حد سواء ، ترقى هذه المباحث إلى مستوى النظرية الدلالية المعاصرة .

ورغبة منا في تحقيق الغاية المنشودة من هذه المباحث مكتملة ، نأمل أنْ يجد القارئ العربي بعامة، والطالب المتعلم بخاصة، في هذا الجهد المتواضع ما يكفيه مؤونة لتهيئة الأرضية لإمكانية اكتسابه كفاية لسانية حديثة وأصيلة في الوقت نفسه ، تستمد أصولها من المرتكزات الفاعلة للموروث الفكري العربي أولاً ، ومن النتائج العلمية المحققة على مستوى الفكر اللساني العالمي ثانيًا.

دبي . في 2012/5/30

القسم الأول : الأسس والمفاهيم

أولاً: التأسيس التاريخي(مرحلة ما قبل اللسانيات).

ثانيًا: تأسيس المفاهيم والاصطلاحات.

ثالثًا:التأسيس النظري والإجرائي للسانيات.

رابعًا:المدارس اللسانية،المسار والتحول.

خامسًا:المقاربات اللسانية الخارجية .

اللسانيات

LINGUISTICS /LINGUISTIQUE

أولاً : التأسيس التاريخي(مرحلة ما قبل اللسانيات) :

إنَّ التفكير في الظاهرة اللغوية تفكير قديم بقدم الإنسان نفسه ، منذ أنْ وجد الإنسان في هذا الكون انتبه إلى هذه الظاهرة التي تلازم وجوده ، وطرح بشأنها الكثير من الأسئلة ، من هذه الأسئلة ما يتعلق بأصل النشأة ، ومنها ما يتعلق بالمسار والتحول ، وظلت هذه الأسئلة تعيد نفسها باستمرار وفي أشكال متجددة، فكوّنت مرجعية معرفية ومنهجية ارتقت إلى مستوى العلم الذي تتوافر فيه جميع المواصفات لإيجاد إجابات علمية كافية لكثير من الأسئلة التي طرحها الإنسان بشأن هذه الظاهرة التي ظلت تلازمه ، وما انفكت تضفي على الوجود الإنساني إنسانيته.

ومن ههنا فإنَّ أدنى تأمل في تراث الفكر الإنساني يهدي إلى أنَّ حركة التعاقب الحضاري تقوم أساسًا على مرتكزات النسق اللغوي ، ولذلك نلفي عصبة غير قليلة من الفلاسفة والمفكرين قد أولعت إيلاعًا شديدًا بمقاربة الظاهرة اللغوية منذ ردح غير قليل من الزمن ، ويتبدّى ذلك بوضوح من خلال التعقب المرحلي للإنجازات الفكرية في الحضارات القديمة.

1 .الحضارة الهندية :

إذا ما تأملنا مليًا تراث الحضارة الهندية نجد أنَّ الدراسة اللغوية كانت قطب الرحى للنشاط الفكري الهندي ، إذ نشأت هذه الدراسة وتطورت بخاصة في القرن الخامس أو الرابع قبل الميلاد ، على يد نفر غير قليل من الباحثين

يتقدمهم اللغوي الهندي المشهور بانيني (Panini) [1] في كتابه اللغوي الموسوم بـ: Ashtadhyayi (الفصول الثمانية).

وكان الدافع الأساس لهذا الزخم المعرفي الكثيف دافعًا دينيًا، إذ كان للهندوس نص وضعي مقدس يستمدون منه تعاليمهم الدينية، وهو الكتاب الذي كان يُنعت آنذاك بـ: " الفيدا " (Vida)[2] الذي يعد مركز استقطاب للفكر اللغوي الهندي .

اهتمت الحضارة الهندية اهتمامًا خاصًا بالظاهرة اللغوية، فوفرت بذلك مباحث شتى تفي في مجملها بمتطلبات المكوّنات الصوتية والتركيبية والدلالية، وكان التركيز بخاصة على الجانب الصوتي الذي أخذ بُعْدَهُ العلمي في أبحاث العالم اللغوي بانيني المذكور سالفاً، تلك الأبحاث التي أسهمت في تطوير أدوات المنهج العلمي لدراسة الأصوات في الثقافة اللسانية عبر مسار تشكلها.

2 ـ الحضارة اليونـانـيـة:

كان للغة حضور قوي في الموروث الفكري للحضارة اليونانية، شَكَّلَ هذا الحضور رصيدًا معرفيًا رائدًا في مجال الدراسة اللغوية، فالإنجازات العلمية للفلاسفة واللغويين اليونانيين في هذا المجال لا يمارى فيها ولا تُرد؛ إذ إنهم ما انفكوا يُسهمون في استجلاء حقيقة النسق اللغوي لدى الإنسان، فنتج عن هذا الاهتمام تراكم كثيف من المفاهيم والتصورات التي مازال جلها يعد رافدًا مرجعيًا يُعتمد إلى حد الآن في الفكر اللساني المعاصر.

---

(1) ـ نحوي هندي، ولد في شمال غرب الهند في القرن الخامس أو الرابع قبل الميلاد، له مؤلف في قواعد اللغة السنسكريتية ينعت بـ: Ashtadhyayi (الفصول الثمانية)، يتألف من 4000 سوترا(Sutras) لتيسير الأداء الصحيح لقراءة الفيدا.

(2) ـ كتاب الفيدا: كتاب ديني وضعي يتكون من أربعة أجزاء، يتضمن الكثير من أسماء الآلهة ـ في اعتقاد الهندوس ـ والأوراد والأناشيد والطقوس الدينية. وكلمة الفيدا نفسها تعني المعرفة والعلم بالمجهول عن طريق الدين.

تتجلى القيمة العلمية للتراث اللغوي اليوناني ، في البحوث التي قدَّمها أفلاطون وأرسطو والمدرسة الرواقية في المقاربات الفلسفية ، والبحث عن الحقيقة المعرفية والوجودية ، منها الحقيقة اللغوية .

3 . الحضارة الرومانية:

لابد من الإشارة في هذا المقام الذي نحن بشأنه إلى الحضارة الرومانية ، وإنْ كانت في الواقع لا تعدو أنْ تكون الوارث الشرعي من الناحية التاريخية للتراث اللغوي اليوناني ، إلا أنَّها قد طبعت هذا التراث بخصوصياتها الثقافية والحضارية ، فأسهمت في دفع الحركة العلمية في مجال الدراسة اللغوية ، ولاسيما من جانبيها الدلالي والبلاغي .

4 . الحضارة العربية والإسلامية:

لم تكن الحضارة العربية الإسلامية أقل عطاء في المجال المعرفي من سواها ، من حيث النشاط الفكري بعامة ، والنشاط اللغوي بخاصة ، فالدارسون العرب الأقدمون لهم جهود علمية ذات قوة حضورية في بناء الفكر اللغوي العربي والعالمي.

إذا ما التفتنا إلى التراث الفكري العربي — الذى نشأ وترعرع في ظل التحول الحضاري العميق الذى أحدثه القرآن الكريم في المجتمع العربي والإنساني بشكل عام— نجده يزخر برصيد معرفي له حضور في تشكل الفكر اللساني المعاصر ، ذلك الرصيد الذي يملك الشرعية المعرفية والحضارية لكي يُعتمد في اكتمال المرتكزات العلمية للنظرية اللسانية العالمية. سنقف عند المحطات الكبرى المتميزة لهذا الرصيد ، ونعمق معطياته المعرفية والمنهجية فيما يأتي من مباحث صوتية وتركيبية ودلالية.

5 . بعد النهضة الأوروبية (مرحلة :الفيلولوجيا Philologie /Philology):

أ . نشأة الفيلولوجيا :

أخذت الدراسة اللغوية طابعها العلمي المتميز بعد النهضة الأوروبية، تلك النهضة التي قامت أساسًا على مرتكزات الحضارة الأوروبية السابقة، فهي لم تنطلق من العدم، ولم تُحْدِثْ قطيعة أبدية مع الماضي، بل ظل الماضي حاضرًا في المشروع النهضوي الأوروبي بثقله الفلسفي والفكري واللغوي، وكانت اللغتان اليونانية واللاتينية الحامل المادي للحضارتين الأوروبيتين القديمتين، حضارة اليونان وحضارة الرومان.

وما دامت هاتان اللغتان بهذه الأهمية فلا جرم من أنْ تنصرف الجهود إلى دراستهما دراسة عميقة من أجل استكشاف خصائصهما الصوتية والتركيبية والدلالية للولوج في البنية العميقة للنص القديم، من أجل إعادة تفعيل المضامين الفكرية والثقافية والحضارية التي أنجزها الأوروبيون الأقدمون.

ومن ههنا فإنَّ هذه الدراسة التي تتخذ اللغة وسيلة لمعرفة المضامين الفكرية والثقافية والحضارية كانت تُنعت بـ: " الفيلولوجيا " (Philologie/Philology) التي تتميز بصفة القدم؛ لأنَّها تتعامل مع النصوص القديمة، فتتخذ اللغة وسيلة وليست غاية في ذاتها؛ لأنّ هدفها الإجرائي كان تعميق النص القديم شرحًا وتفسيرًا وتأويلاً، والتعامل مع لغته لمعرفة قضايا أخرى خارجة عن بنية اللغة نفسها.
ولذلك فإنَّ الفيلولوجيا منوال إجرائي موضوعه:

1ـ النصوص القديمة المنجزة في الحقب التاريخية التي مرت بها الحضارة الأوروبية القديمة.

2ـ الآثار التاريخية القديمة (تفسير الرموز الأثرية).

3ـ تحقيق المخطوطات باعتماد آليات منهجية؛ لإعادة قراءة المخطوط وإخراجه لكي يواصل عطاءه المعرفي عبر الأجيال المتعاقبة.

تتميز الفيلولوجيا بخصائص منها:

1 ـ القدم: (لأنها نشأت في رحاب النص القديم).

2 ـ تتخذ اللغة وسيلة وليست غاية في ذاتها: (لأنَّها تهدف إلى التولج في البنية العميقة للنص القديم لمعرفة المضامين الفكرية والثقافية والحضارية بشكل عام).

3 ـ تهتم بالمكتوب وتقصي من اهتماماتها المنطوق من اللغة: (لأنَّ مجالها الإجرائي محدد سلفًا في مقاربة النص المُدَوَّنِ الموروث).

ب - الفيلولوجيا المقارنة:

عندما استكشف الأوروبيون العلاقة بين اللغة السنسكريتية، واللغة اليونانية واللاتينية توسع مجال الفيلولوجيا لتشمل المقارنة بين اللغات، فأضحت بعد هذا التحول تسمى بـ: " الفيلولوجيا المقارنة" Comparative Philologie comparée/Philology .

كانت الإرهاصات الأولى للمقارنة بين اللغات ابتداء من سنة 1786، تلك السنة التي استكشف فيها وليام جونز [(1)] العلاقة السلالية بين اللغة السنسكريتية (**Sanskrit**) (الحامل المادي للكتاب المقدس لدى الهنود /الفيدا /) لغة الهنود القدامى واللغات الهندو- أوروبية الأخرى.

كان هذا الاستكشاف حدثًا هامًا في مجال البحث اللغوي، فقد أثار انتباه الدارسين إلى التشابه الموجود بين اللغة السنسكريتية واللغات الأوروبية الكبرى، وقد ساعد هذا الاستكشاف على معرفة ذلك الإنجاز الكبير في اللغة، والنحو، والأصوات، وهو كتاب اللغوي الهندي بانيني (Panini) حوالي القرن الخامس أو الرابع قبل الميلاد. [(2)]

يعود الدافع الخفي لنزعة المقارنة بين اللغات والثقافات في مرحلتها الجنينية إلى شعور بعض الجماعات البشرية أو العرقية بنبل أصلها وشرف عرقها، فتعتقد هذه الجماعة أو تلك– بدافع عرقي أو ديني – أنَّ لغتها أصل اللغات جميعًا. في هذا السمت كان اليهود – بدافع ديني – يعدون اللغة العبرية أم اللغات البشرية جميعًا ؛ لأنَّها لغة مقدسة في اعتقادهم. كما نجد هذا الاعتقاد سائدًا أيضًا عند الكلتيين(Celtes) إذ إنهم ما انفكوا يدافعون

---

(1) - **William Jones** ولد بلندن سنة 1746، وتوفي بكلكتا (Calcutta بالهند) سنة 1794 كان له اهتمام كبير باللغات الشرقية وثقافاتها .

2 - GEORGES MOUNIN ,Histoire de la linguistique des origines au XXe siècle, P84.

وينظر كذلك:

R.h Robins , Breve histoire de linguistique ,P18

عن لغتهم(اللغة الكلتية)[1]بدافع عرقى، ويعتقدون أنّها أم اللغات الأوروبية، لذلك أسس الكلتيون أول مجمع لغوي لهم عام 1805.[2]

بدأ الإحساس في ظل هذا التوجه بأهمية البحث عن العلاقة العضوية بين اللغة والنمط العرقي والعقلي للشعوب الناطقة بها. ولذلك نجد في القرن التاسع عشر عصبة غير قليلة من المفكرين تنصرف إلى البحث عن العلاقات التركيبية والوظيفية للغات، وربطها بالخصائص العرقية للشعوب الناطقة بها.

وكان رينان Ernest Renan (1823- 1892)[3] من الذين أولعوا إيلاعًا شديدًا بهذه النزعة، فقد أقدم دون تردد على إصدار حكم قاس على الشعوب السامية، والطعن في قدراتها العقلية، بناء على دراسته للعبرية في كتابه: التاريخ العام والنسق المقارن للغات السامية.

Histoire générale et système ، / General History of Semitic Languages compare des langues sémitiques

نتج عن هذا الاهتمام بالمقارنة بين اللغات والثقافات تصنيف اللغات وفق النمط الوظيفي والتركيبي الذى تتميز به، فصنفوا تلك اللغات إلى ثلاثة أصناف:

1. تصنيف اللغات:

أ- اللغات الفاصلة أو اللغات العازلة (Langues isolantes/ isolating language): هي اللغات التي لايتغير فيها جذر الكلمة حيثما وقع في السياق الكلامى، أمَّا تحديد وظيفته التركيبية والمورفولوجية فيكون عن طريق الموقع الذي تحتله الكلمة في سياقها المألوف. وعادة ما يُمَثَّلُ لهذا النوع من اللغات باللسان الصيني، فالضمير (WO) الذى يعني ضمير المتكلم في حالاته الإعرابية المختلفة(I –

---

(1)- الكلتية هي لغة Bretagne الفرنسية، وولز الإنجليزية. واللهجات الاسكتلندية.

(2) - Voir: GEORGES MOUNIN، Histoire de la linguistique des origines au XXe siècle.P176 .

(3) - Joseph Ernest Renan ولد بـ:(Treguier) سنة 1823، وتوفي بباريس سنة 1892، وهو فيلسوف ومؤرخ ولغوي وكاتب فرنسي.

(me – my – mine) يظل محافظًا على بنيته الصوتية المميزة، ولا يتغير بتغير الدلالات والوظائف، وتتحدد وظيفته التركيبية بناء على موقعه في السياق اللساني.[1]

ب ـ اللغات اللاصقة(Agglutinative language / Langues agglutinantes):

هي تلك اللغات التي لا يتغير فيها الجذر الاشتقاقى، لكن يمكن أنْ تضاف إليه عناصر وظيفية منفصلة تختلف في طبيعتها الوظيفية والدلالية عن السوابق واللواحق التي لها وظيفة تصريفية في كثير من اللغات، من حيث قدرتها الذاتية على الاستقلالية والانفصال في بعض السياقات. يُمَثَّلُ لهذا النوع عادة بالجملة المجرية :hazakban : (HAZ) معناها: منزل، (AK) **علامة الجمع ،** (BAN) بمعنى في. معنى الجملة كاملة : في المنازل.

ج ـ اللغات المتصرفة (Inflected language / Langues Flexionnelles):

هي اللغات التي تستعمل السوابق واللواحق، والتغيرات الداخلية للجذر الاشتقاقي للدلالة على العلاقات الوظيفية، وفي جميع هذه التحولات يتغير المعنى. وأحسن مثال على ذلك اللسان العربي، وقد عدَّ الدارسون هذا النوع أرقى اللغات وأصفاها، ومسوغ ذلك هو أنَّ اللغات الأوروبية متصرفة، وزعموا أنَّ أدنى اللغات هي اللغات الفاصلة، أمَّا اللغات اللاصقة، فهي وسط بين الصنفين، وذهبوا إلى أبعد من ذلك ، إذ قارنوا بين هذه الأصناف وأنماط المجتمع وتوصلوا إلى الآتي:

1. اللغة الفاصلة تقابل المجتمع البدائى القائم على وحدة العائلة.
2. اللغة اللاصقة تقابل أطوار البداوة.
3. اللغة المتصرفة تقابل الحضارة الحالية الراقية. [2]

2 ـ التحولات المرحلية لتصنيف اللغات :

أ ـ تصنيف أدلنج (ADELUNG)[3] :

---

(1)ـ أنيس فريحة، نظريات في اللغة، ص27 ، 28 ، وينظر ماريوباي أسس علم اللغة ، ص56 ، 57.

(2)ـ ينظر أنيس فريحة ، المرجع المذكور سابقًا ، ص 50.

(3)ـ Johann Christoph Adelung (1806.1732) : فيلولوجي ألماني مؤلف أول معجم في اللغة الألمانية.

يتميز هذا التصنيف بالمميزات الآتية :

أ. يعتمد هذا التصنيف على العامل الجغرافي (حسب المناطق والقارات).

ب. ينظر للأوروبيين على أنَّهم خليط من الأجناس غير المستقرة (جماعة الباسك،[1] والفروع الكلتية[2]، والجرمانية[3])، يهتم بالعلاقة السلالية بين الجماعات السلافية والليتوانية والألبانية.

ج. يتضمن هذا التصنيف الفكرة القديمة التي تميز بين اللغة الصافية، واللغة المختلطة.

ب ـ تصنيف شليجل SCHLEGEL :

كان شليجل Friedrich von Schlegel (1772ـ 1829) أكثر تشبثًا من سواه بفكرة السنسكريتية هي النموذج الأمثل الذي لا يضارعه سواه للمقارنة بين اللغات ، لذلك نجده يميز بين صنفين من اللغات :

أ. لغات متصرفة : تلك اللغات التي تخضع لنظام السوابق واللواحق للدلالة على الوظائف الصرفية والنحوية.

ب. لغات غير متصرفة : هي اللغات التي تخلو من نظام السوابق واللواحق ، فهي تفتقر إلى العلامات الدالة على الجنس، والعدد، والحالات الإعرابية، وهذه في نظر شليجل خاصية من خصائص اللغات البدائية، مثل اللغات الهندية الأمريكية (الهنود الحمر) ، واللغة الصينية. أما السنسكريتية – في نظره – فهي أنبل اللغات ؛ لأنَّها لغة ذوي العقول النيرة كما يقول ، لذلك فهي لغة منتظمة منذ نشأتها الأولى.

ج ـ راسموس راسك (Rasmus RASK): [4]

انصرف اهتمام راسموس راسك منذ البدء إلى البحث عن العلاقات السلالية بين اللغات الإيسلندية، والجرمانية، واليونانية، واللاتينية، والليتوانية، والأرمنية. وكان يُقِرُّ بوجود علاقات تاريخية بين هذه المجموعات كلها، واللغة الإيرانية والسنسكريتية.

---

(1) ـ سكان منطقة مشتركة بين فرنسا، وإسبانيا، تتكون لغتهم من سبع لهجات محلية.

(2) ـ ينتمي الكلتيون إلى حضارة تعود إلى ما قبل التاريخ، من سلالة هندوـ أروبية ، يتميزون بلغتهم الكلتية، وببعض الخصوصيات الثقافية، تتجلى في اللغة البروتونية La langue bretonne ، المستعملة حاليا في منطقة Bretagne (عاصمة هذا الإقليم مدينة Rennes) في الشمال الغربي لفرنسا حاليًا.

(3) ـ الشعوب الجرمانية مشتقة من جرمانوس اللاتينية: مجموعة بشرية تشكل سلالة عرقية تقيم في شمال أوروبا (الألمان).

(4) ـ Rasmus RASK : باحث لغوي دانمركي (1782 ـ 1832).

د ـ همبلد (HUMBOLDT)[1] :

ينطلق همبلد (1767- 1835) في مقارنته بين اللغات من مبدأ كان ينتصر له كثيرًا وهو أنَّ اللغة وسيلة لتشكل الفكر عند مجتمع ما ، فهي إذ ذاك تحدد الرؤية الكونية الشاملة لجماعة من الجماعات ،ومن ثمة فإنَّ تنوع اللغات هو دليل على تنوع الفكر. يرى همبلد في هذا الشأن أنَّ تفوق لغة من اللغات ، من حيث بنيتها الصوتية والتركيبية والدلالية ، هو دليل على التفوق الذهني والعرقي لمجتمع لغوي معين.

هـ ـ فرانز بوب (F.Bopp)[2]:

كتب بوب مذكرة سنة 1816 في نظام تصريف اللغة السنسكريتية ومقارنته بالأنساق الصرفية المعروفة في اللغات :الألمانية ، واللاتينية ، والفارسية ، والجرمانية القديمة ، فكان هذا العمل الانطلاقة المنهجة الأولى للقواعد المقارنة.

و ـ شلايشر August Schleicher[3] :

كان شلايشر (1821 – 1867) متأثرًا بمنهج داروين في كتابه "أصل الأنواع الحية" (1859) ، فحاول أنْ يُسقط المفاهيم العلمية للنظرية الداروينية على الدراسة التاريخية للظاهرة اللغوية. ولذلك فإنَّ اللغة في نظره جهاز عضوي ينشأ على الصعيد التاريخي ، وينمو ويتطور ، ثم ينحل ويموت. [1]

---

(1) ـ Friedrich Wilhelm von Humboldt (1767- 1835) : فيلسوف ، ولغوي ألماني.

(2) ـ Franz Bopp (1791- 1867): باحث لغوي ألماني ، يعد من الباحثين البارزين الذين أسهموا في ترقية الدراسات اللغوية المقارنة في القرن التاسع عشر.

(3) ـ أوغست شلايشر August Schleicher : عالم لسانيات ألماني ، ولد في مدينة ماينغن Meiningen ، وتوفي في مدينة يينا Jena في بروسيا. تأثر ، حينما كان طالباً في جامعة توبنغن Tübingen ، بفلسفة هيغل ، ثم ما لبث أنْ تأثر بنظرية داروين. سعى إلى وضع نظرية لسانية أساسها المنطق العلمي ، تقوم على الربط بين نظرية هيغل في التاريخ ونظرية داروين في الاصطفاء الطبيعي.

وقد توصل الباحثون في ظل هذه الجهود التي تعقبناها مرحليًا إلى تصنيف اللغات العالمية إلى أسر وعائلات كبرى حسب السلالات اللغوية منها : سلالة اللغات الهندو— أوروبية ، وهي تتفرع إلى ثمانية فروع :

1. **الآرية : وتتفرع إلى فرعين :**

أ. الهندية : السنسكريتية القديمة ، واللغات الهندية الحديثة.

ب. الإيرانية : الفارسية القديمة ، والفارسية الحديثة ، والكردية ، والأفغانية.

2. **اليونانية :** اليونانية القديمة ، و اليونانية الحديثة.
3. **الإيطالية :** (اللاَّتينية) الإيطالية الحديثة ، و الرومانية (لغة رومانيا الحديثة) والفرنسية ، و الإسبانية ، و البرتغالية.
4. **الجرمانية (Langue Germanique) :** وتتفرع الى ثلاثة فروع :

أ. الشرقية : اللغة الجوتية (Ghotique) ، لغة قبائل الجوت (Ghot) (شعب قديم كان يسكن جرمانيا الشرقية).

ب. الشمالية : الايسلاندية ، و الدانمركية ، و السويدية ، و النرويجية.

ج. الغربية : الإنجليزية ، و الهولندية ، و الألمانية.

5. **البلطيقية — السلافية ، وتتفرع إلى فرعين :**

أ. البلطيقية : الليتوانية ، والبروسية القديمة.

ب. **السلافية :** السلافية القديمة ، والروسية ، والبولونية ، والتشيكية ، والسربية لغة السرب Serbie الكرواتية (لغة الكروات) ، البلغارية.(2)

6. **اللغة الألبانية.**
7. **اللغة الأرمنية.**
8. **اللغة الكلتية.**

ظل المنهج التاريخي المقارن طاغياً على الفكر اللغوي الأوروبي إلى نهاية القرن التاسع عشر ، في ظل هذه الرتابة التاريخية ظهرت عصبة من الدارسين الشباب كانوا يُعْرَفُونَ آنذاك بالنحاة الجدد(3) ، حاول هؤلاء

---

(1) -Voir: Georges Mounin,OP.CIT,p176.

(2) - ينظر ، علي عبد الواحد وافي ، علم اللغة ، ص197.

(3) - النحاة الجدد(النحاة الشباب) Néogrammairiens (Junggrammatiker).

الشباب المروق من سلطة التاريخ، والتخفيف من وطأة المنهج التاريخي، والتاريخي المقارن،وتنصرف الجهود مباشرة إلى التعامل مع الظاهرة اللغوية في ذاتها ومن أجل ذاتها، من حيث هي حقيقة واقعية تحمل خصوصياتها في نظامها تأثرًا بالتحول الذي حدث في العلوم والمعارف التي بدأت تنحو نحو المناهج التجريبية ، في هذا المناخ بدأت تتشكل الإرهاصات الأولى لنشأة اللسانيات في الفكر الإنساني المعاصر.

ثانيًا: تأسيس المفاهيم والاصطلاحات:

مما لا يغرب عن أحد هو أنَّ اللسانيات بوصفها علمًا موضوعه اللغة البشرية تمتلك كل الخصوصيات المعرفية التي تميزها عمَّا سواها من العلوم الإنسانية الأخرى، من حيث الأسس الفلسفية والمنهج والمفاهيم والاصطلاحات والإجراءات التطبيقية، بيد أنَّ ما تقتضيه الضرورة العلمية هو أنه لابد لكل علم من موضوع يعد مادته التي تخضع لإجراءاته التطبيقية، وموضوع اللسانيات هو اللسان، ومن البدهي كما هو شائع في فلسفة المعارف والعلوم أنْ يحدد العلم موضوعه قبل أنْ يحدد نفسه؛ لأنَّ موضوع العلم سابق للعلم بشأنه في الوجود، إذْ لولا وجود الظاهرة ما كان العلم بها.ومن ههنا يتقدم –إلزامًا –أنْ يُعَرِّفَ العلمُ موضوعَه قبل أنْ يُعَرِّفَ نفسَه.[1] ولذلك يجدر بنا نحن في هذا المقام أنْ نُعرِّف اللسان قبل أنْ نعرف اللسانيات.

- Wilhelm Braune (1850-1926)
- Karl Brugmann (1849-1919)
- Berthold Delbrück (1842-1922)
- August Leskien (1840-1916).
- Hermann Osthoff (1847-1909).
- Hermann Paul (1846-1921).
- Eduard Sievers (1850-1932).
- Karl Verner (1846-1896) .
- Otto Behaghel (1854-1936).

(1)ـ ينظر عبد السلام المسدي ، اللسانيات وأسسها المعرفية ، ص23.

1. ما اللسان؟

أ. اللسان في المعاجم والمدونات اللغوية الكبرى :

ـ يقول ابن فارس (395هـ) في مادة "لسن" : اللام والسين والنون أصل صحيح يدل على طول لطيف غير بائن في عضو أو في غيره، من ذلك اللسان، وهو معروف، والجمع ألسن، فإذا كثر فهي الألسنة، ويقال لَسَنْتَهُ إذا أخذته بلسانك. قال طرفة :

وَإِذَا تَلْسُنُنِي أَلْسُنُهَا إِنَّنِي لَسْتُ بِموهُونٍ غُمُرْ

وقد يُعبَّرُ باللسان عن الرسالة، فَيُؤَنَّثُ حينئذ. يقول الأعشى :

إِنِّي أَتَتْنِي لِسَانٌ لا أُسَرُّ بِهَا مِنْ عَلْوَ لاَ عَجَبٌ فِيهَا وَلاَ سَخَرُ

واللَّسَنُ : جودة اللسان والفصاحة، واللِّسْنُ : اللغة. يقال لكل قوم لِسْنٌ ؛أي لغة، وقرأ بعضهم قوله تعالى : "وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ بِلِسْنِ قَوْمِهِ"، ويقولون الملسون الكذاب وهو مشتق من اللسان، لأنَّه إذا عُرِفَ بذلك لُسِنَ ؛ أي تكلمت فيه الألسنة.(1)

ـ يقول الراغب الأصبهاني (565هـ) في مادة "لسن" : "اللسان الجارحة وقوتها وقوله تعالى على لسان موسى عليه السلام : ﴿ وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ﴾،(2) يعنى به من قوة لسانه، فإنَّ العقدة لم تكن في الجارحة، وإنَّما كانت في قوته التي هي النطق به، ويقال لكل قوم لسان، قوله تعالى: ﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفُ أَلۡسِنَتِكُمۡ وَأَلۡوَٰنِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡعَٰلِمِينَ ﴾، فاختلاف الألسنة إشارة الى اختلاف اللغات، وإلى اختلاف النغمات ، فإنَّ لكل إنسان نغمة مخصوصة يميزها السمع، كما أنَّ له صورة مخصوصة يميزها البصر. (3)

(1) ـ ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مادة (لسن).

(2) ـ طه ، آية27.

(3) ـ الراغب الأصبهانى، المفردات في غريب القرآن مادة (لسن).

ب ـ اللسان في القرآن الكريم:

لقد ورد لفظ اللسان في القرآن الكريم للدلالة على النسق التواصلي المتداول بين أفراد المجتمع البشري، من ذلك قوله تعالى:

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴾(1)

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ ﴾(2)

﴿ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ ﴾ (3)

﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴾ (4) لقد لاحظ المشركون النبى – صلى الله عليه وسلم- كان يمر بنصراني أعجمى قالوا إنَّه يتعلم منه الوحي، فنزلت الآية المذكورة أعلاه.

ج ـ اللسان في الاصطلاح:

إذا ما نظرنا نظرة عجلى إلى التراث الفكري العربي نجد أغلب الدارسين يستعملون مصطلح اللسان، ويعنون به: النسق التواصلي المشترك بين أفراد المجتمع في البيئة اللغوية المتجانسة ، وهم إنْ استعملوا أحيانًا مصطلح "اللغة" فإنَّهم يعنون به لهجة معينة، أو حالة نطقية مخصوصة. فاللسان في الفكر العربي هو موضوع الدرس اللغوي، نلفي ذلك واضحًا عند نفر غير قليل من أسلافنا الأقدمين على اختلاف مذاهبهم العلمية ، نذكر منهم :

---

(1) ـ الروم، آية 22.

(2)ـ إبراهيم، آية 4.

(3)ـ الشعراء، آية 194 ـ 195.

(4)ـ النحل، آية 103.

ـ **الفارابى (339هـ) :** إذ يقول في هذا الشأن : "علم اللسان ضربان:

أحدهما: حفظ الألفاظ الدالة عند أمَّة ما، وعلى ما يدل عليه شيء منها.

والثانى : قوانين تلك الألفاظ (...) إنَّ الألفاظ الدالة في لسان كل أمة ضربان مفردة ومركبة (...) وعلم اللسان عند كل أمة ينقسم سبعة أجزاء عظمى: علم الألفاظ المفردة، وعلم الألفاظ المركبة، وعلم قوانين الألفاظ عندما تكون مفردة، وقوانين الألفاظ عندما تُرَكَّبُ، وقوانين تصحيح الكتابة، وقوانين تصحيح القراءة ، وقوانين تصحيح الأشعار. [1]

يلاحظ من خلال هذا الطرح أنَّ الفارابى كان على وعي عميق في إدراكه طبيعة اللسان بوصفه الموضوع الوحيد لأي دراسة تسعى إلى استكشاف القوانين العلمية التي تتحكم في بنية الظاهرة اللغوية بوصفها ظاهرة عامة في الوجود البشري.

ـ **ابن خلدون (808هـ)** : نجد مصطلح اللسان بوصفه موضوعًا للدراسة العلمية شائعًا ومألوفًا عند ابن خلدون، إذ إنَّه أفرد فصلاً في مقدمته عنونه بـ:"في علوم اللسان العربي" ثم أدرج تحت هذا العنوان "علم النحو ـ علم اللغة ـ علم البيان ـ علم الأدب". [2]

يدل مصطلح اللسان (Langue): على نسق(نظام) تواصلي قائم بذاته، وهذا النسق يمتلكه كل فرد متكلم – مستمع ينتمي إلى مجتمع له خصوصيات ثقافية وحضارية متجانسة، ويشارك أفراده في عملية الاتصال، ولهذا النسق أبعاده الصوتية، والتركيبية والدلالية، وهو من ههنا الذاكرة التواصلية المشتركة بين أفراد المجتمع؛ فيقال: اللسان العربي، واللسان الفرنسي، واللسان الإنجليزي. وحينما ينجز هذا المخزون المشترك في الواقع الفعلي؛ أي حينما يتحول من الموجود بالقوة إلى الموجود بالفعل يصبح كلاما (Parole)؛ أي الإنجاز الفعلي للسان في الواقع.

اللسان في جوهره أصوات ، تلك الأصوات التي تشكل نسقًا من العلامات الحسية ذات الأثر السمعي ، تأتلف فيما بينها منسجمة فتُكَوِّنُ تلفظات نطقية وصورًا سمعية تقترن بتصورات ذهنية ومفاهيم ، تتجسد هذه المفاهيم في الواقع عن طريق آلية التركيب.

أ. **البنية الصوتية:** هي المتوالية الصوتية التي تتكون من تلاحق من الأصوات مرتب وفق تنظيم تقتضيه طبيعة لسان معين.

---

(1)ـ الفارابى ، إحصاء العلوم ، ص15.

(2)ـ ابن خلدون ، المقدمة ، 711/2 .

ب. البنية الدلالية : هي البنية التي تشكل المفهوم، أو الفكرة، أو مجموع المعاني والتصورات الذهنية المنتظمة في ذهن المتكلم – المستمع التي يمكن لها أنْ تتحقق في الواقع عن طريق الأداء الفعلي للكلام.

ج. البنية التركيبية : هي مجموع العلاقات الوظيفية التي تحدد النمط التركيبي للسان معين.

2. ما اللسانيات؟

ظهر مصطلح اللسانيات أول ما ظهر في ألمانيا، (Linguistik)، لكن لفظ SPRACHWISSENSCHAFT كان أقدم منه وأكثر استعمالا، ثم استعمل في فرنسا (Linguistique) ابتداءً من سنة 1826، ثم في إنجلترا (Linguistics) ابتداءً من سنة 1855. [1]

ظهر مصطلح اللسانيات[2] في الثقافة العربية المعاصرة ابتداء من 1966 على يد عالم اللسانيات الجزائري عبد الرحمن الحاج صالح[3] الذي اقترح صيغة (لسانيات) قياسًا على صيغة (رياضيات) التي تفيد العلمية.

---

(1) ـ الحاج صالح، مدخل إلى علم اللسان الحديث، مجلة اللسانيات، 1972، ص29، هامش.

(2) ـ ظهر مصطلح اللسانيات أول ما ظهر في الجزائر ابتداء من سنة 1966 عند إنشاء معهد العلوم اللسانية والصوتية التابع لجامعة الجزائر، وقد أصدر المعهد منشورًا حدد فيه مهامه، فكان يستعمل مصطلح (اللساني) و(اللسانية) في مجرى النعت، ثم استعمل عند الحديث عن العلم ذاته لفظ (علم اللسانيات)، ثم حدد وذكر قسم اللسانيات التربوية، وقسم اللسانيات الرياضية . غير أنَّ الذي كرس المصطلح وبوأه منزلة الإشعاع إنَّما هو صدور مجلة المعهد سنة 1971بعنوان: اللسانيات . عبد السلام المسدي، قاموس اللسانيات، ص 71.

ـ ثم عقدت جامعة تونس في ديسمبر 1978 أول ندوة عربية في هذا الاختصاص حضرها علماء اللسانيات من المغرب وتونس وليبيا والجزائر ومصر والعراق والكويت وسوريا، ومن مكتسبات هذه الندوة أنْ اتفق الجميع على تكريس مصطلح (اللسانيات) ليقابل المصطلح الأجنبي (Linguistique / Linguistics). ينظر أشغال ندوة اللسانيات واللغة العربية، تونس، 13- 19 ديسمبر، 1978 سلسلة اللسانيات، الجامعة التونسية، مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية. 1981.

(3) ـ ولد الأستاذ الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح في 1927/7/8 في مدينة وهران (الغرب الجزائري) باحث أكاديمي مهتم بالرياضات واللغات .

ـ أسس بمساعدة الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي وزير التربية آنذاك معهد العلوم اللسانية والصوتية (1966) التابع لجامعة الجزائر، جهز المعهد بأحدث الأجهزة المختبرية، ثم أنشأ مجلته الموسومة بـ: اللسانيات سنة 1971.

ويصلح هذا المصطلح أنْ يكون مقابلاً دقيقًا للمصطلح الأجنبي (Linguistique/ Linguistics)؛[1] لأنَّه مشتق من موضوعه وهو اللسان؛ إذ يتضمن مصطلحُ اللسانيات العلمَ وموضوعَه (علم + لسان).علم موضوعه اللسان البشري.

تُعَرَّفُ اللسانيات بأنَّها: الدراسة **العلمية** و**الموضوعية** للسان البشري من خلال الألسنة الخاصة بكل مجتمع ، فهي دراسة للسان البشري ، تتميز بالعلمية والموضوعية سنقف عند هاتين الميزتين :

1. **العلمية :** نسبة إلى العلم ، وهو **بوجه عام** المعرفة ، وإدراك الأشياء والحقائق على ما هي عليه . **وبوجه خاص** دراسة ذات موضوع محدد ، وطريقة ثابتة تنتهي إلى مجموعة من القوانين .

العلم ضربان :

- **نظري**: يحاول تفسير الظواهر وبيان القوانين التي تحكمها.
- **تطبيقي :** يرمي إلى تطبيق القوانين النظرية على الحالات الجزئية.[2]

يُقْصَدُ بالدراسة العلمية البحث الذي يستخدم الأسلوب العلمي المعتمد على المقاييس الآتية :

1. ملاحظة الظاهرة والتجريب والاستقراء المستمر.
2. الاستدلال العقلي والعمليات الافتراضية والاستنتاجية.
3. استعمال النماذج والعلائق الرياضية للأنساق اللسانية مع الموضوعية المطلقة[1].

ـ صاحب النظرية المعروفة بالنظرية الخليلية الحديثة ، وهي موضوع الرسالة التي تقدم بها لنيل شهادة دكتوراه الدولة من جامعة السوربون (فرنسا) سنة 1979.

ـ عضو مجمع اللغة العربية في دمشق (1978) ، ومجمع بغداد (1980) ، ومجمع عمان (1984) ، وعضو مراسل لمجمع القاهرة (1988) ، ثم عضو دائم فيه (2003).

ـ له أبحاث ودراسات في اللسانيات باللغة الألمانية والإنجليزية والفرنسية لها حضور في الثقافة اللسانية العالمية.

ـ يرأس حاليًا أكاديمية اللغة العربية (الجزائر) ، ويشرف على مشروع الذخيرة العربية (بنك آلي من النصوص العربية القديمة والحديثة تتبناه الجامعة العربية) .

(1) ـ كان مصطلح اللسانيات في الثقافة العربية مسبوقًا بمصطلحات عدة منها : فقه اللغة ـ علم اللغة ـ الألسنية ...

(2) ـ المعجم الفلسفي، ص164.

2. **الموضوعية :** نسبة إلى الموضوعي، وهو مشتق من الموضوع؛ أي كل ما يوجد في الأعيان والعالم الخارجى في مقابل العالم الداخلي أو الذات . **الموضوعي:** هو كل ما تتساوى حالاته عند جميع الدارسين على الرغم من اختلاف الزوايا التي يتناولون من خلالها الموضوع .

ومن ههنا وجب أنْ تكون الحقائق العلمية مستقلة عن قائليها، بعيدة عن التأثر بأهوائهم وميولهم، فتتحقق في البحث العلمي الموضوعية والنزاهة .

الموضوعية حينئذ هي: طريقة العقل الذي يتعامل مع الأشياء والحقائق على ماهي عليه فلا يشوهها بنظرة ضيقة أو تحيز ذاتي .(2)

3. ما الغاية المتوخاة من البحث اللساني ؟

يمكن لنا حصر الأهداف التي تسعى الدراسة اللسانية إلى تحقيقها في الآتي:

1. تسعى اللسانيات إلى معرفة أسرار اللسان من حيث هو ظاهرة إنسانية عامة في الوجود البشري.
2. استكشاف القوانين الضمنية التي تتحكم في بنيته الجوهرية .
3. البحث عن السمات الصوتية، والتركيبية، والدلالية الخاصة للوصول إلى وضع قواعد كلية.
4. تحديد خصائص العملية التلفظية، وحصر العوائق العضوية، والنفسية والاجتماعية التي تعوق سبيلها.

4. ما مستويات التحليل اللساني ؟

مما لاريب فيه هو أنَّ طريقة الإجراء الوصفي والتحليلي تخضع منهجيًا إلى طبيعة الموضوع الذي يشكل مادة البحث، وكما ذكرنا سابقًا أنَّ موضوع اللسانيات الوحيد هو اللسان الذى يتبدى في ثلاثة أبعاد :(البعد الصوتي والبعد التركيبي والبعد الدلالي). ومن ههنا فإنَّ التحليل اللساني يظهر في ثلاثة مستويات أيضًا ، وهي :

1 ـ **المستوى الصوتي :** وهو نوعان :

أ ـ طبيعي : يتكون من جانبين :

---

(1) ـ مازن الوعر، دراسات لسانية تطبيقية، ص22.

(2) ـ المرجع نفسه ، 164.

ـ جانب فيزيولوجى (عضوي): يتعلق بالجانب النطقي (جهاز النطق) ، الجانب السمعي (جهاز السمع) .

ـ جانب فيزيائي : يتعلق بالأصوات في مظهرها الفيزيائي ؛ أي حينما تتحول الذبذبات الصوتية إلى أمواج عبر الأثير.

ب ـ لغوي : يتعلق بالأصوات اللغوية بوصفها الحامل المادي للأفكار والدلالات أثناء الإنتاج الفعلي للكلام في الواقع اللغوي الفعلي.

ظهر في رحاب هذا التصنيف علمان فرعيان يتناولان الجانبين المشار إليهما أعلاه:

ـ علم الأصوات العام : (Phonétique/Phonetics) يدرس الجانب الفيزيولوجى(الجانب التشريحي) والفيزيائي .

ـ علم الأصوات الوظيفي :(Phonologie/ Phonology) يدرس الأصوات اللغوية من حيث هي عناصر وظيفية :(وحدات نطقية ـ سمعية تشكل معنى).

2 ـ المستوى الدلالي: يتعلق بالدلالات اللغوية في لسان ما، وله علم خاص ينعت بـ "علم الدلالة" (Sémantique/Semantics).

3 ـ المستوى التركيبي: يرتبط بالعلاقات الوظيفية للبنية التركيبية الأساس (المكونات النحوية) في لسان ما، وله علم فرعي ينعت بـ: "علم التركيب" (Syntaxe) .

ثالثًا:التأسيس النظري والإجرائي للسانيات :

أخذت النظرية اللسانية المعاصرة خصوصياتها المميزة منذ أنْ ظهرت إلى الوجود الأفكار العلمية التي جاء بها دي سوسير Ferdinand de Saussure في مجال البحث اللساني، ومن ههنا يعد دي سويسر مؤسس اللسانيات في الثقافة الإنسانية المعاصرة دون منازع.

1ـ من هو دي سوسير؟

في خريف سنة 1857 يرى النور في جنيف تحت دفء عائلة عريقة ما فتئت تنجب رواد العلم والمعرفة، إذ اشتهر أفراد عائلته في العلوم الدقيقة والطبيعية. تابع دراسته الأولية بمسقط رأسه في الرياضيات، وكان يميل

في الوقت نفسه إلى الدراسات اللغوية، التقى بمعلمه الأول PICTET[1]، الذي ألف في فترة مبكرة جدًا بحثًا يتناول أصول اللغات الهندو –أوروبية سنة 1859. فشجعه وأخذ بيده، وساعده على الممارسة العلمية في مجال الدراسات اللغوية.

كان دي سوسير Ferdinand de Saussure مولعًا إيلاعًا شديدًا بالدراسات اللغوية، وهو الأمر الذي جعله يهتم بدراسة اللغتين: اليونانية، والسنسكريتية، فضلا عن إتقانه اللغة الفرنسية، والإنجليزية، والألمانية، واللاتينية.

قرر مصيره في سنة 1876 بالذهاب إلى ألمانيا التي كانت آنذاك تشهد حركة لغوية رائدة، فالتحق بحلقة اللغويين الألمان، وأسهم بأفكاره في مجال الدراسات المقارنة.

وفي شهر ديسمبر من سنة 1878 أنهى مشروع البحث الذي يحمل عنوان: مذكرة في النسق البدائي للصوائت في اللغات الهندو – أوروبية Mémoire sur le système primitif des voyelles dans les langues indo-européennes الذي طبع في لبيتسيش Leipzig سنة 1879، وقد حقق له هذا البحث، وهو لايتجاوز إحدى وعشرين سنة شهرة عالمية رافقته حتى وفاته، بل ظلت حاضرة في الثقافة اللسانية حتى بعد وفاته.

وفي سنة 1880 تقدم بأطروحته(Thèse de doctorat) التي كان موضوعها: (استعمال المضاف المطلق في اللغة السنسكريتية L'emploi du génitif absolu en sanscrit . وما عدا هذين البحثين كل ما نشر له تم بعد وفاته، باستثناء مجموعة مذكرات ومقالات وملاحظات نشرت في فترات متباعدة، وجمعت بعد وفاته في كتاب: Recueil des publications scientifiques de Ferdinand de Saussure 1922.

كلف سنة 1881 بالتدريس بمعهد الدروس العليا بباريس L'École des hautes études مدة عشر سنوات، نشر من خلالها عدة مقالات في مجلة: Mémoires de la Société de Linguistique، ثم أصبح بعد ذلك نائب مدير المجلة نفسها.

---

(1). Adolphe Pictet (1875.1799): كاتب ولساني سويسري.

عاد إلى جنيف سنة 1891، وهنا المرحلة الحاسمة في حياته الاجتماعية والفكرية إذ أُسِّسَ في جامعة جنيف آنذاك كرسي التاريخ المقارن للغات الهندو – أوروبية، وظل يشغل دي سوسير هذا الكرسي إلى غاية سنة 1896، ثم فجأة توارى عن الأنظار، ودخل في عزلة تامة، وانقطع عن الإنجاز العلمي. ويبرر بعض الذين أَرَّخُوا له أنَّ ذلك يعود إلى مشاكل عويصة ومؤلمة في حياته النفسية والاجتماعية، فانعكس ذلك على قدراته الفكرية. وبعد إلحاح شديد ومحاولات متكررة قام بها تلامذته الذين كانت رغبتهم شديدة في الإفادة من دروسه، رجع إلى التدريس في سنة 1907.

لم يستطع دي سوسير أنْ ينجز كتابًا يجمع فيه أفكاره الثائرة في اللسانيات، إذ انتهى أجله سنة 1913 ولم يحقق رغبته التي نلمسها من خلال الرسالة التي بعثها إلى صديقه ميي Antoine Meillet (1866ـ1936) الذي كان تلميذه في باريس – سنة 1894 يقول فيها: " لقد سئمت من كل هذا، ومن الصعوبة التي ألاقيها غالبًا في تحرير عشرة أسطر فقط، ثم موضوع الأوصاف التي تشترك فيها الأحداث اللغوية، وأنا مهتم منذ زمان طويل بتصنيف هذه الأحداث تصنيفًا معقولاً، فصرت ألمح أكثر فأكثر ضخامة العمل الذي يجب على الباحث أن يضطلع به حتى يشعر اللغوي بحقيقة ما يجريه من تحليل (...)، وسأختم عملي هذا بكتاب أحرره، وأنا مكره على ذلك، أفسر فيه دون حماس، لماذا لايوجد لفظ واحد يستعمل الآن في علم اللسان التاريخي يمكنني أنْ أبين فيه معنى من المعاني ". (1)

وبعد وفاته تأسف تلامذته على عدم تنفيذه المشروع الذي كان يتوخاه، فانبرى اثنان منهم على تحقيق هذا الطموح، وهما: شارل بالي (C.Bally) ، وسيشهاي (Sechehaye) فجمعا الأمالي التي كانت مدونة عند تلامذته في الفترة مابين 1909 – 1911، ودونت في كتاب ظهر إلى الإنسانية سنة 1916 بعنوان: دروس في اللسانيات العامة Cours de linguistique générale/ Course in General Linguistics (2) .

---

(1) ـ الحاج صالح، مدخل "إلى علم اللسان الحديث، مجلة اللسانيات، ص 39 (هامش) 1972.

(2) ـ المراجع المعتمدة في ترجمة حياة دي سوسير:

أ ـ جورج مونان، علم اللغة في القرن العشرين ، ترجمة نجيب غزاوي ، ص 48، وما بعدها .

ب ـ الحاج صالح ، مدخل إلى علم اللسان الحديث، مجلة اللسانيات ، ص 39 وما بعدها.

ج ـ Tullio de Mauro, Notes biographiques et critiques sur F. De Saussure pp 327-339.

لقد أثار هذا الكتاب الكثير من الاهتمام لدى المفكرين والدارسين آنذاك على الرغم من الظروف غير المواتية بسبب الدمار الفكري والحضاري الذي أحدثته الحرب العالمية الأولى، فقد ذكره وتحدث عنه أشهر الدارسين اللغويين في ذلك الوقت منهم ميي (Meillet) (1916 – 1917)، وغرامون (Grammont) (1917)، وجسبرسن(Jespersen) (1916- 1917)، وماروزو (1923) (Marouzeau)، وبلومفيلد (Bloomfield) (1924) وغيرهم كثير.

وما أنْ ظهرت الطبعة الأولى للكتاب (1916) حتى بدأ ينتشر في الثقافات الإنسانية المختلفة، فأول ترجمة له كانت إلى اللغة اليابانية سنة 1928 في طبعتها الأولى على يد (H.kobayashi) بعنوان: Gengogakugenron، ثم توالت الطبعات فيما بعد. فكانت الطبعة الثانية سنة 1940، وهي طبعة مزيدة ومنقحة، ثم تلتها الطبعة الثالثة بمقدمة جديدة، وكان ذلك سنة 1941، وفي سنة 1950 كانت الطبعة الرابعة.

ثم ترجم إلى الألمانية سنة 1931 في طبعتة الأولى على يد (H.lommel) بعنوان Grundfragen der allgemeinen Sprachwissenschaft ثم الطبعة الثانية كانت سنة 1967 ببرلين (**Berlin**).

ترجم إلى الروسية سنة 1933 في طبعتة الأولى على يد (H.M.SUHOTIN) بعنوان: 'Kurs obščej lingvistiki'.

ترجم إلى الإسبانية سنة 1945 في طبعتة الأولى على يد (Amado Alonson) بعنوان: Curso de lingüística general ثم توالت الطبعات على النحو الآتي: الطبعة الثانية (1955) ، الطبعة الثالثة (1959) ، الطبعة الرابعة (1961).

تُرجم إلى الإنجليزية سنة 1959 على يد (W.Baskin) بعنوان (Course in general linguistics)، ثم ترجم إلى البولونية سنة 1961 على يد (Krystina Kasprzyk) بعنوان: Kurs iezy Koznawswa ogolnergo.ترجم إلى الإيطالية سنة 1967، ولم يترجم إلى العربية إلا في بداية الثمانينات في ترجمات متعددة ؛ أي بعد حوالي سبعين سنة من نشره، ذلك ما يثير الحيرة والعجب، إذ ظل البحث اللغوي العربي بعيدًا عن هذا الزخم المعرفي الكثيف الذي أحدث ثورة عميقة في الفكر اللساني العالمي.

قد يدرك القارئ المتأمل في ذلك التراكم المعرفي الذي يزخر به هذا الكتاب أنَّ دي سوسير وإنْ كان في الظاهر أحدث قطيعة مع الفكر اللغوي السابق، فإنَّ قطيعته تلك ستظل في جوهرها المعرفي والإبيستمولوجي استمرارية للفكر اللساني القديم، إذ إنَّ التحول المنهجي الذي كان يتوخاه دي سوسير يقتضي – حسب الضرورة المنهجية – عودة تقويمية للفكر اللغوي السابق، قاصدًا من ذلك إلى تحديد الإطار الفكري والمعرفي للدراسة اللغوية عبر الحقب الزمنية المختلفة، فتبين له بواسطة هذه الالتفاتة التاريخية، أنَّ الدراسة اللغوية في الحضارة الإنسانية مرت بثلاث مراحل أساسية:

المرحلة الأولى: مرحلة النحو، بدأت هذه المرحلة – في نظره – من جهود اليونانيين، ثم تعمقت أكثر على يد الفرنسيين بخاصة في نحو بور روايالPort-Royal،[1] فهي دراسة قائمة في جوهرها على المنطق وأدواته(المفاهيم والاصطلاحات)، وتكاد تخلو هذه الدراسة من أي تصور علمي واقعي للظاهرة اللغوية من حيث هي إنجاز فعلي للكلام، فكان الهدف من هذه الدراسة هو وضع معايير ثابتة بناء على مبدأ الخطأ والصواب، فهي دراسة معيارية ليس إلا.

المرحلة الثانية: مرحلة الفيلولوجيا، كانت هذه الدراسة – كما أومأنا إليه سالفًا – تسعى إلى شرح النصوص القديمة وتفسيرها، إذ تعتمد اللغة وسيلة وليست غاية في ذاتها، فهي دراسة تتميز بالقدم حيث اقترنت نشأتها الجنينية بالنصوص المكتوبة باللغتين: اليونانية واللاتينية، فموضوع الفيلولوجيا الأساس ليس اللسان من حيث هو غاية في ذاته، وإنما اللسان من حيث هو وسيلة لمعرفة ما هو خارج عن النسق اللساني نفسه، فالفيلولوجيا – كما هو معروف – تعكف على دراسة الخطاب المكتوب وتقصي من اهتماماتها الخطاب المنطوق.

---

(1)ـ بور روايالPort-Royal (باريس): نسبة إلى المكان الذي كان يلتقي فيه الكتاب الفرنسيون الكبار والفلاسفة مثل: Blaise Pascal، كان هؤلاء جميعًا يتدارسون قضايا فكرية، ولغوية، ودينية (المنطق،والنحو، واللاهوت) ظهرت في رحاب هذا المنتدى الفكري نزعة نحوية عقلية تقوم على المنطق، كان يتزعمها Lancelot, Claude (1615ـ 1695) و Arnauld, Antoine (1612ـ 1694)، وكان شعار هذه النزعة: النحو فن التكلم (La Grammaire est l'art de parler).

ومن هذا المنطلق، فإنَّ الفيلولوجيا، من حيث هي منوال يتعامل مع الظاهرة اللغوية تظل بعيدة عن طبيعة الدراسة العلمية الموضوعية للسان من حيث هو ظاهرة اجتماعية، يجب أنْ تدرس هذه الظاهرة في ذاتها ومن أجل ذاتها.

المرحلة الثالثة: مرحلة الفيلولوجيا المقارنة، ظهرت هذه الدراسة منذ أنْ استكشف الأوروبيون العلاقات القائمة بين اللغات القديمة (السنسكريتية واليونانية واللاتينية)، إذ بدأ الاهتمام بالبحث عن الصفات المشتركة بين اللغات على المستوى الصوتي والتركيبي والدلالي، ولقد أوحى فرونز بوب Franz Bopp (1791 - 1867) من خلال جهوده الأولية في هذا الشأن بإمكانية وجود علم مستقل يعكف على مقاربة الألسنة، والبحث عن الصفات المشتركة بينها.

كان لهذا التوجه الجديد نحو المقارنة بين اللغات الفضل في فتح حقل خصب من حقول المعرفة الإنسانية، غير أنَّه لم يتوصل إلى سبر أغوار الظاهرة اللسانية سبرًا عميقا، بل ظل يتحرك خارجها في دوامة التحول العضوي للسلالات اللغوية، دون أدنى جهد في خرق البنية الداخلية للسان البشري.[1]

يكون دي سوسير قد هيأ الأرضية – منهجيًا – للبديل المتوخى بهذه العودة التاريخية والتقويمية للفكر اللغوي السابق، فكانت اللسانيات بإجراءاتها التطبيقية وخصائصها المنهجية الرافد المرجعي الذي بإمكانه أنْ يقدِّم التفسير الكافي لبنية اللسان، بوصفه نسقًا تواصليًا يمتلكه كل فرد ينتمي إلى مجتمع لغوي متجانس.

تنحصر مهمة اللسانيات – في نظر دي سوسير – في المجالات الآتية :

1. وصف كل الألسنة والتأريخ لها ؛ أي القيام بالتأريخ للعائلات اللغوية، وإعادة بناء أصول السلالات اللغوية.

2. البحث عن القوى الفاعلة بشكل دائم في كل الألسنة، واستنباط القوانين العامة التي يمكن لنا أنْ نفسر بها كل ظواهر التاريخ الخاصة.

3. تميز اللسانيات نفسها عن باقي العلوم ، وتحدد نفسها بنفسها.[2]

يتبدى التحول العلمي الذي جاء به دي سوسير في مجال البحث اللساني في الثنائيات التي تشكل المحور المعرفي للمنهج العلمي الذي كان يتوخاه دي سوسير، ومن هذه الثنائيات ما يأتي :

---

1 -Ferdinand de Saussure ,Cours de linguistique générale, P 12 .

(2) - ينظر مبارك حنون، مدخل للسانيات دي سوسير. ص 15 ، 16.

2. الثنائيات اللسانية عند دي سوسير:

أ. تاريخي / آني :

اللسان في نظر دي سوسير واقع قائم بذاته من جهة، وتطور تاريخي من جهة أخرى، في ظل هذا التصور للسان يمكن لنا التمييز بين النسق اللساني الآني؛ أي اللسان في حالة زمنية محددة ، وتاريخ هذا النسق ، وتأسيسًا على هذا التصور لحقيقة اللسان يميز دي سوسير بين منهجين في التعامل مع الظاهرة اللغوية:

المنهج الأول: المنهج التاريخي، يهتم هذا المنهج بالتحول المرحلي للسان عبر الحقب الزمنية المختلفة.

المنهج الثاني: المنهج الوصفي، يتناول هذا المنهج الظاهرة اللغوية كما هي عليه في الواقع اللغوي.

ولذلك فإنَّ اللسانيات ـ في نظر دي سوسير ـ تتفرع إلى فرعين :

1 ـ لسانيات تاريخية، تطورية(Diachronique / Diachronic) وهي: دراسة قائمة على تعقب مسار اللغة التطوري عبر التاريخ.

2 ـ لسانيات سكونية، آنية(سانكرونية) (Synchronique/ Synchronic) وهي: الدراسة التي تهتم بالنسق اللساني في ذاته ومن أجل ذاته في حالة لغة(اللسان المتداول في المكان والزمان المحدد) بمعزل عن التاريخ.[1]

و رغبة منه في توصيل حقيقة هذه الثنائية يمثل لذلك بالدراسة التشريحية للنبات فهو يرى أنَّنا إذا ما قطعنا نبتة ما قطعًا طوليًا (عموديًا)، فإنَّنا نلاحظ نمو الألياف في حالة تطورية فقط، أمَّا إذا قطعناها أفقيًا فإنَّنا في هذه الحالة نتمكن من ملاحظة نمو الألياف في تجمعها على سطح معين، وحصر العلاقات القائمة بينها. ومن ثمة فإنَّ هذه الحقائق لانستطيع إدراكها من القطع العمودي.[2]

ب. لسان / كلام:

عندما انصرف دي سوسير إلى وضع أرضية علمية للنظرية اللسانية تبدَّى له في الواقع أنَّ هناك ثلاثة مظاهر تتعلق بحقيقة اللغة البشرية.

---

1 -Ferdinand de Saussure، C.L.G.P 125.
2 - C.L.G.P125.

1ـ اللغة (Langage) : الملكة الإنسانية المتمثلة في تلك القدرات التي يمتلكها الإنسان والتي تجعله يتميز عمَّا سواه من الكائنات الأخرى .

2ـ اللسان (Langue): النسق التواصلي الذي يمتلكه كل فرد متكلم – مستمع مثالي ينتمي إلى مجتمع لغوي له خصوصيات ثقافية وحضارية متجانسة.

3ـ الكلام (Parole) : هو الإنجاز الفعلي للغة في الواقع. يقول دي سوسير: "اللسان في نظرنا هو اللغة ناقص الكلام "[1] فاللغة بوصفها ظاهرة إنسانية تتميز بتعدد عناصرها، فهي من ههنا غير متجانسة في ذاتها ، فهي موضوع تتناوله معارف إنسانية متعددة : دراسة فيزيائية وفيزيولوجية ونفسية، وهي إذ ذاك تنتمي إلى مجال فردي ومجال اجتماعي، الأمر الذي يجعل تصنيفها وإخضاعها للوصف والتحليل صعبًا، بل مستحيلاً، فهي حينئذ تستعصي على الباحث اللساني الذي يسعى إلى تناولها من وجهة نظر واحدة ، إذ إنَّها محل اهتمام لكثير من التخصصات .[2]

نظرا لهذه المعضلة المنهجية يكون من الأنجع البحث عن إطار موحد في بنيته، ويتميز بالتجانس التام بين عناصره، ولا تتحقق هذه الصفة إلا في اللسان، وهو في نظر دي سوسير:

1 ـ رصيد وضعته ممارسة الكلام في ذاكرة الأشخاص الذين ينتمون إلى مجتمع متجانس .

2 ـ نظام قواعدي يوجد بصفة مضمرة في أذهان الأشخاص المتكلمين الذين ينتمون إلى المجتمع اللغوي، إذ إنَّ اللسان من حيث هو ظاهرة اجتماعية لايوجد عند كل فرد على حدة ، بل يوجد بصفة كاملة عند الجماعة.

3 ـ قانون مشترك بين أفراد المجتمع اللغوي الذي يسمح لهم بالاتصال ، وهو يتميز عن اللغة من حيث كونه ظاهرة اجتماعية تمارس فاعليتها بالقوة بمعزل عن إرادة الأفراد المتكلمين .

4 ـ نتاج اجتماعي لملكة اللغة، فهو مجموعة من الأعراف الضرورية التي يستخدمها المجتمع لمزاولة هذه الملكة عند الأفراد.[3]

وإذا كان اللسان خارجًا عن إرادة الفرد وليس بإمكانه أنْ يغيره، أو يجري عليه تعديلا في أي مستوى من مستوياته، فهو يسعى دائمًا إلى ترجمة قوانينه في إنجازه الفعلي للكلام؛ لأنَّ الأداء الفعلي هو الوسيلة العملية التي تعكس نمط هذا اللسان وتحققه في الواقع اللغوي.

---

1 - C.L.G.P25.
2 - C.LG.P25.
3 - C.L.G.P30.

ويرى دي سوسير في هذا السبيل أنَّ اللسان ليس من وظيفة المتكلم إنَّه النتيجة التي يسجلها الفرد بكيفية سلبية ، عكس الكلام الذي هو عمل فردي نابع عن إرادة وذكاء.

ويمكن لنا أن نميز بين شيئين :

أحدهما : التراكيب اللسانية التي يستخدم فيها الفرد المتكلم قوانين اللسان للتعبير عن فكره الشخصي .

والآخر : الآلية النفسية والفيزيولوجية التي تسمح له بتحيين هذه التراكيب وتفعيلها في الواقع.(1)

ومن ثمة فإنَّ التمييز بين اللسان من حيث هو ظاهرة اجتماعية بمعزل عن إرادة الفرد المتكلم، والكلام من حيث هو عمل فردي يمارس فيه المتكلم قدرته التعبيرية للاتصال بالآخرين، يطرح تمييزًا بين الحدث الاجتماعي والحدث الفردي .

ويرى دي سوسير في هذا المقام، أنَّ فصل اللسان عن الكلام هو في الوقت نفسه فصل :

1 - ما هو اجتماعي عما هو فردي .

2 - ما هو جوهري عما هو تابع أو عرضي.(2)

يحاول الدكتور تمام حسان تلخيص هذه المقابلة بين اللسان والكلام وتبسيطها بقوله :

الكلام عمل، واللسان حدود هذا العمل.

الكلام سلوك، واللسان معيار هذا السلوك.

الكلام نشاط، واللسان قواعد هذا النشاط.

الكلام يدرك بالسمع نطقًا وبالبصر كتابة ، واللسان يدرك بالتأمل في الكلام.

الكلام هو المنطوق والمكتوب ، واللسان هو المخزون في المتون اللغوية.

الكلام عمل فردي ، واللسان عمل اجتماعي.(3)

على الرغم من الفرق الموجود بين اللسان والكلام فإنَّ هذين الموضوعين متصلان، وصلتهما وثيقة جدًّا ، إذ إنَّ أحدهما يقتضي وجود الآخر ؛ لأنَّ اللسان ما هو إلا راسب من عمليات عديدة للكلام عبر الزمن، أمَّا الكلام فإنَّه تطبيق، أو استعمال للوسائل والأدوات الصوتية، والتركيبية، والمعجمية التي يوفرها اللسان.(4)

---

1 - C.L.G.P.30.

2 - C.L.G.P.30.

(3) - ينظر تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها ، ص 23.

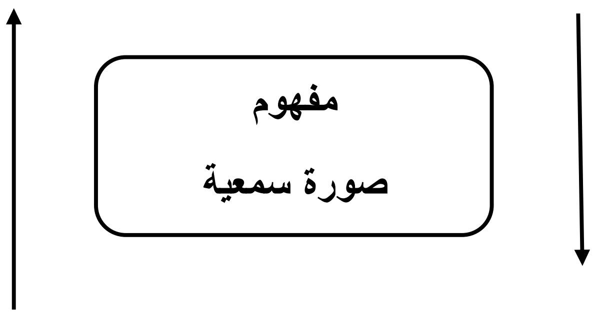
4 - C.L.G.P.31.

ج ـ دال / مدلول :

يسعى المنهج العلمي الذي تبناه دي سوسير في مجال البحث اللساني إلى إبراز رؤية تعاملية تميل إلى الشيء المحدد والمتجانس في ذاته، فكانت فكرة النسق اللساني Language system / Système linguistique الذي يتكون من وحدات أساسية متوافقة فيما بينها، تسمى هذه الوحدات بالعلامات اللسانية(Signs) (Signes)، فالعلامة اللسانية ـ في نظر دي سوسير ـ هي وحدة النسق، فهي العنصر اللساني الذي يتكون من صورة سمعية (Acoustic image) (Image Acoustique) **ومفهوم** (Concept) ؛ أي الفكرة التي تقترن بالصورة السمعية.مثلا كلمة(رجل) هذه علامة لسانية مكونة من صورة سمعية، وهو الإدراك النفسي لتتابع الأصوات (ر، ج ، ل) ، ومفهوم وهو مجموع السمات الدلالية (حي ـ ناطق ـ عاقل ـ إنسان ـ ذكر ـ راشد).

إذا أُخِذَ التتابع الصوتي على حدة، فإنَّه سوف لايكوِّن علامة لسانية مستقلة، فما هو إلا ترتيب لأصوات مجردة ليس إلا ، كما أنَّ السمات الدلالية التي تُكَوِّنُ مفهوم الرجل، لاتشكل علامة لسانية بمفردها، فهذا يقتضي الاتحاد التام بين الصورة السمعية والمفهوم. "فيسمى علامة لسانية هذا المركب المتكوِّن من المفهوم والصورة السمعية "[(1)].

ويمكن لنا تمثيله بالشكل الآتي :



ثم صرح دي سوسير بالإبقاء على مصطلح العلامة للدلالة على الكل، وتعويض(مفهوم) و(صورة سمعية) بلفظتي دال ومدلول(Signifier / signifie) (Signifiant / Signifié) . ويرى دي سوسير أنَّ

1- C.L.G .P99.

أفضلية هذين اللفظين أنَّهما يدلان على المواجهة التي تفصلهما، سواء أكان هذا الفصل فيما بينهما ، أم من الكل الذي يجمعهما[1].

إنَّ العلامة اللسانية - انطلاقًا من هذا التصور - هي مركب يتكون من وجهين : /دال/ و/ مدلول / يستحيل الفصل بينهما ؛ لأنَّهما يرتبطان بعلاقة تواضعية، ويرى دي سوسير أنَّ هذه "العلاقة التي تربط بين الدال والمدلول هي علاقة اعتباطيةarbitrary / Arbitraire / " [2]

تظهر الاعتباطية في أنَّ دالاً معينًا يطابق مدلولاً معينًا في الواقع، ومن ثمة فإنَّ العلامة اللسانية هي تقسيم الواقع عن طريق التواضع لاغير، فهي بمعنى الاتفاق والاصطلاح، عكس المفهوم العفوي لدى المتكلم الذي يرى العلامة اللسانية كأنَّها اسم للواقع .[3]

وعلى الرغم من ذلك فإنَّ دي سوسير يقر بوجود حالات جزئية استثنائية تكون فيها العلاقة بين الدال والمدلول علاقة غير اعتباطية، كما يلاحظ في الكلمات الطبيعية (Onamatopées)، لكن هذه العلامات تبقى استثنائية ومحدودة ، ولا تُكَوِّنُ نسقًا لسانيًا ؛ لأنَّ عددها محدود جدًا، وأنَّ هذه الحالات ذات اهتمام ثانوي ، ونشأتها هي الآن محل خلاف.[4]

ولذلك فإنَّ الاعتباطية في العلامات اللسانية – في نظر دي سوسير – "لا تعني أنَّها عائدة إلى اختيار حر يقوم به متكلم اللغة ، وإنَّما نعني بالاعتباطية أنَّ الدال غير معلل ؛ أي اعتباطي بالنسبة للمدلول الذي لاتربطه به أية علاقة في الواقع".[5]

رب قائل يقول: إذا كانت العلاقة التي تربط بين الدال والمدلول علاقة اعتباطية، فما الرابط الأساس الذي يربط بينهما ؟ يمكن - في نظر دي سوسير - الرد على هذا التساؤل بأنَّ اللسان بوصفه نسقًا من العلامات، هذا النسق هو الذي يضبط هذه الاعتباطية، ويقوي مكانة الرابط الذي يجمع بين الدال والمدلول.

---

1 - C.L.G.P100.
2 - C.L.G.P.100

(3) - كاترين فوك. مبادئ في قضايا اللسانيات المعاصرة ، ص 22.

4 - C.L.G.P.10.

(5) - ينظر ميشال زكريا، الألسنية (علم اللغة الحديث) مبادئها وأعلامها، ص 183.

3. مفهوم السيميائيات عند دي سوسير:

إنَّ من يتعقب المسار التطوري المرحلي للدراسة السيميائية في الفكر الإنساني المعاصر يدرك أنَّ تناول السيميائية بالبحث والدرس لاينفصل منهجيًا عن تناول العلامة في حد ذاتها، وتناول العلامة ليس بالأمر السهل من حيث هي كيان نفسي وثقافي وحضاري بشكل عام .

منذ أنْ وجد الإنسان في هذا الكون، كانت العلامة محور تأمله وقلقه وتفاعله، من أجل تفسيرها وتأويل دلالتها لتحقيق الاستئناس والاجتماع ، من حيث كونه نزعة إنسانية، تلك النزعة التي تقتضي وجود نظام اصطلاحي يتكون من شبكة من العلامات الدالة.

إنَّ نظرة عجلى إلى المراحل الحضارية التي مرَّ بها الإنسان عبر الحقب الزمنية المختلفة تهدي إلى أنَّ مركز الاستقطاب في الحضارة الإنسانية كان العلامة، وسيظل العلامة، من حيث هي معطى نفسي وثقافي واجتماعي وحضاري بشكل عام.

وإنْ كان الأمر كذلك، فلا جرم من أنْ تنصرف الجهود إلى تدارسها تدارسًا أوفر من أجل استكشاف حقيقتها الدلالية ومجالها الإجرائي، لذلك شكلت العلامة موضوعًا للدرس لدى الفلاسفة، والمفكرين الأقدمين، منذ أرسطو، وأفلاطون، والرواقيين ومرورًا بالفلاسفة المسلمين، وعلماء الكلام، والأصوليين إلى أنْ استقلت العلامة بموضوعها في الفكر السيميائي المعاصر.

يعد اللسان الإطار العام لتشكل العلامات اللسانية بوصفه نسقًا متكاملاً، وهذا النسق يمتلكه كل فرد ينتمي إلى مجتمع له خصوصيات ثقافية وحضارية متجانسة ، ذلك النسق الذي يتكون أساسًا من عناصر دالة تكوِّن بنيته الجوهرية لتحقيق العملية التواصلية، ومن هنا بدأ التفكير في طبيعة العنصر الدال من حيث نمطه السيميائي، فكانت العلامة نواة المجال الإجرائي للسيميائية نظرًا لطبيعتها الدلالية، فأصبحت العلامة إذ ذاك مركز اهتمام لدى الدارسين في رحاب معارف إنسانية مختلفة، كالفلسفة، والمنطق ، والبلاغة ، وعلم النفس ، والطب واللسانيات.

توافرت في ظل هذا الاهتمام أفكار أولية يمكن أنْ يُعوَّل عليها في تأسيس نظرية متكاملة تتخذ العلامات موضوعها لها. وقد تحقق ذلك – على الأقل في مرحلته الجنينية – على يد دي سوسير الذي وضع أرضية

لإمكانية وجود تصور شامل لمنوال علمي مستقل يمكن له أنْ ينفرد بالعلامة ويحررها من ضغوط تعدد المعارف والعلوم.

أ . مفهوم العلامة:

تُوَحِّدُ العلامة(Signe/ Sign) في نظر دي سوسير بين مفهوم (Concept)، وصورة سمعية (Image acoustique /Acoustic image) لابين شيء واسم. ومما تجدر الإشارة إليه هو أنَّ الصورة السمعية ليست الأصوات المادية بخصائصها الفيزيائية، وإنما هي البصمة النفسية للصوت[1]. فالعلامة – وفق تصور دي سوسير – كيان نفسي ذو وجهين ، مفهوم وصورة سمعية، أو دال ومدلول ، والعلاقة بين الدال والمدلول علاقة اعتباطية(Arbitraire) ؛ أي علاقة غير معللة غير سببية.

يظهر من خلال هذا المفهوم للعلامة أنَّ هناك إقصاء للواقع الخارجي الذي تشير إليه العلامة (المرجع). يقول دي سوسير في هذا الشأن : "إنَّ العلامة لاتربط بين الشيء والاسم، بل بين المفهوم والصورة السمعية "[2]. فهو بهذا القول يضع حاجزًا فاصلا بين العلامة من حيث هي حقيقة نفسية، والشيء الذي تحيل إليه في الواقع الخارجي، أو الموجود في الأعيان كما يسميه أسلافنا الأقدمون .

العلامة حقيقة محسوسة ؛ أي هي شيء محسوس يستدعي شيئًا آخر بوصفه بديلا له، فهي تثير في العقل صورة ذهنية، بيد أنَّ الصورة الذهنية هي صورة لشيء موجود في الواقع الخارجي، ومن هنا تُطرح إشكالية علاقة العلامة بالمرجع (Referent)[3].

تنحصر العلاقات الدلالية وحركيتها في مجالها التواصلي والإبلاغي – كما يراها دي سوسير – في الربط بين الدال والمدلول داخل النطاق النفسي.[4]

من الذين اقتفوا أثر دي سوسير في إبعاد المرجع من مفهوم العلامة، ستفن أولمان[1] Stephen Ullmann في مجال علم الدلالة، وأمبرطو إيكو[2](U.ECO) في مجال السيميائية، يرى امبرطو أنَّ

1 C.L.G.P.98
2 - C.L.G.P.98

(3)ـ سيزا قاسم وآخرون، مدخل إلى السيميوطيقا ، ص 12.

(4)ـ المرجع نفسه ، ص22.

مشكلة المرجع من حيث هوحقيقة واقعية لاعلاقة له بالسيميائية، وما كان ذلك إلا لأنَّ السيميائية لاتهتم بقضية الحقيقة والبطلان، إذ إنَّ القيمة الدلالية تكمن في العلاقة بين الدال والمدلول فحسب،ويمكن للسيميائية أنْ تنشغل بهذه الثنائية فقط ، ولا تتعداها إلى ما هو خارجها.[3]

ب ـ الآفاق السيميائية:

منذ القدم انتبه الإنسان إلى ما يحيط به من علامات، سواء أكانت هذه العلامات علامات طبيعية أم عرفية، وأدرك أهميتها في حياته من حيث كونه كائنًا اجتماعيًا يميل بطبعه إلى ممارسة الإنجاز الفعلي للخطاب، ولذلك فإنَّ الدارسين الأقدمين على اختلاف اهتماماتهم الفكرية عبر التاريخ حاولوا مقاربة العلامة بوصفها عنصرًا أساسًا في أي ظاهرة إنسانية.

ولهذا أضحت العلامات موضوعًا محددًا تناولته مجموعة من العلوم الإنسانية المختلفة كالفلسفة،والمنطق، وعلم النفس، والبلاغة، وعلم الاجتماع، والطب .. ظهرت،حينئذ، أفكار سيميائية عميقة في رحاب معارف إنسانية مختلفة ، بيد أنَّ هذه الجهود الفكرية في هذا المجال لم ترق إلى مستوى النظرية العلمية المكتملة، فما فتئت العلامات تعالج حسب إجراءات عرضية هامشية. [4]

ولما جاء دي سويسر في الثقافة الفرنسية – على الأقل – حاول أنْ يثير الانتباه إلى أهمية التفكير في بلورة نظرية لسانية للبحث في العلامات بأنواعها المختلفة، ومما تجدر الإشارة إليه في هذا المقام ، هو أنَّ دي سوسير لم يتناول السيميائية إلا عَرَضًا. وذلك عندما كان يبحث عن موقع اللسان ضمن الظواهر الإنسانية الأخرى.[5]

---

(1) ـ Stephen Ullmann لساني من أصل مجري (1914ـ1976) عاش في انجلترا، له دراسات وأبحاث في الأسلوب والدلالة.

(2) ـ Umberto Eco سيميائي إيطالي، فيلسوف وناقد وروائي.

(3) ـ سيزا قاسم وآخرون، مدخل إلى السيميوطيقا ، ص 23.

(4) ـ ينظر مبارك حنون، المرجع المذكور سابقًا ، ص 159.

(5) ـ ينظر المرجع نفسه، ص 159.

ينطلق دي سوسير في تعامله مع البحث العلمي للظاهرة اللغوية من فكرة جوهرية، وهي أنَّ اللسان نظام من العلامات الدالة يشبه الإشارات، وعلامات الصم والبكم، والإشارات البحرية ...[1] هذه كلها أنظمة تتكون من علامات دالة، ولايختلف اللسان عن هذه الأنساق إلا في كونه يعد أهم مظهر من مظاهرها، فالخاصية المشتركة بين هذه الأنساق هي الدلالة التي تتحقق عن طريق اقتران الدال بالمدلول .

وإذا كان اللسان والظواهر الأخرى الدالة أنظمة مكونة من علامات، وبناء على هذا القاسم المشترك، فإنَّه من الممكن أنْ نتوقع وجود علم يقوم بدراسة العلامات مهما كانت طبيعة النسق الذي يحتويها. يقول دي سوسير في هذا السياق : " يمكننا أنْ نتصور علمًا يدرس حياة العلامات داخل الحياة الاجتماعية، وهذا العلم سيكون فرعًا من علم النفس الاجتماعي، ومن ثم سيكون فرعًا من علم النفس العام، ويسمى هذا العلم بـ: (Semiologie/ Semiology) المشتقة من اللفظ اليوناني (Semeion) الذي يعني علامة(Signe/Sign).[2]

سيمكننا هذا العلم المتوقع من معرفة مكونات العلامات في ذاتها، واستكشاف القوانين التي تحكمها، ولما كان هذا العلم غير موجود في الواقع الحالي – حسب تعبير دي سوسير – فإنَّه لايمكن لنا أنْ نتنبأ بكيانه، ولكنه يحق له أنْ يوجد ووجوده مبرر بتحديد مكانه سلفًا، ويرى دي سوسير أنَّ اللسانيات ما هي إلا جزء من هذا العلم العام ، وأنَّ القوانين التي ستكشفها السيميائيات سيكون تطبيقها ممكنًا على اللسانيات. ومن هذا المنطلق تجد اللسانيات نفسها ملحقة بمجال محدود ومضبوط ضمن مجموع الظواهر الإنسانية.[3]

وبناء على هذا التصور أضحت السيميائيات ـ في نظر دي سوسير ـ علمًا يدرس العلامات في إطار الحياة الاجتماعية، سواء أكانت هذه العلامات لسانية أم غير لسانية. وانطلاقًا من ذلك يعد اللسان ظاهرة سيميائية من حيث كونه ظاهرة اجتماعية.

4 ـ الرأي الآخر :

هناك وجهات نظر أخرى تخالف التصورات السيميائية عند دي سوسير، ولذلك يجدر بنا في هذا المقام أنْ نشير إلى بعض الاعتراضات على المفاهيم التي جاء بها دي سوسير .

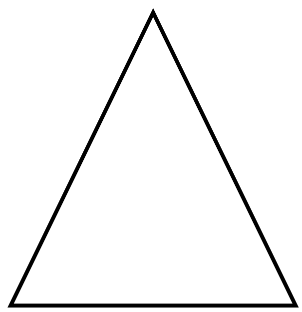
---

1 - C.L.G.P33.
2 - C.L.G.P33.
3 - C.L.G.P33.

الاعتراض الأول : اعتراض Ogden وRichards :

من الذين اعترضوا على تصور دي سوسير للعلامة اعتراضًا شديدًا Ogden [1] وRichards [2] في كتابهما معنى المعنى (The meaning of meaning) حيث أشارا إلى أهمية التحليل المزدوج الذي يتناول العلاقة بين الكلمات والأفكار من جهة ، والأشياء المشار إليها من جهة أخرى.

وقد اختصرا فكرتهما في شكل مثلث اشتهر في الدراسات الدلالية :



أصبحت هذه النظرية تعرف بالنظرية المنطقية أوالإحالية ، ترى هذه النظرية أنَّ الدراسات التي تناولت العلامات عندما أغفلت تمامًا الأشياء التي تشير إليها العلامات في الواقع الخارجي ابتعدت عن الدقة والإثبات العلمي ، إنّنا في حاجة إلى منوال علمي يهتم بالعلاقة القائمة بين الكلمات والأشياء التي ترمز إليها هذه الكلمات بواسطة الأفكار ، فالإجراء التحليلي للعلامات في الواقع يجب أنْ ينطلق من مستويين :

1- مستوى يتناول العلاقة بين الكلمات والأفكار.

1- مستوى يتناول العلاقة بين الأفكار والأشياء.

وما كان ذلك إلا لأنَّ العلاقة بين الرمز والفكرة علاقة سببية ، معنى ذلك وجود الفكرة يقتضي بالضرورة وجود الرمز الحامل الحسي لهذه الفكرة ، فالرموز لا تحيل إلى الأشياء إلا بواسطة الأفكار.[3]

---

(1)ـ Charles Kay Ogden (1889ـ 1957) :لساني إنجليزيي مؤلف كتاب : معنى المعنى بشاركة ريتشاردز ، يتضمن الكتاب مباحث في اللسانيات وفلسفة اللغة ، طبع في لندن سنة 1923.

(2) ـ Ivor Armstrong Richards ـ (1893ـ 1979) : ناقد وبلاغي إنجليزي.

(3)ـ ـ سيزا قاسم وآخرون ، مدخل إلى السيميوطيقا ، ص 24 .

الاعتراض الثاني : اعتراض بنفنيست:

لقد اهتم بنفنيست[1] (1902-1976) بالمفاهيم التي جاء بها دي سوسير حيث تعرض إلى أغلبها في كتابه (Problèmes de linguistique générale) مفسرًا وناقدًا، ومن القضايا التي استقطبت اهتمامه العلامة ومفهومها كما تصوره دي سوسير، فبعد عرضه الجوانب التي تتعلق بالعلامة وقف عند مفهوم الاعتباطية ليناقشه ويبين تناقض دي سوسير فيه .

يرى بنفنيست أنَّ الحكم الذي تبناه دي سوسير في مسألة اعتباطية العلامة حكم خاطئ، إذ إنَّ دي سوسير على الرغم من أنَّه يركز على النطاق النفسي لتوحد الدال والمدلول فإنَّه يُقِرُّ ضمنيًا بوجود طرف ثالث أساس في هذا التوحد، فيلاحظ بنفنيست أنَّ هناك تناقضًا في تصور دي سوسير للعلامة، لأنَّه في تعريفه العلامة يؤكد أنَّ العلامة لا تربط بين شيء واسم، بل بين مفهوم وصورة سمعية، أو دال ومدلول، وأنَّ العلاقة التي تربط بين الدال والمدلول علاقة اعتباطية، فالاعتباطية في نظر بنفنيست ليست بين الدال والمدلول، وإنَّما بين الدال والشيء الموجود في الواقع الخارجي .

يخلص بنفنيست من ذلك إلى أنَّ الرابط الجوهري بين الدال والمدلول ليس باعتباطي، بل العلاقة ههنا علاقة تلازمية ؛ أي أنَّ أحدهما سبب في وجود الآخر، وما هو اعتباطي هو وقوع دال معين على شيء ما في الواقع الخارجي ، فالاعتباطية حينئذ ليست بين الدال والمدلول، بل بين الدال والشيء الذي تحيل إليه العلامة ؛ أي المرجع.[2]

الاعتراض الثالث : اعتراضات ر. بارت R.Barth[3]:

أخذت السيميائية بعد دي سوسير منحى جديدًا في رحاب تطور المعارف الإنسانية، ويتبدى ذلك جليًا في منعرج تحولها ، وذلك بأخذها سبيلين :

أحدهما : أضحى يعرف **بسيميائية التواصل** ،التي يمثلها كل من بريطو (Prieto)[1] وجورج مونان (G.Mounin) [2]وبويسنس (Buyssens)[3]، فظلت هذه السيميائية تقتفي أثر دي سوسير من حيث

---

(1)- بنفنيست Émile Benveniste (1902 - 1976): باحث لساني فرنسي.

2- Benvenist , Problèmes de linguistique générale ,T1.P46.

(3)- Roland Barthes (1915-1980): سيميائي وناقد فرنسي .

إنَّها تؤكد الجانب القصدي والتواصلي للعلامة ، وأنَّ هذا التواصل هو انعكاس لطبيعة اللسان نفسه بوصفه نسقًا تواصليًا .

والآخر : يعرف **بسيميائية الدلالة**، ويمثله في الفكر السيميائي المعاصر **رولان بارت** (1915 – 1980) الذي كان اهتمامه منصبًا في أول الأمر على النقد الأدبي، فثار على مناهجه التقليدية إلى درجة أنَّه شكك في المعلومات التي تُقدمها الجامعات الكلاسيكية في ميدان الأدب، وقد عمل على إرساء قواعد النقد الحديث، خاصة بعد ظهور كتابه : الدرجة الصفر في الكتاب Degré zéro de l'écriture /Degree zero of writing(1953) تضمن هذا الكتاب فلسفة خاصة بالخطاب الأدبي، من حيث التعريف والنقد، فأرسى قواعد منهج نقدي نصي، ثم اتجهت عنايته فيما بعد إلى السيميائية فألف:

1 - Eléments de sémiologie 1964/ Elements of Semiology.

2- Système de la mode/ The Fashion System

حاول رولان بارت أنْ يكشف عن القوانين الدلالية عامة مما جعل بحوثه الأدبية والنقدية تزداد ثراء وقوة في درب الاعتراض على قدسية المؤلف، وقدسية الأثرالأدبي، وقد سعى بارت إلى الكشف عن الروابط العميقة بين الإنسان والعلامات، لاسيما في مؤلفه: لذة النص(Plaisir du texte) (4)

ولذلك فإنَّ بارت، وإنْ كان لم يخرج عن الخط السوسيرى ، فقد قلب موازين التصور القائل: بأنَّ اللسانيات فرع من السيميائية، ويبرر ذلك بأنَّ إنتاج الدلالة وتحققها في الواقع لايمكن له أن يتم خارج النموذج اللساني، فعالم المدلولات ليس شيئًا آخر إلا عالم اللغة، فالنموذج اللساني يظل طاغيًا و حاضرًا في أي إجراء تأويلي للأنساق غير اللسانية . ومن ههنا فإنَّ السيميائية – عكس ما ذهب إليه دي سوسير – تصبح فرعًا من اللسانيات، وليس العكس.(5)

---

(1) ـ Luis J. Prieto ولد بقرطبة (Cordoba) الأرجنتين ، درس اللسانيات في جامعات مختلفة بالأرجنتين، والجزائر ، ثم أستاذ السيميائيات في باريس، وبعد ذلك أستاذ اللسانيات العامة في جنيف . توفي بجنيف في 31 مارس 1996.

(2) ـ Georges Mounin (1910 ـ 1993): لساني فرنسي ، اهتم كثيرًا بالتأريخ للدراسات اللغوية، له أبحاث ودراسات عدة في مجال السيميائيات واللسانيات والترجمة ...

(3) ـ Eric Jean Louis Buyssens (1900 ـ 2000): باحث أكاديمي ولساني بلجيكي.

(4) ـ ينظر عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، ص 240.

(5) ـ ينظر بارت، مبادئ في علم الأدلة، ص 28 وما بعدها.

رابعا:المدارس اللسانية،المسار والتحول:

إنَّ الحديث عن المدارس اللسانية يقتضي بالضرورة المنهجية الحديث عن المدرسة من حيث هي مفهوم شاع في تاريخ الفكر الإنساني عبر مسار تحوله منذ الإرهاصات الأولى لتشكل الفكر الإنساني، خاصة في رحاب الفلسفة، حيث بدأت تظهر بعض التكتلات الفكرية المتجانسة، من حيث المرجعية التي تؤطرها، ومن حيث الأهداف والغايات العلمية التي تسعى إلى تحقيقها .

ولذلك فإنَّ نظرة سريعة إلى التراث الفكري الإنساني تهدي إلى أنَّ الحضارات الإنسانية المتعاقبة عرفت مدارس في حقول معرفية مختلفة :الحقل الفلسفي، الحقل الديني، الحقل اللغوي .

شروط تكوين المدرسة:

أولا :المكان والزمان: من حيث المبدأ فإنَّ المدرسة ترتبط بمكان معين، وبزمان يحدد بدء نشأتها، ويميزها عن غيرها من المدارس الأخرى .مثلا في تاريخ البحث اللساني العربي هناك بعض المدارس المعروفة :المدرسة البصرية و الكوفية و البغدادية والأندلسية و المصرية و الشامية . ولكن هذا لايعني أنَّ الذين يتبنون أفكار مدرسة معينة ينتمون بالضرورة إلى المكان والزمان نفسه، بل إنَّ أتباع المدرسة قد يتعاقبون في تتابع أجيال متلاحقة،يمكن أنْ يكون باحث لغوي عربي يعيش في القرن الحادي والعشرين منتميًا إلى مدرسة البصرة في القرن الثاني الهجري ويتبنى أفكارها ومبادئها.

ثانيًا : الأعلام المؤسسون : تقتضي نشأة المدرسة بالضرورة وجود أقطاب مؤسسين يكوِّنون المرجعية الفكرية للمدرسة، وتنسب إليهم أفكارها ومناهجها.

ثالثا : المرجعية النظرية : المدرسة لا تنشأ من العدم، بل ترتكز عادة على إطار نظري أو فلسفي يعد المرتكز الذي يؤطر المدرسة، ويضفي عليها شرعية الوجود والتميز.

رابعا : المفاهيم والاصطلاحات: لكل مدرسة قاموسها الاصطلاحي الذي تتميز به عن غيرها من المدارس الأخرى؛ لأنَّ المفهوم أو الاصطلاح ينتمي إلى بيئة فكرية متجانسة ينشأ في رحابها،

ويتطور، ويرقى برقي المدرسة وتأثيرها في التوجه الفكري والمعرفي العام.

خامسا : الإجراءات التطبيقية : تتميز المدرسة بإجراءاتها التطبيقية، وطرائق تعاملها مع القضايا التي تعالجها .

كيف تكونت المدارس اللسانية ؟

للإجابة عن هذا التساؤل لابد من الإشارة إلى القيمة المعرفية والمنهجية للأفكار التأسيسية التي جاء بها De Saussure، تلك الأفكار التي أحدثت انقلابًا جوهريًا في المنهج العلمي في التعامل مع الظاهرة اللغوية، الأمر الذي أدى إلى اكتمال النظرية اللسانية المعاصرة بمناهجها ومفاهيمها وإجراءاتها التطبيقية .

بعد انتشار الأفكار والمبادئ التي تضمنها كتاب دي سوسير : دروس في اللسانيات العامة Cours de linguistique générale / Course in General Linguistics سواء أكان هذا الانتشار عن طريق التلمذة المباشرة، أم عن طريق الاطلاع على كتابه بواسطة القراءة المباشرة أو الترجمة، تشكلت مجموعة من الحلقات اللسانية في مناطق مختلفة من العالم،غير أنَّ هذه الحلقات الأولية بدأت بالتدريج تأخذ طابعها المميز مما جعلها ترقى إلى مستوى المدارس المتميزة.

من المدارس المعروفة في الثقافة اللسانية المعاصرة ما يأتي :

أولا : مدرسة جنيف أو المدرسة السوسيرية :

لقد اقترن اسم هذه المدرسة باسم المدينة التي أنجبت دي سوسير واحتضنت أفكاره، ومنها بدأ رحلته العلمية إلى ألمانيا، ثم رحلته التعليمية إلى فرنسا، ثم العودة إلى جنيف لاستثمار هذه الحصيلة العلمية وبلورتها واكتمالها، ثم نشرها في أوساط الدارسين والباحثين في الحقل اللساني

وكما أشرنا إليه سالفًا أنَّ لكل مدرسة لابد من مرجعية نظرية تؤطرها، فقد توافر هذا الشرط في مدرسة جنيف، إذ إنَّها المحطة التأسيسية التي قامت على المبادئ الأولية التي جاء بها دي سوسير في الحقل اللساني أولاً، ثم في حقول معرفية أخرى ثانيًا .

ويكون من الطبيعي جدًّا أنَّ الأعلام المؤسسين لهذه المدرسة هم من الذين تتلمذوا على يد دي سوسير بطريقة مباشرة، وهم فئة من الدارسين تشبعوا بالأفكار الثائرة التي كان يقدمها دي سوسير في دروسه داخل نطاق الجامعة، وبعد اقتناعهم بفاعليتها منهجيًا ومعرفيًا حرصوا حرصًا شديدًا على نشرها وتعميمها لتتجاوز الحقل اللساني المحض، وتنتشر في حقول معرفية مختلفة، منها بالخصوص حقل

الدراسة الأنثروبولوجية والأدبية.

ومن أبرز أعلام هذه المدرسة شارل بالي[1] الذي جمع محاضرات أستاذه ونشرها بمشاركة سيشهاي[2] Sechehay وكانت له اهتمامات خاصة بقضايا اللغة الصوتية والتركيبية والدلالية.

من هو شارل بالي Ch. Bally ؟

باحث لساني من تلامذة دي سوسير المباشرين، ولد بجنيف سنة1865 ، وتوفي سنة1947 نشر بالاشتراك مع سيشهاي كتاب أستاذه دي سوسير : دروس في اللسانيات العامة Cours de linguistique générale سنة 1916. كان شارل بالي مهتمًا باللغة السنسكريتية واليونانية، و لما استوعب المفاهيم التي جاء بها أستاذه، وتمثلها انصرف إلى تأسيس قواعد الأسلوبية

من مؤلفاته :

1. مصنف الأسلوبية الفرنسية Traité de stylistique française (1909) .

2. اللسانيات العامة واللسانيات الفرنسية Linguistique générale et linguistique

---

(1). Charles Bally (1865 ـ 1947): لساني سويسري .

ـ دَرَسَ الأدب الكلاسيكي في جنيف من 1883 إلى 1885 ، ثم انتقل إلى برلين (ألمانيا) لتحضير رسالة الدكتوراه من 1886 إلى 1889.

ـ عاد إلى جنيف للتدريس ابتداء من سنة 1893 ، ثم شغل مرتبة أستاذ كرسي في اللسانيات العامة واللسانيات المقارنة خلفًا لأستاذه دي سوسير من 1913 إلى 1939.

ـ أشرف على نشر محاضرات أستاذه بجمع ستة دفاتر ؛ أي الأمالي التي كانت في حوزة طلبة دي سوسير، وأخرجها في كتاب سنة 1916 بعنوان : دروس في اللسانيات العامة .

ـ عُيِّنَ سنة 1937 أستاذًا شرفيًا بجامعة السوربون بباريس.

ـ يعد مؤسس الأسلوبية الخطابية ، أو التعبيرية دون منازع.

(2). Albert Sechehaye (1870 ـ 1946): لساني سويسري، يعد من المنظرين للمدرسة اللسانية بجنيف، شارك مع شارل بالي في نشر كتاب دي سوسير.

française 1932.

كان العمل الأول الذي قام به في مجال دراسته الأسلوب الكلامي أو التعبيري تأسيسًا للمنهج الأسلوبي الذي تطور لاحقًا على يد مجموعة من الدارسين، واكتمل في منوال علمي إجرائي أضحى ينعت فيما بعد بـ :الأسلوبية La stylistique وهي: توأمة بين اللسانيات والبلاغة الكلاسيكية[1]

ثانيا : المدرسة الروسية (مدرسة موسكو):

تكونت هذه المدرسة ابتداء من سنة 1915 ؛ أي منذ أنْ وصل كارسفسكي[2] تلميذ دي سوسير إلى موسكو ونشر أفكار أستاذه بين الدارسين الشباب الذين كان لديهم استعداد لتقبل هذه المفاهيم الجديدة، والعمل بها في مجال تطوير مناهج الدراسة اللغوية التي كانت تخضع للمناهج التقليدية . من هؤلاء الشباب تروبسكوي وياكبسون .

حدث التغيير على مستوى:

ـ الأهداف (الدراسة اللغوية).

ـ المنهج .

ـ المصطلح.

---

(1)ـ الحاج صالح، المرجع المذكور سابقًا، ص 54 .

(2)ـ Sergueï Ossipovitch Kartsevski (1884 ـ 1955): لساني روسي من مؤسسي مدرسة موسكو وحلقة براغ اللسانية.

ـ أقام في جنيف (1906) وتتلمذ على يد دي سوسير.

ـ عاد إلى روسيا ابتداء من 1915 ، وأسس المدرسة اللسانية الروسية، ثم المدرسة النقدية الروسية (الشكلانية) بالاشتراك مع جاكبسون وتروبسكوي.

ـ قدم رسالته للحصول على الدكتوراه في جنيف باللغة الفرنسية بإشراف شارل بالي سنة 1927 التي نشرت في براغ في السنة نفسها .

ـ الإجراءات التطبيقية.

نشأت على هامش هذه المدرسة اللسانية جمعية كانت تسمى آنذاك بجمعية دراسة اللغة الشعرية Société d'étude du langage poétique (OPOIAZ)ظهرت هذه الجمعية ابتداء من سنة1916 ، ثم تحولت إلى مدرسة نقدية قائمة بذاتها ابتداء من سنة 1917 أضحت تُعْرَفُ باسم الشكلانية Formalisme)

كان شعار الشكلانيين هو أنَّ الأثر الأدبي يتميز ببروز شكله؛ أي إعادة الاعتبار إلى الجانب الشكلي المغيب في النقد الروسي التقليدي الذي كان نقدًا مدنيًا كما يقال، إذ كان يعول في إجراءاته التطبيقية والتحليلية للنص الأدبي على العوامل الخارجية ، ويغفل الجانب الشعري الذي ينماز به الأثر الأدبي من سواه .

قد يتوهم القارئ بأنَّ مصطلح الشكل ههنا يعني تغليب الشكل على المضمون في إطار الثنائية التقليدية التقابلية : **الشكل والمضمون**، بل القصد كما هو واضح من أعمالهم هو التعامل مع البنية المورفولوجية للنص من حيث هو وحدة تحمل خصوصيات بنائها في ذاتها، وتحرير النص من سلطة الخارج. (1)

وما تجدر الإشارة إليه في هذا المقام هو أنَّ الشكلانيين كانوا يرفضون رفضًا قاطعًا هذه التسمية التي نُعتوا بها من قبل خصومهم الذين نعتوهم بهذه الصفة انتقاصًا من مكانتهم العلمية والتسمية التي كانوا يفضلونها في منهجهم هي الدراسة المورفولوجية وليس الدراسة الشكلية، ويتجلى ذلك واضحًا من العنوان الذي اختاره أحد روادهم وهو **فلادمير بروب** (2) الذي وسم دراسته حول الحكاية الشعبية بـ: : Morphologie du conte مورفولوجيا الحكاية التي صدرت سنة 1928 باللغة الروسية، وهو

1 -Voir: Véra Fosty, *Le formalisme russe, une théorie de la littérature*, in *Le Langage et l'Homme*, Janvier 1969, pp. 218-221

(2) ـ Vladimir Iakovlevitch Propp (1895 ـ 1970): باحث روسي يعد من الوجوه البارزة في المدرسة الشكلانية، انصرفت جهوده إلى استثمار مبادئ المدرسة الشكلانية لدراسة الفلكلور والثقافة الشعبية بشكل عام. شكلت دراسته للحكاية الشعبية مرتكزًا منهجيًا ومعرفيًا لاكتمال الرؤية الناقدة والواصفة للقصة والرواية بخاصة في الثقافة النقدية الفرنسية ،ومنها إلى الثقافات الأخرى .نقلت هذه الدراسة أول مرة إلى اللغة الإنجليزية سنة 1958 ، وإلى الفرنسية سنة 1965 ،وإلى الإيطالية سنة 1966 .

الكتاب الذي لم يترجم إلى الفرنسية إلا في سنة 1965 على الرغم من أهميته العلمية والعالمية، وعلى الرغم من تأثيره في النقد الأدبي الفرنسي الحديث وبخاصة في نقد الرواية.

ويعود الفضل في نشر مبادئ الشكلانيين إلى تودوروف[1] Todorov الذي ترجم أعمال الشكلانيين الروس إلى اللغة الفرنسية Théorie de la littérature : textes des formalistes Russes .Seuil Paris 1965.

وعربها إبراهيم الخطيب بنصوص الشكلانيين.1982

كان الشكلانيون يصرحون في عدة مواقف أنَّ تسمية مدرستهم أو اتجاههم النقدي بالشكلانية هو إجحاف في حقهم؛ لأنَّ هذه التسمية تصرف الأنظار عن العمق المنهجي والمعرفي لهذه المدرسة التي هي في الواقع رد فعل على النقد الروسي الكلاسيكي الذي يعول أساسًا على القراءة الخارجية للخطاب الأدبي . [2]

كانت هذه المدرسة نتيجة حتمية للتحول العميق الذي بدأ أولاً في الحقل اللساني ثم تجاوزه إلى حقول معرفية أخرى (الحقل الأنثروبولوجي و النفسي و الاجتماعي) . ومما لاريب فيه هو أنَّ أقرب حقل إلى اللسانيات هو الحقل الأدبي، ولذلك فإنَّ أصفى صورة لأثر النظرية اللسانية تتبدى في الخطاب النقدي المنجز بدءًا من الإرهاصات الأولى للمدرسة الشكلانية ، ثم مدرسة براغ، ونشأة البنيوية بمنهجها المتميز .

ومن ههنا بدأ المنهج النقدي العالمي ينتقل من القراءة الخارجية (السياقية) إلى القراءة الداخلية(النسقية)، ويُعَدُّ هذا الانتقال تحولاً جذريًا في فهم الخطاب الأدبي، وضبط خصائصه التي تجعله ينماز من الخطابات الأخرى التي تشاركه في الإحالة إلى مرجع واحد ؛ لأنَّ الشيء الذي ينفرد به الخطاب الأدبي هو أدبيته (الجانب الشعري في أي خطاب منجز)، ويكون دور الناقد هو أنْ يتناول العناصر التي تجعل من خطاب ما خطابًا أدبيًا، ولاينبغي له أنْ يتجاوز ذلك .

---

(1) - Todorov(1939 -) :باحث وناقد من أصل روسي يكتب باللغة الفرنسية، يقيم في باريس، يعمل في المركز الوطني للبحث العلمي C. N. R. S بفرنسا، ترجم أعمال الشكلانيين الروس إلى اللغة الفرنسية تحت عنوان : Théorie de la littérature Textes des formalistes Russes .Seuil Paris 1965. ، له قاموس موسوعي بمشاركة Oswald Ducrot موسوم بـ: Dictionnaire encyclopédique des sciences du langage :

2 - Voir: Véra Fosty, OP.CIT,p219.

النقد السياقي: يعول في تعامله مع الخطاب الأدبي على العوامل الخارجية التي تكون الحوالية السياقية، والاجتماعية، والثقافية بشكل عام، وتغيب من اهتماماتها الخاصية الأدبية أو الشعرية لبنية الخطاب الأدبي .

النقد النسقي : هو النقد الذي يضطلع بإيجاد التفسير أو التأويل الكافي للخطاب الأدبي في ذاته ومن أجل ذاته، فهو من ههنا يعتمد أساسًا مبدأ العزل والتركيز على العلائق القائمة بين العناصر الأساسية التي تكون أدبية النص ، ويقصي من موضوعه خارج النص، بحكم أنَّ هذا الخارج هو موضوع لعلوم ومعارف أخرى ، وهذه العلوم وإنْ كانت تتناول الأدب فذلك لا يكون إلا من حيث كونه مركز تقاطع يحدث بين جميع الخطابات المنجزة في الثقافة الإنسانية دون أدنى اعتبار للخاصية التي ينماز بها الخطاب الأدبي من الخطابات الأخرى التي تشاركه في عملية الإحالة إلى مرجع واحد . [1]

وبهذه النظرة المتميزة للخطاب الأدبي استطاع الشكلانيون أنْ يتجاوزوا التصور القديم للنص الأدبي القائم على التمييز بين الشكل والمضمون ،فهذه الثنائية عقيمة في نظرهم؛ لأنَّها قائمة أساسًا على فهم خاطئ للأدب ، فالأثر الأدبي في نظر الشكلانيين يتميز ببروز شكله؛ ونعني بالشكل ههنا العناصر اللغوية والفنية والجمالية التي تجعل منه نصًا أدبيًا، فهو ، إذن، يختلف عن النصوص الأخرى في كونه بناء لغويًا متميزًا بأدبيته أو بشعريته.[2]

لقد حدد الشكلانيون تحديدًا صارمًا المجال الإجرائي للنقد الأدبي،وضبطوه ضبطًا دقيقًا، وهو المجال الذي لايمكن للناقد أو المتلقي المتفاعل مع الخطاب الأدبي أن يتعداه أبدًا، وإلا يكون قد تجاوز شرعية الداخل، واخترق مجال الخارج الذي هو فضاء مفتوح يكون مركز استقطاب لمجموعة من المعارف والعلوم . وهذا التعدد قد يلغي تمامًا وظيفة الناقد الأدبي الذي يجب أنْ ينصرف جهده مباشرة وبصفة مركزة ومؤسسة إلى الأثر الأدبي في حدوده المغلقة، ولايلتفت إلى العناصر الخارجية إلا عرضًا ؛لأنَّ هذه العناصر هي من اهتمامات باحثين آخرين كل حسب الميدان الذي يشتغل فيه؛ يمكن للمؤرخ أنْ يتناول النص الأدبي من حيث هو وثيقة تاريخية، ويمكن لعالم الاجتماع أنْ يتناوله من حيث هو وثيقة تعكس ظواهر اجتماعية معينة، ويمكن للنفساني كذلك أنْ ينظر إليه من جانب المرجعية النفسية التي تؤطره .ولكن هذه المقاربات لايمكن لها على الاطلاق أنْ تنوب عن المقاربة النقدية المحضة أو تحل

---

(1)ـ لمزيد من التوسع ينظر أحمد يوسف، القراءة النسقية ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ،2003.ص 157.

(2)ـ أرنست فيشر : ضرورة الفن . ترجمة : أسعد حليم . الهيئة المصرية العامة للكتاب . القاهرة . 1998 ، ص 207 .

محلها؛ لأنَّ من اهتمامات هذه الأخيرة البحث عن القيمة الأدبية لنص ما مهما كان المرجع الذي يحيل إليه.

وما كان ذلك كذلك إلا لأنَّ النص الأدبي في نظر الشكلانيين هو بنية مغلقة تتضمن قيمتها في ذاتها، فهي ، حينئذ، بنية معزولة عن العالم الخارجي؛ ومن هذا العالم الخارجي المبدع نفسه؛ لأنَّ هذه العوامل الخارجية في نظرهم تعد عوائق تعوق سبيل الناقد لمعرفة القيمة الأدبية للنص، وهي القيمة التي أجملوها في العناصر المحددة التي تجعل من عمل ما عملاً أدبيًا.(1)

ومن ثمة فقد عدَّ الشكلانيون النقد الكلاسيكي الخارجي نقدًا مدنيًا يعوِّل في مقاربته على لمؤثرات الخارجية، ويغفل البناء النسقي الداخلي للنص الأدبي الذي يُعْرَفُ بملامحه وبصماته، وهو محدد سلفًا بالعناصر الشعرية التي يتميز بها.

النقد الكلاسيكي هو الصورة المقلوبة للنقد الشكلاني لأنَّ الأول يركز في تعامله مع النص الأدبي على العوامل الخارجية التي تحيط بالنص (تاريخية، دينية، اجتماعية، نفسية...) ويجعل هذه العوامل معيارًا حقيقيًا في العملية النقدية، وهو الأمر الذي يجعل الناقد يقوم النص ويضفي عليه شرعيته الأدبية المعيارية بناء على القراءة الخارجية، ويهمل الجانب الشعري الذي هو الجانب الحاسم والأساس في الأثر الأدبي . أمَّا الثاني فينطلق من البنية الداخلية للنص.(2)

انطلاقًا مما أشرنا إليه نستطيع أنْ نقول إنَّ التحول العميق في المنوال الإجرائي النقدي للخطاب الأدبي بدأ مرحلته الجنينية مع المدرسة الشكلانية التي أعلنت القطيعة المنهجية نظريًا وتطبيقيًا مع المفاهيم التقليدية للخطاب الأدبي فهيأت، إذ ذاك، أرضية علمية أضحت تقدم الدعم الكافي للقراءة الجديدة للنصوص الأدبية على اختلاف أجناسها، فكان هذا التحول استجابة طبيعية لمناخ فكري عام بفضل النتائج العلمية التي تحققت في ميدان البحث اللساني، فاكتمل المنهج، وتوضح السبيل الإجرائي في تصريح ياكبسون R.Jakobson المشهور:" ليس هدف علم الأدب هو الأدب، وإنما أدبيته؛

---

(1) - رومان جاكوبسون . ما الشعر ؟ ترجمة د. بسام بركة ، مجلة العرب والفكر العالمى ، مركز الإنماء القومى . العدد الأول سنة 1988 . ص 2 – 13 .

(2) - تزفيتان تودوروف: نظرية المنهج الشكلي (نصوص الشكلانيين الروس). ترجمة: إبراهيم الخطيب. ط1. الشركة المغربية للناشرين المتحدين.الرباط.1993.ص10.

يعني العناصر المحددة التي تجعل منه عملاً أدبيًا."[1]

ثالثا: مدرسة براغ.

تعد مدرسة براغ امتدادًا للمدرسة الروسية ، وما كان ذلك إلا لأنَّ جل الباحثين في هذه المدرسة هم من النازحين الروس (كارسفسكي وتروبتسكوي وجاكبسون) بالإضافة إلى اللغويين التشيكيين أمثال ماثسيوس Vilém Mathesius وترنكاTrnka B. (1895-1984) ، وفاشيك Josef Vachek بدأت الأسس الأولية لهذه المدرسة ابتداء من سنة 1920 ، وهي السنة التي وصل فيها النازحون الروس إلى براغ ، ثم أخذت طابعها المميز ابتداء من عام 1928 ، تاريخ انعقاد أول مؤتمر دولي للسانيات بلاهاي، وهو المؤتمر الذي ظهرت في رحابة الفونولوجيا المعاصرة.

إنَّ نظرة عجلى في المسار الذي سلكته مدرسة براغ تهدي إلى أنَّ ماثسيويس Vilém Mathesius (1882 _ 1945) كان القطب الذي تشكلت حوله حلقة براغ اللسانية في مرحلتها الجنينية ، إذ استطاع أنْ يجمع حوله مجموعة من الباحثين المحليين والوافدين لتكوين أرضية منهجية لنادي لساني سرعان ما ارتقى هذا النادي إلى مدرسة قائمة بذاتها لها مرجعيتها النظرية التي تؤطرها ، ولها مفاهيمها واصطلاحاتها وإجراءاتها التطبيقية التي تتميز بها عن غيرها من المدارس الأخرى. أضحت هذه الحلقة تُعرف لاحقًا بمدرسة براغ اللسانية ، وظل ماثسيوس يرأس هذه المدرسة إلى سنة 1945 تاريخ وفاته ، وكان جاكبسون نائبًا له.

بدأت الملامح الأولى لهذه المدرسة تلوح في الأفق ابتداء من سنة 1920 ، عندما وصل النازحون الروس إلى براغ(Prague)، [2] وتجلت في صورة أكثر وضوحًا ابتداء من سنة 1926، وأنشأت الأفكار التأسيسية تتوارد إلى أنْ نضجت واكتملت، فكونت إطارًا معرفيًّا ومنهجيًّا انطلاقًا من نواة مشروع لساني

---

1 - Voir, R.Jakobson : Questions de poétique, Seuil, Paris 1973 P15 .

(2) ـ براغ عاصمة تشيكوسلوفاكيا (Tchecoslovaquie) سابقًا منذ 1918 (اتحاد بين جمهورية التشيك وجمهورية سلوفاكيا)، حُلَّ الاتحاد بين الجمهوريتين سنة 1992 ، فأصبحت براغ عاصمة جمهورية التشيك République tchèque منذ 1993.

طموح تمت صياغته، وقُدم في أول مؤتمر لساني بلاهاي سنة 1928 (15.10 أبريل 1928)، وكان هذا المشروع التأسيسي يحمل عنوان : النصوص الأساسية لحلقة براغ.[1] كُتبت مواد هذا المشروع باللغة الفرنسية، و يظهر فيه لأول مرة مصطلح البنية (Structure).[2]

تستمد مدرسة براغ مرجعيتها النظرية من المبادئ اللسانية التي وردت في كتاب دي سوسير : دروس في اللسانيات العامة Cours de linguistique générale / Course in General Linguistics ، تلك المبادئ التي شاعت بين الناس ابتداء من سنة 1916 السنة التي نُشِرَ فيها هذا الكتاب. وسرعان ما تجاوزت هذه المبادئ حيزها المكاني والزماني لتنتشر عبر العالم باتخاذ سبيلين اثنين :

أ ـ سبيل الترجمة ، إذ ترجم كتاب دي سوسير إلى جل اللغات المعروفة آنذاك.

ب ـ سبيل التلمذة المباشرة: انتقل بعض من تتلمذوا عليه في جنيف إلى بلدان أخرى فكوَّنوا مدارس، واتجاهات كما حدث مع كارسفسكي (تلميذ دي سوسير) الذي كان له الفضل في تأسيس مدرسة موسكو اللسانية.

كان للمهاجرين الروس فضل كبير في تأسيس مدرسة براغ إضافة إلى الباحثين التشيكيين، إذ تعززت أفكار الباحثين التشيكيين بالأفكار الوافدة من مدرسة موسكو عن طريق مؤسسيها الأوائل: تروبتسكوي و جاكبسون وكارسفسكي.

وعلى الرغم من العمر القصير لمدرسة براغ، إذ لم تعمر طويلاً بسبب الحرب العالمية الثانية، فإنَّها استطاعت أنْ ترسخ المبادئ المعرفية والمنهجية لتأسيس مشروع لساني جديد، بات مركز إشعاع علمي كان له حضور قوي في المسار التحولي للنظرية اللسانية المعاصرة.

---

(1) ـ ينظر جورج مونان علم اللغة في القرن العشرين ، ص 99.

2- Encyclopédie Universalis , article : Struturalisme

تلاشت المعالم الكبرى لحلقة براغ اللسانية بعد الحرب العالمية الثانية في براغ، لكنها واصلت تأثيرها خارج براغ في شكلها الجديد، وهو الوظيفية(Fonctionnalisme) بخاصة مع اللساني الفرنسي أندري مارتيني.[1]

استطاعت مدرسة براغ أنْ تعير منهجها اللساني(البنيوي/الوظيفي) إلى معارف إنسانية أخرى، فقد تأثرت دراسة الفنون، والجماليات، والنقد الأدبي، وتحليل الخطاب والأنثربولوجيا، والدراسات الاجتماعية والنفسية تأثرًا عميقًا بالمتغيرات المنهجية التي حصلت في عالم اللسانيات.

1. المؤتمرات اللسانية في براغ وخارجها:

استمر عمل هؤلاء الشباب الثوريين ـ كما يقول جورج مونان [2] ـ حول اللسانيات في المؤتمر الأول الدولي للفيلولوجيين السلافيين[3] (1929)، وفي الاجتماع الفونولوجي الدولي الأول [4](1930) في براغ الذي قدم فيه جاكبسون أول تصور علمي للدراسة الصوتية الوظيفية (علم الأصوات الوظيفي) ، وفي مؤتمر علم الأصوات في امستردام[5] (1932)، وفي المؤتمر الثاني والثالث والرابع للسانيين(جنيف [6]1931، روما[7] 1933، كوبنهاكن 1936.[8]

وتوقفت أنشطة حلقة براغ ابتداء من سنة 1938 لظروف يرجعها بعضهم إلى التشتت الذي حدث

---

1 - Encyclopédie Universalis, article : Struturalisme

(2)ـ جورج مونان، علم اللغة في القرن العشرين، ص99.

3 – Premier congrès des philologues slaves. 1929.

4 - Réunion phonologique internationale (1930 ; Prague).

5 - Le premier Congrès des sciences phonétiques en 1932, à Amsterdam.

6 - Congrès International des Linguistes, Genève1931.

7 - Troisième Congrès international des Linguistes a Rome1933.

8 - Congrès international des linguistes de Copenhague, 1936.

بمضاعفات الحرب العالمية الثانية.[1]

ثم توالت بعد ذلك المؤتمرات بإشراف اللجنة الدولية الدائمة للسانيين[2] (CIPL) Comité International Permanent des Linguistes التي تأسست منذ المؤتمر الأول الذي انعقد في لاهاي 1928:

مؤتمر باريس[3] (1948) لندن[4](1952 أسلو[5](1957)كبريدج(أمريكا)[6](1962) بوخاريست[7] ([7](1967) مدينة بولونيا بإيطاليا[8] (1972)[9] . طوكيو[10](1982) كيبك (كندا)[11](1992) . باريس[12](1997) . براغ[13](2003) سيول[1](2008) والمؤتمر الدولي المتوقع[2] لسنة **2013**

---

(1)ـ جورج مونان ، علم اللغة في القرن العشرين ص99.

(2)ـ تكونت لجنة دولية دائمة للسانيين Comité International Permanent des Linguistes(CIPL) منذ المؤتمر الدولي الأول الذي انعقد في لاهاي سنة 1928 ، أشرفت هذه اللجنة إلى غاية 2012 على تنظيم 18 مؤتمرًا دوليًا في بلدان مختلفة .

3 - Sixieme congres international de linguistes. Paris 1948.

4 - Congrès international des linguistes .Londres 1952.

5 - Congrès international des linguistes .Oslo 1957.

6 - Congrès International des Linguistes , Cambridge 1962.

7- Congrès international des linguistes, Bucarest 1967.

8- Congrès international des linguistes و Bologna (1972).

9 ـ الحاج صالح المرجع المذكور سابقًا . ص 55.

10 - XIIIe Congrès International des Linguistes de Tokyo, 1982

11- XVe Congrès International des Linguistes, Québec, Université Laval, 9-14 aout 1992.

12- XVIe Congrès international des Linguistes (CIL 16), Paris, 21-25 juillet 1997

13 - 17ème Congrès International de Linguistes (CIL XVII), Prague, 24-29/7/ 2003

سيكون في جنيف مدينة دي سوسير بعد مئة سنة من وفاته، تجري فعاليات المؤتمر في الفترة مابين 21، 27 جويلية 2013.

2. أعلام مدرسة براغ:

أولا: التشيكيون:

1. ماثيسيوس Vilém Mathesius (1882 _ 1945).

2. ترنكا B . TRNKA (1895 . 1984).

3. فاشيك Josef Vachek (1909 . 1996).

4. موكارفسكي Jan Mukařovsky (1896 . 1975).

ثانيا: الروس:

1. تروبسكوي Nikolaï Sergueïevitch Troubetskoï، ولد بموسكو 1890 وتوفي في فينا 1938.

2. جاكبسون Roman Ossipovitch Jakobson (1896 . 1982).

3. كارسفسكي Sergueï Ossipovitch Kartsevski (1884.1955).

ثالثا: الفرنسيون، الامتداد خارج براغ:

1. مارتيني André Martinet (1909 . 1999).

1- Congrès International des Linguistes à Séoul 2008.

2 – La Société Suisse de Linguistique (SSL) a présenté sa candidature pour l'organisation du 19ème congrès, en 2013, dans la ville de Ferdinand de Saussure, 100 ans après sa mort. Cette candidature a été retenue et le Congrès aura donc lieu à Genève, du 21 au 27 juillet 2013.

2 ـ بنفنيست Émile Benveniste (1902 ـ 1976) .

النـزعة الوظيـفية:[1]

تتحدد قيمة اللغة الإنسانية انطلاقًا من وظيفتها بوصفها وسيلة اتصال يتخذها أفراد المجتمع اللغوي لتحقيق عملية التواصل، فلم تعد اللغة شكلاً فحسب، بل أمست وظيفة، فقيمة العنصر اللساني داخل النسق اللساني تكمن في وظيفته التي يؤديها، وفي موقعه الذي يحتله في سلسلة العناصر المكونة للأداء الفعلي للكلام . وكان مصطلح الوظيفة المرتكز الأساس الذي تجمعت حوله أفكار جماعة براغ.

رسخ هذا المبدأ أكثر أندري مارتينيAndré Martinet في كتابه : (Éléments de linguistique générale) الذي كان يؤكد باستمرار أنَّ الوظيفة الجوهرية للغة هي التواصل بين أفراد المجتمع اللغوي، هذه الوظيفة الإنسانية تؤديها اللغة بوصفها مؤسسة إنسانية، على الرغم من اختلاف بنيتها من مجتمع لغوي إلى آخر. وهذا لايعني أنَّ مارتيني ينفي الوظائف الأخرى التي تؤديها اللغة، بل كان يقر بها إلا أنَّه يجعلها ثانوية، فالوظيفة الجوهرية للغة تتمحور حول الإبلاغ، والتفاهم، والاتصال بين أفراد المجتمع اللغوي.[2]

هناك حرص شديد لدى أتباع مدرسة براغ على إعادة الاعتبار للبعد الوظيفي للغة الإنسانية، من حيث هي وسيلة يستخدمها أفراد المجتمع اللغوي لتحقيق عملية التواصل، ومن ثمة فإن قيمة العنصر اللغوي داخل النسق اللساني تكمن في وظيفته التي يؤديها، وليس في شكله فقط. هذه الوظيفة هي التي تعزز وجوده ضمن العناصر الأخرى التي تكون سياقه المألوف في النسق اللساني.

---

(1)ـ لتعميق هذه النزعة ينظر :

- Ducrot et Tzvetan Todorov, Dictionnaire encyclopédique des sciences du langage, Paris, 1972 .P4

- Georges Mounin, La Linguistique du XXe siècle, P.U.F., Paris, 1972 .P100.

2 - Andre Martinet , Éléments de linguistique générale, p9.

وبناء على هذا التصور لعمل العناصر اللغوية انطلاقًا من وظيفتها وليس من شكلها انصرفت جهود أتباع هذه المدرسة إلى ترسيخ مفهوم البنية (Structure)، انطلاقًا من مفهوم النسق (Système /System) عند دي سوسير، على الرغم من أنَّ دي سوسير لم يستخدم مصطلح بنية، فإنَّه أوحى به في تمثله تجانس النسق اللساني الذي يتكون من عناصر ترتبط فيما بينها بحكم قوانين معينة ، وأنَّ أي تغيير في قانون من هذه القوانين سينعكس على الكل (النسق أو البنية).

ومن ههنا اكتسبت مدرسة براغ صفة البنيوية نظرًا لتمسكها بمفهوم البنية من وجهة نظر وظيفية ، فدراسة عناصر البنية اللسانية يعني هندسة العناصر المكونة للبنية، والتعامل معها في ذاتها دون النظر إلى المؤثرات المتوقعة خارج البنية نفسها.(1)

وقد توسع هذا التصور المنهجي للنظام والبنية والوظيفة، وتعمق أكثر في مجالات معرفية أخرى خارج الحقل اللغوي التقليدي. نلفي في هذا السياق نظرة جديدة للفنون والآداب بدأت تتبدى في جهود موكارفسكي Jan Mukařovsky (1891 - 1975) الذي انصرف اهتمامه إلى استثمار هذا التحول المنهجي في التعامل مع الظاهرة اللغوية في إثراء الدراسات الجمالية والفنية بمفاهيم جديدة تستمد أصولها المرجعية من التحولات التي حدثت في منهج الدراسة اللسانية منذ دي سوسير، ومرورًا بالشكلانية الروسية، وإضافات مدرسة براغ، فأضحت الآداب والفنون في بعدها الجمالي أنساقًا سيميائية مشكلة من دال ومدلول، فهي لا تعدو أنْ تكون أنظمة موسعة من العلامات الدالة قابلة في ذاتها لأنْ تفسر تفسيرًا سيميائيًا.

3. منهج مدرسة براغ:

تمسكًا بمبدأ دراسة اللغة في ذاتها ومن أجل ذاتها، ذلك الشعار الذي أضحى مألوفًا في المدد النظري الذي جاء به دي سوسير اضطلع مؤسسو مدرسة براغ منذ البدء بالتخفيف من سلطة المنهج التاريخي الذي كان

---

(1)- ينظر عبد القادر المهيري وآخرون، أهم المدارس اللسانية، منشورات المعهد القومي لعلوم التربية، تونس 1986، ص38.

مهيمنًا على الدراسات اللغوية إلى ما قُبيل نشأة النظرية اللسانية المعاصرة ، والعمل على إعادة الاعتبار للمنهج الوصفي الذي كان مغيبًا من قبل.(1)

انصرفت جهود أتباع مدرسة براغ إلى تعزيز مقاربة النسق اللساني من حيث كونها بنية متجانسة بتجانس عناصرها، إذ تتحقق هذه البنية في حالة لغة (في مكان وزمان محددين)، وتفعيل آليات المنهج الوصفي وتحيينها وتحديثها باستمرار.

إنْ كان المنهج الوصفي يستحق الأولوية في المبادئ المنهجية لمدرسة براغ فإنَّ ذلك لا يلغي دور المنهج التاريخي، ويبعده نهائيًا من الدراسة اللسانية ؛ لأنَّ اللغة الإنسانية معطى تاريخي من جهة، وحقيقة واقعية من جهة أخرى. (2)

يتميز منهج مدرسة براغ في مقاربة النسق اللساني بجميع مكوناته (الصوتية الصرفية والنحوية والدلالية) مقاربة وظيفية ؛ لأنَّ اللغة في نظر اللسانيين المنتمين إلى هذه المدرسة هي نظام من الوظائف ، وكل وظيفة هي نظام من العلامات. وذلك مخالف لما قال به دي سوسير (اللسان نظام من العلامات).(3)

وقد تركزت أعمال مدرسة براغ في المجالات الآتية :

1 ـ الدراسات الصوتية الوظيفية الآنية (علم الأصوات الوظيفي الآني).

2 ـ الدراسات الصوتية الوظيفية التاريخية (علم الأصوات الوظيفي التاريخي).

3 ـ التحليل الوظيفي والعروضي للبنية (في الملفوظات الشعرية).

4 ـ تصنيف التضاد الفونولوجي (ضبط السمات الخلافية المميزة للوحدات الصوتية).

---

(1) ـ ينظر عبد القادر المهيري وآخرون، أهم المدارس اللسانية، منشورات المعهد القومي لعلوم التربية، تونس 1986. ص 39.

(2)ـ ينظر نعمان بوقرة، المدارس اللسانية المعاصرة، مكتبة الآداب، القاهرة ، 2003 ، ص90.

(3) ـ ينظر ـ أحمد مومن ، اللسانيات : النشأة والتطور ط2 ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر (2005) ص 136.

5 ـ الدراسات الأسلوبية (Stylistique) والشعرية (Poétique).

6 ـ دراسة الوظيفة الجمالية للغة (في الأدب والفنون ...). (1)

4 ـ علم الأصوات الوظيفي:

تأسس في ظل النزعة الوظيفية اتجاه جديد في دراسة أصوات اللغة ووصفها وصفًا علميًا أضحى ينعت بعلم الأصوات الوظيفي (Phonology/Phonologie) موضوعه دراسة الخصائص الوظيفية للأصوات من حيث كونها وحدات وظيفية لها أثر في البناء التركيبي والدلالي للسان.

ولذلك فإنَّ موضوع علم الأصوات الوظيفي ليس الصوت في هيئته الطبيعية (العضوية والفيزيائية) تلك الهيئة التي تتشكل من صدى الصوت عبر مجراه داخل جهاز النطق عند الإنسان، بل موضوع علم الأصوات الوظيفي محدد في الصوت اللغوي من حيث هو وحدة وظيفية تسهم في بناء النسق اللساني (العلاقة المتشابكة بين الصوت والتركيب والدلالة) .

ومن ثمة فإنَّ إبراز الجانب الوظيفي للصوت اللغوي والميز بين الصوت من حيث كونه أثرًا سمعيًا طبيعيًا، ومن حيث كونه وحدة صوتية وظيفة تسهم في إحداث الدلالة وتنويعها وتفريعها جعل علم الأصوات الوظيفي(Phonologie/ Phonology) يمتلك شرعية وجوده بوصفه علمًا مستقلاً يختلف عن علم الأصوات العام الذي يتعامل مع الأصوات في جانبيها الفيزيولوجي والفيزيائي ، ويتعقب مسارها في مصدرها النطقي ومآلها السمعي .

ولعلم الأصوات العام ثلاثة فروع كبرى :

1 ـ علم الأصوات النطقي ، يهتم بآليات إنتاج الأصوات.

2 ـ علم الأصوات السمعي ، يهتم بآليات تلقي الأصوات.

3 ـ علم الأصوات الفيزيائي ، يهتم بآليات انتقال الأصوات عبر الأثير. (1)

---

(1)ـ ينظر أحمد مومن، المرجع المذكور سابقًا ، ص 136.

إذا كان موضوع علم الأصوات العام هو الصوت الطبيعي(من الناحية التشريحية والفيزيائية) فإنَّ علم الأصوات الوظيفي يتخذ الوحدة الصوتية الوظيفية (Phonem/ Phonème) موضوعًا له، وهي أصغر وحدة صوتية ليس لها معنى في ذاتها ولا يمكن أنْ تتجزأ إلى وحدة أصغر منها ، ولكنها قادرة على توليد المعنى، وتفريعه، وتنويعه عندما تُركب مع وحدات صوتية أخرى .

تعتمد مدرسة براغ في دراسة الأصوات ـ في ضوء مبادئ علم الأصوات الوظيفي ـ مبدأ التغاير أو التعارض أو الاختلاف بين الوحدات الصوتية، فالاختلاف الدلالي بين (مات) و(بات) يعود إلى التغاير بين (الميم) و(الباء)، كلا الصوتين شفوي فهما متجانسان من حيث المخرج . فما الاختلاف بينهما ؟ التمايز الأساس الذي يفصل بينهما فصلاً وظيفيًا يتبدى في صفة الغنة . ويمكن لنا كتابة هذا التغاير بالشكل الآتي :

م ←——— /+ غنة/ .

ب ←——— / - غنة/ ، فالغنة سمة مميزة لصوت الميم .

وكذلك الاختلاف بين /سار/ و/صار/ :

ص ←—— /+مطبق/.

س ←—— /ـ مطبق/، الإطباق سمة مميزة لصوت الصاد .

يسمى هذا التغاير بين الأصوات بالاختلاف أو التعارض الوظيفي .

نلاحظ في بعض اللهجات العربية أنَّ الاختلاف الشكلي بين الأصوات لا يؤدي إلى اختلاف المعنى، نأخذ مثال الأشكال النطقية لصوت (القاف) في بعض اللهجات العربية[2] :

القاف ←——— كاف

القاف ←——— همزة

---

(1)ـ ينظر أحمد مومن، المرجع المذكور سابقًا ، ص 137 .

(2)ـ هذه الأشكال النطقية محققة في كثير من اللهجات العربية، منها اللهجات الجزائرية .

القاف ←———— غين

القاف ←———— الجيم المصرية (GA)

كلمة قلم تنطق (كلم ـ ألم ـ غلم ـ (Galem) فهي أشكال صورية لفونام واحد(القاف)، فاختلاف صورها النطقية لم يغير الدلالة.

يتبدى بكل وضوح أنَّ الاختلافات الصوتية التي لا تغير المعنى (الدلالة) هي اختلافات غير وظيفية (فونيمية) ؛ لأنَّ العامل الذي يساعد على التمييز بين الفونيمات ليس الصوت في حد ذاته (الصوت الطبييعي)، بل وظيفته التي تؤدي إلى دلالة مغايرة.[1]

لقد ظهرت فكرة تفريع أصوات اللغة إلى سمات مميزة في رحاب النشاط الفونولوجي لحلقة براغ اللسانية التي ما انفكت تسعى لتأسيس منوال علمي يتوخى وظيفة العناصر اللسانية في سياقها الوظيفي، فأضحى التحليل " يراعي في منهجه أوجه الشبه القائمة بين الوحدات الصوتية، ثم ينطلق من هذه المجموعة المتشابكة من أوجه الشبه ليستخلص أوجه الخلاف المميزة لها". [2]

إنَّ الوحدات الفونولوجية (الصوتية الوظيفية) لها من وجهة نظر قواعد التفريع الفونولوجي تقسيمات وتفريعات التي هي في الواقع طائفة من المقابلات بين الأصوات من حيث المخارج والصفات والوظائف.[3]

ولهذا يفرد المكوّن الفونولوجي تحديدًا للمدخل المعجمي من حيث طريقة التلفظ به، وذلك بأنْ تخصص له مجموعة من السمات تستمد من:

أ – علم الأصوات النطقي: الذي يبحث في كيفية إنتاج الصوت بواسطة أعضاء النطق المختلفة .
ب –علم الأصوات السمعي الذي يتناول الخصائص السمعية للأصوات.

---

(1)ـ ينظر أحمد مومن، المرجع المذكور سابقًا ، 138.

(2)ـ رونالد إيلوار، مدخل إلى اللسانيات، ص، 93 .

(3)ـ المرجع نفسه ، ص 93.

وفي رحاب هذا كله يجب أنْ تكون السمة الفونولوجية (الصوتية الوظيفية) ملائمة لتحديد الاختلافات الصوتية ، ومستنبطة من الأنساق اللسانية المختلفة.

فمثلا صوت / ر-R/ في الإيطالية أسناني ، في حين أنَّه في الفرنسية لهوي ، وفي العربية ذولقي .[1]

فالمقابلة بين / س / و /ص/ في مثل / سبر / و / صبر / هي على النحو الآتي :

1 -س ——————◄/ + أسناني / ـ /+ لثوي / ـ / + صافر / ـ / +مرقق/

2 -ص ——————◄/ + أسناني / ـ /+ لثوي / ـ / + صافر / ـ / مطبق/

فهما إذن أسنانيان ـ لثويان ـ صافران . لكن /س / مرققة و / ص / مطبقة .وهنا تنشأ سمة خلافية تَمِيزُ / س / من / ص / وهي سمة / +/- مرقق / .

كذلك المقابلة بين / غ / و / خ / في مثل/ غاب / و/ خاب / هما حلقيتان ، لكن الأولى مجهورة والثانية مهموسة ، ومن هنا أيضًا تنشأ سمة خلافية تميز / غ / من / خ / وهي سمة/ +/- مجهور .)

لقد أمست هذه المقابلة بين الأصوات أساسًا يرتكز عليه في التحليل الصوتي الوظيفي في جميع الأنساق اللسانية. ولما بزغ زمن التركيب في ظل التحول الذاتي للنظرية اللسانية أصبح التفريع إلى سمات مميزة غير ناجع بما يكفي حتى يمتد إلى التحليل التركيبي والدلالي لتلك الفئات ، وهذا ما طوره أندري مارتيني لا حقًا. وسنتناول ذلك بالتفصيل في المبحث التركيبي .

يكون حريًا بنا ، في هذا المقام الذي نحن بسبيله ، أنْ نعرض جهود عالمين من أعلام مدرسة براغ (تروبسكوي وجاكبسون)، نظرًا لما امتازا به من عمق معرفي يتجلى بكل وضوح في جهودهما العلمية التأسيسية داخل براغ وخارجها.

أولاً: جهود تروبسكوي Nikolaï Sergueïevitch Troubetskoï : باحث لساني روسي (1890 ـ 1938) ينتمي إلى عائلة عريقة ما فتئت تنجب النبلاء والأمراء ، ولذلك كان يلقب بالأمير نسبة إلى أمراء روسيا.

(1)ـ ينظر ، ريمون طحان ، فنون التقعيد ، علوم الألسنية , ص 164.

ـ اهتم منذ تعليمه الأولي بدراسة اللغات ، ثم تابع دراسته العليا في قسم اللغات الهندو- أوروبية في جامعة موسكو التي كان والده عميدها.

ـ انضم إلى أعضاء هيئة التدريس بالجامعة نفسها (جامعة موسكو) ابتداء من سنة 1916.

ـ شارك في تأسيس مدرسة موسكو اللسانية ، ثم المدرسة النقدية(الشكلانية الروسية) برفقة كارسفسكي وجاكبسون .

ـ بعد قيام الثورة الروسية (1917) هاجر متخفيًا إلى إقليم روستوف(Rostov) في شمال روسيا على ضفاف نهر الدون (Don).

ـ هاجر إلى تركيا (اسطنبول) سنة 1919 ، ثم فينا بالنمسا سنة 1922 ، حيث درَّسَ بجامعتها الفيلولوجيا السلافية.

ـ انتقل إلى براغ (تشكوسلوفاكيا) والتقى بجاكبسون وكارسفسكي ، وأسهم الجميع في تأسيس حلقة براغ (مدرسة براغ اللسانية) ابتداء من سنة 1926 بمشاركة اللسانيين التشيكيين .

ـ تقدم بالاشتراك مع جاكبسون وكارسفسكي بالبرنامج التأسيسي لحلقة براغ اللسانية.

ـ نُشِرَ كتابه مبادئ الفونولوجيا سنة 1939 ؛ أي سنة بعد وفاته ، ترجم الكتاب إلى اللغة الفرنسية سنة 1949 : Principes de phonologie / Principles of Phonology

يتبدى أثر هذا الكتاب في :

1 ـ تأسيس منهج الدراسات الصوتية الوظيفية.

2 ـ وضع نظرية للوحدات الصوتية الوظيفية (Phonèmes).

3 ـ ضبط السمات المميزة Traits distinctifs التي تتميز بها الوحدات الصوتية الوظيفية في لسان معين.

4 ـ إثارة الانتباه إلى إمكانية وضع جدول تصنيفي لجميع أصوات اللغات الإنسانية يتضمن السمات المميزة لضبط التعارض والتضاد القائم بين الأصوات المنطوقة بالفعل في تلك اللغات.(1)

يرى تروبسكوي أنَّ " الصفة الوظيفية التي تسمح بتعريف الفونيم علميًا تتمثل في كونه يدخل في تعارض فونولوجي واحد على الأقل "(2)يقصد تروبسكوي بهذه العبارة أنَّ كل تعارض بين صوتين يمكن أنْ يميز في لسان ما بين دلالتين تختلفان بفعل التعارض الموجود بين وحدتين صوتيتين على الأقل.(3)

ومن هذا التصور أضحى تعريف الوحدة الصوتية الوظيفية (Phonème) قائمًا على مفهوم التضاد أو التعارض أو الاختلاف بين هذه الوحدات المنطوقة بالفعل في لسان معين.

من حيث الشرعية المعرفية ، فإنَّ تروبتسكوي يعد المؤسس الأول لعلم الأصوات الوظيفي. ففي المؤتمر العالمي الأول للسانيات الذي انعقد في مدينة لاهاي عام 1928، تقدم بالاشتراك مع جاكبسون(R.JAKOBSON) وكارسفيسكي (KARCEVSKI) ببرنامج واضح للدراسة الفونولوجية ، وهو البرنامج الذي نشأ حوله النادي اللساني في براغ وظهر في كتابه (1939) (4).

مفهوم الفونام (Phonème /Phonem):

يرى تروبتسكوي أنَّ الفونام (Phonème) هو: "أصغر وحدة فونولوجية في اللسان المدروس "(5) . يتعمق هذا المفهوم أكثر إذا ما تمسكنا بالخاصية الوظيفية التي ينماز بها ، ومن ثمة فإنَّ" الصفة الوظيفية التي تسمح بتعريف الونيم علميًا تتمثل في كونه يدخل في تعارض فونولوجي واحد على الأقل ".(6)

---

(1)ـ ينظر جورج مونان، المرجع المذكور سابقًا، ص97.

(2)ـ المرجع نفسه ، ص 104.

(3)ـ المرجع نفسه، ص 104.

(4)ـ ميشال زكريا، الألسنية (علم اللغة الحديث) مبادئها وأعلامها، ص 336.

5 -Troubetzkoy , Principes de phonologie.p 37.

(6)ـ جورج مونان، المرجع المذكور سابقًا، ص 104.

يتحدد تعريف الفونام في نظر تروبسكوي "بمجموعة من الخصائص الفونولوجية المميزة التي تجعله يتعارض مع كل الفونيمات الأخرى . " [(1)]

يقصد تروبسكوي بهذه العبارة التعارض الفونولوجي (التعارض الصوتي الوظيفي) ؛ أي أنَّ كل تعارض بين صوتين يمكن أنْ يميز في لسان ما بين دلالتين تختلفان بفعل التعارض الموجود بين وحدتين صوتيتين على الأقل. [(2)]

ومن هذا التصور أضحى تعريف الوحدة الصوتية (Phonème) قائمًا على مفهوم التضاد أو التعارض أو الاختلاف بين هذه الوحدات المنطوقة بالفعل في لسان ما.

وإذا كان تروبسكوي قد أفاض في تحليل فكرته حول الفونام فإنَّه انتهى إلى مجموعة من القواعد والضوابط لتحديد هذا المفهوم ، منها :

القاعدة الأولى :

إذا كان الصوتان من اللسان نفسه ويظهران في الإطار نفسه، وإذا كان من الممكن أنْ يحل أحدهما محل الآخر دون أنْ يُحْدِثَ هذا التبادل تغييرًا في المعنى ، حينئذ، يكون هذان الصوتان صورتين اختياريتين لفونام واحد.

يمكن لنا أنْ نمثل لهذه القاعدة بما يأتي :

1ـ صوت الجيم في اللسان العربي له صور نطقية مختلفة ، غير أنَّ هذه الصور لاتغير المعنى، ومن ههنا يجوز لنا أنْ نقول: إنَّ هذه الصور هي صور صوتية لفونام واحد هو الجيم.

---

(1)ـ جورج مونان، المرجع المذكور سابقًا ،ص105.

(2)ـ ينظر المرجع نفسه ،ص 104.

2ـ تتحقق هذه القاعدة في القراءات القرآنية لكلمة (مسيطر) أحيانا تُقرأ مرققة في شكل السين، وأحيانًا أخرى تُقرأ مفخمة في شكل الصاد، فالصوتان، إذن، هما: صورتان لفونام واحد مادام ذلك لم يؤثر في تغيير المعنى .

القاعدة الثانية:

إذا كان الصوتان يظهران تمامًا في الموقع الصوتي نفسه، ولايمكن أنْ يحل أحدهما محل الآخر دون تغيير في المعنى، حينئذ، يكون هذان الصوتان صورتين واقعيتين لفونمين مختلفين، مثل : (حال ـ جال ـ قال ـ سال ـ نال) فالأصوات الأولى في الكلمات المذكورة فونيمات مستقلة، ليس لها معنى في ذاتها ولكنها قادرة على تغيير المعنى وتفريع الدلالة وتنويعها .

القاعدة الثالثة :

إذا كان الصوتان من اللسان نفسه متقاربين فيما بينهما من الناحية السمعية أو النطقية، ولا يظهران مطلقًا في الإطار الصوتي نفسه، فإنَّهما صورتان تركيبيتان لوفونام واحد، مثال على ذلك فونام النون في اللسان العربي، إذ له صور متعددة ، تظهر كل واحدة منها في موقع معين، فالنون الساكنة قبل صوت أسناني كالثاء تنطق أسنانية ، والنون الساكنة قبل صوت لهوي كالقاف تنطق لهوية ، وهكذا تتعد صور النون بتعدد الأصوات الآتية لها[1].

ثانيًا ـ جهود جاكبسون :

Roman Ossipovitch Jakobsonولد يوم 11 أكتوبر1896 بموسكو وتوفي يوم 18 جويلية .1982 بأمريكا .

مراحل حياته العلمية :

(1) ـ عبد الصبور شاهين ، في علم اللغة العام ، ص 125 وما بعدها .

مرحلة موسكو :

ـ شارك في تأسيس مدرسة موسكو اللسانية (1915ـ 1920)

ـ عضو بارز في المدرسة النقدية المعروفة بالشكلانية الروسية.

مرحلة براغ :

ـ هاجر برفقة **تربتسكوي وكارسفسكي** إلى براغ التي وصلها في عام1920 .

ـ شارك في تأسيس حلقة براغ اللسانية.

ـ وضع الأسس الأولية للدراسة الفونولوجية بدءًا من مؤتمر لاهاي سنة 1928 .

ـالفونولوجيا (علم الأصوات الوظيفي)عند جاكبسون:

تنحصر أعظم أعمال جاكبسون بخاصة في تأسيس فونولوجيا براغ ، فقد قام بكتابة الموضوعات المقدمة إلى مؤتمر لاهاي (1928)، وقد أسهم أيضًا في كتابة موضوعات المؤتمر الأول لفقهاء اللغة السلافيين(1929)، ومن المؤكد – كما يرى جورج مونان – لولا ديناميكية جاكبسون الفعالة، لما استطاعت الفونولوجيا (علم الأصوات الوظيفي) أنْ تحقق ذلك الانتصار العظيم في لاهاي أبدًا ، وربما كانت انتظرت طويلاً لتفرض نفسها خارج براغ.[1]

لقد خصص جاكبسون قسمًا كبيرًا من كتابه (Essais de linguistique générale) للبحث عن الخصائص المشتركة بين جميع الأنساق اللسانية في المجال الفونولوجي(الصوتي الوظيفي)، وكان ذلك بمحاولة لحظ جميع الاختلافات الممكنة والقيام بحصرها وضبطها وفق التضاد القائم بينها، سواء أكان هذا التضاد في المستوى النطقي، أم في المستوى السمعي، فتوصل إلى وضع لائحة مفتوحة من السمات الفونولوجية ، لكن ليس بالضرورة أنْ تكون هذه السمات ممثلة في جميع اللغات الطبيعية، وإنَّما يمكن لكل

(1)ـ جورج مونان ، علم اللغة في القرن العشرين، ص 147.

نظام لساني أنْ ينتقي ما يناسبه من هذه السمات التي يضبط مجالها على أساس التخالف ، فإذا أردنا التمييز بين (الباء و الميم) نعمد إلى سمة الغنة التي تعد مميزًا فاصلاً بين الصوتين فنكتب الخلاف بالشكل الآتي :

1. (ب) ←—————— (- غنة).

2. (م) ←—————— (+ غنة).

فسمة الغنة ، حينئذ ، تعد مميزًا فارزًا لفئات الوحدات الفونولوجية ، فهي من ههنا سمة فونولوجية كلية تظهر في جميع الأنساق اللسانية.(1)

مرحلة نيويورك (أمريكا) من 1941 إلى آخر حياته:

ـ اتصل بالباحث الأنثروبولوجي ليفي ستراوس واشتركا معًا في ترقية المنهج الأنثروبولوجي اللساني .

ـ بدأ التدريس بالجامعة الأمريكية منذ سنة 1946 منها بالخصوص Massachusetts Institute of Technology حيث كان يدرس اللسانيات العامة ، واللغة والأدب السلافيين .

ـ أسهم بفاعلية في إنشاء الحلقة اللسانية بنيويورك، ثم أصبح مديرًا للمجلة التي كانت تصدرها هذه الحلقة (مجلة Word).

ـ انصرف اهتمامه في آخر حياته إلى دراسة اللغة الشعرية، وقدم أعمالاً تعد رائدة في مجال تحليل الخطاب الأدبي

ـ بعض أفكاره :

- الفكرة الأساسية التي ينطلق منها ياكبسون في دراسة الأشكال اللغوية هي أنَّ هناك علاقة وثيقة جدًا بين اللغة والثقافة الإنسانية ؛ ومن ثمة فإنَّ للسانيات علاقة وثيقة أيضًا بالأنثروبولوجيا الأمر الذي أدى فيما بعد إلى ترقية ما أصبح يسمى باللسانيات الأنثروبولوجية بفضل الجهود المشتركة لياكبسون وليفي ستراوس.

- يرى ياكبسون أنَّ هناك علاقة منهجية بين نظرية الاتصال التي وضعها Shannon واللسانيات فاهتم بترقية هذه العلاقة، وكان ذلك باستثمار النتائج المحققة في نظرية الاتصال واللسانيات معًا، وركز جهده على إحداث توأمة بينهما، وتتجلى هذه التوأمة بوضوح في تصوره للعملية التواصلية.

---

(1) ـ أحمد حساني ، السمات التفريعية للفعل في البنية التركيبية ، ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، ص 50.

لقد أخذت نظرية الاتصال أبعادها العلمية منذ أنْ قدم شانون (1949)(Shannon)النظرية الرياضية للتواصل، وهو عالم رياضي ومهندس في المخابرات من مواليد الولايات المتحدة الأمريكية سنة، 1916 وقد وضع الأسس الأولية لنظرية الاتصال Mathematical Theory of Communication بمشاركة (Weaver) وساعدت هذه النظرية على الاهتمام بالجانب التواصلي في اللغة الإنسانية، فأصبح الاهتمام منصبًا على عملية الترميز، وفك رموز الرسائل اللفظية في مواقف مختلفة . ومن ههنا بدأ الاهتمام بإسقاط المفاهيم الرياضية ـ بخاصة نموذج الاحتمالات ـ المستخدمة في نظرية الاتصال على النسق اللساني، مما أدى إلى ظهور نظرية متكاملة تهتم بالتواصل اللساني دون سواه.

يرتكز التواصل اللساني على ثلاثة عناصر أساسية:

1ـ المتكلم أو المرسل.

2ـ المستمع أو المستقبل.

3ـ نظام متجانس من العلامات الدالة، يمتلكه المتكلم والمستمع على حد سواء.

ويتم التواصل الكلي بواسطة نشاطين اثنين:

أحدهما : الكلام(الإرسال)، وهو الأداء أو الإنجاز الفعلي للعملية التلفظية في الواقع الحسي.

و الآخر: الاستماع (الاستقبال) ، وهو التقاط الرسالة الإبلاغية وتفكيك رموزها وتحويلها إلى أفكار.

ويرى جاكبسون أنَّ هناك ستة عناصر ضرورية لاتمام عملية التواصل.هي:

1 ـ المرسل (Destinateur) .

2 ـ المرسل إليه (Destinataire) .

3ـ الرسالة (Message) وهي محتوى الإرسال.

4 ـ السياق (Contexte) .

5 ـ السنن(Code) وهي القوانين والقواعد التي يشترك فيها طرفا الإرسال.

6ـ القناة أو الصلة (Contact) .

شروط الاتصال :حتى يتحقق الاتصال لابد من توافر مجموعة شروط .منها:

1. أنْ يعرف المرسل محيطه الطبيعي والاجتماعي معرفة حقيقية ؛ أي يجب أنْ يكون على علم بتحولات المجتمع العلمية والثقافية.

2 ـ يجب أنْ يكون المرسل على وعي عميق بمضمون الرسالة ومدى تعبيرها عن الواقع كما هو موجود.

3 ـ العمل على ربط خبرة المرسل وأثرها في الوسط الخارجي بخبرة مستقبل الرسالة.

4 ـ التأكد من التجانس التام في النسق التواصلي بين المرسل والمستقبل.

5 ـ يجب إعداد الوسيلة الناقلة أو الصلة إعدادًا دقيقًا لتكون مهيأة لحمل الخبرات والمعلومات المراد نقلها من المرسل إلى المستقبل .[1]

تعد اللسانيات في نظر ياكبسون علمًا شاملاً يتخذ كل الأنساق التواصلية الدالة موضوعًا له، وبحكم هذه النظرة الشمولية فلا يجب أنْ تختزل اللسانيات في حدود دراسة الجملة كما هو شائع لدى بعضهم، فاللسانيات أوسع بكثير مما يتصور هؤلاء، ولذلك يطرح ياكبسون فرضية لسانيات الخطاب أو لسانيات فعل القول .

ـ وظائف الخطاب عند ياكبسون :

مما لا يغرب عن أحد هو أنَّ أي خطاب منجز، مهما كان السياق الثقافي والاجتماعي الذي أنجز فيه هذا الخطاب، يتطلب توافر عناصر أساسية تكوِّن سيرورته ومساره، وقد تحدث ياكبسون بإسهاب عن هذه السيرورة مبينا تكامل عناصرها وانتظام مسارها إذ قال: "إنَّ اللغة يجب أنْ تدرس في تنوع وظائفها، وقبل التطرق إلى الوظيفة الشعرية ينبغي علينا أنْ نحدد موقعها ضمن الوظائف الأخرى للغة، ولكي نقدم فكرة عن هذه الوظائف، من الضروري تقديم صورة مختصرة عن العوامل المكونة لكل سيرورة لسانية ، ولكل فعل تواصلي لفظي. إنَّ **المُرْسِلَ** يوجه رسالة إلى **المُرْسَلِ إليه.** ولكي تكون **الرسالة** فاعلة فإنَّها تقتضي، بادئ ذي بدء، **سياقًا** تحيل إليه (وهو ما يدعى أيضا : **المرجع** باصطلاح

---

(1) ـ محمد وطاس، أهمية الوسائل التعليمية في عملية التعلم ، ص 42 .

غامض نسبيا)، سياقًا قابلاً لأنْ يدركه المُرْسَل إليه، وهو إمَّا أنْ يكون لفظيًا أو قابلاً لأنْ يكون كذلك؛ وتقتضي الرسالة، بعد ذلك، **سَنَنًا** مشتركًا، كليًا أو جزئيًا، بين المُرسل والمُرْسَل إليه (أو بعبارة أخرى بين المُسَنِّن ومفكك سَنَن الرسالة)؛ وتقتضي الرسالة أخيرًا، **اتصالا**؛ أي قناة فيزيقية وربطًا نفسيًا بين المُرْسِل والمُرْسَل إليه، اتصالاً يسمح لهما بإقامة التواصل والحفاظ عليه ".[1]

ويمكن لنا أنْ نوضح هذه العناصر بالمخطط الآتي:

سياق Contexte

↓

مرسل ← Destinateur ← رسالة Message ← مرسل إليه Destinataire

↓

اتصال Contact

↓

سنن Code

المقابل الاصطلاحي باللغة الإنجليزية :

1ـ مرسل: Destinateur ← Sender

2ـ رسالة: Message ← Message

3ـ سياق : Contexte ← Contex

4ـ مرسل إليه: Destinataire ← Receiver

---

(1) ـ ياكبسون، قضايا الشعرية، ترجمة محمد الولي ومبارك حنون، دار توبقال ، الدار البيضاء ط1 المغرب 1988 ص17 . العنوان الأصلي. Jakobson : Questions de poétique, Seuil, Paris ,1973.

5ـ اتصال (قناة) : Contact ← Channel

6ـ سنن : Code ← Code

كل عنصر من هذه العناصر يقترن بوظيفة معينة يمكن لها أنْ تهيمن أو تطغى فتطبع الخطاب بطابعها، يمكن لنا أنْ نوضح هذا الاقتران بالشكل الآتي:

المرسـل ← الوظيفة الانفعالية(التعبيرية) Fonction emotive

المرسل إليه ← الوظيفة الإفهامية Fonction conative

السياق ← الوظيفة المرجعية Fonction référenti

الرسالة ← الوظيفة الشعريـة Fonction poétique

الاتصال ← الوظيفة التنبيهية Fonction Phatique

السنن ← وظيفة ماوراء اللغة أو ميتا لسانية Métalinguistique

نعيد ههنا هذه الوظائف لتعريفها وشرحها الواحدة تلو الأخرى:

أولاً : الوظيفة الانفعالية أو التعبيرية : Fonction émotive ou expressive: هي الوظيفة التي تعكس الموقف الشخصي للمرسل إزاء الموضوع الذي تتحدث عنه الرسالة ويتبدى هذا الموقف في بعض العلامات الدالة على الحالة الانفعالية أو النفسية بشكل عام فهي وظيفة تتمركز حول ضمير المتكلم (أنا ، Je ، I) ، وتعابير التعجب، وعلاماته التي تختلف من مرسل إلى آخر.

يقول ياكبسون :"وتهدف الوظيفة المسماة تعبيرية أو انفعالية المتمركزة على المرسل أن تعبر بصفة مباشرة عن موقف المتكلم تجاه ما يتحدث عنه ، وهي تنزع إلى تقديم انطباع عن انفعال معين صادق أو خادع (...)، وتمثل صيغ التعجب في اللغة الطبقة الانفعالية الخالصة، وتبتعد صيغ التعجب عن وسائل اللغة المرجعية في آن واحد بواسطة تشكيلها الصوتي، فالمرء يجد فيها متواليات صوتية خاصة، أو حتى أصوات غير معهودة في أي مكان. [1]

---

(1) ـ ياكبسون، قضايا الشعرية، ترجمة محمد الولي ومبارك حنون، دار توبقال الدار البيضاء ط1 المغرب 1988 ص17 العنوان الأصلي. Jakobson : Questions de poétique, Seuil, Paris ,1973.

ثانيًا : الوظيفة الإفهامية Fonction conative : هناك من يسميها بالوظيفة الندائية أو الطلبية ، قد تهيمن هذه الوظيفة في خطاب ما عندما يكون الخطاب مركزًا على المتلقي. وأصفى صورة لهذه الوظيفة تتجلى في أساليب النداء والطلب(لأمر، والدعاء، والالتماس والرجاء...) والضمير الذي يتكرر في هذه الوظيفة هو ضمير المخاطب (you / tu, vous).

ثالثًا : الوظيفة المرجعية Fonction référentielle: تتعلق هذه الوظيفة بالسياق الذي أنجز من أجله الخطاب ، الموضوع الذي يتحدث عنه ، لا يكاد يخلو أي خطاب من هذه الوظيفة ؛ لأن الخطاب في حقيقة أمره هو إحالة إلى شيء ما قد يكون هذا الشيء حقيقيًا له حضور في الواقع الحسي وقد يكون خياليًا متصورًا له صورة في ذهن الباث والمتلقي معًا .

رابعا : الوظيفة الانتباهية Fonction phatique : يتجلى دور هذه الوظيفة في الحرص الشديد لدى المرسل والمرسل إليه معًا على إقامة التواصل وتمديده ومراقبته أثناء التخاطب للتأكد من وصول الرسالة ، مثل: هل تسمعني، هل أنت معي، آلو ....

يقول ياكبسون:" الوظيفة الانتباهية للغة هي الوظيفة الوحيدة التي تشترك فيها الطيور الناطقة مع الكائنات الإنسانية، وهي أيضًا الوظيفة اللفظية الأولى التي يكتسبها الأطفال. إنَّ النزوع إلى التواصل عند الأطفال يسبق طاقة إصدار الرسائل الحاملة للأخبار". (1)

خامسًا : وظيفة ماوراء اللغة أو الميتالسانيةFonction métalinguistique: تتجلى هذه الوظيفة عندما يتمركز الخطاب حول لغة الرسالة نفسها كشرح بعض الكلمات والمفاهيم ، أوالتساؤل عن معاني بعض الكلمات الغامضة أثناء الحوار بين المرسل والمرسل إليه . والهدف من ذلك الحفاظ على التجانس الصوتي والتركيبي والدلالي في نظام العلامات المستخدم بين طرفي الخطاب . وتظهر هذه الوظيفة في بعض العلامات التي تتخلل الخطاب المنطوق أو المكتوب مثل : يعني ـ أي ـ معنى ذلك ـ أو بعبارة أخرى ....

---

(1) ـ ياكبسون، قضايا الشعرية، ترجمة محمد الولي ومبارك حنون، دار توبقال الدار البيضاء ط1 المغرب 1988 ، ص.28

يقول ياكبسون : " لقد جرى تمييز بين مستويين للغة في المنطق المعاصر بين" اللغة الموضوع " المتحدثة عن الأشياء و " اللغة الواصفة " المتحدثة عن اللغة نفسها، إلا أنَّ اللغة الواصفة ليست أداة علمية ضرورية في خدمة المناطقة واللسانيين فحسب؛ فهي تلعب أيضًا دورًا هامًا في اللغة اليومية. فنحن نمارس اللغة الواصفة دون أنْ ننتبه إلى الخاصية الميتالسانية لعملياتنا (...) وفي كل مرة يرى فيها المرسل و المرسل إليه ضرورة التأكد مما إذا كانا يستعملان استعمالاً جيدًا نفس السنن، فإنَّ الخطاب يكون مركزًا على السنن. إنَّه يشغل وظيفة ميتالسانية ، أو وظيفة شرح . يتساءل المستمع :إنَّني لا أفهمك ، ما الذي تريد قوله ؟ أو بأسلوب رفيع : ما تقول ؟ / ويسبق المتكلم مثل هذه الأسئلة فيسأل / : أتفهم ما أريد قوله ؟ / ولنتخيل حوارًا مزعجًا مثل **هذا الح**وار: Le sophomore s'est fait : coller ولكن ما معنى ? se faire coller تعني ما يعنيه sécher ، وما معنى ? sécher تعني sécher رسب في الامتحان . ويلح المتسائل الذي يجهل المعجم الطلابي :ما معنى Un sophomore? يدل Un sophomore على طالب في السنة الثانية.

إنَّ الإخبار الذي توفره كل هذه الجمل المعادلتية يخص السنن المعجمي للفرنسية فحسب ووظيفتها،بصفة دقيقة ، وظيفة ميتالسانية. إنَّ كل سيرورة تعلم اللغة، وخاصة اكتساب الطفل للغة الأم، تلجأ إلى مثل هذه العمليات المتالسانية ".(1)

سادسا :الوظيفة الشعرية Fonction poétique : تتبدى هذه الوظيفة في البنية اللغوية للرسالة نفسها؛ أي أدبية الرسالة، تلك الأدوات اللغوية التي تجعل من خطاب ما خطابًا أدبيًا . ومن ثمة فإنَّ الوظيفة الشعرية ـ في نظر ياكبسون ـ هي موضوع الشعرية بوصفها منوالاً إجرائيًا يتناول أدبية الخطاب الأدبي . يقول ياكبسون:"يمكن تحديد الشعرية La poétique بوصفها ذلك الفرع من اللسانيات الذي يعالج الوظيفة الشعرية في علاقتها مع الوظائف الأخرى للغة، وتهتم الشعرية ـ بالمعنى الواسع للكلمةـ بالوظيفة الشعرية لا في الشعر فحسب حيث تهيمن هذه الوظيفة على الوظائف الأخرى للغة، وإنَّما تهتم بها أيضًا خارج الشعر حيث تعطى الأولوية لهذه الوظيفة أو تلك على حساب الوظيفة الشعرية ".(2)

ويشير ياكبسون إلى تكامل الوظائف في الخطاب الأدبي الذي تهيمن فيه الوظيفة الشعرية. يقول :" إنَّ

---

(1) ـ ياكبسون، قضايا الشعرية ، ص،31..

(2)ـ المرجع نفسه، ص ، 33.

الدراسة اللسانية للوظيفة الشعرية ينبغي أنْ تتجاوز حدود الشعر، ومن جهة أخرى، لايمكن للتحليل اللساني للشعر أنْ يقتصر على الوظيفة الشعرية. فخصوصيات الأجناس الشعرية المختلفة تستلزم مساهمة الوظائف اللفظية الأخرى بجانب الوظيفة الشعرية المهينة، وذلك في نظام هرمي متنوع . إنَّ الشعر الملحمي المركز على ضمير الغائب يفتح المجال بشكل قوي أمام مساهمة الوظيفة المرجعية؛ والشعر الغنائي الموجه نحو ضمير التكلم، شديد الارتباط بالوظيفة الانفعالية؛ وشعر ضمير المخاطب يتسم بالوظيفة الإفهامية، ويتميز بوصفه التماسًا وعظيًا ".[1]

ومن ثمة فإنَّ " استهداف الرسالة بوصفها رسالة، والتركيز على الرسالة لحسابها الخاص هو ما يطبع الوظيفة الشعرية للغة . ولا يمكن لهذه الوظيفة أنْ تدرس دراسة مفيدة إذا ما أغفلنا المشاكل العامة للغة. ومن جهة أخرى يتطلب التحليل الدقيق للغة أنْ نأخذ جديًا بعين الاعتبار الوظيفة الشعرية (...) ليست الوظيفة الشعرية هي الوظيفة الوحيدة لفن اللغة، بل هي فقط وظيفته المهيمنة والمحددة ، مع أنَّها لا تقوم في الأنشطة اللغوية الأخرى سوى بدور تكميلي وعَرَضِي ".[2]

قد تتفاوت درجة تواتر هذه الوظائف في الخطاب، ويختلف هذا التواتر باختلاف نوع الخطاب نفسه، وتكون الغلبة، حينئذ، للوظيفة المهيمنة .ما هي، إذن، الوظيفة المهيمنة ؟.

ـ الوظيفة المهيمنةFonction dominante : هي الوظيفة التي تطغى على ماسواها من الوظائف الأخرى المحتملة في خطاب ما . فإذا قارنا بين خطاب تعليمي ، وخطاب إعلامي ، وخطاب أدبي حول موضوع مشترك (مرجع واحد) نجد أنَّ هذه الخطابات ، لامحالة ، تتباين فيما بينها بالنظر إلى الوظيفة المهيمنة ؛ فالوظيفة المهيمنة في الخطاب الإعلامي هي **الوظيفة المرجعية؛** لأنَّ هذا الخطاب يخبرنا عن شيء ما، فهو يركز عليه فتطغى بذلك الوظيفة المرجعية . والوظيفة المهيمنة في الخطاب التعليمي هي **الوظيفة الإفهامية؛** لأنَّ الخطاب التعليمي يركز على المتعلم؛ أي المتلقي . أمَّا الوظيفة المهيمنة في الخطاب الأدبي فهي بالضرورة **الوظيفة الشعرية؛** وهي الوظيفة التي ينماز بها الخطاب الأدبي . ولكن هيمنة وظيفة من الوظائف في خطاب ما ليس معناه انعدام الوظائف الأخرى،بل تظل هذه الوظائف موجودة ، ولكن بنسب تواترية متفاوتة .

---

(1) ـ ياكبسون ، قضايا الشعرية ، ص 33 .

(2) ـ المرجع نفسه ، ص 31 .

رابعًا:مدرسة كوبنهاجن:

ظهر في العقد الثالث من القرن العشرين اتجاه لساني جديد بدأت معالمه تتشكل انطلاقًا من تلك الحركة اللسانية المتسارعة التي شهدها شمال أوروبا، وهي حركة لسانية متميزة تأثرت بالمفاهيم الجديدة التي جاء بها دي سوسير، ونشأت هذه الحركة على يد:

1ـ جاسبرين (1860 – 1943) (JESPERSEN) من أهم كتبه: اللغة (Language) الذي نشر سنة 1922.

2 ـ بدرسن (PEDERSEN) [1] ، يرى بعض الباحثين المهتمين بتعقب المسار التطوري للسانيات أنَّ بدرسن يعد من الباحثين الأوائل الذين أَثْروا البحث اللساني بدراسات علمية ذات توجهات منهجية جديدة في ضوء النهضة العلمية التي بدأت تظهر في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، إذ تضمنت دراساته مبادئ معرفية ومنهجية جديدة في الثقافة اللسانية، في هذه الحقبة التاريخية من مسار تشكل الفكر العلمي في ميدان الدراسات اللغوية، وعلى الرغم من أنَّ بدرسن كان باحثًا مقارنًا إلا أنَّه استطاع أنْ يضفي على أبحاثه تصورات جديدة، خاصة بعد انتمائه إلى مجموعة النحاة الجدد.Néogrammairiens .[2]

3 ـ ثم تبلورت هذه الحركة عندما أسس يلمسلف (1899 – 1965) مع زَمِيلَيْهِ بروندال، وأُولدال الحلقة الدانمركية للعلوم اللسانية سنة 1931 على غرار حلقة براغ، وقد نشرت هذه الجماعات أبحاثها باللغات الإنجليزية والفرنسية والألمانية.[3]

بيد أنَّ الذي أعطى لمدرسة كوبنهاجن بعدها النظري والإجرائي هو لويس يلمسلف (1899 ـ 1965) الذي يعود له الفضل في امتداد تأثير هذه المدرسة في الدراسات اللسانية والسيميائية خارج كوبنهاجن . وكان

---

(1) - Holger Pedersen (1867.1953): لساني دانمركي، كتب حوالي ثلاثين بحثًا حول عدة لغات عالمية. حصل على شهادة الدكتوراه من كبنهاجن (Copenhague)، وظل يُدَرِّسُ في المدينة نفسها . ألف كتابًا في إطار الدراسات اللغوية العامة وَسَمَهُ بـ: النحو المقارن للغات الكلتية (Grammaire comparative des langues celtiques)

(2) ـ ينظر جورج مونان ، علم اللغة في القرن العشرين ، ترجمة نجيب غزاوي ص 127.

(3)ـ الحاج صالح - مدخل إلى علم اللسان الحديث ـ مجلة اللسانيات ، عدد (2) (1972) الجزائر ص 26 .

لوالده أستاذ الرياضيات تأثير كبير في تفكيره العلمي، لذلك كان نزيعًا إلى إسقاط مبادئ المنطق الرياضي على المنهج اللساني أثناء تعامله مع الظاهرة اللغوية. فنظرية الغلوسيماتيك (Glossématique / Glossematics) التي اشتهر بها هي نظرية لسانية تستمد أصولها المنهجية من المنطق الصوري .

من هو يلمسلف؟.

لويس يلمسلف Louis Hjelmslev(1899 ـ 1965) لساني دانمركي اقترن اسمه بمدرسة كوبنهاجن اللسانية، تتلمذ على يد بدرسن Holger Pedersen الذي يعد من الباحثين اللسانيين المرموقين في ذلك العهد.

دَرَسَ يلمسلف الفيلولوجيا الهندوـ أوروبية المقارنة في جامعة كوبنهاجن ابتداء من سنة 1917.[1] ثم سافر من أجل الدراسة والبحث إلى عدة بلدان أوروبية منها :

1 ـ ليتوانيا Lithuania[2](1921).أنجز في هذه الفترة بحثًا حول أصوات اللغة الليتوانية سنة 1923 Mémoire sur la phonologie du lituanien (1923).

2 ـ براغ (1923) .التي كانت في هذه الفترة تشهد حركة علمية نشيطة .

3 ـ باريس (فرنسا) **(1926 ـ 1927)** ، وهناك التقى باللسانيين الفرنسيين الشهيرين: أنطوان ميي Antoine Mellet [3] ، وفندريس Vendrys [4] ، وتابع محاضراتهما في الدراسات اللسانية،

---

(1) ـ ينظر جورج مونان ، علم اللغة في القرن العشرين ، ص 127.

(2) ـ **ليتوانيا** (Lithuania / Lituanie) دولة من دول أوروبا الشمالية تقع على الضفة الشرقية لبحر البلطيق.

(3) ـ أنطوان ميي Paul Jules Antoine Meillet. (1866 ـ 1936) : من أشهر اللسانيين الفرنسيين في العقود الأولى من القرن العشرين . .

(4) ـ جوزاف فندريس Joseph Vendryes(1875 ـ 1960): لساني فرنسي مختص في اللغة الكلتية تلميذ أنطوان ميي .

ومكنه ذلك من الاطلاع على نظرية دي سوسير وتمثل مبادئها، فأقدم لاحقًا على تأسيس نظريته (Glossématique) في ضوء هذه المبادئ .[1]

ناقش يلمسلف رسالة الدكتوراه سنة 1932 بعنوان دراسات بلطيقية (Etudes Baltiques / Baltic Studies) [2] . شغل بعدها منصب أستاذ اللسانيات في جامعة كوبنهاجن، ثم خلف بدرسن (Holger Pedersen) سنة 1937 ليشغل كرسي اللسانيات المقارنة في جامعة كوبنهاجن .

لقد تأثر يلمسلف بالمنطق الرياضي، ومنهج العلوم التي كانت سائدة في عصره خاصة الدراسات المنطقية عند كارناب (Carnape)، [3] ويتبدى هذا التأثير والتأثر في الصفة العقلانية المجردة لنظريته، فهي إذ ذاك نظرية لسانية تعكس المنطق الصوري في أصفى صورة له.

يقول جورج مونان في هذا الشأن: " لقد تركز طموح يلمسلف في إقامة نظرية لغوية على طريقة علماء المنطق الذين أعجب بهم على فرضية كاملة تعتمد التفسير الواضح لكل المبادئ الأولية، ولكل التعاريف الأساسية ". [4]

تتلخص أعمال يلمسلف مدة ربع قرن في كتاب صغير يتكون من 112 صفحة صدر سنة 1943 بعنوان : Omkring sprogteoriens grundlæggelse ، لم يترجم هذا الكتاب إلى اللغة الإنجليزية إلا في سنة 1953 Prolegomena to a Theory of Language ، وترجم إلى اللغة الفرنسية سنة 1968 بعنوان: Prolégomènes à une théorie du langage [5]

---

(1) ـ جورج مونان ، علم اللغة في القرن العشرين ، ص 127.

2 - La phonologie historique des langues baltes: *Etudes baltiques*

(3)ـ كارناب (1891ـ1970) Rudolf Carnap : فيلسوف ألماني من أشهر أعلام الفلسفة الوضعية .

(4)ـ جورج مونان ، علم اللغة في القرن العشرين ، ص 135.

(5)ـ المرجع نفسه ، ص 129.

أسس يلمسلف بمشاركة بروندال Viggo Brondal (1877ـ1942) حلقة كوبنهاجن اللسانية سنة 1931على غرار نموذج مدرسة براغ، وكان بروندال الذي يكبر يلمسلف سنًا متأثرًا بالمنطق القديم والوسيط والحديث، في حين كان يلمسلف متشبعًا بمنطق كارناب[1] Carnape.[2]

تعززت العلاقة الفكرية بين يلمسلف وبروندال في فرنسا حيث التقى يلمسلف باللساني الفرنسي أنطوان ميي Antoine Meillet، وفي الوقت نفسه كان بروندال يُدَرِّسُ اللغة الدانمركية في جامعة السوربون (باريس)، فوجودهما معًا في باريس عمق فكرهما أكثر.انضم إليهما لاحقًا أولدال Uldall الذي كان تلميذًا لـ: دانيال جونس Daniel Jones (1881ـ1967) اللساني الإنجليزي .

أنشأ يلمسلف وبرندال (Viggo Brøndal) سنة 1938 مجلة Acta linguistica ووضعا لها عنوانًا فرعيًا: مجلة دولية للسانيات البنيوية . كان صدور هذه المجلة بمثابة إعلان رسمي عن ميلاد البنيوية اللسانية، وتأكيد شرعيتها في الوجود، ويتبدى ذلك واضحًا من عنوان المقال الذي كتبه بروندال: اللسانيات البنيوية.[3]

ـ نظرية الغلوسيماتيك (Glossématique):

وضع يلمسلف مصطلح الغلوسيماتيك (Glossématique) انطلاقًا من الأصل التأثيلي في اللغة اليونانية (Glossa) الذي يعني اللسان (Langue) . لجأ يلمسلف إلى هذا المصطلح ليميز نظريته من النظريات اللسانية السابقة ، تلك النظرية التي كانت تعميقًا للأسس والمفاهيم التي جاء بها دي سوسير في بداية القرن العشرين ، ومن أهم هذه الأسس الطابع المميز للمنهج اللساني الذي يتعامل مع اللغة من حيث كونها هدفًا في ذاتها وليست وسيلة فحسب.[4]

---

(1) ـ Rudolf Carnape (1891ـ1970) : فيلسوف ألماني (الفلسفة الوضعية).

(2) ـ ينظر المرجع نفسه، ص 128.

(3) ـ ينظر المرجع نفسه، ص 128.

4 .Voir ; Jean Dubois et autres , Dictionnaire de linguistique . Larousse .Paris 1973.P234.

بدأت الإرهاصات الأولى لهذه النظرية (Glossématique / Glossematics) تتشكل ابتداء من ذلك البحث الأولي المشترك بين يلمسلف وأولدل (Hans Jørgen Uldall)[1] (1933) ، وكان هذا البحث يطرح تصورًا لسانيًّا مخالفًا لتصور مدرسة براغ.[2]

أعلنت جماعة كوبنهاجن صراحة انفصالها وتميزها عن مدرسة براغ بإعلانها عن ميلاد مفهوم الغلوسيماتيك (Glossématique)، وكان ذلك في المؤتمر الدولي الثالث للسانيين الذي انعقد في كوبنهاجن سنة 1936 ، إذ تم توزيع نص قصير على الحضور يحمل عنوان: مختصر المخطط التمهيدي للغلوسيماتيك .[3]

ترى نظرية الغلوسيماتيك أنَّ الأصوات المادية والمعاني المجردة لا قيمة لها في ذاتها بمعزل عن النسق اللساني، فالنسق الآتيفي والتركيبي هو الذي يحدد القيمة الوظيفية للوحدات الصوتية والدلالية، ولذلك يسميها بعضهم بالنظرية النسقية.

ومن ههنا فإنَّ هذه النظرية تتضمن في عمقها المعرفي والمنهجي نقدًا جوهريًا للدراسات اللسانية السابقة التي كانت تعوِّل على العوامل الخارجية في تحليل بنية النسق اللساني نفسه .

وبناء على مبدأ عزل الظاهرة عن الواقع الخارجي، والتعامل معها في ذاتها ومن أجل ذاتها وهو المبدأ الذي تمسكت به جماعة كوبنهاجن، أضحى العلم المتوقع في نظر يلمسلف الذي يحق له أنْ يتخذ اللسان موضوعًا

---

(1) ـ أولدل Hans Jørgen Uldall (1907 ـ 1957): لساني دانمركي من المؤسسين البارزين لمدرسة كوبنهاجن، لقد أسهم في إثراء نظرية الغلوسيماتيك بمشاركة يلمسلف، وقدما معًا في المؤتمر الثالث للسانيين سنة 1936 الذي انعقد في كوبنهاجن بحثًا أوليًا وُسِمَ بـ: المخطط التمهيدي للغلوسيماتيك .

(2) ـ أحمد مومن، اللسانيات: النشأة والتطور ط2 ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر (2005) ص 158.

(3) ـ المرجع نفسه ، ص 158.

له هو : اللسانيات المحايثة Linguistique immanente التي تتعامل مع اللسان من حيث كونه بنية مغلقة تتضمن عناصر تفاعلها في ذاتها بمعزل عن أي عنصر خارجي.[1]

يرى يلمسلف أنَّ القيم المجردة للعبارات هي وحدها التي لها وجود ، ولذلك فإنَّ اللغة نسق من القيم ، وأنَّ مفتاح تحليل هذا الشكل هو اللسانيات المحايثة Linguistique immanente المتكاملة في ذاتها، والمبنية على منهج استنباطي موضوعي .[2]

يتبدى لنا، حينئذ، أنَّ نظرية الغلوسيماتيك تنحو منحى جديدًا يختلف في مرتكزاته المعرفية والمنهجية عن الدراسات اللسانية السابقة ، تلك الدراسات التي كانت تتعامل مع اللغة بنظرة فلسفية متعالية، وبمنهج تاريخي مقارن ، فالغلوسيماتيك تمتلك خصوصياتها في ذاتها ؛ لأنَّها قائمة على أسس منطقية ورياضية فهي نظرية كلية (Théorie universelle / Universal theory)، ولذلك فهي تتميز عما سواها بطابعها التجريدي .[3]

تُقَدِّمُ نظرية الغلوسيماتيك مجموعة من الآليات المعرفية والمنهجية التي يمكن تطبيقها على جميع المعارف والعلوم الإنسانية ؛ أي أنَّ كل سيرورة تنتهي إلى تشكيل نظام أو نسق تكون قابلة في ذاتها للدراسة بمنهج غلوسيماتيكي .

كان يلمسلف يسعى إلى تطبيق مبادئ هذه النظرية المنطقية الصورية في الواقع اللساني أولا (الحقل اللغوي)، فإذا حققت هذه النظرية نتائج إيجابية في الواقع اللساني يمكن تعميم إجراءاتها لتشمل جميع

---

(1)- Voir ; Jean Dubois et autres , Dictionnaire de linguistique . Larousse .Paris 1973.P235.

(2)- ينظر أحمد مومن ، المرجع المذكور سابقًا ، ص 160.

(3)- للتوسع أكثر ينظر:

Ducrot et Tzvetan Todorov, Dictionnaire encyclopédique des sciences du langage, Paris, 1972 .P36.

المعارف الإنسانية الأخرى . وحتى تكون هذه النتائج كافية لإثبات مصداقية هذه النظرية لابد من اتخاذ التجربة سبيلاً منهجيًا لتحقيق أهدافها العلمية. (1)

ولذلك يقول يلمسلف بشأن نظرية الغلوسيماتيك : " تهدف إلى إرساء منهج إجرائي يُمَكِّنُ من فهم النصوص من خلال الوصف المنسجم والشامل، إنَّها ليست نظرية بالمعنى العادي لنظام من الفرضيات، بل نظام من المقدمات المنطقية الشكلية، والتعريفات والنظريات المحكمة التي تُمَكِّنُ من إحصاء كل إمكانات الآتيف بين عناصر النص الثابتة". (2)

ـ أثر نظرية دي سوسير في التأسيس النظري عند يلمسلف :

ترتكز مدرسة كوبنهاجن على مرجعية نظرية تستمد أصولها المعرفية والمنهجية من تلك المبادئ اللسانية التأسيسية التي جاء بها دي سوسير في بداية القرن العشرين التي وردت في كتابه : دروس في اللسانيات العامة (1916)، إذ أعادت جماعة كوبهاجن صوغ تلك المبادئ في مفاهيم ومصطلحات جديدة .

يتبدى ذلك واضحًا في حرص يلمسلف على التمسك بأفكار دي سوسير وكثيرًا ما كان يشير إلى أنَّه الوارث الشرعي لهذه الأفكار، ولذلك نلفيه يضطلع منذ البدء بتبني بعض الأسس الظرية والمنهجية التي تميز بها المشروع اللساني عند دي سوسير ويتخذها منطلقًا لنظريته ، منها نظرة دي سوسير للغة بأنَّها شكل وليست مادة . (3)

يرى جورج مونان في هذا الشأن أنَّ أبحاث يلمسلف كانت استمرارًا ونضجًا أكثر دقة لأفكار دي سوسير، وقد عدَّ نفسه تلميذ دي سوسير الوحيد والحقيقي، ومثل دي سوسير فقد جعل اللغة شكلا وليست

1 ـ Voir ; Jean Dubois et autres , Dictionnaire de linguistique . Larousse .Paris 1973.P235.

2 - Erik. Fudge: Phonology and Phonetics , in Thomas A. Sebeok In Lainguistics.v9.Mouton 1972.P 283..160 أورده أحمد مومن ص

(3)ـ ينظر جورج مونان، علم اللغة في القرن العشرين ، ص 132.

مادة ، وكما هو الحال لدى سوسير حين قال بأنَّ القيم المجردة للكلمات المتعارضة في علاقتها المتبادلة هي وحدها موجودة ، فيما يرفض المعنى الذي لاشكل له، وكذلك جوهر المضمون (المنتظم) نفسه .[1]

وبناء على ذلك نستطيع القول: إنَّ النظرية الغلوسيماتيكية نظرية لسانية مستوحاة من المشروع اللساني الذي وضعه دي سوسير، والذي ما فتئ ينتصر له، ويتبدى تأثر جماعة كوبنهاجن بالنزعة السوسيرية في تمسكهم بمبدأ: اللغة شكل وليست مادة، وهذا إقرار من يلمسلف بولائه لمدرسة دي سوسير ؛ أي أنَّ اللغة تُدْرَسُ بوصفها بنية متكونة من مستويين: مستوى التعبير (الدال)، ومستوى المضمون (المدلول) يرتبط هذان المستويان فيما بينهما لتحقيق العملية التواصلية. معنى ذلك أنَّ المادة الصوتية الخام (الصوت في الواقع) لا تكون لغة، كما أنَّ المعنى المجرد من حيث هو حقيقة واقعية لايكوِّن لغة أيضًا، فاللغة تتحقق بحدوث الدلالة بواسطة الاقتران الثنائي بين مستوى التعبير(الدال)، ومستوى المضمون (المدلول) في سياق التواصل.

ـ ثنائيات دي سوسير ومقابلاتها في مصطلحات مدرسة كوبنهاجن:

الثنائية دال / مدلول ⟵ مستوى التعبير / مستوى المضمون.

الثنائية : لسان / كلام ⟵ النسق / النص(الاستعمال).

المحور الاستبدالي / المحور الركني ⟵ العلاقات مع الغائب / العلاقات مع الحاضر.

ـ مصطلحات مدرسة كوبنهاجن :

1 ـ الغلوسيماتيك Glossématique :

مصطلح (Glossématique) مشتق من الكلمة اليونانية (*glôssa*) التي تعني اللسان (اللغة)، وهو مصطلح وضعه يلمسلف ليميز نظريته من النظريات اللسانية السابقة، وهي نظرية منطقية صورية تنحو منحى الكلية ؛ أي أنَّها صالحة لدراسة جميع الألسنة فتتخذ (.Glossèmes) الوحدات اللغوية موضوعًا لها .

(1) ـ ينظر جورج مونان، علم اللغة في القرن العشرين ، ص 131.

2. الغلوسيمات Glossèmes :

الوحدات اللغوية الصغرى المكونة للسان (على مستوى التعبير ومستوى المضمون) ؛ أي العناصر اللسانية الصوتية ، و النحوية ، والدلالية في اللسان البشري. .

3. علم الفونيمات Phonématique :

بدأت جماعة كوبنهاجن تنزع إلى التنافس مع مدرسة براغ، فانصرفت جهودهم إلى التميز باصطناع مصطلحات جديدة لبعض المفاهيم التي كانت سائدة عند جماعة براغ.

وفي هذا السياق اقترح الباحثان يلمسلف وأولدال ـ تحت تأثير نزعة التميزـ مصطلح Phonématique في المؤتمر الدولي الثاني في لندن سنة 1935 للعلوم الصوتية، لكي يكون بديلاً عن مصطلح الفونولوجيا(علم الأصوات الوظيفي Phonology / Phonologie) لدى مدرسة براغ الذي يدل على العلم الذي يتخذ الفونيمات(**Phonèmes**) موضوعًا له.[1]

4. Cenematique :

تراجعت جماعة كوبنهاجن عن مصطلح Phonématique الذي اقترحته في مؤتمر لندن[2](1935)، واعتمدت بدلاً عنه مصطلح ، للدلالة على العلم Cénématique الذي يتخذ السنيم Cénème (الفونيم سابقًا) موضوعًا له . كان ذلك في مؤتمر كوبنهاجن سنة1936.[3]

5. Cénèmes . (وحدات صوتية صغرى):

---

(1). ينظر جورج مونان، علم اللغة في القرن العشرين ، ص 132.

(2). المؤتمر الدولي الثاني للعلوم الصوتية المنعقد في لندن في الفترة ما بين 26و27 جويلية 1935.

(3). Voir ; Jean Dubois et autres , Dictionnaire de linguistique . Larousse .Paris 1973.P80.

وُضِعَ هذا المصطلح للدلالة على مفهوم الفونيم في مدرسة براغ ؛ أي الوحدة الصوتية الصغرى التي لا تقبل التجزئة إلى وحدات أصغر. اشتق هذا المصطلح (Cénème.) من اللغة اليونانية Kenos بمعنى فارغ ؛ أي الوحدة الصوتية الفارغة من المعنى. [1]

6 ـ Plérémes وحدات دلالية صغرى :

اشتق هذا المصطلح من الأثل الاشتقاقي (Pléros) في اللغة اليونانية الذي يعني (مليئ)، فهو في دلالته الاصطلاحية يعني وحدة دلالية صغرى تحمل معنى . [2] يقابله مصطلح المونيم (Monème) عند الوظيفين (أندري مارتيني)، والمورفيم في القاموس الاصطلاحي لمدرسة براغ والاتجاه التوزيعي Distributionnalisme / Distributionalism لدى المدرسة الأمريكية (بلومفيلد).

7 ـ تعبير / مضمون(Expression / Cotenu) :

أ ـ التعبير (Expression) : تستخدم مدرسة كوبنهاجن مصطلح التعبير للدلالة على المستوى المنطوق والمكتوب في الخطاب . (الدال في العلامة اللسانية في تصور دي سوسير).

ب ـ المضمون (Cotenu) : يدل هذا المصطلح لدى مدرسة كوبنهاجن على المحتوى الدلالي للتعبير (المدلول في العلامة اللسانية عند دي سوسير).

8 ـ المادة (Substance) والشكل (Forme) :

يطلق مصطلح المادة على كل ما هو خارج عن بنية النسق اللساني ؛ أي كل ما هو خارج عن آليات العملية التلفظية بوصفها خاصية لسانية، لتحقيق التواصل بين أفراد المجتمع اللغوي عن طريق نسق من العلامات الدالة ، فالعلامة هي الوحدة الدالة التي تقرن بين الدال والمدلول، لتحقيق الحدث الدلالي بمعزل عن الواقع الخارجي(الطبيعي والمادي).

---

1 . Voir Jens Holt, Contribution à l'analyse fonctionnelle du contenu linguistique , Langages (1967) Volume 2 No 6 ,P60 .

2 -Ibid,P60

أمَّا مصطلح الشكل فيطلق على البنى اللغوية المشكلة بالفعل(الوظائف الصوتية والتركيبية والدلالية) في النسق اللساني المعين .

مظاهر ثنائية المادة/الشكل: يتكون الخطاب حسب مصطلحات مدرسة كوبنهاجن من مستويين: مستوى التعبير ومستوى المضمون. وكل مستوى من هذين المستويين له شكل ومادة .

1 ـ مستوى التعبير :

أ ـ المادة : المادة في مستوى التعبير هي الصوت الخام (Phone) من حيث كونه أثرًا طبيعيًا (الصوت في مظهره الفيزيولوجي والفيزيائي) فالصوت في هذه الحالة يعد ظاهرة طبيعية لا تختلف باختلاف اللغات. فهو موضوع علم الأصوات العام (Phonétique).

ب ـ الشكل : يتعلق الشكل في مستوى التعبير بالأصوات الوظيفية في لسان معين ؛ أي الوحدات الصوتية الصغرى (Phonèmes) التي ليس لها معنى في ذاتها ، لكنها قادرة على تغيير المعنى عندما تشكل في بنية النسق اللساني المحدد. فالوحدات الصوتية الوظيفية هي موضوع علم الأصوات الوظيفي (Phonologie).

2 ـ مستوى المضمون :

أ ـ المادة : المادة على مستوى المضمون هي الأفكار المجردة ، أو الحقائق والأشياء كما هي عليه في الواقع بمعزل عن الحدث اللغوي ، ولذلك فإنَّ هذه الحقائق لا تختلف باختلاف اللغات.

ب ـ الشكل: الشكل في المضمون هو الصور الذهنية لتلك الحقائق المشكلة لغويًا ؛ أي المعنى المرتسم في الذهن لحصول الدلالة باقتران الدال بالمدلول ، فهي الوحدات الدلالية المنتظمة بواسطة القواعد التركيبية والدلالية لنظام لساني معين ، وهذه خاصية لسانية ، فهي حينئذ تختلف باختلاف اللغات .[1]

---

1 - Voir: CHISS Jean-Louis, FILLIOLET Jacques, MAINGUENEAU Dominique, *Linguistique française*, Hachette, 1993. p44.

ينعت هذا التقابل عادة بالطبقات الأربع في النظرية اللسانية المنطقية :

1 ـ مادة المضمون ←——— المعنى.

2 ـ شكل المضمون ←——— المدلول.

3 ـ شكل التعبير ←——— الدال.

4 ـ مادة التعبير ←——— الصوت. (1)

يمكن لنا أنْ نخلص إلى أنَّ المقابلة بين المادة والشكل هي مقابلة بين المختلف وغير المختلف :

أ ـ غير المختلف في التعبير هو : الصوت الطبيعي ، أمَّا المختلف فهو : الصوت الوظيفي.

ب ـ غير المختلف في المضمون يتحدد في الأفكار المجردة والحقائق والأشياء كما هي عليه في الواقع ، أمَّا المختلف فيتبدى في الصور الذهنية لحصول الدلالة عن طريق اقتران الدال بالمدلول .

9 ـ اللسانيات المحايثة Linguistique immanente :

استخدم يلمسلف مصطلح المحايثة (Immanence) للدلالة على عزل الظاهرة موضوع الدراسة عن العالم الخارجي ، والتعامل معها في ذاتها ومن أجل ذاتها من حيث هي حقيقة واقعية تحمل مقومات وجودها في نظامها الداخلي. (2)

1- Substance du contenu _________ Sens

Forme du contenu ________________ Signifié

Forme de L'expression ____________ Signifiant

Substance de L'expression ___________ Son.

Voir Domerc J. La glossématique et l'esthétique In : *Langue Française* , *n° 3, 1969* , *p.102-105*

(2)ـ المحايثة لها دلالة ظرفية مكانية مشتقة من (حيث) ، تشير إلى المشاركة والوجود في المكان، فهي تقابل التسامي.

وكان هذا المبدأ أساس المنهج اللساني عند دي سوسير، يقول جورج مونان في هذا السياق: " إنَّ المبدأ السوسيري الأولي والأساسي ـ الذي يؤكد على تمييز العلوم اللسانية عن باقي الدراسات اللغوية ، ويعد اللغة في ذاتها ومن أجل ذاتها الموضوع الحقيقي والوحيد للسانيات ـ قد أصبح يسمى في اصطلاح يلمسلف بمبدأ المحايثة (Immanence) وهو نقيض التسامي (Transcendance)" [1] .

ما فتئت هذه المفاهيم تسلك سبيلها في ظل مشروع لساني طموح لم يكتمل، كما أشار إلى ذلك جورج مونان بقوله: " يمكننا أنْ نؤكد أنَّ مذهب يلمسلف الغلوسيماتيكي لم يكن أبدًا سوى مشروع لم ينته من وجهة نظر علم اللغة، ولا تتضح أهمية كتاب Prolegomenes الحقيقية والدائمة فيما كان عليه الكتاب، بل فيما أراد يلمسلف أنْ يكون، فهو يمثل أولى المحاولات لتأسيس نظرية علمية لوصف اللغات، نظرية قائمة على مقدمات منهجية (...) وليس من أجل تأسيس علم لغة علمي. [2]

وهكذا ظلت أفكار مدرسة كوبنهاجن تظهر باستمرار وتنتشر بين الناس بفضل سلسلة من الأعمال كانت تصدر بصفة دائمة ابتداء من سنة 1944 ، كانت تسمى بأعمال حلقة كوبنهاجن اللسانية Travaux du Cercle Linguistique de Copenhague

خامسًا: المدرسة الإنـجليـزيـة:

أخذت هذه المدرسة طابعها المميز من توحد نزعتين لسانيتين:

1 ـ النزعة الفونولوجية : تنطلق من المبادئ الفونولوجية التي أسسها الباحث اللساني دانيال جونز.

2 ـ النزعة الدلالية الثقافية: يمثلها أحسن تمثيل، الباحث اللساني فيرث (1890 ـ 1960)، تعتمد هذه النزعة في تعاملها مع الظاهرة اللغوية على السياق بمفهومه الواسع. [3]

---

1 -Georges Mounin, La Linguistique du XXe siècle, P.U.F., Paris, 1972, P130.

أورده أحمد مومن، المرجع المذكور سابقًا، ص165 .

(2) ـ جورج مونان علم اللغة في القرن العشرين، ص 135.

(3) ـ ينظر الحاج صالح، المرجع المذكور سابقًا، ص55.

أولاً : الدراسات الصوتية:

يمكن لنا أنْ نشير منذ البدء إلى أنَّ الباحثين اللغويين الإنجليز كان لهم اهتمام كبير بدراسة الصوت اللغوي منذ القديم، وتجلى هذا الاهتمام أكثر في مرحلة الدراسات التاريخية المقارنة، وارتقت الدراسات الصوتية الإنجليزية إلى أعلى مستوى لها في رحاب الدراسات اللسانية الوصفية.

ولتوضيح ذلك أكثر نقف عند بعض الجهود المتميزة في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين.

1 ـ جهود عائلة بال (الأب والابن Bell) :

أ ـ الكسندر مالفيل بال (الأب) Alexander Melville Bell 1819 ـ 1905 : مدرس وباحث في فيوزيولوجيا الصوت، له مؤلفات عدة في أمراض الكلام ومعوقات التلفظ، تُوِّجَ نشاطه العلمي بتأليف كتاب بعنوان الكلام المرئي ـ علم الأبجدية العالمية ـ Visible speech : the sience of universal alphabetics 1867. كان ذلك على منوال محاولات سابقة، تلك المحاولات التي كانت تسعى إلى وضع لكل إمكانية نطقية صورةً مرئيةً لها تُمَثِّلُهَا في الواقع الحسي.[1]

ب ـ السكندر غراهام بال (الابن) Alexander graham Bell (1847 - 1922) : مخترع جهاز الهاتف في إطار مساعيه في تطوير سبل الاتصال البشري.[2]

2 ـ جهود هنري سويت Henry Sweet (1845 ـ 1912)[3] :

بدأت جهود هنري سويت في مجال الدراسات الصوتية بداية تاريخية مقارنة، وكان قد تأثر تأثرًا كبيرًا بعائلة بيل وإسهامها في ترقية الدراسات الصوتية التجريبية.

ربط سويت الدراسات التاريخية بالأعضاء الصوتية عند الإنسان، وقد ألف كتابًا في هذا الشأن عنونه

---

(1) ـ ينظر روبنز، موجز تاريخ علم اللغة (في الغرب)، ترجمة أحمد عوض، سلسلة عالم المعرفة.الكويت نوفمبر.1997 . ص323.

(2) ـ ينظر روبنز، موجز تاريخ علم اللغة (في الغرب)، ، ص ،323.

(3) ـ Henry Sweet (1845 ـ 1912) باحث لساني إنجليزي له اهتمام أكثر بالدراسات الصوتية، خاصة النظام الصوتي للغة الإنجليزية القديمة.

ب: كتيب علم الأصوات Handbook of phontics ضمنه نظام الكتابة الصوتية Phonetcs transcription [1]

أسهم في إنشاء نموذج الأبجدية الصوتية العالمية Alphabet phonétique international (API) بمشاركة أساتذة اللغة البريطانيين والفرنسيين تحت إشراف الباحث الفرنسي بول باسي Paul Passy (1859 ـ 1940)، وكان ذلك في إطار الجمعية الدولية لعلم الأصوات التي تأسست في باريس سنة1886، ظهر أول نموذج لهذه الأبجدية سنة 1888. ظلت هذه الأبجدية تُطبع وتخضع للمراجعة والتحديث باستمرار. [2]

وهكذا انصرف اهتمام علماء الأصوات حتى عصر هنري سويت بإصلاح الإملاء، وأشكال الكتابة، بما في ذلك ابتكار رموز أبجدية إضافية، يمكن أنْ تكون شاملة لتمثيل كل الإمكانات النطقية في اللغات الإنساية. [3]

كان هنري سويت أحد الرواد البارزين في مجال الدراسات الصوتية الوصفية في بريطانيا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وكانت هذه النزعة الوصفية برغبة منه في التحرر من سلطة المنهج التاريخي. وكان قد أشار بعض الذين أرخوا للدراسات اللسانية في أوروبا إلى هذه النزعة عند سويت . يقول روبنز في هذا الصدد: " وقد مال(سويت) بشكل مزاجي نحو الجوانب الآنية الوصفية لعلم اللغة، وكان هذا بشكل جزئي بسبب وطنيته الشديدة نوعًا ما، وعدائه للعلم اللغوي التاريخي السائد الذي ربطه بحق بألمانيا". [4]

وعلى الرغم من هذا التوجه إلى الدراسة الصوتية الوصفية فإنَّ هنري سويت لم يستخدم مصطلح (Phonem/Phonème)، وإنْ كانت أعماله العلمية في مجال الدراسات الصوتية توحي بهذا المفهوم . وتجدر الإشارة في هذا المقام إلى أنَّ التمييز الاصطلاحي بين الصوت والفونام كان واضحًا عند بودوان دي

1- Georges Mounin , Histoire de la linguistique des origines au XXe siècle P20 .

(2)ـ ينظر روبنز، المرجع المذكور سابقًا. ص 322.

(3)ـ ينظر المرجع نفسه، 323.

(4)ـ المرجع نفسه ، ص 323.

كرتناي Boudouin de Caurtenay (1845 _ 1929) الذي استخدم الكلمة الروسية (Fonema) ، وقد شاعت نظريته عن الفونيم ابتداء من سنة 1893 ، ويمكن أنْ يكون قد توصل إلى هذه النظرية في زمن متقدم متزامن مع الدراسات الصوتية التي أنجزها هنري سويت[1].

3ـ جهود دانيال جونز (1881_1967) :

عالم أصوات بريطاني كان مهتما بالأداء النطقي عند الأطفال.دَرَسَ في فرنسا تحت إشراف بول باسي Paul Passy(1859 ـ 1940) في العام الدراسي (1905ـ1906).

دَرَّسَ علم الأصوات في جامعة لندن، وحققت محاضراته نجاحًا فائقًا، أنشأت الجامعة قسم الدراسات الصوتية سنة 1912 ، وكان أول قسم من نوعه في بريطانيا يترأسه دانيال جوز ، وبعد تقاعده سنة 1949، ترأس الجمعية الدولية لعلم الأصوات، ظل يشغل هذا المنصب إلى تاريخ وفاته.

واصل دانيال جوز الأعمال العلمية في مجال الدراسات الصوتية التي أسسها هنري سويت، فحرص على تعميقها أكثر، وتجلت خصوصياته في هذا المجال في ذلك النسق الصوتي(نظام الصوائت Cardinal vowels) الذي وضعه في بداية القرن العشرين، ومازال معمولاً به إلى حد الآن في الدراسات الصوتية المعاصرة .

مؤلفاته :

مختصر الصوتيات الإنجليزية .Outline of English phonetics 1914.

قاموس نطق الإنجليزية.English pronouncing 1917 .

جعل دانيال جوز الفونام مرتكزًا أساسًا للكتابة الصوتية الواسعة في مقابل الكتابة الضيقة، وقد اعتمد دانيال جونز هذين المصطلحين(الكتابة الواسعة والكتابة الضيقة) اللذين وضعهما هنري سويت سابقًا ، ليميز بين الكتابة التقليدية المحددة في الألسنة المختلفة ، والأبجدية الموسعة التي تحتوي كل الإمكانات النطقية في اللغات الإنسانية. ورد مفهوم الفونام لاحقًا في مؤلف دانيال جونز: مختصر الصوتيات الإنجليزية

---

(1)ـ ينظر، روبنز، المرجع المذكور سابقًا ،ص 324 .

Outline of English phonetics سنة 1914.[1]

ثانيًا: الدراسة الدلالية:

تأسست المدرسة الدلالية الإنجليزية على النتائج المحققة في مجال الدراسات الأنثروبولوجية، فانصرفت جهود فيرث وأتباعه - وهم يستتنون بسنة اللسانيين الأمريكيين الأوائل - إلى وضع الأسس المعرفية والمنهجية لنظرية دلالية اجتماعية تستمد أصولها من الإنجازات العلمية للباحث الأنثروبولوجي مالينوفسكي.

من هو مالينوفسكي ؟

ولد مالينوفسكي في 7 أبريل1884 بمدينة Cracovie في بولونيا، وتوفي في 14ماي1942 بأمريكا .

- ينتمي إلى عائلة عالمة، بدأ دراسته الأولية في الرياضيات والفيزياء.

- قضى معظم سنوات حياته في بريطانيا وميلانيزيا Melanesie. [2]

- تابع دراسته في جامعة Jagelone في مدينة Cracovie بولونيا.

- حصل على الدكتوراه في الاقتصاد سنة 1908.

- تابع دراسته في لندن (1910-1913) في مدرسة العلوم الاقتصادية والسياسية، وكان قد حضر محاضرات في برلين (محاضرات في علم النفس في جامعة Leipzig)، وهنا التقى بعالم النفس الألماني Wilhelm Wunt [3]، وكان هذا اللقاء مثمرًا في تنمية توجهات مالينوفسكي النفسية والاجتماعية .

- حصل على الدكتوراه الثانية في الأنثروبولوجيا سنة 1916 من جامعة لندن.

- كتب مؤلفه المعروف Argonauts of the wester pacific سنة 1922، الذي تُرجم إلى

---

(1)- ينظر روبنز، المرجع المذكور سابقًا، ص 325.

(2) - **ميلانيسيا** Melanesie هي: المنطقة الممتدة من الجانب الغربي للمحيط الهادي الشرقي، إلى بحر آرافورا، شمال شرق أستراليا .

(3)- Wilhelm Maximilian Wundt : فيلسوف ونفساني ألماني (1832- 1920)، أسس سنة 1879 أول مختبر في علم النفس التجريبي في (Leipzig.) بألمانيا، كان له الفضل الكبير في تكوين عدد من الطلبة من أوروبا وأمريكا الشمالية، وإكسابهم منهجية علم النفس التجريبي.

الفرنسية سنة 1963(Les argonautes du pacifique occidental)[1]

ـ أصبح أستاذًا في جامعة لندن ابتداء من سنة 1927 ، سافر إلى أمريكا ، وانضم إلى أعضاء هيئة التدريس في جامعة كالفورنيا (1926).

ـ أقام في الفترة ما بين 1916 و1922 في جزر Trobriand [2] في المحيط الهادي ، وخلال إقامته في هذه الجزر كان يلاحظ عن كثب العلاقات الاجتماعية بين الأهالي ، فانكب على دراسة نظام العادات، والتقاليد، والأعراف، والطقوس الدينية التي كان الأهالي يمارسونها، ووصف الأنساق التواصلية التي كانوا يستخدمونها لهذا الغرض.[3]

تمسك مالينوفسكي بفكرة سياق الموقف، عندما اعترضته صعوبات جمة في ترجمة بعض المفردات، والجمل من النصوص المحلية التي أنجزها السكان الأصليون في جزر Trobriand شرقي غينيا الجديدة، ونقلها إلى اللغة الإنجليزية ، فانصرف ذهنه إلى دور سياق الموقف في فهم دلالة المفردات الغريبة.

كان مالينوفسكي يرى أنَّ اللغة أوسع بكثير من المعيار، ولذلك فإنَّ " اللغة لا يجوز أنْ تتخذ معيارًا، لأنَّ المعيار مقتصر على أداء مهمة محدودة في اللغة، ولأنَّ اللغة في الأصل ليست مرآة تعكس الأفكار، إنَّما هي أنواع من السلوك ".[4]

وانطلاقًا من هذا التصور نظر مالينوفسكي إلى اللغة على أنَّها " أداة تواصل ضمن نشاط إنساني متعارف

1-Voir: Alfred Metraux: Bronislaw Malinowsky ,in journal de la societe des oceanistes . Tome 2, 1946. PP215-217.

(2) ـ Trobriand : أرخبيل من الجزر يقع شرق غينيا الجديدة في المحيط الهادي .

(3)ـ لمزيد من المعلومات ينظر :

- Benoît de L'Estoile, « L'anthropologue face au monde moderne. Malinowski et "la rationalisation de l'anthropologie et de l'administration" », *Genèses. Sciences sociales et histoire*, 1994, n° 1, p. 140-163.
- Bertrand Pulman, « Malinowski et l'ignorance de la paternité », *Revue française de sociologie*, 2002, n° 4, p. 739-763.

(4)ـ فرانك بالمر، مدخل إلى علم الدلالة ، ترجمة خالد محمود جمعة ، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع ، الكويت الطبعة الأولى 1997.ص 96.

عليه ، فهي ضرب من النشاط وليست أداة تفكير (...) ، وما الكلمات إلا أدوات ولا يكمن معنى الأداة إلا في استعمالها ".[1]

فيرث مؤسس النظرية الدلالية السياقية:

يرتبط السياق المقامي باسم عالم الأنثروبولوجيا البولوني مالينوفسكي المذكور سالفًا واللساني الإنجليزي فيرث ، لمحاولة كل منهما فهم الدلالة من وجهة نظره الخاصة اعتمادًا على السياق.[2]

ج.ر. فيرث John Rupert Firth (1890 ـ 1960): لساني إنجليزي مؤسس النظرية الدلالية السياقية، حصل على شهادة الليسانس في التاريخ من جامعة Leeds سنة 1911. وبعدها حصل على الماجستير (1913) في التخصص نفسه.

شغل منصب أستاذ في التاريخ في جامعة Leeds . وأدى الخدمة العسكرية ضمن القوات البريطانية في إفريقيا خلال الحرب العالمية الأولى، ثم انتقل بعد ذلك إلى الهند ليشتغل هناك لصالح Indian Education Service، ثم أصبح أستاذ اللغة الإنجليزية في البنجاب (Penjab) من 1920 إلى 1927 ، تعلم خلال إقامته في الهند بعض اللغات الشرقية ، وأفاد كثيرًا من الدراسات اللغوية الهندية.[3]

عاد إلى لندن وعُين أستاذًا محاضرًا في قسم الصوتيات في جامعة لندن من 1928 إلى 1938. ثم انضم إلى أعضاء هيئة التدريس بمدرسة الدراسات الشرقية والإفريقية في لندن ابتداء من سنة 1938، ترأس قسم اللسانيات والصوتيات 1941، ثم عُين بعد ذلك أستاذ كرسي اللسانيات العامة، وهو أول كرسي في الجامعة البريطانية في هذا التخصص كان ذلك سنة 1944، ظل يشغل هذا المنصب إلى أنْ تقاعد سنة 1956.[4]

1- Malniwiky (1932) P312. .177 أورده أحمد مومن، المرجع المذكور سابقًا ، ص

(2) ـ ينظر فرانك بالمر، المرجع المذكور سابقًا ، ص 96.

3 - Voir : Corpus de texts linguistiques fondamentaux.Selected papers of .J.R.Firth 1952- 1959.

4 - IBID

كانت اهتمامات فيرث متعددة :

1 ـ اهتمامات تاريخية (تاريخ اللسانيات).

2 ـ اهتمامات صوتية (الدراسات الصوتية فوق مقطعية (Phonologie prosodique).

3 ـ اهتمامات دلالية (وضع أسس النظرية الدلالية السياقية).

يمكن لنا أنْ نشير منذ البدء إلى أنَّ العمل العلمي المكثف الذي قام به فيرث في مجال الدلالة كان في حقيقة أمره رد فعل قوي تجاه المدرسة اللسانية السلوكية ، تلك المدرسة التي كان يتزعمها بلومفيلد والتي أقصت المعنى من الوصف اللساني ، وأبعدته نهائيًا عن اهتماماتها العلمية .

ارتكزت إنجازات فيرث العلمية بالخصوص على جانبين :

1 ـ الجانب الصوتي ، إذْ كان يقتفي أثر أسلافه ليتعامل مع ذلك الإرث الذي تركه علماء اللغة الإنجليز .

2 ـ الجانب الدلالي ؛ لأنَّ هذا الجانب كان مُغَيَّبًا في الدراسات اللسانية الوصفية، ولم ينل حظه الأوفر كالجانب الصوتي والجانب التركيبي .

أ ـ الجانب الصوتي :

يميز فيرث بين مستويين تتبدى فيهما وظائف الصوت في النسق اللساني :

المستوى الأول : مستوى الوحدات الصوتية الوظيفية (**Unités phonématiques**)، وهي :

1 ـ الصوامت.

2 ـ الصوائت.

3 ـ المقاطع الصوتية .

المستوى الثاني : مستوى الوحدات الصوتية فوق مقطعية وهي : النبر والتنغيم ... أي أنَّ هذا المستوى خارج عن النسق المقطعي ، فهو يختلف من حالة خطابية إلى أخرى ، حسب الأداء النطقي السمعي للسان معين .

يرى بعضهم أنَّ أكثر الجوانب تميزًا في أعمال فيرث اللغوية هي الفونولوجيا الفوق مقطعية (Prosodic Phonology/ Phonologie prosodique)، عُرض مشروع الدراسات الصوتية الفوق مقطعية أول مرة سنة 1948 بالاعتماد على تطبيقات عملية على لغات مختلفة .[1]

كان هذا التحول في الدراسات الصوتية الوظيفية نتيجة علمية من نتائج الدراسات اللسانية الوصفية التي تعتمد على المعاينة المباشرة للحدث اللغوي، وهو الأمر الذي جعل بعضهم يعدها من مبتكرات المدرسة الإنجليزية، ويجعلها امتدادًا لجهود علماء الأصوات الإنجليز السابقين .

ب ـ الجانب الدلالي :

ما يتميز به فيرث أنَّه تعامل مع اللغة بنظرة أحادية من حيث هي بنية كلية شمولية غير مجزأة إلى ثنائيات تقابلية، كما ورد في المبادئ النظرية التي جاء بها دي سوسير.[2]

كان فيرث في هذا السياق يتبنى النزعة الكلية، وقد صرح بذلك بقوله: "بما أنَّنا نعرف القليل عن العقل ودراستنا هي دراسة اجتماعية في جوهرها، فسوف أكف عن احترام ثنائية الجسم والعقل والتفكير والكلام، وأكون راضيًا بالإنسان من حيث هو كل يفكر ويتصرف وسط رفقائه بوصفه وحدة شاملة ". [3]

يرى فيرث أنَّ اللغة نشاط يمارسه أفراد المجتمع اللغوي في سياق ثقافي معين ، لذلك انصرفت جهوده إلى وضع أرضية معرفية لتأسيس نظرية دلالية ترتكز على السياق في إيجاد التفسير الكافي للتراكيب، والخطابات اللغوية التي ينجزها المتكلم في إطار التواصل بين أفراد المجتمع اللغوي الذي ينتمي إليه، فالمعنى في نظر فيرث هو الوظيفة في السياق.[4]

---

1 - Voir: Firth Sounds and prosodies1948 . 352 أورده روبنز، المرجع المذكور سابقًا، ص

(2) ـ ينظر أحمد مومن، المرجع المذكور سابقًا، ص 174.

3 - John Firth: Papers in linguistics .London , Oxford university Press,1957.P19

أورده أحمد مومن، المرجع المذكور سابقًا، ص 173.

(4) ـ ينظر روبنز ، المرجع المذكور سابقًا، ص 349.

يتفق فيرث مع مالينوفسكي في أنَّ وصفَ اللغةِ لا يكتمل ما لم يكن معتمدًا على السياق المقامي الذي يرد فيه الخطاب، لأنَّهما كانا يعتقدان أنَّ الدلالة الحقيقية للأشكال اللغوية لا تتحقق إلا في السياق الذي يحتويها(1) ؛ لأنَّ السياق هو الذي يحدد القيمة الدلالية للخطاب ، فهو " الذي يفرض قيمة واحدة بعينها على الكلمة ، بالرغم من المعاني المتنوعة التي بوسعها أنْ تدل عليها ". (2)

كان فيرث يسعى جاهدًا إلى وضع علم للدلالة قائم بذاته في إطار إجراءات المنهج الوصفي ، وكان يصرح دائما بأنَّ " دراسة الدلالة هي المهمة الرئيسية للسانيات الوصفية". (3)

تبنى فيرث نظرية سياق الموقف التي طورها مالينوفسكي في حقل الدراسات الأنثروبولوجية، واستثمرها في دراسة الدلالة، من حيث هي مستوى من مستويات التحليل اللساني، معتمدًا في ذلك على مسلمة مفادها أنَّ المعنى لا يتحقق في الواقع الفعلي؛ أي لا يخرج من حيِّز الموجود بالقوة إلى حيز الموجود بالفعل إلا بالاستعمال في سياق موقفي معين.

لقد ارتبط اسم فيرث(Firth) بالنظرية الدلالية السياقية، فهو يرى أنَّ الميزة الجوهرية التي تتميز بها اللغة الإنسانية هي وظيفتها الاجتماعية ، وأنَّ إنتاج الملفوظات اللسانية يتم في إطار سياق الموقف الاجتماعي والثقافي، وبذلك يبرز المتكلم – المستمع للغته دوره وشخصيته في البيئة اللسانية المتجانسة التي ينتمي إليها. (4)

يرى فيرث أنَّ المعنى هو مجموعة مركبة من العلاقات السياقية، وعلى الدراسة الفونولوجية، والتركيبية، والمعجمية، والدلالية أنْ تعالج مكونات هذه المجموعة في إطار سياقها .

---

(1) ـ ينظر فرانك بالمر ، المرجع المذكور سابقًا ، ص 102.

(2)ـ فندريس : اللغة ، ترجمة الدواخلي والقصاص ، مكتبة الأنجلو مصرية 1950، ص 231.

3 - Firth (1957) .P19. أورده أحمد مومن ص 177

4 -John Lyons. Sémantique linguistique.P233.

وتأسيسًا على هذا المبدأ فإنَّ الدراسة الدلالية ـ في نظر فيرث ـ ينبغي لها أنْ تربط الملفوظات اللسانية بسياقها الموقفي الذي تنتج فيه بالفعل ، ولذلك فإنَّ عملية التحليل الدلالي تتم وفق سياقية منسقة من الأحداث بتداخل سياقات مختلفة ، تنتمي في مجموعها إلى سياق عام ينعت بالسياق الثقافي ، وهو الإطار العام الذي يحتوي المواقف اللسانية.[1]

إنَّ إبراز أهمية السياق الثقافي ، ههنا ، ترتد إلى أنَّ فيرث كان شغوفًا بالفكرة التي كانت سائدة في الأوساط اللسانية والأنثربولوجية التي تقر بوجود علاقة أساسية بين النسق اللساني وثقافة المجتمع المستعمل لذلك النسق ، وبذلك أصبحت الملفوظات اللسانية عسيرة التفسير إلا بردها إلى سياقها الثقافي .[2]

يتبين مما ذكر أنَّ التفسير الدلالي في ظل النظرية السياقية ، ينبنى مبدئيًا على حصر السياقات المختلفة التي يظهر فيها عادة العنصر اللساني بوصفه مدخلاً معجميًا غير ثابت يتغير بتغير المواقف ، والسياقات المختلفة التي يرد فيها ، سواء أكانت هذه السياقات لسانية أم غير لسانية .

وقد تزداد أهمية الفرضية السياقية حينما نلاحظ أنَّ التحول الدلالي للألفاظ يخضع خضوعًا ملحوظًا إلى ما يضفيه السياق عليها من دلالات ، قد تبعدها عن معناها التأثيلي (معناها الأصلي) ، إلا أنَّ ما هو جدير بأنْ يشار إليه ههنا هو أنَّ الفرضية السياقية ، قد تجازف حتمًا حينما تعوِّل على السياق دون سواه في التحليل الدلالي ، وذلك لأنَّ السياقات المختلفة يستحيل على الباحث حصرها ، وضبطها على نحو لايبقي ولايذر.

سادسًا:المدرسة الأمريكية:

تأسست هذه المدرسة في مرحلتها الجنينية انطلاقًا من الدراسات الأنثروبولوجية التي اهتمت بدراسة العناصر البشرية لقبائل الهنود الحمر ، واستكشاف خصائصها الثقافية ، وفي ظل هذا الاهتمام نشأت الدراسة اللسانية الوصفية على يد Boas ثم سابير، ثم تلاهما بلومفيلد بخاصة بعد إسقاط المفاهيم السلوكية على الدراسة اللسانية ، ثم تشومسكي في نظريته التوليدية والتحويلية ،سنتعرض إلى هذه المدرسة

1 - John Lyons. Sémantique linguistique,p 235.

2 - Ibid.p235.

في المبحثين : التركيبي والدلالي اللاحقين . [1]

خامسا:المقاربات اللسانية الخارجية:

إنَّ اللسانيات بوصفها علمًا موضوعه اللغة البشرية قد تتجاوز حقلها التقليدي ؛ وهو دراسة اللغة في ذاتها ومن أجل ذاتها، لتنتقل بيسر إلى حقول معرفية أخرى تشاركها في التعامل مع اللغة بأي كيفية من الكيفيات، ومن ثمة فهي تتقاطع معرفيًا ومنهجيًا مع معارف إنسانية متعددة ، نشأت عن هذا التقاطع فروع جديدة ، أضحت تُعرف في الثقافة اللسانية المعاصرة، بالفروع الخارجية للسانيات، وتكون اللغة القاسم المشترك بين هذه الفروع جميعها.

من هذه الفروع ما يأتي :

1. اللسانيات التطبيقية Linguistique appliqué / Applied Linguistics:

يتبدى الجانب التطبيقي للعلم في حالتين :

أ. وضع القوانين العلمية موضوع الاختبار والتجريب.

ب. استعمال تلك القوانين والنظريات في ميادين أخرى قصد الإفادة منها.

بناء على هذا التصور للتطبيق العلمي، كانت اللسانيات التطبيقيةـ في بداية نشأتهاـ استعمالاً فعليًا لمعطيات النظرية اللسانية، لتفعيل الإجراءات اللسانية التطبيقية الممكنة في الحقل التعليمي، من أجل ترقية تعليم اللغات للناطقين بها (اللغة الأم)، أو تعليم اللغات لغير الناطقين بها(اللغات الأجنبية). [2]

وفي هذا السياق ما فتئت اللسانيات النظرية تقدم الأدوات المعرفية والمنهجية لنظرية تعليم اللغات. يقول **كوردير**: "إنَّ بين أيدينا اليوم زادًا ضخمًا من المعارف المتعلقة بطبيعة الظاهرة اللغوية ، وبوظائفها لدى الفرد

(1) ـ ينظر الحاج صالح، المرجع المذكور سابقًا، 37 .

(2) ـ ينظر عبد السلام المسدي ، المرجع المذكور سابقًا ، ص50 ، وينظر مازن الوعر ، المرجع المذكور سابقًا ، ص23 .

والجماعة ، وبأنماط اكتساب الإنسان لها ، وعلى معلِّم اللغات أنْ يستنير بما تمده به اللسانيات من معارف علمية حول طبيعة الظاهرة اللغوية" (1) .

ولذلك فإنَّ الإفادة من النظرية اللسانية في مجال تعليم اللغات يؤدي إلى تقاطع منهجي بين اللسانيات العامة ، وعلم النفس التربوي من جهة ، وطرائق الأداء التعليمي من جهة أخرى.
وفي ظل هذه التوأمة المنهجية تحدد الإجراء التطبيقي للسانيات في حقل تعليم اللغة ، إذ إنه يتمحور حول مباحث تتعلق بثلاثة عناصر أولية :
"المتعلم – المعلم – المعرفة التعليمية". (2)

لقد تجاوزت اللسانيات التطبيقية الحقل التعليمي، وتوسع مجالها الإدراكي والإجرائي لاحقًا لتشمل حقولاً معرفية أخرى لم تكن من اهتماماتها في بدء نشأتها ، وهو الأمر الذي جعل اللسانيات التطبيقية تكتسب شرعية الانتماء إلى العلوم الإجرائية التي تهدف إلى تفعيل المعطيات النظرية واستثمارها وتوظيفها لترقية البحث اللساني التطبيقي في الواقع الفعلي للخبرة الإنسانية .

ومن هنا فإنَّ اللسانيات التطبيقية أضحت ممارسة عملية إجرائية للنتائج النظرية المحققة في اللسانيات العامة أثناء وصفها للظاهرة اللغوية، فهي، حينئذ، انتقال من الخطاب النظرى إلى الإجراء التطبيقي الوظيفي العملي من أجل إيجاد حلول لكثير من المشاكل التي تصادف الإنسان عندما يتعامل مع اللغة في أي ميدان من الميادين المعرفية والثقافية والحضارية بشكل عام ؛ لأنَّ " اللسانيات التطبيقية تبرر وجودها بالخدمات التي تقدمها". (3)

تتميز اللسانيات التطبيقية بالفاعلية والنفعية وسرعة التدخل :

(1) - كوردير ، مدخل إلى اللغويات التطبيقية ، ترجمة جمال صبري ، مجلة اللسان العربي ، مجلد 14 ، جزء1 ص64 ، الرباط 1976.

2 . Denis GIRARD: Linguistique appliquée et didactique des langues , p11.

3 - , R.Galisson et D. Coste : Dictionnaire de didactique des langues, librairie Hachette (1976) paris , p 40.

أ. **الفاعلية:** لأنَّ اللسانيات التطبيقية علم حضوري تقتضي الواقعية والتأثير المباشر في الموضوع الذي تتعامل معه بطريقة إيجابية، فتنحو به نحو التطور والتميز؛ معنى ذلك أنَّ نتائج اللسانيات التطبيقية هي نتائج علمية دقيقة من جهة، وعملية من جهة أخرى، وما كان ذلك إلا أنَّ اللسانيات التطبيقية تمتلك آليات التفعيل والإجراء التي تسمح لها بترقية طرائق التعامل مع اللغات انطلاقًا من اهتمامات الإنسان الراهنة.

ب. **النفعية :** لأنَّ اللسانيات التطبيقية ـ بحكم طبيعتها المتميزة ـ تقدم حلولاً عاجلة لكثير من المعضلات التي تشغل ذهن الإنسان في حياته العامة والخاصة، فالنتائج العلمية التي تحققها اللسانيات التطبيقية تعود على الإنسان بالنفع والفائدة لتعزيز علاقته باللغة من حيث هي وسيلة للتواصل على المستوى الاجتماعي، والثقافي، والإعلامي والاقتصادي ، والعلمي ، والتكنولوجي .

ج. **سرعة التدخل :** لماذا؟

1. لإيجاد إجابات علمية كافية لكثير من التساؤلات المثارة في سياق علاقة اللغات بالمعارف الإنسانية والعلوم الدقيقة والتكنولوجية .
2. لإيجاد حلول لكثير من المشاكل المعقدة التي تطرأ فجأة في الميادين التطبيقية للغات الإنسانية عندما تخترق مجالات علمية مختلفة لضرورة علمية أو ثقافية أو حضارية، يرى بعضهم أنَّ اللسانيات التطبيقية " علم تقوده المشكلة أكثر من كونه علمًا تقوده النظرية ". [1]
3. لتجاوز المعوقات التي تعترض سبيل الإنسان في تعامله مع اللغة في أي مستوى من مستويات متطلبات الحياة العلمية والفكرية.
4. لتذليل الصعوبات التي تصادف الباحثين في ميادين علمية دقيقة كميدان البرمجة الآلية للغات والحوسبة بوجه عام.
5. لتفعيل معطيات النظرية اللسانية العامة في الواقع ، لاختبارها وإضفاء المصداقية على وجودها العلمي، وإثرائها بمعطيات علمية جديدة تسهم في ترقيتها.
6. لتوفير آليات جديدة لترقية البحث العلمي في ميدان اللغات، بخاصة في ميدان التعليم والترجمة والبرمجة الآلية.

(1) ـ ميشيل ماكارثي، قضايا في علم اللغة التطبيقي ترجمة عبد الجواد توفيق محمود ، ط1 المجلس الأعلى للثقافة القاهرة 2005 ، ص 23.

استطاعت اللسانيات أنْ تتجاوز معوقات التأطير النظري بكل ثقله التاريخي والعلمي، وتنتقل الآن إلى فضاء أكثر فاعلية، وهو المجال التطبيقي الذي يعتمد على المرجعية النظرية للسانيات العامة، ويتجاوزها في الوقت نفسه، يعتمدها؛ لأنَّها المرتكز الأساس الذى يقدم الأدوات العلمية الكافية، ويتجاوزها لأنَّ للتطبيق نمطًا خاصًا من المفاهيم وآليات التحليل ، فالتطبيق في حقيقة أمره تفعيل البعد العلمي للسانيات في الواقع الفعلي للخبرة الإنسانية .

يتبدى التطبيق اللساني في حالتين اثنتين :

الحالة الأولى ، التطبيق الداخلي : ونقصد به أنَّ اللسانيات تتفاعل في ذاتها معرفيًا ومنهجيًا لإخضاع مستويات الظاهرة اللغوية للتطبيق عن طريق التجربة والاختبار، الأمر الذي أدى إلى نشأة علوم فرعية داخل اللسانيات نفسها منها :

علم الأصوات التطبيقي: هو دراسة تطبيقية تجريبية مخبرية للحدث اللساني بكل أبعاده الفيزيولوجية، والفيزيائية، والوظيفية ، ومحاولة استرفاد نتائج هذه الدراسة المخبرية في حل كثير من المعوقات التي تعوق العملية التلفظية على المستوى العضوي والنفسي من جهة، وعلى المستوى العيادي والتعليمي من جهة أخرى.

علم التركيب التطبيقي: يبحث هذا العلم في البنى التركيبية المشتركة بين اللغات الإنسانية معتمدًا على ما تحقق في البحث اللساني النظري، وبخاصة جهود المدرسة الوظيفية (مارتيني) والتوزيعية (بلومفيلد)، والتوليدية والتحويلية (تشومسكي)، ويسعى هذا العلم إلى وضع نمط تركيبي قياسي بين اللغات الإنسانية لتذليل الصعوبات التي تعترض المتكلم المتعدد اللغات، وكذلك تيسيرعملية الترجمة الآلية والفورية،والبرمجة الآلية للنصوص.

علم الدلالة التطبيقي: يبحث هذا العلم في حقيقة الوحدات الدالة، ويعمل على توفير آليات تفسير العلامات اللسانية وتأويلها، من أجل ترقية طرائق البحث في معالجة المفهوم، من حيث هو متصور ذهني لدى المعوقين ذهنيًا، وأصحاب العاهات العضوية والنفسية التي لها صلة باللغة . وفي هذا السبيل يلتقي علم الدلالة التطبيقي مع علم النفس العيادي، وقد ساعد هذا العلم أيضًا على تحسين طرائق الترجمة، والانتقال من لغة إلى أخرى.[1]

الحالة الثانية ، التطبيق الخارجى :

1- Voir ,Charles Bouton, La linguistique appliquée, 3 edi,PUF . Paris 1993.P15.

يُقصد بالتطبيق الخارجي للسانيات استثمار النتائج المحققة في اللسانيات لترقية البحث العلمي في حقل آخر من حقول المعرفة الإنسانية التي تشارك اللسانيات في التعامل مع اللغة بأي شكل من الأشكال. فاللسانيات التطبيقية تنحو هذا النحو من حيث كونها تقدم الدعم المرجعي النظري ، وتقدم في الوقت نفسه الأدوات الإجرائية التي يعتمدها المنهج العلمي في أي ميدان من ميادين الخبرة الإنسانية .

ومن ثمة فإنَّ اللسانيات التطبيقية إجراء تطبيقي يسعى إلى تفعيل معطيات النظرية اللسانية في الواقع الفعلي للغة من حيث هي ممارسة فردية ونشاط اجتماعي بنظرة موضوعية وظيفية براغماتية (نفعية).

ومما لاشك فيه أنَّ ميادين اللسانيات التطبيقية واسعة ومتعددة، وقد يصعب علينا تحديدها، ويعود ذلك إلى طبيعة اللغة الإنسانية التي لها حضور كثيف ومتسارع في شتى العلوم والمعارف، ولكن على الرغم من ذلك فإنَّ بعض الميادين قد تحددت معالمها وأصبحت قارة وثابتة في عرف الثقافة اللسانية المعاصرة.

أبرز ميادين اللسانيات التطبيقية:

1. ميدان تعلم اللغة وتعليمها (علاقة اللسانيات بتعليمية اللغات).
2. الميدان النفسي – العيادي (علم النفس اللساني والعيادي).
3. الميدان الاجتماعي – الثقافي – العرقي – الجغرافي للغة.
4. ميادين صناعة المعاجم (اللغوية والمتخصصة / الأحادية والمتعددة اللغات ، العادية والالكترونية) .
5. ميدان تحليل الخطاب بعامة والخطاب الأدبي خاصة.
6. ميدان الإعلام والاتصال.
7. ميدان البرمجة الآلية للغات (اللسانيات الحاسوبية).
8. ميدان الترجمة العادية والآلية.

أ - اللسانيات التطبيقية وتعليمية اللغات :

عندما نتأمل المسار الذي سلكته التعليميات Didactique ، بعامة وتعليميات اللغات بخاصة، ندرك لامحالة أنَّ سيرورة هذا المسار كانت تتعزز في كل محطة من محطاتها الفاعلة بروافد مرجعية لعلوم ومعارف

تلاقت وتقاطعت نظريًا وإجرائيًا ؛ لتشكل رؤية منهجية متكاملة تتبدى ملامحها في مرجعيتها النظرية التي تؤطرها ، وفي مفاهيمها واصطلاحاتها المتميزة ، وفي إجراءاتها التطبيقية.

1 .المثلث التعليمياتي (Triangle didactique):

أضحت الأقطاب الثلاثة المكونة للمثلث التعليمياتي مرتكزًا جوهريًا لتفعيل سيرورة الإجراء التحويلي للمعارف، وهي المعارف التي تشكل محطات عبور وارتقاء لتكتمل في مآلها الإدراكي والتحصيلي لدى المتعلم عندما تنتقل بيسر من المعارف المرجعية إلى المعارف التعليمية ، ولا يتحقق ذلك إلا بانسجام الأقطاب الثلاثة المكونة للمثلث التعليمياتي (الأستاذ، والطالب، والمعرفة).

عندما نُقْدِمُ على تحويل معرفة من المعارف، فإنَّنا في الوقت نفسه نكون قد اكتسبنا الأصل المرجعي لهذه المعرفة أوتلك ، وامتلكنا آليات تفعيلها لترتقي إلى مرتبة المعرفة العالمة،وهو الأمر الذي يهيئ السبيل للانتقال بيسر إلى المعرفة التعليمية بوصفها المآل والهدف .

إنَّ قدرات التحصيل لدى المتعلم تسمح له بتلقي المعرفة التعليمية ، وتحويلها إلى سلوك فعلي تتبدى ملامحه في العلاقات التواصلية ، وفي الخطاب المنجز في الوسط العلمي والثقافي والاجتماعي الذي يؤطر العملية التعليمية .

ومن ثمة فإنَّ الخطاب العلمي الذي يؤطر العملية التعليمية قد يتداخل أحيانًا مع الخطاب التعليمي،بوصفه الوسيلة والموضوع في الإجراء البيداغوجي(التربوي)، وهو الأمر الذي يجعل المثلث التعليمياتي يخضع للمرجعية العلمية المهيمنة في سياق تعليمي معين.

يقتضي إنتاج الخطاب التعليمي بالضرورة توافر أطر علمية وثقافية فاعلة، لأنَّ النسق التعليمي من حيث هو مؤسسة هادفة يرتكز على المعطيات النظرية والمنهجية المستنبطة من الخطاب العلمي الذي تنتجه ثقافة من الثقافات.

إنَّ التمسك بمصطلح المثلث التعليمياتي هو محاولة لتحديد موضوع التعليميات وتفردها ، فهو يمثل العلاقة بين الأستاذ والطالب والمعرفة، وهذا التمثيل أساسي لغرض مقابلته بالتتابع الخطي من صنف :

الأستاذ ←—— الطالب. الذي كان سائدًا في التقليد التعليمي/التعلمي القديم .

2 ـ التحويل(النقل) التعليمياتي Transposition didactique / didactic transposition :

أصبح مفهوم التحويل التعليمياتي مفهومًا شائعًا ذا استعمال واسع في العلوم التي تهتم بالتربية والتعليم بعامة، وتعليميات المواد بخاصة ، فهو مصطلح مهاجر، إذ نشأ في مرحلته الجنينية في أحضان العلوم الاجتماعية، ثم انتقل إلى الرياضيات، ثم أخذ مسلكه وانتقل إلى تخصصات أخرى، فإذا هو الآن المصطلح المهيمن والطاغي على ما سواه من المصطلحات الأخرى في الثقافة التعليمياتية الراهنة، حتى أوشك أنْ يكون هو إياها، فحضوره في ميادين البحث النظري ومؤسسات التكوين أضحى اضطرارًا لايمارى فيه ولايرد.[1]

تعد العملية التعليمية في حد ذاتها تحويلاً دائمًا ومستمرًا للمعارف والعلوم في نطاقها المرجعي، لأنَّ التعليم لا يعدو أنْ يكونَ اختزالاً لأعمال العلماء ونتائجهم التي حققوها في حقول معرفية مختلفة، ويكون هذا الاختزال واضحًا خاصة في مرحلة ما قبل الجامعة، فالتحويل يقتضي التدرج الذي يراعي القدرات العقلية لدى المتعلم حسب الفترات الحاسمة في نموه الزمني والعقلي.

بيد أنَّ الاختزال لايعني تشويه المعرفة واقتطاعها من هدفها الذي وجدت من أجله ، بل لابد من الحفاظ على الخصوصيات العلمية لهذه المعرفة ، والحرص على تيسير تحويلها وإدراكها، باسترفاد جميع الوسائل المتاحة لترقية العملية التعليمية.

أ. التحويل التعليمياتي عندMichel Verret :

1 - Voir: André Petit Jean, La transposition didactique en Français. Pratiques, N97-98.Juin 1998. P7.

يُجْمِعُ جميع المتتبعين لنشأة مصطلح التحويل التعليمياتي وتطوره على أنَّ الاستعمال الأول لهذا المفهوم كان على يد العالم الاجتماعيMichel Verret ، في ميدان الدراسات الاجتماعية ، إذ ما فتئ يؤكد أنَّ الإجراء التعليمي لموضوع معرفي معين يستلزم بالضرورة القيام بكل التعديلات الممكنة التي تقتضيها عملية الانتقال والتحويل ؛ أي نقل الموضوع من بيئته المعرفية التي نشأ في رحابها وهو جنين، إلى البيئة المستقبلة التي هي الحقل الخصب لاستنبات هذا الموضوع ، واستثماره إجرائيًا في الوسط التعليمي الذي هو الهدف والمآل.[1]

إذا أردنا أنْ نستثمر بيسر هذه النظرية لابد لنا من القيام بالإجراءات الآتية .

ـ تحديد الإطار المرجعي لهذه النظرية.

ـ اختزال مضامينها العلمية.

ـ تيسير مصطلحاتها المفتاحية.

ـ تحويلها إلى معرفة مهيأة للتعليم .

ـ ضبط مجال انزياحها المفترض وتحديد مسافاتها التعليمياتية:

أ ـ الانزياح من المعرفة العالمة (النظرية العلمية) إلى المعرفة المهيأة للتعليم (المقيدة في البرامج والوثائق التعليمية الرسمية).

ب ـ الانزياح من المعرفة المهيأة للتعليم إلى المعرفة المدرسة بالفعل (المنجزة في حالة تعليم، في زمان ومكان التعلم) .

ج ـ المسافة بين المعرفة المدرسة بالفعل والمعرفة المكتسبة لدى المتعلمين .

---

1 - Voir, Terrisse André et Leziart. Y (1997) :L'émergence d'une notion : La transposition didactique .Entretiens avec Michel Verret, les sciences de l’éducation, n°3/1997, P7

عود على بدء، نقول إنَّ حرص Michel Verret في مرحلة تأسيس المصطلحات والمفاهيم التعليمياتية، كان منصبًا على التحويلات الاضطرارية التي نخضع خضوعًا إلزاميًا لسلطتها ؛ لأنَّنا نلجأ إليها قسرًا وليس اختيارًا، وما كان ذلك كذلك إلا لأنَّ أي إقدام على القيام بإجراء تطبيقي على المعرفة العالمة لأغراض تعليمية يلزم بضرورة إخضاع هذه المعرفة لتعديلات معللة ، فهي ليست تعديلات جزافية أو اعتباطية ، لأنَّها من طبيعة المعرفة نفسها ، إذ هي وجه آخر من تمظهراتها العلمية .

ما يمكن لنا الإيماءة إليه ههنا هو أنَّ التحويل التعليمياتي قد تنشأ عنه مسافات حتمية تشكل مجالات إدراكية تربط بين محطات التحويل:

المعرفة المرجعية ← المعرفة المهيأة للتعليم.

المعرفة المهيأة للتعليم ← المعرفة المدرسة بالفعل . (1)

قد نستخلص من وجهة نظر Verret حول الانتقال من معرفة إلى أخرى القضايا الآتية :

1ـ يتجسد استثمار المعارف ، في ضوء نزعة تقسيم العمل ، بإجراءات تطبيقية عملية مختلفة :

ـ إجراءات تتعلق بالابتكار ، والاختراع أو الإبداع (إنتاج المعرفة المرجعية).

ـ إجراءات تتعلق بتوظيف هذه المعارف في الواقع .

ـ إجراءات تتعلق بنقل المعرفة وتحويلها في مسار تمظهرها العلمي والتعليمياتي.

ترتد هذه الإجراءات كلّها إلى مرجعية مشتركة ، وعلى الرغم من اختلافها ، وتعددها فإنَّها تسمح بتنظيم المعرفة ، فالمعرفة المستخدمة في السياق التعليمي تختلف عن المعرفة في سياقها العلمي المحض.

2 ـ تتبدى الموضوعات المعرفية في حالتين اثنتين:

أ ـ حالة الاشتراك المرجعي والتعميم النظري (إطار مرجعي مشترك).

1 ¯ Voir:Michel Verret,(1975): Le temps des études , 2 volumes , Paris , Honoré Champion.P140.

ب ـ حالة التخصيص والتمييز (كل إجراء على حدة له خصائصه المميزة).

ومن ههنا فإنَّ الاشتراك المرجعي يجعل المعارف تنتظم وتتشكل في شبكة تسلسلية :

الابتكار أو الإبداع المعرفي ← التمظهر العلمي ← التمظهر التعليمياتي ← الإنجاز .

3 ـ يقترن استثمار المعرفة وتطبيقها بثلاث مجموعات من الضوابط والتحديدات:

المجموعة الأولى : تخص المعرفة نفسها : من حيث تركيبها وتعقيدها ، علاقتها بالإجراءات الابتكارية ، طريقة إدماجها في النصوص والمدونات العلمية الكبرى في حقل علمي معين.

المجموعة الثانية : تخص متلقي المعرفة : عمر المتلقي ، وضعياته التعليمية ، إدراكه المعرفي ، مساره التعليمي ، إنجازه العملي .

المجوعة الثالثة : تخص السياق المؤسساتي : وضعية المعلم ، مهارته في تبليغ المعارف ، الرتابة ، التطور والاستمرارية ، مرتكزات البرمجة والتحويل في الوسط التعليمي.

4 ـ هناك ضوابط إجرائية لابد من التمسك بها لتحويل المعرفة تحويلاً كاملاً وهادفًا ، منها:

أ ـ إخراج المعرفة من الإطار النظري (المرجعي) ؛ أي اقتطاعها من سياقها الأصلي والانتقال بها إلى سياق تطبيقي آخر.

ب ـ عزل المعرفة عن انتمائها الشخصي ؛ أي إبعادها عن مبتكرها الأول ، وإدماجها في انتماءات أكثر شمولية واتساعًا .

ج ـ برمجة المعرفة ، وتنظيمها في وحدات تعليمية مرتبة ترتيبًا تطوريًا ، يراعى فيه قدرات المتعلم ، وكفايته في اكتساب المعارف والمهارات .

د ـ نشر المعرفة وترويجها في الوسط الاجتماعي ، والثقافي الذي يكوِّن الحوالية الطبيعية للعملية التعليمية .

تسمح لنا هذه الإجراءات بالتمييز بين المعرفة القابلة للتحويل ، والمعرفة التي يعسر تحويلها.

وفي كل الأحوال فإنَّ هذه الخصائص التي أومأنا إليها ليست بسلبية، بل هي عوامل فاعلة، وجوهرية في نجاح عملية التحويل ؛ لأنَّ المعرفة التي تُنتقى باعتماد المعطيات النظرية للتعليمية تحفظ المتعلم من كل الانزلاقات ، وتؤمن له جميع المسالك للوصول إلى الغايات والأهداف المرجوة، وتحميه من أخطاء الأبحاث المضللة والمغالطة، وتحد من عشوائيته حتى لايتبدد جهده ، ويضيع في المتاهات الغامضة حينًا، والمخيفة أحيانًا أخرى التي تحيط بالموضوع المعرفي، سواء أكان ذلك يتعلق بنشأته المرجعية الأولى أم بمآله التعليمي. (1)

ب . التحويل التعليمياتي عند Chevallard Yves :

لقد انتقل مصطلح التحويل التعليمياتي إلى الرياضيات بعد أنْ اطلع علماء هذا الحقل العلمي الدقيق على الأعمال النظرية، والتطبيقية في علم الاجتماع التي أنجزها Michel Verret واستثمروها في ترقية الإجراء التحويلي في الرياضيات، وتعميمه في معالجة الصعوبات التي تعترض سبيل تحويل الرياضيات بمنطقها التجريدي إلى معرفة تعليمية.

في ضوء هذا التأثير والتأثر يضطلع Chevallard عالم الرياضيات بتأسيس الأرضية لنشأة تعليمية المواد (المعارف المنتظمة) حيث كل مادة مقصودة للتعلم تقتضي تعليمية خاصة تتميز بتميز موضوع الدراسة الذي يتحدد في مجال الانتقال من النظريات المرجعية إلى المعارف التعليمية.

لقد انبرى Chevallard يحدد بدقة، منذ البدء حقل التعليميات بوصفها تخصصًا علميًا فاستبدل الثنائية معلم/متعلم المؤطرة تربويًا (التصور الثنائي للعملية التربوية) باصطناع مخطط ثلاثي (النسق التعليمياتي) يتشكل من ثلاثة أقطاب المعلم، المتعلم، المعرفة.

---

1 . Voir, Jean Paul Bronckart, Itziar Plazaola Giger : La transposition didactique .Histoire et perspectives d'une problématique. Pratiques, n°97 - 98 juin1998 P36.

النسق التعليمياتي هو حينئذ تكوين يظهر في كل سنة ابتداء من شهر سبتمبر. يتمركز هذا التكوين حول معرفة محددة بكل دقة ووضوح في البرنامج التعليمي. وتتعزز هذه المعرفة بوجود عقد تعليمياتي يعقد لتحقيق مشروع تعلمي / تعليمي ، وتجسيده في الواقع بمساهمة الطرفين المعنيين المعلم والمتعلم.[1]

يعرف Chevallard التحويل التعليمياتي " بأنّه الانتقال من المعرفة العالمة أو المرجعية إلى المعرفة التعليمية.[2]

قد تتحرر المعارف المرجعية من ضوابط المؤسسة العلمية التي تنتمي إليها عندما تدرج ضمن مسار تعليمي اختزالي ، فتكتسب في هذا السياق التمدرس الجديد ضوابط أخرى يقتضيها النسق الهدف (Système cible) لم تكن مألوفة في النسق المصدر(Système source)

لتحقيق هذه الأغراض التي أومأنا إليها سالفًا لابد من الالتزام بالقضايا الآتية:

1. العزل السياقي : إخراج المحتوى المعرفي أو المفهوم المراد تعليمه من نطاقه المرجعي أو العلم الأصيل.

2. الإدماج السياقي : إدخال المحتوى المعرفي أو سلسلة المفاهيم ، والتصورات الإدراكية في السياق الهدف، (Contexte cible)وهو السياق التعليمي.

3. التجريد: يقصد بالتجريد ههنا أنَّ المفهوم المقصود تعليمه ، سواء أحافظ على حده الأصلي أم لم يحافظ ، سوف لايظل مرتبطًا بمنتجه ، أو ميدانه العلمي المحض.

4. البرمجة : يوضع المفهوم المراد تعليمه في شبكة تلاحمية تشكل بنية متكاملة من المفاهيم ، وجدت لغرض تعليمي / تعلمي مفترض حدد مجاله الإدراكي سلفًا .

---

1. Chevallard.Y :(1985) La transposition didactique. Du savoir savant au savoir enseigné, Grenoble, La pensée sauvage (Réédition augmentée en 1991) P22

2 - Ibid ,p18

5 ـ الإشهار والترويج : تُعيَّن المعارف التعليمية، وتُحدَّد بنص رسمي تشرف على نشره مؤسسة النسق التعليمي، وتسهر على إلزامية تطبيقه ، وتعقب مساره الإجرائي وضبط أهدافه، وحصر معوقاته .

6 ـ المراقبة : تتم مراقبة تحويل المعرفة باستخدام إجراءات تسمح بتزكية المعارف المكتسبة وتمنح شهادات بشأنها .

يجدر بنا في هذا السبيل الذي نحن بشأنه أنْ نميز بين نوعين من التحويل التعليمياتي :

1ـ التحويل الخارجي: يمثله المؤلفون، وواضعوا البرامج، وكتاب المقالات والنشريات التعليمية والبيداغوجية(التربوية).

2 ـ التحويل الداخلي : يمثله الأستاذ والمعلمون الممارسون الفعليون للعملية التعليمية.(1)

تكتسب نظرية التحويل التعليمياتي، كما تَمَثَّلَهَا Chevallard ، قوتها من حيث كونها ذات مفاهيم واضحة المعالم ما فتئت تقدم الدعم المرجعي الإجرائي لتحليل مستويات مختلفة:

المستوى الأول: يتعلق بنظام المعارف وتبرير تجددها في الوسط التعليمي.

المستوى الثاني: يتعلق بفاعل التحويل ومنطق تدخله.

المستوى الثالث: يتعلق بنظام المواد التعليمية وغاياتها الثقافية والاجتماعية.

لقد أسهم العمل الذي قام به Chevallard وآخرون في إبراز التعليميات بوصفها تخصصًا علميًا ،ومن ثمة فإنَّ التحويل التعليمياتي يسمح بـ:

ـ تحديد الموضوعات وضبط مجالها الإدراكي.

ـ ترقية طرائق الاختيار.

---

1 - Voir: Petit Jean , OP , CIT p10

ـ تحليل المعرفة التعليمية (حسب التعاقب التاريخي والتأصيل المعرفي).

ـ تفعيل الخطاب في المؤسسة التعليمية (الخطاب العلمي ، الخطاب التعميمي البسيط ، الخطاب التكويني ، الخطاب التعليمي والبيداغوجي).

إذا قصدنا التعميم نستطيع أنْ نقول: إنَّ لفظ (تعليمياتي) وصف بشأن: حقل معين، أبحاث، موضوعات، طرائق، خطابات ...

نقول شكل تعليمياتي، نظام تعليمياتي، تحويل تعليمياتي، عقد تعليمياتي، خطاب تعليمياتي. يركز هذا الوصف على مرتكزات (مفاهيم وتمثلات معرفية) تسمح بتحديد نظرية علمية مرجعية معينة. (1)

بدأ مفهوم التحويل التعليمياتي يتحدد بدقة بفضل جهود Chevallard ، إذ أفرد حيزًا مهما في العنوان الفرعي : من المعرفة العالمة إلى المعرفة التعليمية ، من كتابه (1985) والذي أعاد نشره في سنة (1991)، وهو كتاب أنجز لترقية البحث في تعليمية الرياضيات، بالتحديد التحويلات الخاصة بنظريات علماء الرياضيات عندما تتحول إلى معارف مدرسية انطلاقًا من الوثائق التربوية، والبرامج التعليمية إلى الدرس الفعلي داخل القسم .

لقد أضحى هذا الكتاب مرجعًا متميزًا لتخصصات أخرى، فكان Chevallard يحرص حرصًا شديدًا على توسيع المجال الاستعمالي للتحويل التعليمياتي ليشمل المعارف التي تنعت عادة بالمعارف العالمة التي تتحول حتمًا إلى معارف تعليمية، مثل الرياضيات والعلوم الطبيعية، وكذا العلوم الإنسانية والاجتماعية. (2)

ويرى بعضهم أنّه يمكن لنا توسيع نظرية التحويل التعليمياتي لتشمل المعارف الخبيرة (Savoirs experts) ، ومن قبل وفي نفس هذا الاتجاه كان Martinand (1986) قد استخدم مصطلح

1 -Petit Jean , OP , CIT -p 14

2 - Voir, Philippe Perrenoud :La transposition didactique à partir de pratiques :Des savoirs aux compétences (Sciences de l'éducation)n°3 pp 487-514 Montréal 1998.

التطبيقات المرجعية، وشاع هذا المصطلح في الميدان التكنولوجي والإعلام الآلي، وانتقل إلى بعض التخصصات التطبيقية كاللسانيات والفنون والأعمال اليدوية والتربية البدنية والتكوين المهني .

وإذا أخذنا بعين الاعتبار هذا التوسيع يمكن لنا ، حينئذ ، اعتماد مصدرين للتحويل التعليمياتي:

أحدهما : المعارف العالمة والخبيرة .

والآخر: التطبيقات الاجتماعية .

منذ البدء كان Chevallard يحرص على جعل التحويل التعليمياتي أداة قاعدية لمشروعه التعليمي الهادف إلى جعل تعليمية الرياضيات علمًا قائمًا بذاته.[1]

يقتضي التحويل التعليمياتي في نظر Chevallard تحديد المسافة التي تفصل بين المجالين: المرجعي والتعليمي ، فهو الوسيلة الفاعلة التي تؤدي إلى القطيعة التي يجب أن تحدثها التعليميات لكي يتعين مجالها الخاص.[2]

عندما نتأمل وجهة نظر Chevallard نلاحظ أنَّ الكلمات المفتاحية المهيمنة هي (المسافة الإجبارية) و (القطيعة)، مما يؤكد أنَّ موضوع الدراسة في التعليميات هو: تحليل الانزياحات، أوكما يقول بعض الباحثين (Gilbert Arsac) هو: "دراسة القيود التي تضبط المعرفة التعليمية".[3]

يقول Michel Verret في هذا السياق " إنَّ تحضير الدرس هو بلا شك العمل من أجل التحويل التعليمياتي ، أو بالأحرى العمل في التحويل التعليمياتي نفسه ".[4]

---

1 - Jacob Daniel (1989) :Reformulation et transposition dans les manuel scientifiques .Les cahiers du CRELEF. N°28P11 .

2 . Voir:Chevallard Yves (1985) : OP , CIT p13.

3 - Terrisse André et Leziart Y (1997) , OP , CIT p 8.

4 - Michel Verret (1974) :Le temps des études ,Mémoire de soutenance de thèse,Université .Paris 5 p17.

يتبين لنا ، حينئذ ، أنَّ الانتقال من النظريات المرجعية (النظريات العلمية) إلى المعارف التعليمية يقتضي بالضرورة إجراء تغيير جذري في طبيعة هذه المعارف.

للانزياحات التعليمياتية مجالات ، منها:

أ ـ الانزياح بين النظريات المرجعية (المعارف العالمة) والمعارف المهيأة للتعليم.

ب ـ الانزياح بين المعارف المهيأة للتعليم والمعارف المدرسة بالفعل داخل القسم.

ج ـ الانزياح بين المعارف التي يقدمها الأساتذة والمعارف المكتسبة لدى المتعلمين . عندما نذكر ههنا هذا التعاقب من الانزياحات نكون قد حددنا بذلك المسافات بين المعارف لضبط المسار التعليمي الذي يستدعي إدراكًا خاصًا لخصوصية كل مسافة.

وقد يتحقق لدينا في ضوء هذا التصور للمسار التعليمي ، أنَّ التحويل التعليمياتي لا ينحصر فقط كما يبدو في الظاهر في المسافة بين المعارف المرجعية والمعارف المهيأة للتعليم التي تظهر في البرامج والوثائق البيداغوجية(التربوية) ، بل قد يتوسع مجاله التحليلي ليشمل مسافات أخرى تعد ضرورية لاكتمال العملية التعليمية لايمكن تجاهلها أبدًا ، وأعني بذلك المسافة بين المعارف المهيأة للتعليم ، كما يتصورها النسق التعليمي (المعارف المقيدة في الوثائق الرسمية)، والمعارف التي تمارس بالفعل داخل القسم من حيث هي دروس تقدم وفق خطة معينة محددة لها زمانها الذي يضبطها ، ولها أهدافها وغاياتها التي تحددها.

وقد لا يتوقف التحويل التعليمياتي عند هذا الحد ، بل يتجاوز ذلك بانصرافه إلى تحليل المسافة بين المعارف المدرسة بالفعل والمعارف المكتسبة لدى المتعلمين ، والوسيلة الوحيدة التي يعول عليها للتأكد من الانتقال السليم من مسافة إلى أخرى هو التقويم المستمر والهادف.

يرتكز التقويم على المهارات التي يكتسبها المتعلمون ، وردود أفعالهم إزاء المفاهيم التعليمية والتصورات التي كونوها بتفاعلهم المباشر مع المعرفة التعليمية ، فتنصرف الجهود إلى تكوين جملة من الانتقادات

وتحليلها بالأخذ بعين الاعتبار المسافة بين المعارف بتكثيف الملاحظات حول المعارف المكتسبة، والحرص على معاينة الأعمال المنجزة.(1)

يقر Chevallard (1989) منذ البدء بأنَّ المعرفة لا توجد في فراغ بمعزل عن المجتمع، فالمعرفة ضرورة اجتماعية، فهي إذ ذاك مرتبطة بزمان ومكان بعينه، وبنطاق اجتماعي يؤطرها، وبمؤسسة تسهر على تثمينها وتفعيلها في الوقت نفسه.

وقد يتضح ذلك أكثر بما يلي:

1ـ تنتمي كل معرفة إلى نظام معين.

2 ـ يمكن لكل عنصر من عناصر المعرفة أنْ يخترق نظامه ، وينتقل إلى نظام آخر ويكتسب ضوابط النسق الهدف.

3 ـ كل عنصر من عناصر المعرفة يقبل في ذاته التغيير والتعديل وإلا يتعذر وضعه في نظام آخر.

ومن ثمة فإنَّ للمعرفة مسارات ثلاثة :

1ـ مسار الإنتاج.

2 ـ مسار الاستخدام.

3 ـ مسار التعليم.

وهي مسارات تراتبية تكاملية، ويتم الانتقال من مسار إلى آخر عن طريق التحويل، ولذلك يمكن لنا أنْ نتحدث عن التحويل التعليمياتي عندما تكون المؤسسة أو النسق الهدف نسقًا تعليميًا .

1 - Voir :Claudine Garcia -- De banc: Transpositions didactiques et chaîne de reformulation des savoirs Pratiques n° 97-98 , juin 1998 pp136- 137

يمكن لنا القول حينئذ : إنَّ التعليميات(Didactique) هي دراسة نسقية للمواقف التي تشكل النطاق الذي يجعل شخصًا ما يعدل بإرادته علاقته بالمعارف عن طريق التحويل.

يرى بعضهم أنَّ دور نظرية التحويل التعلمياتي تنحصر في مقاربة المسائل الآتية:

1ـ إشكالية شرعية المعارف التعليمية ، كيف يمكن لنا إضفاء الشرعية على وجود المعارف التعليمية ؟ما المرجعية المؤهلة لذلك ؟

2 ـ ما مسافة التحويل بين المعرفة المرجعية والمعرفة التعليمية ؟

3 ـ نسقية العدول والانزياح المعرفي. هل الانزياح من المعرفة المرجعية إلى المعرفة التعليمية انزياح اضطراري تقتضيه المؤسسة التعليمية ؟ ما الضوابط التي يمكن وضعها لهذا الانزياح؟

وبناء على ذلك فإن المعارف، سواء أكانت مرجعية أم عالمة، فهي مؤهلة لأن تتحول إلى معارف تعليمية ، فكل عنصر معرفي قابل في ذاته لأنَّ يتحول إلى موضوع تعليمي ، ولكن ذلك لايتحقق إلا بضوابط كان Chevallard قد حددها (1985) باعتماد ما جاء به (Verret 1975) وهي:

1ـ اختزال المعرفة (تحديد المعارف الجزئية واختزالها للانتقال بيسر من الخطاب العلمي إلى الخطاب التعليمي).

2 ـ تجريد المعرفة.

3 ـ البرمجة والافتراض.

4 ـ نشر المعرفة وترويجها.

5 ـ المراقبة الاجتماعية للتعليم. [1]

---

(1)ـ لتعميق هذا الموضوع يمكن العودة إلى المراجع الآتية:

A - Y. Chevallard et M.Jullien (1989) : Sur l'enseignement des fractions au Collège .Publication de l'IREM d'Aix_Marséille, n°15.

إنَّ ما نطمح إليه هو إيجاد سبل التواصل بين العناصر الفاعلة في المؤسسة التعليمية بجميع مكوناتها لترسيخ مبدأ التعددية في الوسط التعليمي الذي تتعايش فيه لغات وثقافات مختلفة ؛ لإثراء الحصيلة المعرفية لدى المتعلم.

قد تطرح بعض الأسئلة في سياق تعميق البحث في موضوع دور المتعلم في اكتساب المعرفة ، تتعلق بتحديد دقيق للمجال الإدراكي التعليمي والتعلمي ، منها:

ـ ماذا نعني بتعلم اللغة ؟

ـ ماذا نعني باستعمالها؟

ـ ما العمليات الذهنية والإجرائية التي تتدخل في تعلم اللغة؟

ـ ماالشروط التي يجب توافرها ، وما الظروف والوسائل المساعدة التي تجعل المتعلم يكتسب اللغة ؟

إذا أردنا أنْ نجيب عن هذه الأسئلة فلابد لنا من اعتماد المسوغات الكافية التي تساعدنا في تحقيق ذلك، ومن أهم هذه المسوغات أنَّ اللغة ليست معطى سابقًا لعملية التعلم ، وإنما اللغة يكونها المتعلم نفسه برغبته الذاتية في اكتساب نظام لغوي معين ، يعني ذلك أنَّ نشاط المتعلم وتفاعله اللغوي الخاص ، يؤدي به إلى تكوين نظام من التمثلات الشخصية للغة الهدف.

ومن هذا المنطلق فإنَّ تعلم اللغة هو اكتساب قانون باطني للغة الهدف ينشأ تدريجيًا عن تمثلات مرحلية تطورية يكونها المتعلم ويتم تنظيمها في شكل نسق.

B _Y.Chevallard (1985) : La transposition didactique du savoir savant au savoir enseigné.éd:La Pensée Sauvage, Grenoble (1991, 2eme édition.)

C - Y.Chevallard: (1991) : Concepts fondamentaux de la didactique : perspectives apportées par une approche anthropologique, Recherches en didactique des Mathématique .Vol:12/1 pp73- 112 éd:La Pensée Sauvage, Grenoble.

ومن ثمة فإنَّ تعلم اللغة هو اكتساب المهارات اللازمة لاستخدامها ، بامتلاك عدد معين من الإجراءات والأساليب التلفظية ، وربطها بقوانين اللغة المضمرة . وانطلاقًا من هذا التصور فإن اللغة الأجنبية هي بالنسبة للمتعلم بناء جديد لنظام جديد ، يكون هذا البناء بسبيلين:

1. سبيل التعميم : إدراك السمات المشتركة بين العناصر اللسانية .

2. سبيل التمييز : إدراك الاختلافات بين العناصر اللسانية.

فالأخطاء التي تلاحظ عادة في بداية اكتساب نظام اللغة سببها الإفراط في التعميم ، أو التمييز ، أو هما معًا.

ومن أهم الإجراءات التي تحمي المتعلم من الانزلاق أثناء بنائه اللغة الهدف ما يلي:

1. الإعادة والتكرار (تعريف الجديد).

2. المقارنة (تقريب المعرف).

3. تكوين فرضيات حول المعنى أو الوظيفة ثم إخضاع هذه الفرضيات للتجربة والاختبار وتصويب ما يمكن تصويبه ثم حفظها.

وقد تتعزز هذه الإجراءات وتكتمل لتحقيق الأغراض المتوخاة بالإنجازات الآتية :

1. تفعيل المكتسبات اللغوية في الوسط اللغوي (لتأكيد الدلالة القصدية للأشكال اللغوية الجديدة).

2. اختبار المعطيات اللغوية الجديدة ، وفحصها من قبل المتعلم ، وعزل ما يمكن عزله بإدراجها في النسق اللغوي الجديد (الاستخدام الصوتي و المورفولوجي و التركيبي).

3. إخضاع المكتسبات اللغوية لتطبيقات فعلية بوساطة نشاطات تحولية في مواقف جديدة تسمح بتخزين التمثلات التي كونها المتعلم في مساره التعليمي .

يُكَوِّنُ المتعلم تمثلاته حول اللغة الهدف (نظرته الخاصة لقانون اللغة)، ولا يراعي عادة التعليم المنظم، وفي بعض الأحيان يكون عكسه تمامًا ، ويرتكز هذا النشاط التمثلي في الواقع على الملفوظات المنجزة

بالفعل داخل القسم في مواقف وسياقات مختلفة تثري العملية التلفظية وتعززها ، وقد يتجاوز هذا النشاط طاقة المواد اللغوية الموضوعة للتعليم.

تتمركز هذه الأسئلة الاستراتيجية عادة على ما يلي:

1ـ اللغة بوصفها موضوعًا للتعليم والتعلم : ما اللغة التي نتعلمها ؟ وما اللغة التي نعلمها ؟

2 ـ دور المتعلم في تكوين مهاراته : كيف نعلمه اللغة ؟ وكيف نعلمه استخدام اللغة؟

3 ـ دور الأستاذ في إنجاح العملية التعليمية : كيف يمكن له تيسير تعلم/تعليم لغة ما؟

4 ـ علاقة اللغة بالخطاب : أي شيء نعلمه ؟ وأي شيء نتعلمه؟ اللغة أم الخطاب؟

إنَّ أقل الناس خبرة بتعليمية اللغات يدرك لامحالة أنَّ الجانب الطاغي على ما سواه في تعليم اللغات هو الجانب التواصلي للغة ؛ أي التركيز على الوظيفة التواصلية دون غيرها من الوظائف الأخرى، فتستحيل الوظيفة التواصلية إلى هدف رئيس، أمَّا الأهداف الأخرى التي تتعلق بالمفاهيم العامة والعناصر الثقافية، فهي أهداف لاحقة ليست مقصودة لذاتها في تعليمية اللغات، فهي إذ ذاك غايات عرضية ليس إلا.

ومن ثمة فإنَّ التدريب على تلقي الملفوظات الشفوية وفهمها له نتائج عدة منها:

1ـ جعل المتعلم في ظروف وأسباب تسمح له بتكوين فرضيات انطلاقًا مما يسمع، الجمع بين معارفه الشكلية : (قواعد اللغة وأساليبها) ، ومعارفه المرجعية.

2 ـ مساعدته على امتلاك وظائف الخطاب بتكرارها باستمرار في خطابه داخل الوسط التعليمي في مرحلة التمدرس وخارجه لاحقًا.

ليست الغاية من تعليم اللغات هو استخدام قوانين وقواعد لسلسلة من العمليات التلفظية الشكلية بمراعاة عوارض مورفولوجية وتركيبية مقترنة بقيم ضمنية، بل الغاية هي الفعل التواصلي في حد ذاته، بوصفه عملية تلفظية ، تستدعي وجود آليات أسلوبية وتداولية.

وإذا توخينا التوضيح أكثر نقول إنَّ اكتساب المعايير اللغوية على المستوى المورفولوجي والتركيبي والمعجمي ليس بكاف لتحقيق التواصل، فلابد حينئذ من اكتساب مهارات العملية التلفظية في سياقها التداولي، وهي المهارات التي تساعد على استخدام مجموعة من المعلومات اللسانية ،والعادات اللغوية في سياقها التداولي المألوف وتنظيمها وفق مخطط عملي شخصي من أجل تحقيق الفعل التواصلي.

وما كان ذلك إلا أنَّ النسق اللساني، كما تؤكد ذلك النظرية اللسانية المعاصرة، يتكون من: أنظمة صغرى Micros -systèmes تتشكل من ملفوظات وليس من جمل، تنجز هذه الملفوظات في مواقف وسياقات تلفظية خاصة (زمان ومكان وقصد).[1]

ب ـ أثر اللسانيات التطبيقية في ترقية تعليم اللغات:

إنَّ أدنى تأمل في الحصيلة المعرفية للنظرية اللسانية المعاصرة تهدي إلى أنَّ هناك اهتمامًا ملحوظًا لدى جميع المنشغلين بتعليم اللغات، سواء أكان ذلك على مستوى المؤسسات التعليمية والبيداغوجية (التربوية)، أم كان على مستوى الأفراد الباحثين في هذا المجال، بما يمكن للسانيات النظرية أنْ تقدمه من تطبيقات وإجراءات عملية يمكن لها أنْ تسهم في تطوير طرائق تعليم اللغات، ولذلك لجأ كثير من المتخصصين في ميدان التعليمية إلى ما جاء به الباحثون في ميدان اللسانيات، واقتنعوا عن وعي علمي بأهمية الإفادة من النظرية اللسانية في ميدان تعليم اللغة، فظهرت في أوروبا وأمريكا مناهج كثيرة ترتكز أساسًا على المعطيات العلمية للبحث اللساني، فأدى هذا الاهتمام المشترك إلى ظهور اختصاصات مشتركة أيضًا في فترة لاحقة .

إنَّ المجال التطبيقي للسانيات هو صورة واقعية للبحث العلمي نفسه، إذ إنَّ وجود البحث العلمي النظري يقتضي بالضرورة وجود الجانب التطبيقي الذي هو تزكية منهجية للنتائج الحاصلة، وهي النتائج التي تطبق في الواقع لاختبارها وتدقيق معطياتها، واستثمارها والإفادة منها في ميدان آخر من ميادين المعرفة الإنسانية . ويمكن لهذا المبرر أنْ يكون كافيًا لوجود العلاقة المنهجية والبيداغوجية بين اللسانيات وتعليمية اللغات.

---

1 - Voir, Alain Jambin (I.A.I.P.R): Réflexion sur la didactique des langues, http://www.ac-toulouse.fr

تصبح التعليميات بناء على هذا التصور همزة وصل تجمع بين اهتمامات مختلفة، وتخصصات متنوعة؛ لأنَّ الميدان التطبيقي يقتضي المشاركة الفعالة لنفر غير قليل من الباحثين الذين لهم اختصاصات متباينة، وذلك لأنَّ تعليمية اللغات لا تهم الباحث اللساني فحسب، بل هي المجال المشترك الذي يجمع بين اللساني، والنفساني، والتربوي . وهذا دليل قاطع على الطابع الجماعي الذي يتميز به البحث التطبيقي، وهو الذي يضمن النتائج الإيجابية والحلول الناجعة.(1)

وقد توصلت الأبحاث اللسانية، والنفسانية، والتربوية على حد سواء إلى حقيقة مؤداها أنَّ الحواجز بين هذه الاهتمامات التي أشرنا إليها سالفًا هي حواجز وهمية لا وجود لها في الواقع الفعلي للظاهرة اللغوية في حد ذاتها، فهناك حقيقة ثابتة قد يغفل عنها هؤلاء جميعًا حينما يعمل كل واحد منهم بمعزل عن الآخر، وهي أنَّ بين البنى اللغوية الفطرية وبين طريقة اكتسابها علاقات قارة، وقوانين ضمنية لابد من اكتشافها وإعادة صياغتها صياغة علمية دقيقة .(2)

مما لا شك فيه هو أنَّ التعلم عملية ديناميكية قائمة أساسًا على ما يقدم للطالب من معلومات ومعارف، وعلى ما يقوم به الطالب نفسه من أجل اكتساب هذه المعارف وتعزيزها، ثم تحسينها باستمرار، ويجب الاهتمام أكثر بقابلية الطالب واستجابته للعملية التعليمية، إذ إنَّ تجربة الطالب هي الأساس في نجاح العملية التعليمية.

يمكن للدارس في هذا المقام أنْ يتساءل عن العوامل التي يمكن لها أنْ تحث الطالب وتدعوه إلى تعلم لغة معينة. كيف يمكن لنا أنْ نُكوِّن مجموعة العناصر اللسانية بشكل يناسب المعلم والمتعلم ؟ ما الأساليب والطرائق التربوية الناجعة ؟ وعلى أي مرتكز لساني نُعوِّل في تحقيق الغاية من العملية التعليمية؟.

هذه التساؤلات لابد من أخذها بعين الاعتبار ونحن نبحث عما يمكن أنْ تقدمه اللسانيات لتعليمية اللغات؛ لأنَّ تعليم اللغة ليس معناه أنْ نحشو ذاكرة المتعلم بقواعد ومعايير ثابتة للغة معينة، وإنما يجب أنْ

---

(1) ـ الحاج صالح ، أثر اللسانيات في النهوض بمستوى مدرسي اللغة العربية ، مجلة اللسانيات عدد 4 سنة1974 الجزائر، ص 24.

(2) ـ المرجع نفسه ، ص 25.

يكون هدفنا هو أنْ نجعله يشارك ويتفاعل إيجابيا مع برنامج المادة التعليمية، لأنَّ تعليم اللغة لا يهدف إلى وضع لائحة مفتوحة من الكلمات في ذهن المتعلم، ولكن إكسابه المهارات المناسبة ليسهم هو نفسه في ترقية العملية التعليمية وتحسينها. فالمعرفة ـ كما يقال ـ هي تكوين طرائق وأساليب وليست مختزن معلومات، فالمتعلم يزداد تعلمًا بفن التعلم، والمعلم هو صانع تقدمه .[1]

يمكن لنا أنْ نقول حينئذ: إنَّ اللسانيات من حيث إنَّها الدراسة العلمية الموضوعية للظاهرة اللغوية تصبح وسيلة معرفية ومنهجية ضرورية لتحديد المجال الإجرائي للعملية التعليمية، وذلك بتوضيح الغايات والأهداف التعليمية من جهة، وتذليل الصعوبات والعوائق من جهة أخرى؛ لأنَّه دون لجوء أستاذ اللغة إلى النظريات اللسانية المختلفة سوف يعسر عليه إدراك العملية التلفظية للغة عند المتكلم ـ المستمع، ويعسر عليه أيضًا تحديد العناصر اللسانية التي تكوِّن نظام اللغة المراد تعليمها، وذلك بالارتكاز على إسهامات النظرية اللسانية الأم في مجال وصف اللغة الإنسانية وتحليلها، وهو التحليل الذي يعمق معرفتنا باللغة البشرية.

للسانيات وظيفة مركزية في تحليل العملية التعليمية وترقيتها، ومن ثمة فإنَّ أستاذ اللغة يصطدم منهجيًا بمجموعة من التساؤلات العلمية والتعليمية، ودونها سوف يتعذر عليه إدراك حقيقة ما يعلم، ومن يعلم. ومن جملة هذه التساؤلات ما يلي:

1 ـ ماذا يُعلم ؟

2 ـ ما الحاجات التعليمية لدى المتعلم ؟

3 ـ أي نظرية لسانية يمكن له اعتمادها لتحقيق الأغراض البيداغوجية(التربوية) ؟

ولذلك فإنَّ تطبيق النظرية اللسانية في مجال تعليم اللغة دون الاهتمام بتحديد الحاجات البيداغوجية يسيء حتمًا إلى عملية التعلم، ولتفادي ذلك لابد من الفصل أولاً بين القواعد اللسانية العلمية، والقواعد اللسانية التربوية والتعليمية. وهذا يقتضي بالضرورة التمييز بين تعليم مسائل اللغة، وبين تعليم كيفية استعمال اللغة.

---

(1) ـ فاخر عاقل، التعلم ونظرياته، دار العلم للملايين، بيروت 1967. ص14.

يسعى أستاذ اللغة دائمًا إلى جعل القواعد التعليمية وسيلة مساعدة في انتقاء المادة التعليمية بالاستناد على ما تقدمه القواعد اللسانية ، ويكون هدف هذه القواعد بالدرجة الأولى تسهيل عملية تعليم الكيفية التي تستعمل وفقها اللغة داخل المجتمع.[1]

يعود نجاح أستاذ اللغة في ضبط الغايات التعليمية التي يسعى إلى تحقيقها أساسًا إلى قدراته الذاتية التي تُخَوِّلُ له الاضطلاع بمهمة تعليم لغة معينة ، ولذلك لابد من أنْ تتوافر فيه ثلاثة شروط:

1 ـ الكفاية اللغوية : يكون معلم اللغة قد امتلك بالفعل الكفاية اللغوية التي تسمح له باستعمال اللغة التي يراد تعليمها ويستعملها استعمالاً صحيحًا.

2 ـ الإلمام بمجال بحثه : يكون أستاذ اللغة على دراية بالتطور الحاصل في مجال البحث اللساني ، وذلك بالتعرف على ما توصلت إليه النظرية اللسانية في ميدان وصف اللغة وتحليلها.

3 ـ مهارة تعليم اللغة : ولا يتحقق ذلك إلا بالاعتماد على الشرطين المذكورين من جهة ، وبالممارسة الفعلية للعملية التعليمية ، والاطلاع على النتائج اللاحقة في مجال البحث اللساني والتربوي من جهة أخرى.[2]

وهذه الشروط الثلاثة ضرورية لنجاح العملية التعليمية التي ترتكز بالأساس على ثلاثة عناصر: المتعلم والأستاذ والوسيط(الطريقة والمعرفة التعليمية).

أ ـ المتعلم : يمتلك المتعلم قدرات وعادات ، واهتمامات ، فهو مهيأ سلفًا للانتباه والاستيعاب. فدور الأستاذ بالدرجة الأولى هو أنْ يحرص كل الحرص على التدعيم المستمر لاهتماماته وتعزيزها ليتم تقدمه وارتقاؤه الطبيعي الذي يقتضيه استعداده للتعلم .

ب ـ الأستاذ: هو أيضًا مهيأ للقيام بهذا العمل الشاق، وذلك عن طريق التكوين العلمي والتربوي الأولي ، وعن طريق التحسين المستمر الذي يجب أنْ ينحصر في التكوين اللساني والنفسي والتربوي ، بطريقة تجعل الأستاذ نفسه يقبل على تجديد معلوماته وتحسينها باستمرار لأن الأستاذ - كما يقال - كالمهندس

(1) ـ رمزية غريب ، التعلم دراسة نفسية ، تفسيرية ، توجيهية .القاهرة 1977 ، ص 13.

(2) ـ المرجع نفسه ، ص 15.

يجب أنْ يبذل جهدًا إضافيًا خاصًا يجعل معلوماته ومعارفه حاضرة حضورًا يوميًا في الميدان، ولا يتحقق ذلك إلا بالتكوين المستمر.[1]

ج ـ الوسيط : هي الوسيلة التواصلية والتبليغية في العملية التعليمية، لذلك فهي الإجراء العملي الذي يساعد على تحقيق الأهداف التربوية لعملية التعلم، ولذلك يجب أنْ تكون الطرائق التعليمية قابلة في ذاتها للتطور والارتقاء.

لا يكون معلم اللغة في غنى أبدًا عن الحصيلة المعرفية للنظرية اللسانية المعاصرة، لذلك فإنَّ اكتسابه هذه المعرفة سيسعفه على وضع تصور شامل لبنية النسق اللغوي الذي هو بشأن تعليمه، وستنعكس هذه المعرفة بالإيجاب على إدراكه العميق لحقيقة الظاهرة اللغوية، فيؤثر هذا كله في منهجية تعليم اللغة وفق الأرضية النظرية التي يوفرها تطور البحث اللساني الذي بإمكانه أنْ يقدم التفسير العلمي الكافي لكل المظاهر التي لها علاقة بتعليم اللغة وتعليمها.

إنَّ أي مسعى لتحسين الوضع التعليمي للغة العربية لا يستقيم له أمر إلا بالتركيز على العناصر الآتية:

أ : مؤهلات أستاذ اللغة العربية في الوسط التعليمي الأحادي اللغة و المتعدد اللغات:

1 ـ التأهيل العلمي والتربوي لأستاذ اللغة العربية .

2 ـ القدرة الذاتية على اختيار الطرائق والوسائل المساعدة ، واستثمارها استثمارًا جيدًا من أجل إنجاح العملية التعليمية .

3 ـ اندماج الأستاذ في الوسط التعليمي، والاحتكاك بأساتذة اللغات الأجنبية .

3 ـ ترقية مهارة الأستاذ في التحكم في آليات الخطاب التعليمي .

4 ـ ترقية خبرته عن طريق التحسين أو التكوين المستمر.

---

(1) ـ محمد وطاس، أهمية الوسائل التعليمية في عملية التعلم عامة والعربية للأجانب خاصة، المؤسسة الوطنية للكتاب 1988 الجزائر. ، ص20.

ب : الوضعية النفسية واللسانية للطالب في الوسط التعليمي الأحادي اللغة والمتعدد اللغات:

1 ـ معرفة قابلية المتعلم الذاتية في اكتساب المهارات والعادات اللغوية الخاصة بكل لغة من اللغات التي يتعلمها .

2 ـ تعزيز آلية المشاركة لدى المتعلم ، وتحسين علاقتها بالتحصيل والاكتساب .

3 ـ مراعاة الفروق الفردية (العضوية والنفسية والاجتماعية) في هذا الوسط المتميز بالتعددية اللغوية والثقافية ، ومعرفة مدى انعكاس هذه الفروق على المردود التربوي.

4 ـ تذليل الصعوبات والعوائق التي تعترض سبيل الأستاذ والطالب معا باستخدام الوسائل السمعية البصرية .

ج : الطرائق التربوية لتعليم اللغة العربية في الوسط الأحادي اللغة والمتعدد اللغات .

1 ـ البحث المستمر من أجل تطوير طرائق تعليم اللغات بعامة ، واللغة العربية بخاصة .

2 ـ استثمار النتائج والخبرات المتوافرة في ميدان اللسانيات التطبيقية وتعليمية اللغات .

3 ـ ترقية الخبرة التعليمية قصد النجاح في تحقيق الأهداف المتوخاة من تعليم اللغة العربية في الوسط المتعدد اللغات ، وإتقان استخدام الوسائل السمعية البصرية المساعدة .

4 ـ الاهتمام بوضع مقاييس قائمة على أسس علمية دقيقة لعملية تقويم المهارات والعادات اللغوية المكتسبة .

5 ـ مراعاة الخصائص المشتركة بين اللغات لاستثمارها في تسهيل عملية التحصيل اللغوي لدى الطالب .

أولاً : دعائم العملية التعليمية الناجحة:

تستدعي كل عملية تعليمية ، لتحقيق أهدافها الاستراتيجية نسقًا من الإجراءات المتكاملة ، منها :

1 **ـ التقويم** : معرفة مدى استيعاب الطلبة موضوعًا تعليميًا معينًا ، وما درجة النجاح والإخفاق في امتلاك آليات بنية لغوية ما ، واستخدامها وفق السياقات المختلفة التي تتواتر فيها عادة؟

الهدف من التقويم في تعليم اللغات هو: معرفة نجاعة العملية التعليمية بعناصرها المتكاملة: المعلم والطالب والمعرفة ، وقد يتوضح ذلك أكثر من خلال دفع المتعلمين إلى توظيف الحصيلة اللغوية واستثمارها في التعبير عن مواقف مختلفة ، القصد منها جعل المتعلم يمتلك الرصيد المعرفي الذي تعلمه ويستخدمه بنجاح للتعبير عن أغراضه الضرورية داخل المجتمع اللغوي .

2 ـ الأهداف: معرفة مدى تحقيق الأهداف والغايات الخاصة من تعليم بنية لغوية معينة ونعتمد في هذا العنصر على نتائج التقويم .

3 ـ التطبيقات: تساعدنا التطبيقات السريعة الآنية التي تتخلل العملية التعليمية على معرفة قدرة الاستيعاب لدى الطلبة ، ومدى اكتسابهم آليات الممارسة الفعلية للغة موضوع التعلم .

4 ـ الوسائل: هي فاعلية تتدخل لتسهيل التواصل التعليمي بين الأستاذ والطلبة ، وتكون مرتكزًا لتبسيط الدرس (نصوص مكتوبة ، حوارات ، تحقيقات).

5 ـ النماذج **:** هي المدونة النموذجية التي تنطلق منها العملية التعليمية .

ولا يمكن لهذه الجوانب أن تحقق أهدافها الإجرائية إلا بضبط العلاقة بين كيفية التعليم وكيفية التعلم. (1)

يمكن طرح الأسئلة الآتية في كل عملية تعليمية :

الأسئلة الأساسية للعملية التعليمية هي:

من ؟ (المتعلم).

ماذا ؟(المادة).

---

1 . Christian Purent: La didactique des langues _ cultures étrangères entre méthodologie Et didactologie. Les langues modernes Paris 1999, p31.

لماذا ؟(الأهداف).

بماذا ؟(الوسائل).

كيف؟(الطريقة)، كيف نعلم ؟ أو كيف نتعلم ؟

السؤال الأول (من ؟) : يتعلق بالجانب النفسي لدى المتعلم ، فلا بد من الاهتمام بنظرية التعلم ، ودراسة اكتساب اللغة عنده من الجوانب الآتية:

1ـ السلوك اللغوي.

2 ـ التعزيز.

3 ـ الحاجة التواصلية عند المتعلم .

ومن ثمة فلا محيص لنا من استرفاد الرصيد المعرفي لعلم النفس اللساني .

السؤال الثاني (ماذا) :يتعلق هذا السؤال بالمادة المراد تعليمها ، وههنا لابد من الإشارة إلى ضرورة إدراك العلاقة بين اللغة التي نعلمها والحمولة الثقافية والحضارية لتي تتضمنها هذه اللغة ، فلابد من أنْ نكون على وعي عميق بأهمية التميز بين منهجين اثنين شاعا في الدراسات اللسانية المعاصرة وهما : المنهج التاريخي (Diachronie / Diachrony) والمنهج الآني(Synchronie / Synchrony) .

السؤال الثالث(لماذا ؟) يتعلق هذا السؤال بالأهداف العامة والخاصة للعملية التعليمية.

السؤال الرابع (بماذا ؟) يتعلق هذا السؤال بالوسائل التي يمكن استخدامها في العملية التعليمية لتحقيق الأهداف .

السؤال الخامس (كيف ؟) يتعلق بالجانب التربوي والتعليمي المتميز في تعليم اللغة في الوسط المتعدد اللغات ، وهذا التميز يقتضي القيام بدراسة نظرية علمية للعلوم المساعدة للعملية التعليمية وامتلاك مرجعيتها النظرية وإجراءاتها التطبيقية.(1)

تعمل المؤسسة التعليمية الأحادية اللغة ، أو المتعددة اللغات ، على تنمية المهارات وترسيخ العادات اللغوية بترقية الطرائق التربوية ، واسترفاد الأساليب الحديثة المستخدمة عالميًا في تعليم اللغات " حيث لم يعد يجدي تدريس الطلاب بأساليب وطرائق قديمة لاتجذب اهتمام الطلبة، ولا تعمل على تنمية رصيدهم اللفظي، وتطوير مهارتهم اللغوية. هذا إذا لم نقل إنَّ بعض هذه الطرائق التعليمية القديمة قد يقلل من حماس الطلاب لتعلم اللغة فتضعف القدرة لديهم على اكتساب مفرداتها ، وصيغها الصحيحة ، وعندئذ يؤدي ذلك إلى النفور من دروس اللغة العربية."(2)

من سلبيات الطرائق القديمة :

1 ـ تعتمد على التلقين والتحفيظ.

2 ـ تعطل آليات التعبير والإبداع.

3 ـ تعول على المعلم وتغيب اهتمامات الطالب .

فهي من ههنا طرائق معوقة ، لأنَّها :

ـ تعتمد في تقديم الدروس على طرف واحد فقط هو الأستاذ .

ـ تؤدي إلى خلق حواجز نفسية بين الأستاذ والطالب.

---

1 - Denis Girard : Linguistique appliquée et didactique des langues. Paris Armand colin, 1972 p134

(2) ـ حسان عطوان، اللغة والتربية وسيلة تواصل وتطور حضاري ، مجلة التربية عدد120 (1997) ص 134.

ـ تحرم الطالب من حق المساهمة في تفعيل العملية التعليمية .

مميزات الطريقة الحديثة :

1 ـ تراعي الفروق الفردية : النفسية والاجتماعية والثقافية .

2 ـ تعطي أهمية للميول الفطرية .

3 ـ تقرب المعلومات المجردة عن طريق الوسائل الحسية .

4 ـ تراعي القدرات الفكرية للطلبة .

5 ـ تراعي الجانب التداولي للسان في الواقع الاجتماعي.

ثانيا : التكوين المثالي للأستاذ:

يعد الأستاذ أحد العناصر الأساسية في العملية التعليمية بعامة، وتعليمية اللغات بخاصة. وكل عمل إصلاحي هادف لا يأخذ بعين الاعتبار إصلاح وضعية الأستاذ يعد عملاً فاشلاً، ما لم يعاد النظر جذريًا في نظام تكوين الأستاذ وإعداده إعدادًا جيدًا (معرفيًا وتربويًا) فلا يمكن لنا تحديث طرائق تعليم اللغات.[1]

انطلاقًا مما أومأنا إليه فإنَّ وضع استراتيجية علمية وتعليمية هادفة لتكوين الأستاذ يعد من التحديات الكبرى التي تواجه المؤسسات التعليمية العربية التي ما انفكت تبحث عن أسهل السبل وأيسرها لترقية تعليم اللغات في الوسط التعليمي الأحادي اللغة والمتعدد اللغات على حد سواء .

ومن ههنا فإنَّ ترقية المستوى التكويني للأستاذ وتحسينه باستمرار يتطلب تنمية قدراته الشخصية، وتطوير مهاراته العلمية والمهنية، ولا يتحقق ذلك إلا بالحرص الشديد على تحسين إعداده وتكوينه قبل وأثناء الممارسة الفعلية لوظيفته عن طريق التكوين المستمر.[1]

---

(1) ـ ينظر صالحة سنقر، بعض الاتجاهات المعاصرة في مجال تدريب المعلمين في أثناء الخدمة ، اتحاد المعلمين العرب ، ندوة تدريب المعلمين أثناء الخدمة دمشق 1989 .

لقد تغير دور الأستاذ في ظل التحولات العلمية التي يشهدها العالم ، ونتيجة التطور التكنولوجي وتعدد قنوات الإعلام والمعلوماتية وإنتاج المعرفة ، فانتقل الأستاذ من موزع معلومات ، إلى مخطط ، ومنظم ، ومقوِّم للعملية التعليمية ، ومن ثمة إعداده للقيام بهذه المهمة يتطلب منهجًا علميًا يتميز بالكفاية وبالفاعلية .

وضع أحد المهتمين بتحسين ظروف التكوين المستمر لأستاذ اللغات ثلاثة معايير للأستاذ الجيد:

1 ـ أن يكون نموذجًا جيدًا .

2 ـ أن يكون حاكمًا جيدًا .

3 ـ أنْ يكون محترفًا.

ـ لكي يكون نموذجًا لابد من امتلاكه آليات اللغة التي يعلمها بجانبيها النطقي والمكتوب ، وأنْ يكون على دراية بالمجالات التطبيقية للغة موضوع التعليم .

ـ ولكي يكون حاكمًا لابد من أنْ يكون دقيقًا في التصويب اللغوي ، والدقة في إيجاد سبل الاتفاق والاختلاف بين الأنساق اللغوية المختلفة .

ـ ولكي يكون محترفًا لابد من أنْ يكون خبيرًا ، والخبرة تقتضي التكوين النظري المؤسس معرفيًا ومنهجيًا ، وتقتضي الممارسة الدائمة للعملية التعليمية.[2]

بات من الضروري ، حينئذ ، لتحقيق هذه الفاعلية العالية في الإعداد ، إنشاء مؤسسات مؤهلة ماديًا وعلميًا لتكوين الأستاذ الخبير في تعليمية اللغات ، وقد اهتمت المنظمة العالمية للتربية والثقافة

---

(1) ـ ينظر د ، رياض عارف الجبان ، إعداد وتدريب المعلم مجلة التربية عدد120 (1997) ص 108 .

2. Denis Girard : Linguistique appliquée et didactique des langues. Paris Armand colin, 1972 p137.

والعلوم UNESCO بهذا الأمر، وما فتئت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم تسعى لإيجاد جميع السبل الكفيلة بتحسين تكوين الإطارات المؤهلة للاضطلاع بهذه المهمة التعليمية والتربوية. (1)

نظمت منظمة UNESCO في شهر أوت سنة 1953 في Ceylan (2) ملتقى حول تعليم اللغات الحية لمناقشة محتوى التكوين النموذجي للأستاذ، فكان التركيز على ما يلي :

1 ـ استعمال جيد للغة الهدف: (تلفظ جيد، قراءة واضحة، تعبير شفوي سليم، والقدرة على تسهيل المقروء).

2 ـ معرفة جيدة للسانيات، معرفة معمقة بالمميزات الصوتية والتركيبية والدلالية للغة موضوع التعلم، وكفاية خاصة في تحيين هذه المعرفة داخل القسم .

3 ـ معرفة جيدة بآداب اللغة ومرتكزاتها الثقافية والحضارية .

4 ـ الاهتمام بعلم النفس التربوي والمسائل التطبيقية للتعليم، وامتلاك آليات الطرائق التربوية واستخدام الوسائل السمعية البصرية. (3)

نحن في حاجة إذن إلى مؤسسات تكوينية خاصة باللسانيات التطبيقية وتعليمية اللغات وهذه المؤسسات ينبغي أنْ تكون ملحقة بالجامعات كما هو سائد في بلدان أخرى، ففي بريطانيا مثلاً توجد مراكز متخصصة

---

(1) ـ ينظر المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم : ندوة إدارة برامج الوسائل التعليمية في دور المعلمين والمعلمات بالدول العربية ، المركز العربي للتقنيات التربوية دمشق 1987 ص11.

(2) ـ سريلانكا أو سري لانكا، وسابقاً *سيلان* المعروفة قبل سنة ، 1972 هي جمهورية سريلانكا الديمقراطية الاشتراكية عاصمتها كولومبو، جزيرة كبيرة في المحيط الهندي جنوب الهند، وهي دولة جزرية في جنوب آسيا، تبعد حوالي 31 كيلومتراً من الساحل الجنوبي للهند.

3 ـ Denis Girard : Linguistique appliquée et didactique des langues. Paris Armand colin, 1972 p138.

في كل من Londres, Edimbourg , Leeds , Colchester : [1] وفي فرنسا هناك مراكز معروفة(...Besançon , Grenoble , Nancy)

هناك مراكز عالمية أخرى لترقية تعليم اللغات الأجنبية كمركز اللسانيات التطبيقية بواشنطن، (C A L) ومركز اللسانيات التطبيقية بدكار، (CLAD) ومركز Hambourg بألمانيا .

والهدف الأساس الذي يجمع بين هذه المراكز كلها هو تحسين تكوين الأساتذة، وترقية طرائق تعليم اللغات، والبحث المستمر في تكنولوجيا استخدام الوسائل السمعية البصرية.

ثالثا:الوسائل التعليمية:

تقتضي ترقية طرائق تعليم اللغة العربية استخدام أساليب حديثة باعتماد تكنولوجيا التعليم وما توفره هذه التكنولوجيا من وسائل تعليمية مختلفة تتماشى مع الأهداف التعليمية الحديثة للغات سواء أكان الأمر يتعلق بالوسط اللغوي الأحادي اللغة، أم بالوسط اللغوي المتعدد اللغات " وتجعل عملية تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها عملية حيوية تسهل للمتعلمين باستخدام كل وسيلة تعليمية في الموقف التعليمي المناسب بالنسبة لاكتساب المهارات الأساسية الخاصة بتعليم اللغة الأجنبية مهارة الاستماع والنطق ... " [2]

الوسائل التعليمية :هي كل الأدوات التي يستخدمها الأستاذ لتحسين عملية التعليم وترقيتها، وذلك بتدريب المتعلمين على اكتساب المهارات اللغوية المختلفة، واكتساب عادات معينة تعد مرتكزًا جوهريًا في العملية التعليمية ،وتعد المخابر اللغوية المستخدمة في تعليم اللغات من أهم هذه الوسائل التعليمية كلها.

إنَّ أقل الناس إلمامًا بالمسار التحولي لطرائق التعليم في الثقافة الإنسانية المعاصرة يدرك بلا شك أنَّ ترقية هذه الطرائق وتنميتها قد تدعم أكثر بوسائل أخرى مساعدة، وقد أدى التطور العلمي والتكنولوجي إلى

---

(1) ـ **مدينة إدنبرة** (بالإنجليزية: Edinburgh؛ بالإسكتلندية: Embra/E'nburrie)، هي عاصمة اسكتلندا في المملكة المتحدة . تعتبر ثاني أكبر المدن الأسكتلندية سكانا، والسابعة على مستوى المكلة المتحدة.

(2) ـ محمد وطاس ، المرجع المذكور سابقًا ، ص 273 .

تنوعها وتطورها في الوقت نفسه، فنتج عن ذلك كله ظهور أجهزة وأدوات مساعدة يمكن لها أنْ تحقق الهدف المتوخى من العملية التعليمية بأقل جهد ممكن.

تنعت هذه الدعائم المعينة على الإدراك والاستيعاب بالوسائل التعليمية، وهي كل وسيلة تتدخل لمساعدة الأستاذ في تحقيق الأغراض التعليمية أثناء تعامله المباشر مع مادته من جهة، ومع المتعلم من جهة أخرى، وقد تختلف هذه الوسائل باختلاف المواقف التعليمية، وباختلاف الضرورة التعليمية الداعية إليها.[1]

لابد من الاهتمام بكل الوسائل التي تتدخل لتذليل الصعوبات التي تعترض العملية التعليمية، وهي كل الوسائل المحسوسة القائمة أساسًا على المرئي والمسموع التي تساعد على الاكتساب والاستيعاب والتحصيل بأقل جهد فكري. وهي تنقسم إلى ثلاثة أقسام :

1ـ وسائل بصرية: كالرسوم، والصور، وعرض الشرائح والخرائط، والعينات، والنماذج، ورقوم الكتابة.

2 ـ وسائل سمعية : المسجلات، الأشرطة، الأقراص السمعية ...

3 ـ وسائل سمعية بصرية : الأفلام ، الفيديو، التلفزيون، وأنظمة الاتصال المتعددة.[2]

ومن أهم هذه الوسائل التعليمية المخابر اللغوية المستخدمة في تعليم اللغات، وهي المخابر التي تعد أرقى وسيلة وأشملها في تدريب المتعلم على اكتساب المهارات اللغوية المختلفة، ولذلك يكون وجودها في المؤسسة التعليمية ضروريًا جدًا بخاصة في تعليم اللغة لغير الناطقين بها.

ومن ثمة فإنَّ أي حديث عن المخابر اللغوية يجب أنْ يراعي الخاصية الطبيعية، وكيفية استخدامها وتعميمها، واستثمار طاقتها لتحقيق الأهداف التعليمية المرسومة مسبقًا. فهذه التجهيزات تتطلب مكانًا ثابتًا

---

(1) ـ محمد وطاس ، المرجع المذكور سابقًا ، ص 77 ،78.

(2) ـ المرجع نفسه . ص 48.

ومحدودًا جدًا ، وهذا الأمر قد يطرح مشاكل ذات طابع مادي أو تقني مختص قد تعود إلى كيفية استغلالها استغلالاً جيدًا ، وفي كل الظروف المحيطة بالعملية التعليمية.

وإذا اقتصرنا على أبسط نموذج مخبري، فإنَّ المخبر قد يكون ملائمًا لتعلم عدد من المسجلات اللغوية لأفراد معينين لغايات معينة، في شروط وظروف معينة أيضًا. وفي غياب جميع هذه الشروط فإنَّ فاعلية هذا الجهاز ستتضاءل كثيرًا وهو ما ينعكس سلبًا على قدرات التحصيل لدى المتعلم.(1)

وبناء على ما أومأنا إليه سالفًا فإنَّ للمخابر اللغوية ثقافة خاصة ومتميزة، وقد تكون هذه المخابر ناجعة إلى حد كبير إذا استثمرت استثمارًا جيدًا قائمًا على أسس علمية، وتقنية معينة، يمكن لها أنْ تسهم في ترقية الأساليب، والكيفيات الإجرائية التي تعترض تعليمية اللغات.

ما يمكن لنا قوله في نهاية هذه المعاينة المباشرة للواقع التعليمي للغة العربية في أقسام اللغات الأجنبية هو أنَّ العملية التعليمية الناجحة والهادفة للغة في الوسط المتعدد اللغات تقتضي الإجراءات الآتية:

1 ـ تحليل الواقع التعليمي، وتحديد الحاجات التعليمية الضرورية للمتعلم.

2 ـ ضبط أهداف البرنامج الدراسي، والحرص على التمييز بين الأهداف العامة للعملية التعليمية بعامة، والأهداف الخاصة بتعليم اللغة العربية في الوسط المتعدد اللغات .

3 ـ تحويل الأهداف إلى أعمال تطبيقية إجرائية عن طريق الانتقال التدريجي لعناصر العملية التعليمية، ويكون هذا الانتقال عن طريق التقويم المرحلي .

4 ـ ضبط المحتوى العلمي للبرنامج التعليمي، وترجمة الأهداف إلى واقع فعلي بتحديد العادات اللغوية، والمهارات والمعلومات .

5 ـ التطوير المستمر للبرنامج الدراسي ، ومراجعته من أجل تحسينه حسب الظروف التعليمية الطارئة .

---

(1) ـ نورمان ماكنزي وآخرون، فن التعليم وفن التعلم، ترجمة أحمد قادري، مطبعة جامعة دمشق ، 1973 ص 67.

6 ـ التركيز في العملية التعليمية على الاهتمامات العلمية ، والمعرفية ، والتداولية لدى الطالب الذي ينتمي إلى الوسط التعليمي المتعدد اللغات والثقافات .

7 ـ التركيز على المحتوى العلمي والثقافي للبرنامج التعليمي للغة العربية ، انطلاقًا من الواقع الثقافي والحضاري للمجتمع اللغوي العربي الحديث .

8 ـ الاهتمام بالبعد التواصلي والتداولي للغة العربية ، وترقية حمولتها الثقافية والحضارية لكي تسهم في حركة التلاقي الثقافي بين المجتمعات اللغوية ، عن طريق التلاقي التعليمي للغات الإنسانية المختلفة .

ثانيًا:اللسانيات التقابلية :

إنَّ أدنى تأمل في المسار الذي سلكته اللسانيات في جيلها الثاني : (اللسانيات التطبيقية ـ اللسانيات التداولية ـ اللسانيات النصية ـ لسانيات المدونة ـ لسانيات الملفوظ ...) يهدي إلى أنَّ اللسانيات التقابلية هي فرع من اللسانيات التطبيقية أخذت مسارها العلمي في الولايات المتحدة الأمريكية ابتداء من سنة 1950 .

كانت اللسانيات التقابلية في بداية أمرها مقارنة دقيقة بين لغتين على المستوى الصوتي والتركيبي والدلالي من أجل إبراز أوجه الاختلاف والتمايز ، ومن ثمة وضع طرائق تعليمية لتذليل الصعوبات التي تعترض المتعلم للغة أجنبية تختلف عن لغته الأم .

تضطلع اللسانيات التقابلية بمهمة لسانية تطبيقية وتعليمية إجرائية هادفة في مؤسسات تعليم اللغات ، إذ لها حضور فعلي في تحضير المحتويات التعليمية ، وتكوين التمارين والاختبارات ذات التصحيح المسبق التي لها علاقة مباشرة بالاختلافات ، أو ما يسمى بنقاط الارتكاز بين اللغات . (1)

1 ـ Voir , R.Galisson et D. Coste : Dictionnaire de didactique des langues, librairie Hachette (1976) paris p125

مهما يكن من أمر فإنَّ نظريات بعض اللسانيين الأثروبولوجيين حول عدم قابلية اللغات للاختزال، ونوعية الرؤية إلى العالم ، وحول فرضية وحدة اللغة وعلاقتها بالفكر، هي التي عمقت أكثر أهمية اللسانيات التقابلية .[1]

ولذلك فإنَّ الحلول العلمية التي توفرها اللسانيات التقابلية هي موجهة لواضعي البرامج العلمية وأساتذة اللغات أكثر من المتعلم، فهي تتوخى تطورًا نوعيًا من أجل مقاربة اللغة الثانية انطلاقًا من وظيفة اللغة الأم.[2]

تنتمي اللسانيات التقابلية ،حينئذ، إلى المقاربات اللسانية التطبيقية في ميدان تعليم اللغات، فهي إجراء تقابلي يسعى إلى إيجاد إجابات علمية كافية للمشاكل التي يطرحها التعدد اللغوي في الوسط التعليمي، خاصة فيما يتعلق بتعليم لغة أجنبية بالطرائق نفسها المستخدمة لتعليم اللغة الأم .

تنطلق اللسانيات التقابلية من تحليل الأخطاء التي تظهر في الملفوظات التي ينجزها المتعلمون المبتدئون، وذلك لمعرفة أسبابها وعلاقتها بالكفاية اللغوية لدى المتعلم، وضبط مجالها في اللغة الأم ،واللغة الثانية المراد تعليمها.

قد تتدخل اللسانيات التقابلية، وكذا علم النفس اللساني، لتيسير التلاقي اللغوي لدى المتعلم ، وتذليل الصعوبات المتعلقة بمسار تشكل التعددية اللغوية في الوسط التعليمي .[3]

ليس من السهل تعليم لغتين أو أكثر باعتماد المعطيات اللسانية الصرف، فلابد من الأخذ بعين الاعتبار العوامل المباشرة وغير المباشرة للتعارض بين اللغات، وضبط مجال التداخل في الوسط التعليمي بالتركيز على العملية التفلظية في حد ذاتها.

---

1 - Voir , R.Galisson et D. Coste : Dictionnaire de didactique des langues, librairie Hachette (1976) paris, p126.

2 - Ibid, p126

3 - Paul Adolf :Linguistique contrastive et didactique de l'anglais ,Revue de linguistique et de didactique, Nancy ,n° 17/1 mars 1999.

تعد المقابلة بين لغتين، لا تنتميان إلى سلالة واحدة، مرتكزًا أساسًا للسانيات التقابلية، فالمقابلة بين اللغة العربية واللغة الفرنسية، لغرض تعليمي أو ترجمي، هي أكثر إثارة ومردودية من المقابلة بين الفرنسية والإسبانية، أو بين العربية والعبرية .

تسعى اللسانيات القابلية إلى وضع منهجية متميزة لترقية التلاقي بين اللغات، منهجية قابلة للتطبيق في كل حالات التعدد اللغوي، سواء أكان الأمر يتعلق بالترجمة أم بتعليم اللغات .

أ . التداخل بين اللغات(Interférence / Linguistic interference) linguistique:

يعرف عادة التداخل في نظرية التعلم بأنّه تأثير تعلم في تعلم آخر أقرب إليه، وهو يتعلق، في تعليمية اللغات، بالعوائق والصعوبات التي تعترض المتعلم، وكذلك الأخطاء التي يرتكبها أثناء تعلمه اللغة الأجنبية تحت تأثير لغته الأم أو لغة أجنبية أخرى سبق له أنْ تعلمها.

وقد يتبدى التداخل في جميع مستويات اللغة (تداخل صوتي، مورفولوجي، تركيبي، دلالي، أسلوبي). يستطيع التداخل أنْ يؤخر اكتساب مستوى من مستويات النسق اللساني أو يقاومه، وقد يؤدي إلى حدوث اضطراب دلالي وأسلوبي يتبدى في اختيار كلمات غير ملائمة بفعل تماثل دلالي خاطئ.

ومن هذا المنطلق فإنَّ اللسانيات التقابلية يمكن لها أنْ تتنبأ بالتداخلات على كل المستويات التي أشرنا إليها، وأنْ تسعى إلى شرحها وتوضيحها، وتقترح في الوقت نفسه تقنيات خاصة لمعلمي اللغات، وهذه التقنيات هي نوعان:

1 ـ تقنيات وقائية :(Techniques préventives) تستخدم لتفادي الأخطاء الناتجة عن التداخل بين اللغات .

2 ـ تقنيات تصويبية :(Techniques correctives) تستخم لتصحيح الأخطاء وتصويبها.

ولا يمكن لهذه الإجراءات أنْ تحقق أهدافها دون تكثيف المقارنة البنيوية بين اللغات، ودون دراسة نسقية للأخطاء . [1]

وهو ينقسم من حيث التأثير إلى:

تداخل تقدمي : عندما يؤثر التعلم السابق في التعلم اللاحق، تأثير تعلم اللغة (أ) في تعلم اللغة (ب).

تداخل تراجعي : عندما يؤثر اللاحق في السابق، تأثير تعلم اللغة (ب) في تعلم اللغة(أ).

وينقسم من حيث الفاعلية إلى:

1 ـ تداخل إيجابي: عندما يساعد على تيسير العملية التعليمية، عندما يسهل على المتعلم تعلم اللغة (ب) بمساعدة اللغة (أ)، أو العكس تعلم اللغة (ب) يعمق تعلم اللغة (أ).

2 ـ تداخل سلبي : عندما يعوق ويعرقل عملية التعلم، تعلم اللغة (أ) يعرقل تعلم اللغة (ب) أو تعلم اللغة (ب) يحدث اضطرابًا في تعلم اللغة (أ).[2]

ب ـ الأخطاء:

تهتم اللسانيات التقابلية بدراسة الأخطاء وتحليلها، وذلك بـ :

1ـ ضبط أسبابها المباشرة وغير المباشرة .

2 ـ توفير الوسائل الكفيلة بتحييدها وإبعادها.

3 ـ وضع برامج تدريجية لمقاومتها .

4 ـ تقليص الفرص لظهور الخطأ في مسار اكتساب اللغة .

تقر اللسانيات التقابلية بأنْ الأخطاء هي :

---

1 ـ R.Galisson, OP, CIT, p291-292

2 ـ Ibid, P 569.

1ـ طفيليات يمكن لها أنْ تعرقل التعلم.

2 ـ مكونات ضرورية لمسار اكتساب اللغات.

3 ـ سلسلة من المحاولة والخطأ.

4 ـ قواعد عبور أو قواعد انتقال.

5 ـ أعراض تظهر في مسار التعلم .

قد يصبح الخطأ في العملية التعليمية الكاشف، أو المنبه (Révélateur) لنقاط الضعف في الطرائق المستعملة لتعليم اللغات [1].

ج ـ التمييز بين الأخطاء (Erreurs/ Errors) والأغلاط (Fautes/ Fault) :

يميز بعضهم بين الأخطاء والأغلاط ، ويتماشى هذا التمييز مع المقابلة التي وضعها تشومسكي بين الكفاية اللسانية والأداء الكلامي أو الإنجاز، فالأغلاط ناتجة عن الأداء والأخطاء ناتجة عن الكفاية. فالانحرافات التي تلاحظ في تعليم اللغة الأم، هي أغلاط وليست بأخطاء، والإخفاقات التي تطرأ على مسار تعلم لغة أجنبية هي أخطاء؛ لأنَّها تتعلق بامتلاك كفاية لسانية ثانية .

تتعلق الأخطاء بتعلم اللغة الأجنبية، إذ يرتبط تحليل الأخطاء مباشرة بهذا النوع من التعليم؛ لأنَّ ظهور الأخطاء يعكس قصورًا في كفاية المتعلمين في هذه اللغة؛ أي القدرة على تمثل النسق اللغوي الجديد.[2]

لقد عرفت اللسانيات التقابلية وتعليم اللغات والترجمة في السنوات الأخيرة تغيرًا عميقًا؛ لأنَّ اللسانيات التقابلية كانت في بداية أمرها ترتكز على مناهج استبطانية، ولكنها الآن ترتكز على مجموعة واسعة من النصوص المزدوجة أو المتعددة اللغات التي تهيئ قاعدة تجريبية صلدة لم تكن متوافرة من قبل .

---

1 ـ R.Galisson, OP, CIT p 35.

(2) ـ ينظر د، سام عمار : نحو رؤية جديدة لتدريس النحو العربي على المستوى الجامعي ، مجلة التربية عدد 132 مارس 2000 قطر.

وما دامت هذه النصوص موجودة على شكل مدونات إلكترونية، فهي إذ ذاك قابلة للتحليل الآلي أو نصف الآلي، بفضل البرامج الآلية للتحليل اللساني.[1]

تهتم اللسانيات التقابلية حاليًا بالموضوعات الآتية:

ـ تأسيس إجراءات تقابلية فرعية:

1ـ علم المعاجم التقابلي.

2 ـ المعجمية المزدوجة أو المتعددة اللغات.

3 ـ علم الدلالة التقابلي.

4 ـ علم التركيب التقابلي.

5 ـ التداولية التقابلية.

ـ جمع مدونات مبرمجة آليا مزدوجة، ومتعددة اللغات، واستثمارها في ترقية التقابل بين اللغات في حقل الترجمة أو تعليمية اللغات .

ـ وضع برامج آلية (Logiciels) لتحليل المدونات المزدوجة (Corpus bilingues) أوالمتعددة اللغات.

ـ تفعيل المدونات المزدوجة والترجمة الآلية أو الترجمة بواسطة الحاسوب.[2]

---

(1) ـ ينظر أعمال ملتقى : اللسانيات التقابلية والترجمة ـ مقاربات تجريبية ـ بالجامعة الكاثوليكية.

Université Catholique de Louvain (Louvain-La-Neuve. Belgique 5-6/02/1999

2- Voir, Université Catholique de Louvain (Louvain-La-Neuve. Belgique 5-6/02/1999

نخلص إلى القول في نهاية المطاف بإنَّ الحقل التعليمي للغات ينماز بالتعددية اللغوية والثقافية، وهو إذ ذاك مهيأ لاسترفاد جميع العلوم والمعارف التي لها صلة بتشكل الأنماط اللغوية والثقافية، من حيث هي أنماط تعكس فاعلية العقل البشري من جهة، وتعكس النزعة التواصلية لدى الأفراد و المجتمعات من جهة أخرى .

وهو الأمر الذي يستدعي وعيًا عميقًا بأهمية تفعيل تعليمية اللغات واللسانيات التقابلية، وذلك لإيجاد جميع الآليات الممكنة لتجاوز كثير من المعوقات والإخفاقات التي تطرأ عادة تحت تأثير التداخل اللغوي، وهو التداخل الذي قد يعوق أحيانًا العملية التلفظية في الوسط التعليمي للغات ، من حيث هو وسط متعدد الألسن والثقافات بالضرورة.

ثالثا: اللسانيات الأنثروبولوجية : *Linguistique anthropologique* : ***Anthropological* linguistics**

تُعرّف الأنثروبولوجيا العامة [1]، بأنّها :

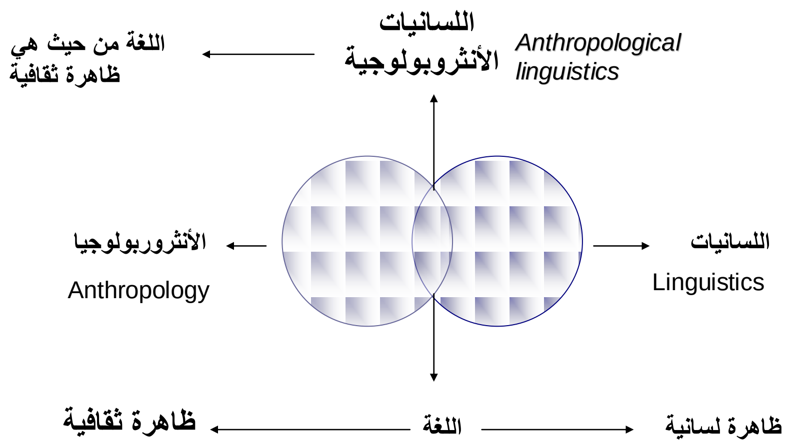
ـ العلم الذي يدرس الإنسان من حيث هو كائن عضوي حي، يعيش في مجتمع تسوده نظم وأنساق اجتماعية في ظلّ ثقافة معيّنة .

ـ العلم الذي يدرس الحياة البدائية والحياة الحديثة المعاصرة، ويحاول التنبّؤ بمستقبل الإنسان معتمداً على تطوّره عبر التاريخ الإنساني الطويل .

---

(1) ـ الأنثروبولوجيا Anthropology مصطلح إنجليزي مشتق من أصل يوناني مكون من :Anthropolos : الإنسان و Logos : العلم أو الكلمة أو الدراسة ، فالمركب الدلالي للمصطلح هو علم الإنسان = علم الإناسة .

مخطط توضيحي



الأنثروبولوجيا الثقافيه Cultural anthropology : هي دراسة علمية موضوعها الخصائص الإنسانية للمجتمعات البشرية ، ومن أهم هذه الخصائص الثقافة (مجموع العادات والتقاليد والأعراف وأنماط الحياة لمجموعة بشرية معينة) .

يعني مفهوم "ثقافةCULTURE " من وجهة نظر الأنثروبولوجيا الحصيلة الكلية للتقاليد والعادات والأعراف ونمط الحياة لطائفة اجتماعية تتميز بخصوصيات حضارية معينة.

اللسانيات الأنثربولوجية Linguistique anthropologique / Anthropological linguistics

تعد اللغة من حيث هي ظاهرة ثقافيه قاسمًا مشتركًا بين اللسانيات والأنثروبولوجيا ، وهو الأمر الذي يؤدي إلى تقاطعهما معرفيًا ومنهجيًا ، فنشأ عن هذا التقاطع فرع علمي جديد يجمع بين المرجعيتين (اللسانية والأنثروبولوجية)، أضحى يسمى فيما بعد باللسانيات الأنثربولوجية . موضوعها الألسنة الخاصة

بالجماعات البشرية من حيث الخصائص الإنسانية للمجتمعات بخاصة المجتمعات التي تنعت عادة بالبدائية أو الفطرية ، فهي تبحث في الصلة التي تربط اللغة بالخصائص الثقافيه للإنسان في مجتمع معين، إذ إنَّ الصلة بين اللغة وثقافة المجتمع تعد من الموضوعات الهامة لعالم الأنثروبولوجيا. وما كان ذلك إلا لأنَّ كل المجتمعات سواء أكانت متحضرة (متطورة) أم بدائية لها ثقافة، وأنَّ الحامل المادي لهذه الثقافة هي اللغة في بنيتها المتميزة. (1)

ومن ههنا فإنَّ النمط الثقافي لأي مجموعة بشرية يرتبط ارتباطًا وثيقًا بالنموذج اللغوي المتميز لتلك الجماعة، مما يجعل تقطيع المفاهيم وتوزيعها في ثقافة من الثقافات يختلف باختلاف اللغات ، فقد لاحظ في هذا السبيل مدون المادة المعجمية (اسم) في الأنسيكلوبيديا في القرن الثامن عشر، أنَّ استخدام بعض الألفاظ التي تتفاوت في مدى تجريدها ليس بناتج عن قدرات ذهنية ، بل عن اهتمامات الجماعة الثقافيه.(2)
ولذلك نجد علاقة الثقافة باللغة الطبيعية تحتل مركزًا هامًا في المطبوعات الأولى لجامعة تارتو (TARTU) (الجمعية السيميائية – بالاتحاد السوفياتي سابقًا) حيث حددت الظواهر الثقافية على أنَّها أنظمة ثانوية مشكلة وفق النموذج اللغوي. (3)
تعود هذه الفكرة في مرحلتها الجنينية إلى هاردر (HARDER) وهمبلد وغيرهما في أوروبا، وإلى سابير (SAPIR) (4) في أمريكا حيث يرى هؤلاء جميعاً أنَّ اللغة تحدد نظرة المجتمع للعالم المحيط بالإنسان الذى ينتمي إلى نمط ثقافي معين، كما أنَّ لها تأثيرًا في الطريقة التي يفكر بها أفراد المجتمع الذين يتكملون لغة متجانسة.(5)

يرى سابير أنَّ البشر لا يعيشون في العالم المادي وحده ولا في عالم النشاط الاجتماعي بالمفهوم العادي، ولكنهم يخضعون خضوعًا إلزاميًا إلى النموذج اللغوي الذي يحدد التكيف الاجتماعي في المحيط الثقافي.(6)

(1)ـ ماريو باي ، المرجع المذكور سابقًا ، ص52.
(2)ـ ليفي ستراوس ، مقالات في الإناسة ، ص9.
(3)ـ سيزا قاسم وآخرون ، مدخل إلى السيميوطيقا ، ص297 .
(4)ـ Edward Sapir 1848 - 1939 باحث أنثروبولوجي ـ لساني أمريكي.
(5)ـ عاطف مدكور، علم اللغة بين القديم والحديث ، ص49 .
(6)ـ المرجع نفسه ، ص.49 .

ويؤكد أيضاً في مقام آخر أنَّ فصل اللغة عن الثقافة ليس بالأمر الهين، ويستعمل ههنا لفظ الثقافة بمعناها الواسع للدلالة على مجموعة التصورات، والتمثلات، والمفاهيم التي تشكل النظرة التي تكوِّنها المجموعة البشرية عن العالم المحيط بها.[1]

لقد اقتفى ورف (WHORF)[2] أثر أستاذه سابير، إذ كان تلميذه ومساعده في الإنجازات العلمية التي حققها في مجال البحث اللساني والأنثروبولوجي، فأفاد ورف من هذه الدراسات واستغل هذا الرصيد المعرفي في الدراسات الشاملة التي قام بها في الوسط الثقافي واللساني للهنود الحمر، فتوصل إلى مجموعة من النتائج العلمية، أصبحت تنعت فيما بعد بفرضية ورف Whorf hypothesis (HYPOTHESE DE WHORF):

يرى ورف أنَّ اللغة ليست في جوهرها وسيلة للتعبير عن الأفكار، بل هي نفسها التي تشكل هذه الأفكار، فنحن نقسم العالم بناء على الإطار العام الذي يحدده النموذج اللغوي سلفًا [3]. وقدم صاحب هذه النظرية أمثلة كثيرة من لغات متعددة لتأكيد فرضيته منها: نماذج من بنية الأفعال في إحدى لغات الهنود الحمر المسماة (HOPI)، وقارنها ببنية الفعل في اللغة الإنجليزية فتبيَّن له بعد هذه المقارنة أن نظرة كل من المجتمعين إلى الزمن تختلف اختلافا جذريا.[4]

يجوز لنا أنْ نقول في الأخير: إنَّ النموذج اللغوي يرتبط ارتباطًا وثيقًا بالنماذج الثقافية لمجموعة بشرية معينة، وبناء على ذلك فإنَّ اللغة عامل أساس في إضفاء الطابع الثقافي المميز على المجتمع؛ لأنَّ العلاقات الاجتماعية لاتتشكل إلا بواسطة النموذج اللغوي الذي يقوم بدور جوهري في مجال التراكم الثقافي، وانتقال النمط الثقافي عبر الأجيال.[5] وما كان ذلك كله إلا لأنَّ اللغة تشكل جزءًا من الوعي الثقافي للجماعة، وهي وهي تعد في بنيتها الجوهرية واحدة من أقدم المظاهر لهذا الوعي.[6]

---

(1) ـ ميشال زكريا، الألسنية (علم اللغة الحديث) مبادئها وأعلامها، ص220.

(2) ـ Benjamin Lee Whorf 1897 ـ 1941 : لساني أمريكي.

(3) ـ عاطف مدكور، المرجع المذكور سابقا، ص 50 .

(4) ـ نايف خرما، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، ص 217 .

(5) ـ ميشال زكريا، المرجع المذكور سابقا، ص 222 .

(6) ـ ماريو باي، المرجع المذكور سابقًا، ص 207 .

رابعًا – علم الاجتماع اللساني Sociolinguistics / sociolinguistique :

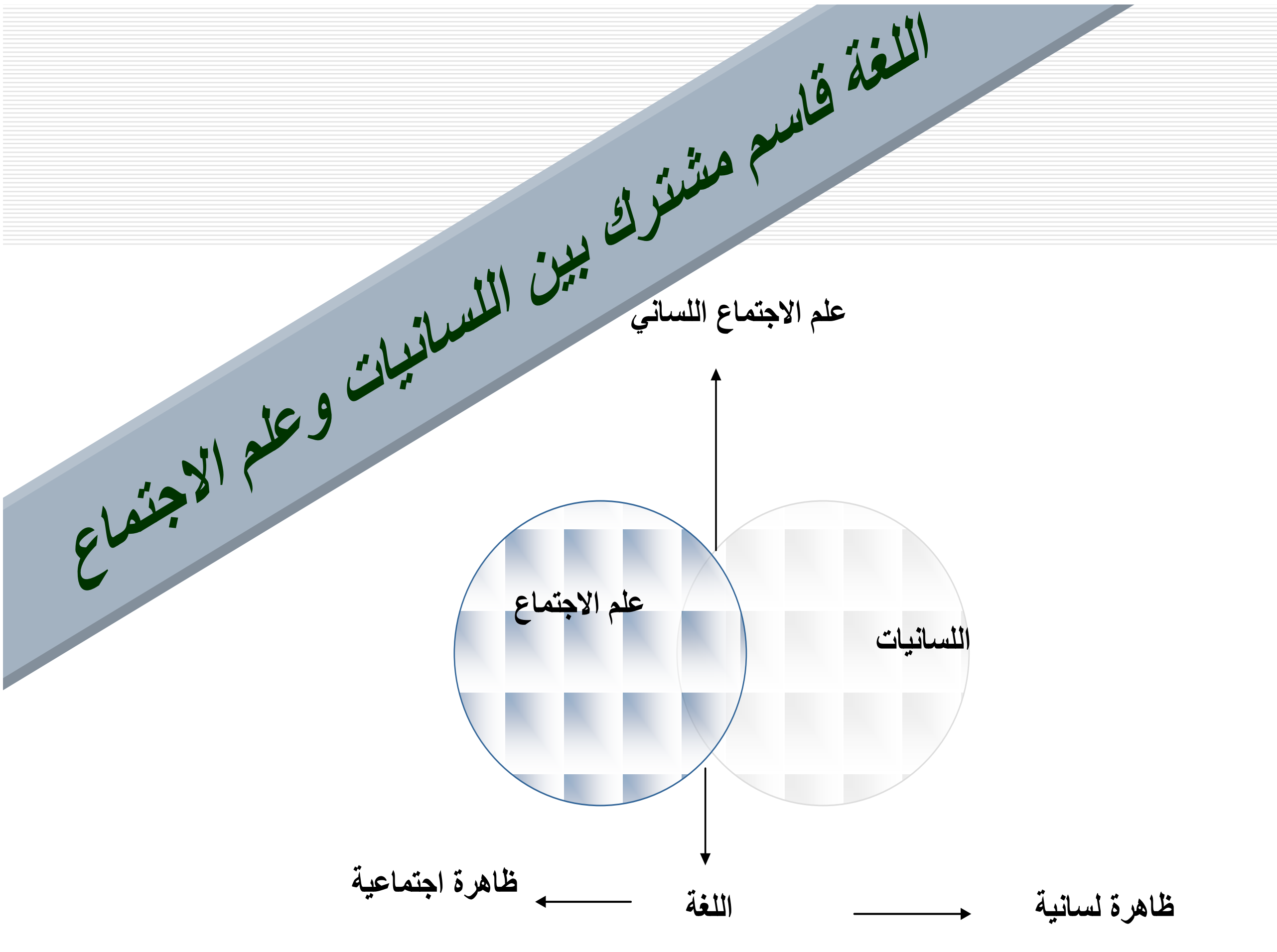
كانت البداية منذ أنْ أكد دي سويسر الطابع الاجتماعي للسان من حيث هو نظام متكامل من العلامات الدالة، فهو في حقيقة أمره راسب من رواسب النشاط الاجتماعي لجماعة بشرية معينة تتميز بخصوصيات ثقافية وحضارية متجانسة، إذ ليس هناك حقيقة لسانية واقعية خارج بنية المجتمع.[(1)]

لقد استمد دي سويسر هذا التصور الاجتماعي للظاهرة اللغوية من المدد النظري الذي هيأه العالم الاجتماعي دور كايم David Émile Durkheim (1858 –1917) الذي أثار الانتباه إلى خصوصيات الظاهرة الاجتماعية، فأمست اللغة – إذ ذاك – ظاهرة اجتماعية كغيرها من الظواهر الأخرى، مما جعل بعض العلماء يرى أنَّه إذا كانت اللغة ظاهرة اجتماعية، وتؤدي أيضًا وظيفة اجتماعية، فليس هناك فرق بين اللسانيات وعلم الاجتماع، والأنثروبولوجيا الاجتماعية.[(2)]

يتقاطع علم الاجتماع من حيث هو علم يدرس الظواهر الاجتماعية مع اللسانيات معرفيًا ومنهجيًا عندما يدرس اللسان بوصفه ظاهرة اجتماعية، ينشأ عن هذا التقاطع علم فرعي جديد يسمى بعلم الاجتماع اللساني Sociolinguistics.

1 . Juliette Garmadi, La sociolinguistique P13 .

(2) ـ عاطف مدكور، المرجع المذكور سابقاً، ص 43.



موضوعات علم الاجتماع اللساني :

1. اللهجات (DIALECTES) :

إنَّ المجموعة البشرية التي تنتمي إلى رقعة سياسية وحضارية معينة ، عادة ما تستعمل أنماطا لهجية متفرعة عن اللغة المثالية، كما نلفي ذلك واضحا في المجتمعات العربية، إذ إنَّ هذه المجتمعات تختلف فيما بينهما باختلاف اللهجات الخاصة التي تعرف بها، كما نلاحظ ذلك أيضا في اللغة الإنجليزية فهي في إنجلترا تختلف من حيث التلون اللهجي عن الإنجليزية في أمريكا واستراليا، وقد يؤدي تعدد اللهجات وتباينها في المجتمع الواحد إلى القطيعة والانفصال عن اللغة المشتركة حينما تغيب الروابط السياسية والدينية والاجتماعية، وأيضًا عندما تنعدم وسائل الاتصال الجماهيرى التي لها دور أساس في هذا الشأن، ومن الأمثلة على ذلك

اللغات الأوروبية المعاصرة (الإيطالية ـ الفرنسية ـ الإسبانية ـ البرتغالية ـ والرومانية.) التي كانت لهجات متفرعة عن اللغة اللاتينية. [1]

2ـ اللهجات الفردية (Idiolects / Idiolectes) :

يتعلق هذا النمط اللهجي بالطابع الشخصي أثناء الإنجاز الفعلي للكلام، إذ إنَّ لكل شخص خصائصه اللغوية المتميزة، ومنها:

أ - البصمة الصوتية التي تختلف من شخص إلى آخر.

ب ـ العادات اللغوية التي تظهر أثناء عملية التلفظ.

ج- الشعور بالانتماء المهني والحرفي وأثره في القاموس اللغوي عند الفرد المتكلم.

3ـ علاقة اللغة بالجنس :

إنَّ أدنى تأمل في الإنجاز الفعلي للغة في المجتمع يهدي إلى أنَّ هناك فرقًا ملموسًا بين لغة الرجال ولغة النساء، فالقاموس اللغوي عند المرأة يختلف عن القاموس اللغوي عند الرجل، هناك كلمات خاصة بالنساء لايستعملها الرجال كأسماء الألوان مثلا والصفات الدالة على المشاعر والأحاسيس والعواطف، وقد تزداد هذه الفروق في المجتمعات التي لاتسمح بالاختلاط بين الجنسين في مرافق الحياة الاجتماعية، وقد تقل وتتلاشى في المجتمعات التي تبيح الاختلاط. [2]

4ـ علاقة اللغة بالتباين الاجتماعي :

يدرس علم الاجتماع اللساني ظاهرة التفاوت الطبقي وأثرها في النسق اللغوي، فيبين الفروق اللغوية الموجودة بين طبقات المجتمع المختلفة، كما يرصد التحول أو الانتقال الاجتماعي من طبقة إلى أخرى، وأثر ذلك كله في تحول بنية النسق اللغوي .

5ـ الكلام المحظور (TABOU) :

ترتبط هذه الظاهرة بالمجتمع اللغوي ارتباطًا كبيرًا ؛ لأن الاستعمال اللغوي يخضع لقواعد واعتبارات اجتماعية تختلف من مجتمع إلى آخر ، وهذه الاعتبارات هي التي تقبل أو ترفض استعمال كلمات معينة،مثل الكلمات التي تتصل بالعيوب والعاهات الجسمية، وأسماء الأمراض، فنرى في كثير من المجتمعات تحايلاً بتهذيب بعض الكلمات وتحسينها، مثل كلمة: (مات) التي تستبدل عادة بكلمات مثل : انتقل إلى رحمة الله ، أسلم روحه، قضى نحبه، توفاه الله، اختاره الله، ذهب إلى جوار ربه . كما نجد بعض

(1)ـ عاطف مدكور، المرجع المذكور سابقًا، ص 44 ، 45 .

(2)ـ المرجع نفسه، ص 46 .

الكلمات يعزلها المجتمع ، بل يصادرها اجتماعيًا مثل : الكلمات التي تتصل بأجزاء معينة من جسم الإنسان وإفرازاته والأمور الجنسية.[1]

خامسًا ـ علم النفس اللساني /Psycholinguistics / Psycholinguistique :

يدرس علم النفس الظاهرة النفسية بكل أبعادها ، وحينما يتناول اللغة بوصفها ظاهرة نفسية يتقاطع منهجيًا مع اللسانيات ، فيشكل هذا التقاطع منوالاً مركبًا ينعت بعلم النفس اللساني .

ليس هذا التقارب بجديد بين الظاهرة النفسية ، والظاهرة اللغوية ، فمنذ أنْ كان الاهتمام بالظاهرة اللغوية كان التصور النفسي لهذه الظاهرة حاضراً حضوراً دائما في أي مبحث يسعى إلى استكشاف حقيقة هذه الظاهرة الإنسانية .

كانت الإرهاصات الأولى لهذا العلم تتكون في رحاب المدرسة الإنجليزية التي يمثلها الترابطيون[2] (النزعة الترابطية Associationism) الذين كانوا منشغلين بتفسير العمليات العقلية بواسطة تداعي الأفكار ، وكانت تعتمد في تحليل ذلك على المعرفة اللغوية .

كما نجد ملامح علم النفس اللساني تتبدى في أصفى صورة لها في ألمانيا على يد ولهام فونت. W **Wundt** [3]وهو أول من أسس مختبرا لعلم النفس عام 1879 ، كما أنَّه أول باحث نفسي يكتب المقالات الطوال حول سيكولوجية اللغة.

---

(1) ـ زكي حسام الدين ، أصول تراثية في علم اللغة ، ص 101.

(2) ـ المرتكز المعرفي الأساس الذي ترتكز عليه هذه المدرسة هو مفهوم الترابط (ترابط الأفكار) عن طريق العقل الذي ينظم الأفكار والتصورات الذهنية في سلسلة من العلاقات النسقية القائمة على التداعي والاستدعاء.

(3) ـ .Wilhelm Maximilian Wund . فيلسوف ونفساني ألماني (1832ـ 1920) ، أسس سنة 1879 أول مختبر في علم النفس التجريبي في (.Leipzig) بألمانيا ، كان له الفضل الكبير في تكوين عدد من الطلبة من أوروبا وأمريكا الشمالية ، وإكسابهم منهجية علم النفس التجريبي.

أما في أمريكا فقد اكتمل هذا المبحث ، واستقل بنفسه خاصة منذ أن ظهر عدد خاص من مجلة علم النفس الأمريكية سنة 1930 ، حيث كان موضوع هذا العدد المشكلات المختلفة لعلم النفس اللساني في ظل الثنائية (لسان / كلام). [1]

ويتدعم هذا المنهج بظهور أفكار واطسون John Broadus Watson (1875 ـ 1958) نفساني أمريكي مؤسس علم النفس السلوكي ابتداء من سنة 1921. يرى واطسون أنَّ السلوك الإنساني ما هو إلا سلوك ديناميكي ، وأنَّ العقل ليس موضوعًا مناسبًا للدراسة النفسية ، ويقترح بدلاً من ذلك دراسة السلوك الظاهري فحسب. ومن ههنا فإنَّ أي إجراء عملي يتناول الظاهرة النفسية بمعزل عن المثير والاستجابة ، يعد وهما علميًا عقيمًا .

أصبحت اللغة بناء على هذا التصور سلوكًا ظاهريًا ، وفُسِّرَتْ حينئذ تفسيرًا بسيطًا ، فهي لاتعدو أنْ تكون مجموعة من ردود الأفعال المشروطة. [2]

ثم يظهر بعد ذلك هيل (HULL) (1930)، ثم سكينر Burrhus Frederic Skinner 1904ـ1990الذي طور هذه النظرية (1957)، وأسقط معطياتها على عملية التعلم،[3] وهي النظرية التي أثرت في الفكر اللساني عند بلومفيلد (Bloomfield) بخاصة ما كتبه عالم النفس السلوكي بول ويس (Paul Weiss) في كتابه : "الأصول النظرية للسلوك الإنساني". [4]

عندما كانت السلوكية في أوج ازدهارها ظهرت في هذه الفترة ؛ أي ابتداء من سنة 1948 نظرية الاتصال على يد مؤسسها شانون Claude Shannon (1916 ـ 2001)، وترى جودت جرن (Judith Green) أنَّ علماء النفس الذين درسوا اللغة قد تأثروا بمؤثرين أساسين: نظرية التعلم، ونظرية الاتصال التي تبحث في عملية الاتصال بعامة، والاتصال اللغوي بخاصة، وهي تنطلق من حقيقة مؤداها أنَّ اللغة الطبيعية تتطلب من مستخدميها دراية وخبرة، تمكنهم من التحكم في أي جانب من جوانب الرسالة

(1)ـ حلمي خليل، اللغة والطفل، ص 23

(2)ـ المرجع نفسه ،ص 23 .

3 - Oswald **Ducrot**, Tzvetan **Todorov**,OP.CIT, pp92-93.

(4)ـ حلمي خليل، المرجع المذكور سابقًا، ص 24 .

الكلامية[1].فنظرية الاتصال في توجهها العام تجعل اللغة الإنسانية وسيلة من وسائل التواصل، فهي ترتكز على دراسة آلية تركيب الرسائل الشفوية وتفكيكها في مختلف السياقات .

اكتملت هذه المحاولات على يد سيبيوك Thomas A. Sebeok(2001.1920) حوالي 1954 ، وأُطْلِقَ مصطلح علم النفس اللساني[2]، ومن ههنا أخذ هذا العلم خصائصه المنهجية ، فأصبح علمًا مستقلاً بذاته ، له أدواته العلمية ، وإجراءاته التطبيقية، ويتبلور ذلك بخاصة بعد ظهور النظرية التوليدية والتحويلية على يد تشومسكي (Chomsky) الذي يرى أن عقل الطفل يحتوي على خصائص فطرية، أو ما يمكن أن ينعت بالملكة الفطرية التي تجعله قادرًا على تعلم أي لغة إنسانية، وهو من إذ ذاك له استعداد فطري لأنْ يكوِّن قواعد لغته من خلال الكلام الذي يسمعه بصورة إبداعية.[3]

أهداف علم النفس اللساني وموضوعاته :

أولا : الأهداف : يهدف علم اللساني إلى :

1 ـ تقديم تفسير علمي دقيق للجوانب النفسية في الظاهرة اللغوية.

2 ـ تحديد الأسس العصبية للغة ودور الدماغ في إنتاج اللغة واستقبالها.

3 ـ تحديد الأسس النظرية للغة من خلال دراسة العلاقة بين اللغة والتفكير.

4 ـ ضبط طبيعة العلاقة بين اللغة والذاكرة.

5 ـ ضبط آليات الفهم والإدراك : (تفسير المنطوق والمكتوب وتحديد ردود الأفعال العقلية واللغوية المناسبة).

6 ـ ضبط المهارات اللغوية : (الاستماع، والكلام، والقراءة، والكتابة).

7 ـ تشخيص صعوبات الفهم في التواصل اللغوي والأمراض الكلامية المرتبطة بذلك. مثل : التأتأة والفأفأة والحبسة الكلامية و الحبسة التركيبية(صعوبة تركيب الجمل وتفكيكها).

---

(1)ـ حلمي خليل، المرجع المذكور سابقًا ، ص 27 .

2 - Oswald **Ducrot**, Tzvetan **Todorov**. OP.CIT,p96.

(3)ـ المرجع نفسه، ص 30.

ثانيا: الموضوعات : يدرس علم النفس اللساني الموضوعات الآتية :

1ـ خصائص السلوك اللغوي وأثر الجوانب النفسية في اللغة : (علاقة اللغة بالحالة النفسية للمتكلم).

2 ـ اكتساب اللغة عند الطفل : (مراحل النمو اللغوي).

3 ـ الكفاية اللغوية ،والأداء الكلامي : (القدرة العقلية التي يمتلكها الإنسان والتي تسمح له بالممارسة الفعليه للغة).

4 ـ الحوار الذاتي : (الحوار الداخلي أو المناجاة).

5 ـ اضطرابات اللغة والعوائق التي تعترض العملية التلفظية وأمراض الكلام .

6 ـ صعوبات امتلاك المهارات اللغوية : (الاستماع ، والكلام ، والقراءة ، والكتابة).

7 ـ اضطراب الذاكرة اللغوية.

8 ـ ضبط طبيعة العلاقة بين اللغة والذاكرة.

سادسًا : **الجغرافيا اللسانية Géolinguistique / Geolinguistics:**

يُعد الاهتمام بالعامل الجغرافي أثناء التعامل مع الظاهرة اللغوية نزعة قديمة يقدم البحث اللغوي نفسه، فالدارسون العرب الأقدمون أسسوا تحرياتهم اللغوية على العامل الجغرافي ويظهر ذلك في حرصهم الشديد على تحديد رقعة الفصاحة تحديدًا جغرافيًا. ويندرج هذا الإجراء فيما يسمى بالبحث في اللسانيات الخارجية، يقول دي سوسير في هذا الشأن: " إنَّ من يباشر مسألة علاقة الظاهرة اللسانية بالمكان، يخرج من مجال اللسانيات الداخلية ويدخل في مجال اللسانيات الخارجية "[1]

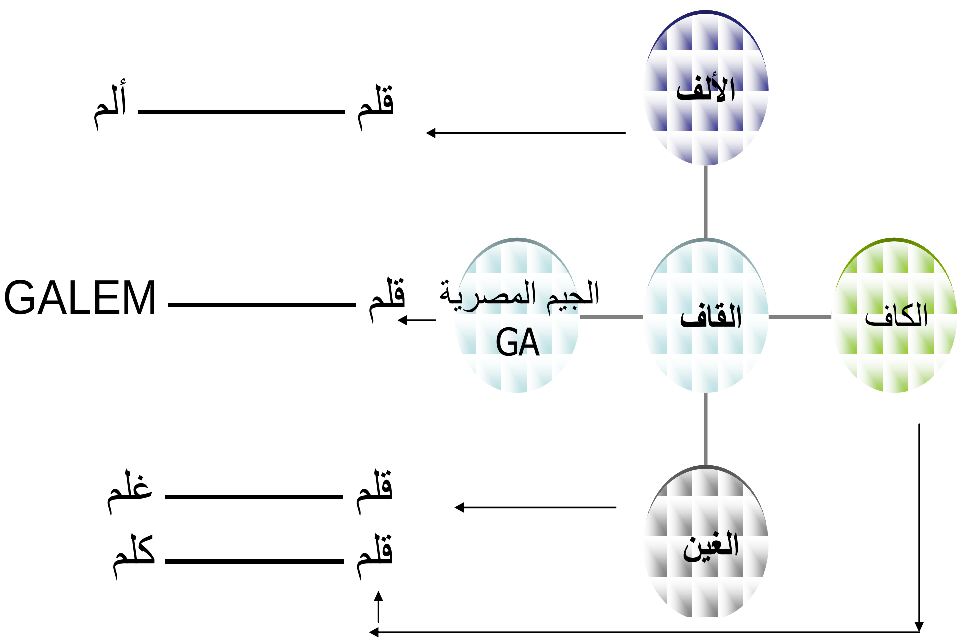
إنَّ تأسيس البحث – في اللسانيات الخارجية – على المكان قد يجد مبررًا له في تنوع الحدث اللغوي، واختلافه من منطقة جغرافية إلى أخرى، يقول دي سوسير : " لئن كانت الاختلافات اللغوية الناجمة عن

(1) ـ دي سوسير، دروس في الألسنية العامة، ترجمة صالح القرمادي، ص 285.

الزمان غالبًا ما تغيب عن الملاحظ فإنَّ الاختلافات اللغوية بين مكان وآخر، تبرز مباشرة للعيان (...) إنَّ هذه المقارنة بالذات، هي التي تجعل شعبًا من الشعوب يتفطن إلى أنَّ له لسانًا خاصًا".[1]

وقد حاول الباحثون في هذا السمت ضبط الاستعمالات اللغوية المختلفة بكل مستوياتها الصوتية والتركيبية والدلالية، وتصنيفها حسب التوزيع الجغرافي للمصدر البشري المستعمل للغة معينة، ويتم ذلك عادة بواسطة خرائط وأطاليس تبيِّن الاختلافات اللهجية للمجموعة البشرية الواحدة.

نموذج التغيرات الصوتية بتغير المكان



أول مبادرة تسجل في هذا الشأن كانت على يد الباحث اللغوي الألماني **Georg Wenker** (1852ـ 1911) الذي لم يؤثر في الفكر اللغوي آنذاك بسبب تأخر نشر أبحاثه (1881) ثم وسع (**Wenker**) التحريات إلى كل المناطق الألمانية فحصل على مجموعة من الأجوبة (44521 إجابة) لمجموعة أسئلة كان قد اعتمدها، بيد أنَّ هذه النتائج لم تظهر إلا في سنة 1926 بعنوان Deutscher Sprachtlas.

(1) ـ دي سوسير، دروس في الألسنية العامة، ترجمة صالح القرمادي، ص 285.

ثم بعد ذلك بدأ الفرنسيون يهتمون بهذا النوع من الدراسة، فقام أحد الباحثين، وهو جول جيليرون Jules Gilliéron (1854 – 1926) بإجراء تحريات تتمثل في مجموعة من الأمثلة الموجهة لمعرفة كيفيات أداء اللغة، تتكون من 1500 سؤال طرحت على الأهالي الذين يتوزعون على 630 منطقة جغرافية معينة، ثم وضع الأجوبة على خرائط ونشرها باسم أطلس فرنسا اللغوي[1]. (L'Atlas linguistique de la France (ALF يسمى أيضا أطلس جيليرون نشر بين 1902و 1910 يتضمن الاختلافات اللهجية انطلاقًا من الأقاليم الجغرافية لفرنسا.

ومن الكتب الأخرى التي تدرج في هذا السمت [2] :

-Andre MARTINET, Prononciation du français contemporain, 1945.

P. Nauton, Atlas linguistique et ethnographique du Massif Central 1957 .

(1)ـ الحاج صالح ، المرجع المذكور سابقا ، ص 30 ، 31 ، العدد 1 سنة 1972.

(2)ـ ميشال زكريا ، المرجع المذكور سابقا ، ص 121

القسم الثاني : المباحث

المبحث الأول: المبحث الصوتي.

المبحث الثاني: المبحث التركيبي .

المبحث الثالث: المبحث الدلالي .

أولاً : المبحث الصوتي.

توطئة :

تقتضي طبيعة هذا المبحث من حيث إنّه دراسة وصفية تتناول مظهراً أساسًا في الظاهرة اللغوية نظرة فاحصة لجهود الدارسين الأقدمين في ترقية الوصف العلمي للأصوات اللغوية ، ولايتحقق ذلك إلا بتعقب مسار تطور الدراسات اللغوية تعقبًا مرحليًا ، والوقوف على المعالم الكبرى للدراسات الصوتية في هذا المسار .

إذا ما تأملنا مليًا الإسهامات الإنسانية في مجال الدراسة الصوتية عبر التاريخ، نجد الفكر الإنساني كان قد اهتم في فترة مبكرة جدًا من عمر الحضارة الإنسانية بالظاهرة الصوتية، ويعود ذلك في جوهره إلى دور الأصوات في اكتمال النسق التواصلي بين أفراد المجتمع البشري، إذ إنَّ الطبيعة الإنسانية تقتضي بالضرورة العضوية والنفسية والاجتماعية استعمال الصوت لتحقيق عملية التواصل والإبلاغ .

لقد التفت الإنسان منذ القدم إلى هذه الظاهرة بوصفها أثرًا حسيًا تحدثه أعضاء جهاز النطق عند الإنسان،لذلك نجد محاولات رائدة في الفكر الإنساني القديم من أجل مقاربتها وإيجاد التفسير الكافي لمظاهرها المختلفة.

نحاول، حينئذ، أنْ نقف عند أهم المحطات البارزة في مسار الدراسة الصوتية عبر تاريخ الحضارة الإنسانية .

أولاً:الدراسة الصوتية عند الهنود:

لقد اهتم الهنود اهتمامًا ملحوظًا بالدراسة اللغوية بعامة والدراسة الصوتية بخاصة، وقد نشأت هذه الدراسة واكتملت في رحاب الكتاب المقدس لدى الديانة الهندوسية(VIDA)، ويتبدى ذلك خاصة في الجهود اللغوية التي تنسب إلى بانيني (Panini) العالم اللغوي الهندي الذي عاش في القرن الخامس، أو الرابع قبل الميلاد.

يجمع جل الدارسين المعاصرين على أنَّ أول وصف دقيق للأصوات اللغوية من ناحية نطقها في تاريخ الإنسانية كان على يد الهنود، يقول **جورج مونان** في هذا الشأن: "الأمر الذي يدهشنا في القواعد الهندية

أنّها قامت بالتحليل اللغوي الثاني، وكان الهنود يعنون عناية قصوى باختيار اللفظ الصحيح للعبارات الدقيقة، مما أدى بهم إلى تدوين أول وصف للأصوات اللغوية.[1]

إذا تأملنا مليًّا الدراسات الصوتية عند الهنود نجدها تعكس وعًّا علميًّا عميقًا، يتجلى في دقة الوصف والتصنيف، ويعود ذلك إلى اهتمامهم بالنطق الصحيح ؛ أي الأداء الفعلي للكلام الذي يعد إنجازاً مثاليًّا ، أضحى متواترًا ومألوفًا لدى الأجيال القارئة للكتاب الديني (الفيدا).وهذا النموذج المثالي المرتبط بهذا الكتاب(الفيدا) كان العامل المباشر في نشأة علم يصف الأصوات وصفًا دقيقًا من الجانبين النطقي والسمعي، إذ كان حرصهم شديدًا على وضع قواعد قراءة النص الديني والأداء الصحيح باعتماد معايير صوتية، وهذا شبيه بما فعله القراء في الثقافة الإسلامية لاحقًا.

يمكن لنا ، حينئذ ، أنْ نجمل مظاهر الدراسة الصوتية عند الهنود في الآتي :

1ـ يرى الهنود أنَّ الكلام يعتمد بشكل عام على (سفارا) (**Svara**): أي النَّفَس الذي يُحْدِثُ الصوت، أو الهواء الذي يحمله، بيد أنَّ النَّفَسَ الصائت لايستقر على حال، إذ يتغير بتغير الأعضاء المتحركة في التجويف النطقي، وهذا التغير والتلون ينعت عندهم بـ(سبارسا) (**Sparsa**)، ويعني التماس والضغط، وينسب حينئذ، الصوت الناتج عن هذه الوضعية إلى المكان الذي حدث فيه ذلك، ويصبح النَّفَسُ من ههنا موصوفًا بصفة الموضع الذي وقع فيه الضغط، ويسمى في هذه الحالة (فيانجانا) ، ويقابله (سفارسا) الصوت المجرد الذي ليس إلا نَفَسًا صائتًا.

2ـ للأصوات تقسيم آخر عند الهنود يختلف عن التقسيم القائم على المخارج التي تُوسَمُ عندهم بـ(ستهنا) (**Sthāna**) ، فبعد أنْ لاحظوا عملية إنتاج الأصوات ملاحظة دقيقة، تبين لهم أنَّ الأصوات بطبيعتها الفيزيولوجية(العضوية) يمكن أنْ تُصَنَّفَ حسب اتساع مخارجها، فهناك صنف ينعت بـ:(سبارسا)، وهي الأصوات التي تحدث بتأثير ضغط يسمى (أوسمان)،أي النَّفَس غير الصائت، وهناك صنف آخر يسمى بـ: (أنتاهستا) ؛أي الأصوات المتوسطة التي ليست بمطلقة أصلاً، ولايمكن لها أيضًا أنْ تكون مضغوطة، ولا منفوخة، فهي بين (سفارسا) و (سبارسا) الشديدة.

وقد ميز الهنود أيضاً بين الأصوات التي تُصْحَبُ بصوت حَنْجَرِي (كهوسفانت) ، والتي تتميز – زيادة على كونها مصحوبة بصوت حنجري – بصدى في التجويف الأنفي (أنوناسيكا)، وهي أصوات الغنة.

---

(1) ـ جورج مونان ، تاريخ علم اللغة منذ نشأتها حتي القرن العشرين ، ص 65.

3ـ لم يكتف الهنود بالدراسة الوصفية التطبيقية، بل تجاوزوا ذلك إلى دراسة الظاهرة الصوتية عند الإنسان دراسة نظرية، فلهم في هذا المجال آراء لاتنكر ولاترد، إذ إنَّ ملاحظاتهم النظرية العميقة تعد رائدة في إطارها التاريخي .

ومن القضايا الجوهرية التي استقطبت اهتمامهم: ماهية الصوت اللغوي، فقد انتبهوا مبكرًا إلى الفرق القائم بين الصوت من حيث هو ظاهرة فيزيائية عامة، والصوت من حيث هو ظاهرة فيزيولوجية (عضوية) خاصة بكلام البشر، وفي رحاب هذا الاهتمام أدركوا الخاصية التي يتميز بها الصوت اللغوي من الناحية الوظيفية والدلالية .

ومن ههنا، فإن الهنود – وبهذا العطاء الوافر – يكونون قد وضعوا أرضية أولية لنظرية علمية قادرة على تقديم التفسير الكافي لكل الحالات المتعلقة بالظاهرة الصوتية بكل جوانبها النفسية والفيزيولوجية والفيزيائية.[1]

ثانيا : الدراسة الصوتية عند اليونان:

لقد انشغل الفلاسفة والمفكرون اليونانيون الأقدمون بالظاهرة اللغوية بكل مستوياتها منها ما هو صوتي ومنها ما هو تركيبي ودلالي ، إذ إنَّهم ما انفكوا يفردون مباحث شتى تتناول في مجملها طبيعة النسق التواصلي ومكوناته اللسانية، فتوافر في ظل هذا الاهتمام رصيد علمي ما زال يملك الشرعية المعرفية في الفكر اللساني المعاصر.

يتبدى اهتمام اليونانيين بالدراسة الصوتية في نظام الكتابة وتطوره في الحضارة اليونانية، إذ إنَّ البداية الجادة في هذا المجال كانت انطلاقًا من الإصلاح البوني الذي حدث قبل القرن السابع، ويتعلق الأمر بالتغيير الذي طرأ في سلسلة الحروف، حيث استخدم الحرف (H) وأنشئ (O) للدلالة على (æ) الممدودتين تمييزًا لهما عن حروف المد القصيرة [2].كان اليونان منذ عهد أوربيدس (EURIPIDE)[1] (480 –

(1) ـ ينظر الحاج صالح ، مدخل إلى علم اللسان الحديث ، مجلة اللسانيات ، ص 42 – 44 .

2 - **GEORGES MOUNIN**, **Histoire** de la **linguistique**: Des **origines** au XXe. **siécle**. P 66 .

406ق.م) يميزون بين الأصوات الصامتة والأصوات الصائتة، ويجدر بنا أن نشير ههنا إلى جهد أفلاطون في هذا المجال، إذا إنَّه كان قد تناول – حوالي 386 – 385 ق. م – التحليل السمعي للأصوات في حواره كراتيل(Cratyl) يقول: "ألا ينبغي لنا نحن أيضًا أنْ نبدأ بتمييز الصوائت، ثم نصنف باقي العناصر؛ أي العناصر الصوتية التي لاتقبل التجزئة حسب أنواعها، وهي لاتتضمن صوتًا، ثم ننتقل إلى العناصر التي ليست من الأصوات الصامتة، ولا الأصوات الصائتة "(2)

عود على بدء نقول إنَّ الدراسة الصوتية عند اليونان تتجلى في نظام الكتابة، وما يوفره من ترميز شامل للظاهرة الصوتية، كما هي مألوفة في اللسان اليوناني، لأنَّ الكتابة اليونانية – كما هو مؤكد تاريخيًا – تستمد أصولها من الكتابة الفنيقية التي انتشرت في الأمصار اليونانية بفضل الحركة التجارية الواسعة للفنيقيين الذين كان نفوذهم قد توسع ليشمل سواحل البحر الأبيض المتوسط، مما جعلهم يستقرون ويؤسسون مستعمرات لهم في شمال إفريقيا، ومناطق شاسعة في شبه الجزيرة الإيبيرية(3) خاصة، وقَادَتْهُمْ التجارة إلى التعامل مع اليونان في موطنهم الأصلي، وفي الجزر القريبة منهم.

وحرصًا منهم على تأكيد الاحتكاك الحضاري، وتعميق قيمه الإنسانية، أهدى الفنيقيون أثمن ما اخترعوه من إنجازات حضارية راقية؛ وأعني بذلك نظام الكتابة، فانتشرت الكتابة الفنيقية في بلاد اليونان، ومن خلالهم إلى جميع الأمصار الأوروبية(4). فأضحى نظام الكتابة الفنيقية أصلاً للأبجدية اليونانية المعروفة، وقد صرح بذلك المؤرخ اليوناني القديم هيرودوت، والروماني بلينوس.(5)

---

(1)ـ Euripide شاعر تراجيدي يوناني (480ـ 406 ق م)

2 - **GEORGES MOUNIN**, **Histoire** de la **linguistique**: Des **origines** au XXe. **siécle**.. P 87 .

(3)ـ **شبه جزيرة أَيْبِيرِيَا (جزيرة الأندلس** أثناء فترة الحكم الإسلامي للأندلس)، تقع في الجزء الجنوبي الغربي من قارة أوروبا. تتكون من إسبانيا والبرتغال وأندورا ومستعمرة جبل طارق.

(4)ـ ينظر أحمد هبو ، الأبجدية ،نشأة الكتابة وأشكالها عند الشعوب ،ص 98.

(5)ـ المرجع نفسه ، 99 .

بيد أنَّ ما يمكن لنا ذكره في هذا الشأن، هو أنَّ نظام الكتابة عند الفنيقيين بالصورة التي وصل بها إلى اليونان، اقتصر على الأصوات الصامتة فحسب، الأمر الذي جعل اليونانيين يضيفون إليه نسقًا ترميزيًا خاصًا بالأصوات الصائتة[1] مع الاحتفاظ بأسماء الحروف الكنعانية المألوفة في الكتابة الفنيقية: ألفا (ALPHA) بيتا (BETA) جاما(GAMMA) دلتا (DELTA) وهي في الكنعانية : ألف ـ بيت ـ جميل ـ دالت ـ وتعني : ثور ـ بيت ـ جمل ـ باب.[2]

إذا تأملنا المدونة الفكرية لأرسطو نجدها تتضمن رصيدًا معرفيًا في مجال الدراسة الصوتية، ذلك الرصيد الذي يدل على وعي عميق بالقيمة العلمية للتحليل الصوتي، فنجده يقول في هذا الشأن : " الحرف صوت لايتجزأ، وهو صوت معين ومن طبيعته أنْ يدخل في تركيب صوت معقد، ذلك لأنَّ الحيوان أيضًا يصدر أصواتًا لاتتجزأ، ولكن لا أطلق عليها اسم الحرف، وتتألف الأبجدية من حروف صائتة ومتوسطة وصامتة، والحرف الصائت هو الذي يملك صوتًا مسموعًا دون حركة في اللسان، أو تقارب في الشفتين، والحرف المتوسط هو الذي يملك صوتًا مسموعًا بفضل هذا التقارب في اللسان والشفتين، مثال على ذلك : حرف السين أو الراء (...) والحرف الصامت لا يملك أي صوت (...) لكنه يكون مسموعًا إذا رافقه حرف صامت، وتختلف هذه الحروف باختلاف الشكل الذي يتخذه وضع الفم أو باختلاف المكان الذي ينطق منه ، وقد تكون مجهورة ، أو مهموسة ، حادة أو خشنة ، أو بين بين (...). أمَّا المقطع فهو صوت خال من المعنى يتألف من حرفين صامت وصائت". [3]

إنَّ نظرة عجلى في هذا النص تهدي إلى ما يلي :

1ـ الحرف صوت لا يقبل التحليل إلى وحدة أصغر، وهو قابل في ذاته أنْ يدخل في تركيب معقد .

2ـ تتكون الأبجدية، من حيث هي نسق ترميزي حضاري من حروف صائتة، ومتوسطة وصامتة.

الحرف الصائت :هو صوت مسموع يظهر دون إحداث حركة في اللسان، أو الشفتين، بمعنى أنَّ الصوت الصائت يَحْدُثُ حينما يمر الهواء في المجرى الصوتي دون أنْ يعترض سبيله أي عائق عضوي .

الحرف المتوسط : هو الصوت المسموع الذي يَحْدُثُ بفضل تقارب في اللسان أو الشفتين مثل السين والراء.

الحرف الصامت : هو صوت لايملك أي أثر صوتي مساعد على النطق في ذاته، لذلك لايكون مسموعًا إلا إذا رافقه صوت صائت.

3ـ تختلف هذه الحروف باختلاف شكل أعضاء جهاز النطق، حيث تتباين بتباين مخارجها.

---

(1)ـ ينظر أحمد هبو ، الأبجدية ،نشأة الكتابة وأشكالها عند الشعوب ، 99 .

(2)ـ المرجع نفسه، ص 28 .

(3)ـ جورج مونان ، المرجع المذكور سابقًا ، ص 86 .

4ـ إنَّ هذه الأصوات بقدر ما هي تختلف باختلاف مخارجها ، فهي تختلف أيضًا باختلاف صفاتها السمعية.

5ـ المقطع صوت مجرد يخلو من أي دلالة في ذاته ، وهو يتكوَّن أساسًا من صوتين أحدهما صامت والآخر صائت.

ثالثا: الدراسة الصوتية عند العرب :

نشأت الدراسة اللغوية العربية في رحاب التحول الفكري والحضاري الذي أحدثه القرآن الكريم في البيئة العربية ، انطلاقًا من الشعور بمعجزة البناء اللغوي على المستويين التركيبي والدلالي ، وتأسيسًا على ذلك بدأ التفكير في النسق الترميزي من ناحية ، والتفكير في وضع معايير للحفاظ على النطق السليم من ناحية أخرى ، وذلك كله حسب ما تقتضيه كفاية المتكلم – المستمع المثالي للسان العربي في البيئة اللغوية العربية المتجانسة.

لقد حظي الجانب الصوتي باهتمام خاص لدى الدارسين الأقدمين على اختلاف توجهاتهم العلمية : القراء والنحاة وعلماء الأصول والفلاسفة،وأحسن دليل على ذلك الاهتمام بالظاهرة الصوتية هو أن الأساس الأولي المعوَّل عليه في وضع المعايير التأسيسية للنحو العربي كان الصوت من حيث هو ظاهرة قابلة للملاحظة المباشرة ، ويبدو أن أصفى صورة لتعزيز ما نحن بسبيله قصة أبي الأسود الدؤلي (68هـ) مع كاتبه حينما همَّ بوضع ضوابط قراءة القرآن الكريم ، إذ قال له : " إذا رأيتني قد فتحت فمي بالحرف فانقط نقطة فوقه على أعلاه ،فإنْ ضممت فمي ، فانقط نقطة بين يدي الحرف ، وإن كسرت، فاجعل النقطة تحت الحرف ، فإنْ أتبعت شيئًا من ذلك غنة ، فاجعل مكان النقطة نقطتين".[1]

إنَّ المتأمل في هذا القول يلاحظ ما يلي :

1ـ المنهج المعوَّل عليه ههنا منهج علمي موضوعي قائم على ملاحظة العملية التلفظية (النطقية) ملاحظة مباشرة ، من حيث هي أداء خطابي في الواقع الفعلي للحدث اللغوي.

2ـ يهدف هذا العمل إلى وضع ضوابط الأداء الفعلي انطلاقًا من قراءة القرآن الكريم قراءة صحيحة وأصيلة ، تلك القراءة التي تخضع للكفاية اللغوية للسان العربي .

3ـ النسق القواعدي في مرحلته الجنينية نشأ في رحاب معاينة الظاهرة الصوتية.

---

(1)ـ السيرافي ، أخبار النحويين البصريين ، ص 12.

4. مصطلحات المميزات الوظيفية (حركات الإعراب) في اللسان العربي،أساسها الجانب الفيزيولوجي (العضوي) من الظاهرة الصوتية .

5. كانت محاولة أبي الأسود محاولة واقعية، مما يدل على أنَّ الفكر اللغوي العربي انتبه منذ فترة مبكرة جدًا إلى أهمية الصوت في اللغة الإنسانية.

أ ـ الدراسة الصوتية عند الخليل:

لقد تبوأ الاهتمام بالدراسة الصوتية مكانة راقية في الفكر اللساني العربي القديم على يد الخليل بن أحمد الفراهيدي (175 هـ) الذي انفرد في حقبة تاريخية مبكرة جدًا من عصر الحضارة العربية والإسلامية برؤية واعية وعميقة عند تعامله مع طبيعة الأصوات اللغوية، الأمر الذي جعله يُخْرِجُ أول معجم عربي أُسِّسَ ترتيب مواده على مخارج الأصوات ، ولذلك وُسِمَ بالعين نسبة إلى أول صوت حلقي حسب ترتيب الأصوات عند الخليل .

كان للخليل بن أحمد الفراهيدي فضل كبير في تهيئة الأرضية العلمية لدراسة الأصوات دراسة دقيقة ووصفها وصفًا شاملاً، فقد قدم الخليل صورة وافية عن جهاز النطق عند الإنسان، إذ تعرض إلى مكونات مسار إنتاج الصوت من الحلق إلى الشفتين، وحدَّد بدقة فائقة مواقع إنتاج الأصوات، فوقف عند الحَلْقِيَّةِ والشَّجْرِيَّةِ والنِّطْعِيَّةِ والذَّلَقِيَّةِ والشَّفَوِيَّةِ ، وبين مخرج كل صوت معتمدًا على حسه وسمعه وعادته اللغوية .

إنَّ الحس السمعي عند الخليل جعله يتجاوز نظامين كانا مألوفين آنذاك (لما أراد ترتيب معجمه ترتيبًا صوتيًا).

النسق الأول : نظام الحروف الهجائية، وهو النسق الذي وضعه نصر بن عاصم[1](ت89هـ) مراعيًا التشابه بين الحروف في شكلها الخطي.[1]

---

(1) ـ نصر بن عاصم الليثي هو أول من رتَّب الحروف الهجائية العربية على أساس التجانس والتشابه، ووضع الإعجام(نقط الحروف) للميز بينها، وهذا العمل الذي قام به نصر بن عاصم كان تكملة لنقط المصحف الذي اضطلع به شيخه أبو الأسود الدؤلي. ينظر المحكم في نقط المصاحف ، أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني (444) تحقيق د. عزة حسن ، دار الفكر 1997 ، ص 29، 30.

النسق الثاني : النسق الأبجدي، وهو نظام موروث عن اللغات السامية.

تجاوز الخليل هذين النسقين واستعمل نسقًا ترتيبيًا آخر قائمًا أساسًا على الترتيب التصاعدي لمخارج الأصوات، والسبب المباشر الذي جعل الخليل يلجأ إلى هذا الترتيب غير المألوف في زمانه، ولا في الزمن السابق، هو أنَّه لما تأمل الأصوات في اللسان العربي وجدها تمر أصلاً بالحلق، فالممر الأول للأصوات في مسارها التشريحي هو الحلق، لذلك فضل أنْ يكون البدء بأول صوت من مخرج الحلق حتى يكون الترتيب طبيعيًا [2]

يرى بعض الباحثين أنَّ الخليل حاول في بدء تفكيره أنْ يتبع نظام الأبجدية في ترتيب معجمه، فتبين له أنَّ الألف لا استقرار لها فلم يبدأ بها، فَكَرِهَ أن يبدأ بالحرف الثاني، وهو الباء، فانصرف ذهنه إلى سبيل آخر متميز وهو سبيل المخارج؛ لأنَّها أسهل طريقة في تصوره لاحتواء جميع المواد (الألفاظ) اللغوية، ومما ساعده على ذلك هو حسه الموسيقي.[3]

1 ـ عدد الأصوات (الحروف) عند الخليل :

انصرف جهد الخليل منذ البدء إلى تحديد عدد الأصوات (الحروف) في اللسان العربي، فهي " تسعة وعشرون حرفًا، منها خمسة وعشرون حرفًا صحاحًا لها أحياز ومدارج، وأربعة أحرف جُوف: وهي الواو والياء والألف اللينة والهمزة، سميت جُوفًا؛ لأنَّها تخرج من الجَوْفِ فلا تقع في مَدْرَجَةٍ من مدارج اللسان، ولا من مدارج الحلق، ولا من مدرج اللهاة، إنَّما هي في هاوية (في الهواء) فلم يكن لها حَيِّزٌ تنسب إليه إلا الجَوْف"[4]

---

(1)ـ ينظر المهدي المخزومي ، الخليل بن أحمد ، ص 96.

(2) ـ ينظر أحمد محمد قدور ، أصالة علم الأصوات ، 24.

(3)ـ ينظر د. نجا : المعاجم اللغوية ص17 أورده عبد الغفار حامد هلال، أصوات اللغة العربية. ص99.

(4) ـ الخليل بن أحمد الفراهيدي (175) كتاب العين ، تحقيق الدكتور مهدي المخزومي والدكتور إبراهيم السامرائي منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، لبنان 1988. 1/ 57.

تنقسم أصوات اللسان العربي ـ في نظر الخليل ـ إلى قسمين: الأصوات الصحاح والأصوات الجُوف ؛الأصوات الصحاح: هي تلك الأصوات التي لها أحياز ومخارج تنسب إليها، وتسمى بها، فيقال أصوات حلقية ولهوية وشَجْرِية وأسلية، أمَّا الجُوفُ أو العِلَلُ فليس لها موقعٌ تُنْسَبُ إليه في المدرج الصوتي، فهي حينئذ جَوفِيَّةٌ أو هَوَائِيَّةٌ.

2. مخارج الأصوات عند الخليل:

يقول الخليل: " فأقصى الحروف كلها: العين ثم الحاء ولولا بَحَّةٌ في الحاء لأشبهت العين لقرب مخرجها من العين، ثم الهاء ولولا هَتَّه في الهاء، وقال مرة هَهَّة لأشبهت الحاء لقرب مخرج الهاء من الحاء، فهذه ثلاثة أحرف في حَيِّزٍ واحد بعضها أرفع من بعض، ثم الخاء والغين في حيِّز واحد كلهن حلقية، ثم القاف والكاف لهويتان، والكاف أرفع، ثم الجيم والشين والضاد في حيز واحد، ثم الصاد والسين والزاي في حيز واحد، ثم الطاء والدال والتاء في حيز واحد، ثم الظاء والذال والثاء في حيز واحد، ثم الراء واللام والنون في حيز واحد، ثم الفاء والباء والميم في حيز واحد، ثم الألف والواو والياء في حيز واحد، والهمزة في الهواء لم يكن لها حيز تنسب إليه ". [1]

ثم ينصرف الخليل إلى تفصيل المخارج بذكر حدودها يقول: " العين والحاء والهاء والخاء والغين حَلْقِيَّة ؛ لأنَّ مبدأها من الحلق، والقاف والكاف لَهَوِيَتَان، لأنَّ مبدأهما من اللهاة، والجيم والشين والضاد شَجْرِيَّة ؛ لأنَّ مبدأها من شَجْرِ الفم ؛ أي مَفْرَج الفم، والصاد والسين والزاي أسَلِيَّة ؛ لأنَّ مبدأها من أَسَلَةِ اللسان، وهي مستدق طرف اللسان، والطاء والدال والتاء نِطْعِيَّة ؛ لأنَّ مبدأها من نِطْعِ الغار الأعلى، والظاء والذال والثاء لَثَوِيَّة ؛ لأنَّ مبدأها من اللِّثَّةِ، والراء واللام والنون ذَلَقِيَّة ؛ لأنَّ مبدأها من ذَلَقِ اللسان، وهو تحديد طرفي اللسان، والفاء والباء والميم شَفَوِيَّة، وقال مرة شفهية ؛ لأنَّ مبدأها من الشفة، والياء والواو والألف والهمزة هَوَائِيَّة في حيز واحد ؛ لأنَّها لا يتعلق بها شيء، فنسب كل حرف إلى مدرجته وموضعه الذي يبدأ منه ". [2]

---

(1) ـ الخليل بن أحمد الفراهيدي (175) كتاب العين ، 58/1.

(2)ـ المرجع نفسه ، 58/1.

يتبدى من هذا التصنيف الذي اعتمده الخليل أنَّ مخارج الأصوات في اللسان العربي تسعة وهي كالآتي :

الحَلْقِيَّة : العين والحاء والهاء والخاء والغين.

اللَّهَوِيَّة : القاف والكاف .

الشَّجْرِيَّة : الجيم والشين والضاد .

الأسَلِيَّة : الصاد والسين والزاي .

النِّطْعِيَّة : الطاء والدال والتاء .

اللَّثَوِيَّة : الظاء والذال والثاء .

الذَّلَقِيَّة : (ذولقية) الراء واللام والنون.

الشَّفَوِيَّة : الفاء والباء والميم.

الجَوْفِيَّة : (الهوائية) الياء والواو والألف (الهمزة).

يقول الخليل في سياق آخر: " إنَّ الحروف الذُّلْق والشفوية ستة وهي: الراء واللام والنون، الفاء والباء والميم، وإنَّما سميت هذه الحروف ذُلْقًا لأنَّ الذلاقة في المنطق إنَّمَا هي بطرف أسلة اللسان والشفتين، وهما مَدْرَجَتا هذه الحروف الستة منها ثلاثة ذلقية (ر. ل. ن) تخرج من ذلق اللسان من طرف غار الفم، وثلاثة شفوية (ف. ب . م) مخرجها من بين الشفتين خاصة ، لا تعمل الشفتان في شيء من الحروف الصحاح إلا في هذه الأحرف الثلاثة فقط، ولا ينطلق اللسان إلا بالراء واللام والنون، وأمَّا سائر الحروف فإنَّها ارتفعت فوق ظهر اللسان من لدن باطن الثنايا من عند مخرج الثاء إلى مخرج الشين بين الغار الأعلى وبين ظهر اللسان ليس للسان فيهن عمل أكثر من تحريك الطبقتين بهن، ولم ينحرفن عن ظهر اللسان انحراف الراء واللام والنون، وأمَّا مخرج الجيم والقاف والكاف فمن بين عُكْدَةِ اللسان وبين اللهاة في أقصى الفم ، وأمَّا مخرج

العين والحاء والهاء والخاء والغين فالحلق. وأمَّا الهمزة فمخرجها من أقصى الحلق مهتوتة مضغوطة فإذا رُفِّهَ عنها لاَنَتْ فصارت كالياء والواو والألف عن غير طريقة الصحاح ". [1]

خلاصة ترتيب الأصوات عند الخليل :

ع ح هـ خ غ/ ق ك / ج ش ض / ص س ز / ط د ت / ظ ذ ث / ر ل ن / ف ب م / تضاف إليها الجوفية (الياء و الواو و الألف و الهمزة).

حاول بعضهم تيسير حفظ ترتيب الأصوات عند الخليل فنظمها شعرًا ، من ذلك :

1 ـ منظومة أبي الفرج سلمة بن عبد الله بن دلان المعافري الجزيري : [2]

يا سائلي عن حروف العين دُونَكَهَا في رتبة ضَمَّهَا وَزْنٌ وإحْصَاءُ
العينُ والحاءُ ثم الهاءُ والخاءُ والغينُ والقافُ ثم الكافُ أَكْفَاءُ
والجيم والشين ثم الضاد يتبعها صادٌ وسينٌ وزايٌ بعدها طاءُ
والدال والتاء ثم الظاء متصلٌ بالظاء ذالٌ وثاء بعدها راءُ
واللام والنون ثم الفاء والباء والميم والواو والمهموز والياءُ

2 ـ يقول عبد السلام هارون : " وقد وجدت ضابطًا من النظم لهذه الحروف في صدر نسخة عارف حكمت من التهذيب هذا نصه :

عَنْ حُزْنِ هَجْرِ خَرِيدَةٍ غَنَّاجَةٍ
قَلْبِي كَوَاهُ جَوًى شَدِيدُ ضِرَارِ
صَحْبِي سَيَبْتَدِئُونَ زَجْرِي طُلَّبًا
دَهَشِي تَطَلُّبَ ظَالِمٍ ذِي ثَارِ

(1)ـ الخليل ، معجم العين ، 52/1.

(2)ـ السيوطي ، المزهر في علوم اللغة العربية ، وأنواعها . 89/1 .

رَغْمًا لِذِي نُصْحِي فُؤَادِي بِالْهَوَى

مُتَلَهِبٌ وَذَوِي المَلاَمِ يُمَارِي

من الواضح أنَّ المراد الحروف الأولى من كلمات هذا النظم". [1]

ب .الدراسة الصوتية عند سيبويه:

نلفي ذلك الجهد ملحوظًا أيضًا عند سيبويه (180 هـ) في مؤلفه(الكتاب) حيث إنَّه تناول الأصوات اللغوية تناولاً شاملاً من حيث المخارج والصفات والحالات الطارئة على الأصوات أثناء تأليفها وتركيبها في السياق اللغوي.

بحث سيبويه الأصوات اللغوية في باب الإدغام الوارد في مبحث وسمه بـ: باب عدد الحروفِ العربية، ومخارجِها، ومهموسِها، ومجهورِها، وأحوالِ مجهورِها ومهموسِها، واختلافِها. [2]

بدأ هذا المبحث بتأصيل أصوات (حروف) اللسان العربي، وضبط عددها، فهي تسعة وعشرون صوتًا(حرفًا)" الهمزة والألف والهاء والعين والحاء والغين والخاء والكاف والقاف والضاد والجيم والشين والياء واللام والراء والنون والطاء والدال والتاء والصاد والزاي والسين والظاء والذال والثاء والفاء والباء والميم والواو." [3]

1 .مخارج الأصوات عند سيبويه:

---

(1) ـ أورده عبد السلام هارون في تحقيقه كتاب تهذيب اللغة ، لأبي منصور أحمد الأزهري (370 هـ) القاهرة 1964 ، 21 /1.

(2) ـ سيبويه ، الكتاب ، تحقيق عبد السلام هارون ط2 ، مكتبة الخانجي ، القاهرة 1982 ، 4 /431.

(3) ـ المرجع نفسه ، 431/4.

انصرف سيبويه إلى تحديد مخارج الأصوات حسب الأداء النطقي لدى المتكلم في البيئة العربية ، فتبين له أنَّ مخارج الأصوات (الحروف) سِتَةَ عَشَرَ مخرجًا :

ـ فللحلق منها ثلاثةٌ :

أقصاها مخرجًا : الهمزة والهاء والألف.

ومن أوسط الحلق : مخرَجُ العين والحاء.

وأدناها مخرجًا من الفم : الغين والخاء.

ـ ومن أقصى اللسان وما فوقه من الحَنَك الأعلى مخرج القاف.

ـ ومن أسفل من موضع القاف من اللسان قليلاً ، ومما يليه من الحنك الأعلى مخرج الكاف.

ـ ومن وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى مخرج الجيم والشين والياء.

ـ ومن بين أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس مخرج الضاد.

ـ ومن حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان ما بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى (وما فويق الضاحك والناب إلى الرباعية والثنية) مخرج اللام.

ـ ومن حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان ما بينهما وبين ما يليها من الحنك الأعلى وما فُويْقَ الثنايا مخرج النون.

ـ ومن مخرج النون غير أنَّه أدخل في ظهر اللسان قليلا لانحرافه إلى اللام مخرج الراء.

ـ ومما بين طرف اللسان وأصول الثنايا مخرج الطاء والدال والتاء.

ـ ومما بين طرف اللسان وفُوَيْقَ الثنايا مخرج الزاي والسين والصاد.

ـ ومما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا مخرج الظاء والذال والثاء.

ـ ومن باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا مخرج الفاء.

ـ ومما بين الشفتين مخرج الباء والميم والواو.

أضاف سيبويه إلى هذه المخارج الجوهرية مخرجًا ثانويًا لحالة عارضة للنون الساكنة" من الخياشم مخرج النون الخفيفة ".[1] يقصد النون الخفية.[2]

2 ـ صفات الأصوات عند سيبويه :

1 ـ الأصوات المجهورة :

يقول سيبويه بشأن الحرف المجهور هو :" حرفٌ أُشْبِعَ الاعتمادُ في موضعه، ومنعَ النفسَ أن يجريَ معه حتى ينقضي الاعتماد عليه ويجري الصوت. فهذه حال المجهورة في الحلق والفم، إلا أنَّ النون والميم قد يعتمد لهما في الفم والخياشيم فتصير فيهما غنةٌ. والدليل على ذلك أنَّك لو أمسكتَ بأنفك ثم تكلمت بهما لرأيت ذلك قد أخَلَّ بهما ". [3]

الأصوات المجهورة في تصور سيبويه هي: " الهمزة والألف والعين والغين والقاف والجيم والياء والضاد واللام والنون والراء والطاء والدال والزاي والظاء والذال والباء والميم والواو، فذلك تسعة عشر حرفًا ". [4]

---

(1) ـ سيبوبه : الكتاب، 4/ 433.

(2) ـ النون الخفية هي تلك النون الساكنة، أما المتحركة فمخرجها من الفم . إخفاء النون يكون مع النون الساكنة المتبوعة بحروف الإخفاء في مثل عَنْكَ ومِنْكَ فالنون في هذه الحالة (حالة السكون) تتأثر بالصوت الذي يليها ،وقد تتحقق هذه الحالة عندما تكون النون متبوعة بأصوات الإخفاء وهي: خمسة عشر صوتًا (التاء والثاء والجيم والدال والذال والزاي و السين والشين والصاد والضاد والطاء والظاء والفاء والقاف والكاف.) ينظر عبد الغفار حامد هلال، أصوات اللغة العربية، ص 90.

(3) ـ المرجع نفسه ، 4/434.

(4) ـ المرجع نفسه ، 4/434.

2 ـ الأصوات المهموسة :

الصفة المضادة للجهر هي صفة الهمس ، فالصوت المهموس هو : "حرف أُضعِفَ الاعتماد في موضعه حتى جرى النفَسُ معه ، وأنت تعرف ذلك إذا اعتبرت فردَّدْتَ الحرفَ مع جري النفس ، ولو أردت ذلك في المجهورة لم تقدر عليه ". (1)

ولذلك فإنَّ الأصوات المهموسة عند سيبويه هي : " الهاء والحاء والخاء والكاف والشين والسين والتاء والصاد والثاء والفاء فذلك عشرة أحرف ".(2)

3 ـ الأصوات الشديدة:

يقول سيبويه : " ومن الحروف الشديد وهو الذي يَمنَعُ الصوتَ أن يجري فيه. وهو الهمزة والقاف والكاف والجيم والطاء والتاء والدال والباء. وذلك لأنَّك لو قلت : الْحَجْ ثم مددت صوتك لم يجرِ ذلك ". (3)

4 ـ الأصوات الرِّخْوَة:

الرخوة هي الصفة المضادة للشديدة، يقول سيبويه : " ومنها الرِّخوةُ وهي : الهاء والحاء والغين والخاء والشين والصاد والضاد والزاي والسين والظاء والثاء والذال والفاء وذلك إذا قلت الطَّسْ وانْقَضْ وأشياء ذلك أجريتَ فيه الصوت إن شئت ". (4)

5 ـ الأصوات المنحرفة :

---

(1) ـ سيبويه : الكتاب ، 434/4.

(2) ـ المرجع نفسه ، 434/4.

(3) ـ المرجع نفسه ، 434/4.

(4) ـ المرجع نفسه ، 435/4.

الصوت المنحرف في نظر سيبويه هو:" حرف شديد جرى فيه الصوت لانحراف اللسان مع الصوت، ولم يعترض على الصوت كاعتراض الحروف الشديدة، وهو اللام. وإنْ شئت مددت فيها الصوت. وليس كالرخوة لأنَّ طرف اللسان لا يتجافَى عن موضعه، وليس يخرج الصوت من موضع اللام، ولكن من نَاحِيَتيْ مُسْتَدَقِّ اللسان فُوَيْقَ ذلك ". [1]

6ـ الأصوات المكررة:

يصف سيبويه الصوت المكرر بأنَّه: " حرف شديد يجري فيه الصوت لتكريره وانحرافه إلى اللام، فتجافَى للصوت كالرخوة ولو لم يكرَّر لم يجر الصوت فيه، وهو الراء ". [2]

7ـ الأصوات الليِّنة:

يرى سيبويه أنَّ هناك صفة تلحق ببعض الأصوات، فتنعت بالأصوات اللَّيِّنَة، وهي "الواو والياء ؛ لأنَّ مخرجهما يتسع لهواء الصوت أشدّ من اتساع غيرهما ".[3]

8ـ الصوت الهاوي:

يقول سيبويه في سياق حديثه عن صفات الأصوات:" ومنها الهاوي وهو حرف اتسع لهواء الصوت مَخْرَجُهُ أشدّ من اتساع مخرج الياء والواو، لأنَّك قد تضم شفتيك في الواو، وترفع في الياء لسانك قبل الحنَك، وهي الألف". [4]

ثم أردف قائلاً في السياق نفسه :" وهذه الثلاثة أخفى الحروف لاتساع مخرجهن. وأخفاهنّ وأوسعهنّ مخرجًا : الألف، ثم الياء، ثم الواو ". [1]

(1) ـ سيبويه : الكتاب ، 435/4.

(2) ـ المرجع نفسه ، 435/4.

(3) ـ المرجع نفسه ، 435/4.

(4)ـ المرجع نفسه ، 436/4.

9 ـ الأصوات المُطْبَقَةُ والمنفتحة:

يقول سيبويه: " ومنها المُطْبَقَةُ والمنفتحة، فأمَّا المطبقة فالصاد والضاد والطاء والظاء.

والمنفتحة: كل ما سوى ذلك من الحروف، لأنَّك لا تُطْبِقُ لشيء منهن لسانك، ترفعه إلى الحنك الأعلى".[2]

يوضح سيبويه كيفية الإطباق في الأصوات الأربعة المذكورة سابقًا بقوله:"وهذه الحروف الأربعة إذا وضعت لسانك في مواضعهن انطبق لسانك من مواضعهن إلى ما حاذى الحنك الأعلى من اللسان ترفعه إلى الحنك، فإذا وضعت لسانك فالصوت محصور فيما بين اللسان والحنك إلى موضع الحروف ". [3]

" فهذه الأربعة لها موضعان من اللسان، وقد بُيِّن ذلك بحصر الصوت. ولولا الإطباق لصارت الطاء دالا، والصاد سينًا، والظاء ذالا، ولخرجت الضاد من الكلام، لأنَّه ليس شيءٌ من موضعها وغيرُها ". [4]

10 ـ صفة الغنة: أشار سيبويه إلى صفة الغنة في إيماءة عابرة قائلا: " " ومنها حرف (شديد) يجري معه الصوت؛ لأنَّ ذلك الصوت غنة من الأنف، فإنَّما تخرجه من أنفك واللسانُ لازم لموضع الحرف، لأنَّك لو أمسكت بأنفك لم يَجْرِ معه الصوت وهو النون وكذلك الميم ".[5]

11 ـ صفة البينية : هي صفة ذلك الصوت الذي تقع كيفيته النطقية بين الشدة والرخاوة. يقول سيبويه بشأنه:"وأمَّا العين فبين الرِّخْوَة والشديدة=، تصل إلى الترديد فيها لشَبَهها بالحاء".[6]

---

(1) ـ سيبويه، الكتاب، 4/ 436.

(2) ـ المرجع نفسه، 436/4.

(3) ـ المرجع نفسه، 436/4.

(4)ـ المرجع نفسه، 436/4.

(5) ـ المرجع نفسه، 435/4.

(6)ـ المرجع نفسه، 1/ 435 .

ج ـ الدراسة الصوتية عند ابن جني:

ولعل قيمة الفكر اللغوي بشكل عام والصوتي بشكل خاص نجدها تتبدى بصورة واضحة عند ابن جني (392 هـ) في كتابه "سر صناعة الإعراب" الذي ضمنه مباحث متنوعة تناولت الصوت من الناحيتين: العضوية والوظيفية، وتظهر عبقرية ابن جني في هذا المجال عند وصفه جهاز النطق عند الإنسان حيث يقول : " شبه بعضهم الحلق والفم بالناي، فإنَّ الصوت يخرج فيه مستطيلاً أملسَ سَاذَجًا كما يجري الصوت في الألف غُفْلاً بغير صنعة، فإذا وضع الزامر أنامله على خروق الناي المنسوقة، وراوَحَ بين أنامله، اختلفت الأصوات، وسُمِعَ لكل خَرْقٍ منها صوت لا يشبهه صاحبه، فكذلك إذا قُطِعَ الصوت في الحلق والفم باعتماد على جهات مختلفة، كان سبب استماعنا هذه الأصوات المختلفة، ونظير ذلك أيضاً وَتَرُ العُودِ، فإنَّ الضارب إذا ضربه وهو مُرْسَلٌ، سَمِعْتَ له صَوْتًا، فإنْ حَصَرَ آخر الوتر ببعض أصابع يسراه، أدَّى صوتًا آخر فإنْ أدناها قليلاً سمعت غير الاثنين، ثم كذلك كلَّما أدنى أصبعه من أول الوتر تشكلت لك أصداء مختلفة إلا أنَّ الصوت الذي يؤديه الوتر غُفْلاً غير محصور تجده بالإضافة إلى ما أداه وهو مضغوط محصورًا أملس مهتزًا، ويختلف ذلك بقدر قوة الوتر وصلابته، وضعفه ورخاوته، فالوتر في هذا التمثيل كالحلق،والخفة بالمضراب عليه كأول الصوت من أقص الحلق، وجريان الصوت فيه غُفْلاً غير محصور كجريان الصوت في الألف الساكنة، وما يعترضه من الضغط والحَصْر بالأصابع كالذي يعرض للصوت في مخارج الحروف من المقاطع واختلاف الأصوات هناك كاختلافها هنا. [1]

كان ابن جني[2] أول من أطلق صفة العلم على الدراسات الصوتية في التراث اللساني العربي، فقد أشار إلى ذلك في سياق حديثه عن علاقة علم الأصوات بالموسيقى، يقول: " هذا العلم؛ أعني علم الأصوات والحروف له تعلق ومشاركة للموسيقى لما فيه من صنعة الأصوات والنَّغَم". [3]

---

(1) ـ ابن جني ، سر صناعة الإعراب ، تحقيق الدكتور حسن هنداوي 2ج دار القلم دمشق ط1 1985 . 9/1 .

(2) ـ يعد ابن جني من اللغويين البارزين الذين تأثروا بمنهج المتكلمين في تعاملهم مع الظاهرة اللغوية من حيث استنباط العلل والأحكام، فقد استخدم منذ البدء الأدوات الإجرائية التي تركز على إخضاع الظاهرة اللغوية للعملية العقلية، القائمة على الاستدلال والاستنباط، والمقارنة بين الجزئيات لضبط الكليات، وحصر العلل والمعايير.

(3) ـ ابن جني، سر صناعة الإعراب، 9/1.

1 ـ تأسيس المفاهيم والاصطلاحات:

مما لا يغرب عن أحد هو أنَّ ابن جني كان مولعًا إيلاعًا شديدًا بوضع الحدود والتعريفات، تلك سمة بادية في منهجه اللغوي، لذلك نلفيه في هذا السبيل الذي نحن بشأنه يحرص حرصًا شديدًا على تحديد المفاهيم. يقول في سياق تعريفه الصوت: " اعلم أنَّ الصوت عَرَضٌ يخرج مع النَّفَسِ مستطيلاً متصلاً، حتى يعرض له في الحلق والفم والشفتين مقاطع تثنيه عن امتداده واستطالته، فيسمى المقطع أينما عرض له حرفًا.وتختلف أجراس الحروف بحسب اختلاف مقاطعها، وإذا تفطنت لذلك وجدته على ما ذكرته لك؛ ألا ترى أنَّك تبتدئ الصوت من أقصى حلقك، ثم تبلغ به أي المقاطع شئت، فتجد له جَرْسًا، فإنْ انتقلت منه راجعًا عنه، أو متجاوزًا له، ثم قطعت،أحسست عند ذلك صدىً غير الصدى الأول، وذلك نحو الكاف، فإنَّك إذا قطعتَ[1] بها سمعت هناك صدى ما، فإنْ رجعتَ إلى القاف سمعت غيره، وإنْ جزت إلى الجيم سمعت غير ذيْنك الأولين.[2]

ويقول بشأن حَدِّ الحرف: " سميت حروف المعجم حروفًا وذلك أن الحرف حَدُّ مُنْقَطَعِ الصوت وغايته وطرفه كحرف الجبل ونحوه، ويجوز أن تكون سميت حروفًا؛ لأنَّها جهات للكلم، ونواح كحروف الشيء وجهاته المحدقة به ".[3]

يُعَبَّرُ بالحرف في هذا السياق عن اللحظة التي يتشكل فيها الصدى المنبعث من الحنجرة، أول النفس المتصاعد في مسالكه العضوية (الممرات والتجاويف)، فيستحيل إلى هيئة لها أثر سمعي تتحدد كميتها الصوتية في الحَيِّزِ أو المخرج أو المَحْبِس حسب اصطلاحات الأقدمين. فالحرف عند ابن جني هو الصوت اللغوي الذي يختلف عن الصوت الطبيعي أو الصدى.

بقدر اهتمام ابن جني بالصوامت كان اهتمامه أيضًا بالصوائت(الحركات)، فالحركات عنده هي: " أبعاض حروف المد واللِّيْن، وهي الألف والياء والواو، فكما أنَّ هذه الحروف ثلاثة، فكذلك الحركات ثلاث،

---

(1) ـ نطقت بها.

(2) ـ ابن جني ، سر صناعة الإعراب ، 6/1.

(3) ـ المرجع نفسه 14/1.

وهي الفتحة والكسرة والضمة ؛ فالفتحة بعض الألف ، والكسرة بعض الياء ، والضمة بعض الواو. وقد كان متقدموالنحويين يُسمُّون الفتحة الألفَ الصغيرةَ ، والكسرة الياءَ الصغيرةَ ، والضمَّةَ الواوَ الصغيرة . وقد كانوا في ذلك على طريق مستقيمة ؛ ألا ترى أنَّ الألف والياء والواو اللواتي هن حروف توامّ كَوامل قد تجدهن في بعض الأحوال أطول وأتمّ منهن في بعض ، وذلك قولك يخاف وينام ، ويسير ويطير ، ويقوم ويسوم ، فتجد فيهن امتدادًا واستطالة ما ، فإذا أُوقِعت بعدهن الهمزة أو الحرف المدغم ازْدَدْنَ طولاً وامتدادًا وذلك نحو يَشَاءُ ويَدَاءُ ويَسُوءُ ويَهُوءُ ويَجِيءُ ويَفِيءُ" .(1)

نظر ابن جني إلى مراتب الصوائت في النسيج المقطعي للسان العربي من حيث هي لواحق للكمية الصوتية ، تتبع الصوت الصامت بوصفه حاملاً ماديًا لها. يقول ابن جني في هذا السياق : " اعلم أنَّ الحركة التي يتحملها الحرف لا تخلو أنْ تكون في المرتبة قبله أو معه أو بعده ، فمحال أن تكون الحركة في المرتبة قبل الحرف ، وذلك أنَّ الحرف كالمحل للحركة ، وهي كالعَرَض فيه ، فهي لذلك محتاجة إليه ، فلايجوز وجودها قبل وجوده " .(2)

2. ترتيب الأصوات عند ابن جني:

يشير ابن جني في البدء إلى عدد حروف المعجم ، يقول " اعلم أنَّ أصول حروف المعجم عند الكافة تسعة وعشرون حرفًا ، فأولها الألف ، وآخرها الياء ، على المشهور من ترتيب حروف المعجم ".(□)

سلك ابن جني مسلكًا خاصًا في ترتيب الأصوات(الحروف) ، إذ خالف الخليل في ترتيبه ، فالأصوات على مراتبها في الاطراد عنده هي :"الهمزة والألف و الهاء و العين و الحاء والغين و الخاء و القاف و الكاف و

---

(1) ـ ابن جني سر صناعة الإعراب ، 17/1.

(2) ـ المرجع نفسه ، 1 /28.

(3) ـ المرجع نفسه ، 41/1.

الجيم و الشين و الياء الضاد و اللام والراء والنون والطاء و الدال والتاء والصاد والزاي والسين والظاء والذال والثاء والفاء والباء و الميم والواو ". [1]

يقر ابن جني أنَّ الترتيب الذي اعتمده هو الصحيح ، يعلن ذلك بصريح العبارة قائل : " فهذا هو ترتيب الحروف على مذاقها وتَصَعُّدِها ، وهو الصحيح ، فأمر ترتيبها في كتاب العين ففيه خطل واضطراب ، ومخالفة لما قدمناه آنفًا مما رتبه سيبويه ، وتلاه أصحابه عليه وهو الصواب الذي يشهد التأمل له بصحته".[2]

3 ـ مخارج الأصوات عند ابن جني:

يقتفي ابن جني أثر سيبويه في عدد مخارج أصوات اللسان العربي ، فهي ستة عشر مخرجًا.

ـ ثلاثة منها في الحلق :

أ ـ أولها من أسفله وأقصاه مخرج **الهمزة والألف والهاء**، هكذا يقول سيبويه ، وزعم أبو الحسن[3] أنَّ ترتيبها : الهمزة وذهب إلى أنَّ الهاء مع الألف لا قبلها ولا بعدها. والذي يدل على فساد ذلك وصحة قول سيبويه أنَّك متى حركت الألف اعتمدت بها على أقرب الحروف منها إلى أسفل فقلبتها همزة ، ولو كانت الهاء معها لقلبتها هاء ، وهذا واضح غير خفي.[4]

ب ـ من وسط الحلق : مخرج **العين والحاء** .

ج ـ ومما فوق ذلك مع أول الفم : مخرج **الغين والخاء.**

تلك هي الأصوات الحلقية **(الهمزة ـ الألف ـ الهاء ـ العين ـ الحاء ـ الغين ـ الخاء).**

ـ ومما فوق ذلك من أقصى اللسان : مخرج **القاف** .

---

(1) ـ ابن جني ، سر صناعة الإعراب ، 45/1.

(2) ـ المرجع نفسه ، 45/1.

(3) ـ أبو الحسن سعيد بن مَسْعَدة البصري ، الأخفش الأوسط . (215هـ).

(4) ـ المرجع نفسه ، 46/1.

ـ ومن أسفل من ذلك ، وأدنى إلى مقدم الفم مخرج **الكاف**.

ـ ومن وسط اللسان بينه ، وبين وسط الحنك الأعلى مخرج **الجيم والشين والياء**.

ـ ومن أول حافة اللسان، وما يليها من الأضراس مخرج **الضاد**، إلا أنَّك إنْ شئت تكلفتها من الجانب الأيمن ، وإن شئت من الجانب الأيسر.

ـ ومن حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان ، من بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى ، مما فويق الضاحك والناب والرَّبَاعِيَّة والثَّنِيَّة مخرج **اللام**.

ـ ومن طرف اللسان بينه وبين ما فُويق الثنايا مخرج **النون**.

ـ ومن مخرج النون غير أنَّه أدخل في ظهر اللسان قليلاً لانحرافه إلى اللام مخرج **الراء**.

ـ ومما بين طرف اللسان وأصول الثنايا مخرج **الطاء والدال والتاء**.

ـ ومما بين الثنايا وطرف اللسان مخرج **الصاد والزاي والسين**.

ـ ومما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا مخرج **الظاء والذال والثاء**.

ـ ومن باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا مخرج **الفاء**.

ـ ومما بين الشفتين مخرج **الباء والميم والواو**.

ـ ومن الخياشيم مخرج النون الخفية ويقال الخفيفة ؛ أي الساكنة. فذلك ستة عشر مخرجًا.(1)

4ـ صفات الأصوات عند ابن جني:

يرى ابن جني أنَّ الأصوات اللغوية لها انقسامات عدة " اعلم أنَّ للحروف في اختلاف أجناسها انقسامات نحن نذكرها ، فمن ذلك انقسامها في الجَهْرِ والهَمْسِ وهي على ضربين : مَجْهُورٌ ومَهْمُوسٌ ".(2)

---

(1) ـ ابن جني ، سر صناعة الإعراب ، 1/47ـ48.

(2) ـ المرجع نفسه ، 1/60.

1. الأصوات المهموسة:

الصوت المهموس في نظر ابن جني" حرف أُضعف الاعْتِمَادُ في موضعه حتى جرى معه النَّفَسُ، وأنت تعتبر ذلك بأنَّه قد يمكنك تكرير الحرف مع جري الصوت نحو سَسَسَسَ كَكَكَكَ هَهَهَهَ ولو تكلفت مثل ذلك في المجهورلما أمكنك".[1]

حدد ابن جني الأصوات المهموسة بعشرة أحرف وهي: الهاء والحاء والخاء والكاف والشين والصاد والتاء والسين والثاء والفاء، ويجمعها في اللفظ قولك (سَتَشْحَثُكَ خَصَفَة)

2. الأصوات المجهورة:

الصوت المجهور في نظر ابن جني هو ذلك الصوت(الحرف) الذي"أُشْبِعَ الاعْتِمَادُ في موضعه، ومنع النَّفَسُ أنَّ يجري معه حتى ينقضي الاعتماد ويجري الصوت، غير أنَّ الميم والنون من جملة المجهورة قد يُعْتَمَدُ لهما في الفم والخياشيم فتصير فيهما غنة فهذه صفة المجهور".[2] فالأصوات المجهورة هي ما عدا الأصوات المهموسة وعددها تسعة عشر صوتًا.

3. الأصوات الشديدة والرخوة:

يشير ابن جني إلى انقسام آخر للأصوات من حيث الشدة والرخاوة وما بينهما:

الصوت الشديد: "معنى الشديد: أنَّه الحرف الذي يمنع الصوت من أنْ يجري فيه، ألا ترى أنَّك لو قلت الحقَّ والشَّطَّ ثم رُمْتَ مَدّ صوتك في القاف والطاء لكان ذلك ممتنعًا (...) فالشديدة ثمانية أحرف وهي: الهمزة والقاف والكاف والجيم والطاء والدال والتاء والباء ويجمعها في اللفظ: (أَجَدْتَ طَبَقَكَ وأَجِدُكَ طَبَقْتَ).[3]

---

(1) ـ ابن جني، سر صناعة الإعراب، 60/1.

(2) ـ المرجع نفسه، 60/1.

(3) ـ المرجع نفسه، 60/1.

الصوت الرخو: "الرِّخو هو الذي يجري فيه الصوت ألا ترى أَنَّكَ تقول المَسّ والرَّشّ والشّحّ ونحو ذلك فتمدّ الصوت جاريًا مع السين والشين والحاء.[1]

بين الشدة والرخاوة : "الحروف التي بين الشديدة والرخوة ثمانية أيضًا، وهي الألف والعين والياء واللام والنون والراء والميم والواو، ويجمعها في اللفظ (لَمْ يَرْوِ عَنَّا)، وإِنْ شئت قلت (لَمْ يُرَوِّعْنَا) ، وإنْ شئت قلت (لَمْ يَرْعَوْنَا). وما سوى هذه الحروف والتي قبلها هي الرخوة.[2]

4.الإطباق والانفتاح:

للحروف في نظر ابن جني انقسام آخر إلى الإطباق والانفتاح:

الأصوات المطبقة: " فالمطبقة أربعة وهي: الضاد والطاء والصاد والظاء. وما سوى ذلك فمفتوح غير مطبق، والإطباق أنْ ترفع ظهر لسانك إلى الحَنَكِ الأعلى مُطْبِقًا له، ولولا الإطباق لصارت الطاء دالاً والصاد سينًا والظاء ذالاً ولخرجت الضاد من الكلام؛ لأنَّه ليس من موضعها شيء غيرها، تزول الضاد إذا عدمت الإطباقَ إليه ".[3] ماعدا الأصوات المطبقة الذي ذُكِرَتْ، فهي أصوات منفتحة.

5 - الاستعلاء والانخفاض:

الأصوات المستعلية سبعة : " وهي الخاء والغين والقاف والضاد والطاء والصاد والظاء. وما عدا هذه الحروف فمنخفض. ومعنى الاستعلاء أن تَتَصَعَّدَ في الحَنَكِ الأعلى، فأربعة منها فيها مع استعلائها إطباق، وقد ذكرناها، وأمَّا الخاء والغين والقاف فلا إطباق فيها مع استعلائها.[4]

6.الأصل والزيادة:

---

(1) - ابن جني ، سر صناعة الإعراب ، 61/1.

(2) - المرجع نفسه 61/1.

(3)- المرجع نفسه ،61/1.

(4) - المرجع نفسه ، 62/1.

يورد ابن جني في سياق حديثه عن صفات الأصوات قسمة أخرى تتعلق بثنائية الأصل والزيادة، يقول في هذا السبيل: "للحروف قسمة أخرى إلى الأصل والزيادة وحروف الزيادة عشرة، وهي الهمزة والألف والياء والواو والميم والنون والسين والتاء واللام والهاء ويجمعها في اللفظ قولك (اليَوْمَ تَنْسَاهُ) وإنْ شئت قلت (هَوِيتُ السِّمَان) وإنْ شئت قلت (سَأَلْتُمُونِيهَا) وقد أخرج أبو العباس[1] الهاء من حروف الزيادة، وقال إنّما تأتي منفصلة لبيان الحركة والتأنيث.[2]

7.الصوت المنحرف:

هناك صوت من أصوات اللسان العربي يوصف بالانحراف في كيفية النطق به "لأنَّ اللسان ينحرف فيه مع الصوت وتتجافى ناحيتا مُسْتَدَقِّ اللسان عن اعتراضهما على الصوت، فيخرج الصوت من تينك الناحيتين ومما فُويقهما وهو اللام ".[3]

8.الصوت المكرر:

الصوت المكرر هو ذلك الصوت الذي يضطرب اللسان أثناء النطق به، وهو صوت الراء"وذلك إذا وقفت عليه رأيت طرف اللسان يتعثر بما فيه من التكري، ولذلك احتُسب في الإمالة بحرفين ".[4]

9.حروف القلقلة:

يقول ابن جني بشأن هذه الصفة : " واعلم أنَّ في الحروف حروفًا مُشْرَبَةً تُحْفَزُ في الوقف، وتُضْغَطُ عن مواضعها، وهي حروف القلقلة، وهي: القاف والجيم والطاء والدال والباء ؛ لأنَّك لا تستطيع الوقوف عليها إلا بصوت، وذلك لشدة الحفز والضغط، وذلك نحو: الحقْ واذهبْ واخلطْ واخرجْ وبعض العرب

---

(1) ـ يعني المبرد ، والمبرد لم يخرج الهاء من حروف الزيادة ، ينظر المقتضب 124/1.

(2) ـ ابن جني ، سر صناعة الإعراب ، 63/1.

(3) ـ المرجع نفسه ، 63/1.

(4)ـ المرجع نفسه ، 63/1.

أشد تصويتًا. ومن المُشْرَبَة حروف يخرج معها عند الوقف عليها نحو النفخ إلاَّ أنَّها لم تضغط ضغط الأُوَل، وهي: الزاي والظاء والذال والضاد وبعض العرب أشد تصويتًا.[1]

10. الصوت المهتوت:

الصوت المهتوت [2] هو الصوت ذو الصدى الضعيف يقول ابن جني: "ومن الحروف المهتوت، وهو الهاء، وذلك لما فيها من الضعف والخفاء ".[3]

11. أصوات الذلاقة:

ومنها حروف الذَّلاقَة وهي: ستة اللام والراء والنون والفاء والباء والميم؛ لأنَّه يعتمد عليها بِذَلَقِ اللسان، وهو صدره وطرفه.[4]

د. الدراسة الصوتية عند ابن سينا:

إنَّ أدنى تأمل في مدونة ابن سينا [5](428هـ) يهدي إلى أنَّ هذا المفكر والفيلسوف والطبيب كان له حضور فعال في تشكل التفكير العلمي في الحضارة العربية الإسلامية، إذ سمحت له نزعته الموسوعية بالتولج في

---

(1)- ابن جني، سر صناعة الإعراب، 63/1.

(2) - جاء في لسان العرب لابن منظور" وهَتَّ الهَمْزَةَ يَهُتُّها هَتًّا: تَكَلَّمَ بها. قال الخليل: الهَمْزَةُ صَوْتٌ مَهْتُوتٌ في أَقصى الحَلْق يصير همزة، فإِذا رُفِّهَ عن الهمز، كان نَفَسًا يُحَوَّل إِلى مَخْرج الهاء، فلذلك اسْتَخَفَّتِ العربُ إِدخال الهاء على الأَلف المقطوعة، نحو أَراق وهَرَاق، وأَيْهات وهيهاتَ، وأَشباه ذلك كثيرٌ. قال سيبويه: من الحروف المَهْتُوتُ، وهو الهاء، وذلك لِما فيها من الضعف والخفاء." لسان العرب (هتت).

(3)- المرجع نفسه، 64/1.

(4)- المرجع نفسه، 64/1.

(5)- طبيب وفيلسوف من كبار الفلاسفة في الحضارة العربية والإسلامية، تعمق في فلسفة أرسطو، وتأثر أيضًا بالأفلاطونية الجديدة، قائلا بوجود العقل العام، دافع عن خلود النفس ووحدة الخالق وكان له تأثير عميق في الصوفية من كتبه:

أعماق الظواهر سواء أكانت طبيعية أم إنسانية، وإعمال فكره فيها بتدبر الفيلسوف بعمقه الفكري، وبنظر الطبيب المتفحص بخبرته التشريحية.

لقد رسخ ابن سينا مبدأ التكامل المعرفي والمنهجي بين العلوم؛ وما كان ذلك إلا لأنَّ العلوم الإنسانية تتلاقى تاريخيًا فتشكل منهجية علمية مشتركة، ولذلك ألفينا ابن سينا يسقط مرجعيته العلمية (الطب والتشريح) في دراسته الأصوات الطبيعية واللغوية .

وتأسيسًا على هذا التوجه فإنَّ ابن سينا يختلف عن اللغويين الذين سبقوه في دراسة أصوات اللسان العربي في طريقة الوصف والتحليل، "فقد أفاد من دراسته الطبية (التشريحية)، ودراسته الطبيعية عندما درس الأصوات اللغوية، حيث قدم وصفًا تشريحيًا فيزيولوجيًا لبعض أعضاء النطق، قبل أنْ يعرض لمخارج الأصوات وصفاتها، وكتب كل ذلك بإيجاز ودقة علميين لم يعهدهما زمانه وزمان لاحقيه. وتميزت لغته بأسلوب علمي منطقي يعبر عن اتساع معرفته وعمق فكره ".(1)

ويتعرض ابن سينا (428 هـ) في كتابه "أسباب حدوث الحروف " إلى قضايا جوهرية تتعلق بالجانب العضوي والفيزيائي للصوت، ويظهر ذلك في تفسيره الأصوات اللغوية ووصفها وصفًا يستمد دلالته من المحيط الطبيعي. يقول في الفصل السادس الذي يحمل عنوان : "في أنَّ هذه الحروف قد تسمع من حركات غير نطقية ".

الهاء : تسمع عند اندفاع الهواء بقوة في نفس الهواء .

العين : تسمع من اندفاع الهواء بقوة في الماء .

ـ القانون في الطب .

ـ الشفاء في الفلسفة .

ـ الإشارات والتنبيهات في المنطق.

ـ رسالة أسباب حدوث الحروف في الأصوات . ينظر الزركلي ، الأعلام 261/1.

(1)ـ محمد صالح الضالع ، علم الصوتيات عند ابن سينا ، ص 13.

الحاء : تسمع عند إخراج الهواء من كل مضيق مستعرض رطب، أومن إمرار يدك على جسم لين خشن إمرارًا منبسطًا ... الخ. [1]

1. سبب حدوث الصوت:

يرى ابن سينا أنَّ السبب الأساس لحدوث الصوت هو الهواء المندفع الذي يشكل تموجات تنقل عبر الأثير" أظن أنَّ الصوت سببه القريب تموج الهواء دفعة بسرعة وبقوة من أي سبب كان. والذي يشترط فيه من أمر القرع عساه ألا يكون سببًا كليًا للصوت، بل كأنه سببٌ أكثريّ، ثم إنْ كان سببًا كليًا فهو سبب بعيد، ليس السبب الملاصق لوجود الصوت ". [2]

يشير ابن سينا إلى أثر القرع في إحداث الصوت، وهو يقصد بالقرع اصطدام شيء بشيء آخر ينتج عنه ضغط في الهواء، لكنه لا يجعل القرع هو السبب الوحيد لإحداث الصوت، هناك أسباب أخرى في نظره منها القلع " والدليل على أنَّ القرع ليس سببًا كليًا للصوت: أنَّ الصوت قد يحدث أيضًا عن مقابل القرع وهو القلع. وذلك أنَّ القرع هو تقريب جرم ما إلى جرم مقاوم له لمزاحمته تقريبًا، تتبعه مماسة عنيفة لسرعة حركة التقريب وقوتها. ومقابل هذا تبعيد جرم ما عن جرم آخر مماس له منطبق أحدهما على الآخر، تبعيدًا ينقلع عن مماسته انقلاعًا عنيفًا لسرعة حركة التبعيد، وهذا يتبعه صوت من غير أنْ يكون هناك قرع ".[3]

وفي كلتا الحالتين (القرع والقلع) يلزم توافر الهواء المندفع بقوة وسرعة. يقول ابن سينا في هذا الشأن :" ولكنه إنَّما يلزم في كلا الأمرين شيء واحد وهو تموج سريع عنيف في الهواء، أمَّا في القرع فلاضطرارِ القارعِ الهواءَ إلى أنْ ينضغط وينفلت من المسافة التي يسلكها القارع إلى جنبتيها بعنف وقوة وشدة وسرعة، وأمَّا في القلع فلاضْطِرَارِ القالع الهواءَ إلى أنْ يندفع إلى المكان الذي أخلاه المقلوع منهما دفعة بعنف وشدة، وفي الأمرين جميعًا يلزم المتباعد من الهواء أنْ ينقاد للشكل والموج الواقع هناك، وإنْ كان القرعي أشد انبساطًا

---

(1)- ابن سينا ، أسباب حدوث الحروف ، ص 133 .

(2) ـ المرجع نفسه ، ص 56

(3) ـ المرجع نفسه ، 57

من القلعي. ثم ذلك الموجُ يَتأَدَّى إلى الهواء الراكد في الصِّمَاخِ فيموجه فتحس به العصبة المفروشة في سطحه ، فإذن العلة القريبة ـ كما أظن ـ هي التموج. وللتموج علتان : قَرْعٌ وقَلْعٌ ".[1]

يميز ابن سينا بين التَّمَوُّجِ (النَّفَسُ أو الهواء) الذي يُحْدِثُ الصوتَ ومصدرِ الصوتِ نفسِهِ (الكيفيات والصفات التي تشكلها أعضاء النطق). يقول ابن سينا : " أمَّا نَفْسُ التَّموُّجِ فإنَّه يفعل الصوتَ، وأمَّا حَالُ المُتموِّجِ في نفسه من اتصالِ أجزائِه وتَمَلُّسِهَا ، أو تشظِّيها وتشذُّبها فيفعل الحِدَّةَ والثِّقلَ ؛ أمَّا الحِدَّةُ فيفعلُها الأوَّلان ، وأمَّا الثقلُ فيفعلُه الثانيان ".[2]

كان حديث ابن سينا إلى ههنا عن الصوت من حيث كونه حالة فيزيولوجية (عضوية) أو طبيعية .أمَّا الصوت اللغوي فيتشكل في المخارج والمحابس التي تحدده، ويسمى بالحرف .يقول ابن سينا " وأمَّا حَالُ المُتَمَوِّجِ من جهة الهيئات التي يستفيدُها من المخارجِ والمحابِسِ في مسلكه فيفعلُ الحَرْفَ ".[3]

أحسب أنَّ مصطلح الحرف عند ابن سينا يقابل مصطلح الفونيم (Phonème /Phonem) في الدراسات اللغوية الحديثة ، الحرف هنا ليس رمز الكتابة وإنَّما تلك الوحدة الصوتية التي ليس لها معنى في ذاتها لكنها قادرة على تغيير المعنى ، وقابلة في ذاتها لأنْ تنماز من غيرها في النسيج الصوتي النسقي للغات.

وقد يتضح ذلك أكثر من هذه الإيماءة التي أوردها ابن سينا :" والحَرْفُ هَيْئَةٌ للصوت عارضةٌ له ، يتميَّزُ بها عن صوتٍ آخر مثلِهِ في الحِدَّةِ والثِّقَلِ تَمَيُّزًا في المسموع ".[4]

2 ـ تشريح الحَنْجَرَة :

تتركب الحَنْجَرَةُ في نظر ابن سينا من غضاريف ثلاثة :

---

(1) ـ ابن سينا ، أسباب حدوث الحروف ، ص 58.

(2) ـ المرجع نفسه ، ص 59.

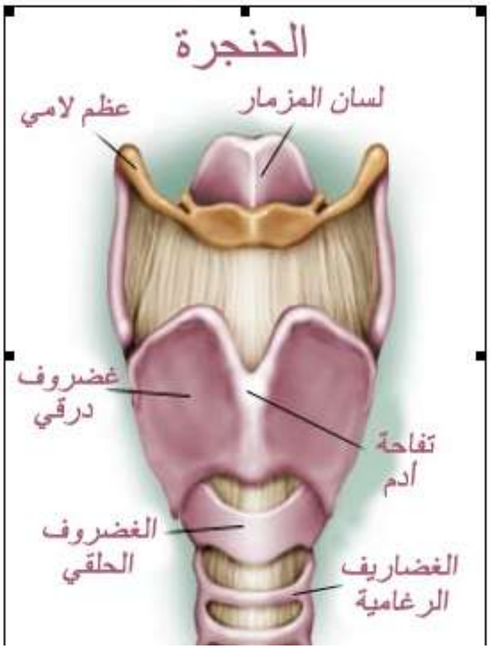
(3) ـ المرجع نفسه ، ص 60.

(4) ـ المرجع نفسه ، ص 60

1 ـ أحدها موضوع إلى قُدَّام ينالُهُ المسُّ في المهازيل جدًّا عند أعلى العُنُق تحت الذّقن، وشكلُهُ شكلُ القَصْعَةِ حَدَبَتُهُ إلى خارج وإلى قدام، وتقعيرُه إلى داخل وإلى خلف، ويسمى الغضروفَ الدَّرْقي والتُّرْسي. (1)

2 ـ الغضروف الثاني خلفه، مقابِلٌ سَطْحُهُ لسطحِهِ، متصلٌ به بالرِّباطات يمنةً و يسرةً، ومنفصلٌ عنه إلى فوق، ويسمى عديم الاسم. (2)

3 ـ والغضروف الثالث كَقَصْعَةٍ مَكْبُوبَةٍ عليهما، وهو منفصِلٌ عن الدَّرْقي مربوطٌ بالذي لا اسم له من خلف بِمَفْصِلٍ مضاعَفٍ يَحْدُثُ من زَائِدَتَيْنِ تصعدان من الذي لا اسم له وتَسْتَقِرَّانِ في نُقْرَتَيْنِ له ، ويسمى المُكَبِّي والطِّرْجِهَارِي. (3) وأحيانًا تستعمل طرجهالي باللام. (4)



رسم توضيحي للحنجرة

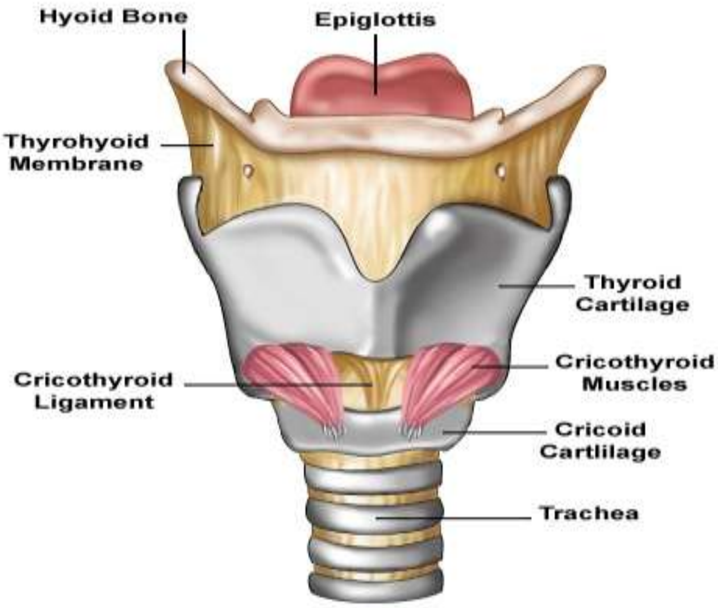
---

(1) ـ ابن سينا ، أسباب حدوث الحروف ، ص 64.

(2) ـ المرجع نفسه ، ص 65.

(3) ـ ظهرت في بعض الكتب الطبية بإبدال الراء لامًا (طرجهالي)، وأُخِذَتْ هذه الكلمة من الكلمة الفارسية (طرجهارة) ومعناها: كأس للشرب.ينظر محمد صالح الضالع ، علوم الصوتيات عند ابن سينا . ص 105.

(4) ـ المرجع نفسه ، ص65.



شرح مصطلحات ابن سينا :

1 ـ الدَّرْقي والتُّرْسي(Cartilage thyroïde/ Thyroid cartlage) : نسبة إلى الدرق ، والترسي نسبة إلى الترس (الدرع) فالكلمتان هنا صفة ؛ أي شكل الغضروف يشبه شكل الدرع .[(1)]

2 ـ عديم الاسم (الحَلَقِي) : نسبة إلى الحَلَقَةِ وليس إلى الحَلْقِ : (Cricoide/ Cricoid) كلمة مشتقة من كلمة يونانية (Krikos) بمعنى خاتم أو حلقة ، فهو غضروف دائري يشبه الخاتم يلي القصبة الهوائية.

3 ـ المُكبِّي والطِّرْجِهَارِي (الطِّرْجِهَالِي)(Arytenoids cartilage / Cartilages arytenoids) : كلمة طرجهاري نسبة إلى (طرجهارة) الفارسية كأس للشرب أو فم الإبريق ، وكلمة المكبي تدل على أنَّه مقلوب ؛ أي أنَّ هذا الغضروف يشبه الكأس المقلوب.[(2)]

---

(1) ـ محمد صالح الضالع ، علوم الصوتيات عند ابن سينا ، ص 104.

(2) ـ ينظر المرجع نفسه ، ص 54.

عمل المكونات العضوية للحنجرة :

ـ إذا تقارب الذي لا اسم له من الدَّرْقِي وضَامَّهُ حدث منه تَضَيُّقُ الحَنْجَرَةِ، وإذا تنحى عنه وباعَدَه حدث منه اتساعُ الحَنْجَرَةِ، ومن تقارُبه وتباعُدِهِ يحدثُ الصوتُ الحادُّ والثقيلُ.(1)

ـ وإذا انطبق الطِّرْجِهَالِي على الدَّرْقِي حصرَ النَّفَسَ وسدَّ الفوهةَ، وإذا انقلعَ عنهُ انْفَتَحَت الحَنْجَرَةُ. فيكون إذن هاهنا عضلاتٌ تلصق الطِّرْجِهَالي بالدَّرْقِي وتجذِبُهُ إليه، وعضلاتٌ تُبْعِدُهُ عنه وتجذِبُهُ إلى خلف، وعضلاتٌ تلصق الذي لا اسم له بالدَّرْقِي، وعضلاتٌ تُنَحِّي أحدَهما عن الآخر.(2)

هذه الإشارات التي أوردناها باقتضاب شديد ههنا، تدل على العمق العلمي في مجال الدراسة الصوتية عند العرب الأقدمين، وذلك بشهادة الباحثين اللسانيين الأوروبيين، أمثال جورج مونان الذي على الرغم من أنَّه أقصى من تاريخه للسانيات الحقبة الزمنية للحضارة العربية الإسلامية، نجده يُقِرُّ ضمنيًا بالقيمة العملية للفكر اللغوي العربي القديم، حيث أومأ إلى ذلك بصريح العبارة قائلاً: " منذ القرن الثامن الميلادي كان علماء اللغة في البصرة، يسعون إلى وصف لغتهم وصفًا صوتيًا، وسواء أكانوا قد أوجدوا تلقائيًا علمًا للأصوات جديرًا بأن يذكرنا بالعلامة بانيني، أم أنَّهم اقتبسوا هذا العلم منه، فتلك مشكلة على حدة، ولكن لابد لنا بادئ ذي بدء أنْ نعترف بوجود هذا العلم في الأصوات وأنَّه علم فذ ممتاز".(3)

ثم يستشهد بعد ذلك بوصف الرازي(4) للأصوات العربية، يقول الرازي: (لهذه الحروف مجالات ومدرجات. فمجال الحاء والعين والهمزة هو الحلق، ومجال القاف والكاف هو اللهاة، ومجال الجيم والضاد والشين هو جانب القسم من ذولق اللسان على حافة الأسنان الأمامية (ظ ، ث ، ذ) ، ومن الحَنَك الذي ينطبق عليه اللسان (ت . د . ط) ومن اللثة (ص . ز . س) ومن جانب الفم (ر.ل . ن) ومن الفاء (ف.ب.م)

---

(1) ـ ابن سينا ، أسباب حدوث الحروف ، ص 66.65.

(2) ـ المرجع نفسه، ص 66.

(3) ـ جورج مونان، المرجع المذكور سابقًا ، ص 107 .

(4) ـ أبو حاتم الرازي (322هـ) صاحب كتاب **الزينة في الكلمات الإسلامية.**

.أما حروف العلة ، الألف والواو والياء ، فهي حروف هوائية لأنَّها تنطلق بلا ضجيج من جوف الفم " [1]
وكان جورج مونان قد علق على هذا الوصف بقوله : "وما من ريب أنّنا لانسطيع طوال أوائل العصر الوسيط أنْ نشاهد في أوروبا حدثًا مماثلا". [2]

إنَّ رقي الفكر العربي في مجال الدراسة الصوتية منذ القرن الثاني للهجرة جعل بعض الباحثين الغربيين يفترض وجود اقتباس واسع عن حضارات سابقة تتمتع بمفاهيم لغوية متطورة ، كالحضارة اليونانية والهندية. وفي هذا السبيل حاول الباحث فولرز (K.VOLERS) يُبيِّن بعض نقاط التقاطع بين جهود بانيني في مجال الدراسة الصوتية ، والعلوم الصوتية العربية التي أنشأها الجيل الأول من اللغويين العرب. وأمَّا بروكلمان فقد رفض هذا الرأي القائل بتأثر العرب بالدراسات النحوية والصوتية للحضارات القديمة، واعتبر وجود علم الأصوات عند العرب ظاهرة قائمة بذاتها. [3]

رابعا: الدراسات الصوتية في القرن التاسع عشر :

لقد ظهر الاهتمام بعلم الأصوات في رحاب نزعة القواعد المقارنة التي تجاهلته في البداية ، فلم تكن دراسة اللغة السنسكريتية العامل الوحيد الذي أثر تأثيرًا مباشرًا في الالتقاء الذي تم بين اللسانيات التاريخية وعلم الأصوات حوالي عام 1880 ، بل هناك ظروف أخرى ساعدت على ذلك ، ومن أبرز هذه الظروف تقدم العلوم الفيزيائية والحيوية التي وفرت للدارسين اللغويين مزيدًا من المعلومات.
ويمكن لنا ، حينئذ ، رسم المسار التحولي لهذا التقدم العلمي فيما يأتي :
1ـ أصدر الموسيقى والفنان مانيول غارسيا (الابن)[4] سنة 1840 بحثًا في الصوت الإنساني ، وهو نفسه الذي اخترع سنة 1855 منظارًا للحنجرة .
2ـ درس هلمولتز (HELMOLTZ) الأصوات من الناحية الفيزيائية.
3ـ نشر بيروك (BRUKE) سنة 1856 كتابًا عنوانه : الأسس العامة لدراسة أصوات اللغة من الناحية الفيزيولوجية ، وكان أشبه بكتاب مدرسي أفاد منه جيل كامل من الدارسين.

---

(1) ـ جورج مونان ، المرجع المذكور سابقًا ، ص 107.
(2) ـ المرجع نفسه ، 107.
(3) ـ ينظر المرجع نفسه ، ص 16 .
(4) ـ Manuel Garcia junior (1805 - 1906).

4. سنة 1860 استخدم الطبيب التشيكي جرماك[1] (CZERMAK) منظار الحنجرة للوقوف على عمل الوترين الصوتيين.

5. سنة 1963 سجل الألماني لبسيوس (RICHARD LEPSIUS)[2] أبجدية نموذجية من تأليفه، فشجع بذلك علماء اللغة على الاهتمام بالأصوات.

6. في الوقت نفسه وضع اسكندربال (BELL) [3](أستاذ في الإلقاء ووالد مخترع الهاتف) تسجيلا صوتيًا أسماه الكلام المرئي، جَسّدَ فيه العناصر التي يتألف منها كل صوت من أصوات اللغة.

7. سنة 1876 أصدر سيفر (EDURD SIEVERS) [4]الألماني كتابه: الأسس العامة في فيزيولوجيا الصوت، وهو الكتاب الذي اعتبرته مدرسة النحاة الشباب كتابًا مدرسيًا في علم الأصوات. [5]

كان علم الأصوات في مرحلته الجنينية علمًا مكملا لعلوم اللسان، ثم أخذ تدريجيًا يستقل بنفسه – في ظل تطور المعارف الإنسانية – حتى أصبح علمًا مستقلا له خصوصياته العلمية والمنهجية.

بدأت ملامح هذه الاستقلالية تظهر بوضوح في ألمانيا على يد الباحث اللساني فيتور (VIETOR)[6]

---

(1). Johann Nepomuk Czermak (1828 ـ 1873): عالم فيزيولوجي ، نمساوي ـ ألماني .اهتم بالجانب التشريحي للحنجرة ،أسهم في ترقية الدراسة الفيزيولوجية للصوت ، أسس قبيل وفاته معهد الفيزيولوجيا في Leipzig عرف باسم Spectatorium.

(2). Karl (ou Carl) Richard Lepsius (1810 - 1884): لساني وباحث في الآثار من بروسيا .

(3). Alexander Melville Bell (1819 ـ 1905) : مدرس وباحث في فيوزيولوجيا الصوت ، له مؤلفات عدة في أمراض الكلام ومعوقات التلفظ.

(4). Sievers Eduard (1850ـ1932): فيلولوجي في اللغات الكلاسيكية الجرمانية ، أصبح فيما بعد عضوًا فعالا في جماعة النحاة الجدد في (Ecole de Leipzig) ،يعد من اللسانيين البارزين في نهاية القرن التاسع عشر، طور الدراسات الصوتية الفيزيولوجية .

(5)ـ جورج مونان، المرجع المذكور سابقًا ، ص 208 ، 209 .

(6) - Wilhelm Vietor (1850ـ1918): باحث لساني ألماني .

(1850 - 1918)، ثم في فرنسا على يد باسي (Paul Passy)[1] ،وروسلو(Rousselot)،[2]. ثم في البلاد الاسكندنافية[3] على يد عصبة من الباحثين على رأسهم يسبرسن[4] (Otto Jespersen)[5].

خامسا : الصوت اللغوي ، ماهيته وخصائصه المميزة وتفريعاته :

إنَّ الإنسان من حيث هو كائن مكلف في هذا الكون مضطر باستعداده الخلقي والنفسي إلى الخطاب لاضطراره إلى الحياة الاجتماعية، فهو مؤهل سلفًا لإنتاج الصوت بوصفه ظاهرة فيزيولوجية وفيزيائية،واستخدامه لتحقيق عملية التواصل بين أفراد المجتمع البشري، يقول ابن سينا في هذا الشأن : " لما كانت الطبيعة الإنسانية محتاجة إلى المحاورة لاضطرارها إلى المشاركة والمجاورة ، انبعثت إلى اختراع شيء يتوصل به إلى ذلك (...) فمالت الطبيعة إلى استخدام الصوت ووُفِّقَتْ من عند الخالق بآلات تقطيع الحروف وتركيبها معًا ، ليدل بها على ما في النفس من أثر".[6]

---

(1)ـ Paul Édouard Passy (1859ـ 1940) لساني فرنسي مؤسس الجمعية الصوتية العالمية سنة 1886 وأسهم في وضع الأبجدية الصوتية العالمية .

(2)ـ Jean Rousselot (1846 ـ 1924) باحث فرنسي في علم الأصوات واللهجات يعد المؤسس الأول لعلم الأصوات التجريبي.

هي إقليم يقع في شمال أوروبا ، يتكون في الأصل من السويد والنرويج وبنظرة أوسع تنضم إليهما الدانمرك، تربط بين هذه الدول الثلاثة قواسم تاريخية وثقافية مشتركة.

(3)ـ La Scandinavie : إقليم يقع في شمال أوروبا ، يتكون في الأصل من السويد والنرويج ، وبنظرة أوسع تنضم إليهما الدانمرك، تربط بين هذه الدول الثلاثة قواسم تاريخية وثقافية مشتركة.

(4)ـ Jens Otto Harry Jespersen (1860 - 1943) لساني دانمركي مختص في اللغة الإنجليزية.

(5)ـ جورج مونان، المرجع المذكور سابقًا ، 208 ، 209 .

(6)ـ ابن سناء العبارة من كتاب الشفاء ، ص 1 ، 2 .

منذ كان الوجود كان الصوت كان الإنسان المصدر البشري لهذه الظاهرة، وما كان ذلك إلا لأنَّ الصوت هو الحامل المادي للحضارة الإنسانية نظرًا لطبيعته الحسية.

في ظل هذه الأهمية نحاول تقديم تعريف شامل لهذه الظاهرة الفعالة في حياة الإنسان:

يقول ابن فارس (395 هـ) في مادة "صوت": "الصاد والواو والتاء أصل صحيح وهو الصوت، وهو جنس لكل ما وقر في أذن السامع ، يقال هذا صوت زيد، ورجل صيِّت إذا كان شديد الصوت، وصائت إذا صاح".[(1)]

ويقول الراغب الأصبهاني (565هـ) في المفردات في غريب القرآن.[(2)] الصوت هو الهواء المنضغط عن قرع جسمين، وذلك ضربان:

أحدهما : صوت مجرد عن تنفس بشيء، كالصوت الممتد.

والآخر : تنفس بصوت ما، وهو ضربان أيضًا:

أحدهما : غير اختياري، كما يكون من الجمادات ومن الحيوان.

والآخر: اختياري، كما يكون من الإنسان، وذلك ضربان أيضًا.

ضرب باليد، كصوت العود وما يجري مجراه، وضرب بالفم، والذي بالفم ضربان: نطق وغير نطق، وغير النطق كصوت الناي، والنطق منه إما مفرد عن الكلام، وإما مركب كأحد أنواع من الكلام.

ثم يضيف الراغب الأصبهاني قائلاً: النطق في المتعارف: الأصوات المقطعة التي يظهرها اللسان وتعيها الأذن. قال تعالى: ﴿ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴾[(3)] ولايكاد يقال إلا للإنسان، ولايقال لغيره إلا على سبيل التبع، نحو: الناطق والصامت، فيراد بالناطق ما له صوت، وبالصامت ما ليس له صوت، ولايقال للحيوان ناطق إلا مقيدًا وعلى سبيل التشبيه.

ويسمي المنطقيون القوة التي منها النطق نطقًا، وإياها عنوا حيث حَدُّوا الإنسان، فقالوا: هو الحي الناطق المائت. فالنطق لفظ مشترك عندهم بين القوة الإنسانية التي يكون منها الكلام، وبين الكلام المبرز

---

(1) ـ ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة ،مادة (لسن).

(2) ـ الراغب الأصبهاني ، المفردات في غريب القرآن ، ص 425 ، 426.

(3) ـ الصافات ، آية 92.

بالصوت،وقد يقال الناطق لما يدل على شيء، وعلى هذا قيل لحكيم: ما الناطق الصامت فقال: الدلائل المخبرة والعبرة الواعظة.

وقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمۡ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴾ [1]

إشارة إلى أنَّهم ليسوا من جنس الناطقين ذوي العقول.

قوله تعالى : ﴿ وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمۡ لِمَ شَهِدتُّمۡ عَلَيۡنَاۖ قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنطَقَ كُلَّ شَيۡءٖ وَهُوَ خَلَقَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾ [2]

فقد قيل أراد الاعتبار، فمعلوم أنَّ الأشياء كلها ليست تنطق إلا من حيث العبرة.

وقوله تعالى: ﴿ وَوَرِثَ سُلَيۡمَٰنُ دَاوُۥدَۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمۡنَا مَنطِقَ ٱلطَّيۡرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيۡءٍۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡمُبِينُ ﴾ [3]

فإنَّه سمى أصوات الطير نطقًا اعتبارًا بسليمان عليه السلام الذي كان يفهمه، فمن فهم من شيء معنى فذلك الشيء بالإضافة إليه ناطق وإنْ كان صامتًا ، وبالإضافة إلى من لايفهم عنه، صامت وإنْ كان ناطقًا.

وقوله تعالى : ﴿ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيۡكُم بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّا كُنَّا نَسۡتَنسِخُ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾[4]

فإنَّ الكتاب ناطق لكن نطقه تدركه العين، كما أنَّ الكلام كتاب لكن يدركه السمع.[5]

وفي الأخير يقول الراغب "قيل: حقيقة النطق، اللفظ الذي هو كالنطاق للمعنى في ضمه وحصره".[6]

يستنتج من كل ما ذكر، أنَّ الصوت أعم من النطق، إذ إنَّ العلاقة بين الصوت والنطق علاقة تضمن، لأنَّ الصوت يدل على أثر سمعي، قد يكون مصدر هذا الأثر الجهاز النطقي عند الإنسان أو أشياء أخرى، في حين أنَّ النطق في الحقيقة يدل على المقاطع الصوتية التي يتركب منها الكلام عند الإنسان دون سواه .

---

(1) ـ الأنبياء، الآية 65.

(2) ـ فصلت ، آية 21 .

(3)ـ النمل ، آية 16.

(4)ـ الجاثية، آية 29.

(5)ـ الراغب الأصبهاني، المفردات في غريب القرآن ، ص 757.

(6)ـ المرجع نفسه ، ص 757.

ومن هنا فإنَّ الصوت أثر سمعي ناتج عن ذبذبة مستمرة ومطردة لجسم من الأجسام، قد يسمع ذلك من احتكاك جسم بجسم آخر أو اصطدامه به، أو يسمع من الآلات الموسيقية الوترية والنفخية، أو من جهاز النطق عند الإنسان. (1) فالأثر السمعي من حيث كونه ظاهرة فيزيائية ينتقل عبر واسطة قد تكون هذه الواسطة محيطًا غازيًا أو سائلاً أو صلبًا، وبذلك يتم التواصل وتتحقق العملية الإبلاغية.

التواصل في جوهره عملية مركزة ذات مراحل مختلفة يمكن لنا حصرها في :

1. الإنتاج : إنتاج الأصوات بواسطة جهاز النطق عن الإنسان.

2. الانتقال : انتقال الأصوات عبر الأثير على شكل ذبذبات تحدث تموجات في الفضاء.

3. الاستقبال : استقبال الأذن للأمواج الصوتية.

المرحلتان الأولى والثانية مرحلتان فيزيولوجيتان، يسهم في المرحلة الأولى المخ وجهاز النطق بأعضائه التشريحية المختلفة، وفي المرحلة الثالثة المخ وجهاز السمع بتركيبه العضوي. أمَّا المرحلة الثانية فهي مرحلة فيزيائية فحسب تعتمد على الوسط الناقل للصوت المنجز.(2)

يقوم النشاط العصبي بدور أساس في عملية إنتاج الأصوات اللغوية، وهو الدور الذي يمكن لنا حصر مجاله في الترتيب الآتي:

1. إنتاج الزفير بضغط الحجاب الحاجز على الرئتين، وطرده إلى خارج الفم عن طريق الممرات والتجاويف الفموية والأنفية.

2. تقوم الحنجرة بقفل ممر الهواء قفلاً فتنتج الهمزة، أو بالانفتاح الجزئي فينتج الهمس، أو الانفتاح القليل مع توتر الوترين الصوتيين فيحدث الجهر.

3. ينقبض الحلق ويتراخى فوق منطقة الحنجرة لإنتاج الأصوات الحلقية.

4. تفتح اللهاة الممر الهوائي للفم لإنتاج الأصوات الفموية، أو ممر الأنف لإنتاج الأصوات الأنفية .

5. حركة اللسان وموقعه من الفم وقربه من بعض أجزاء سقف الفم لإنتاج الأصوات الصائتة، أو اتصاله بها لإنتاج بعض الصوامت.

6. حركة الشفتين بالتلامس أو الانفراج أو الاستدارة لإنتاج الباء والميم والواو، والإسهام أيضًا في إنتاج الصوائت.

لقد أفرد الفكر اللساني المعاصر لتدارس الأصوات اللغوية منوالين اثنين، أحدهما يتعلق بالجانبين: الفيزيولوجي والفيزيائي، والآخر بالجانب الوظيفي.

---

(1) . ينظر زكي حسام الدين، أصول تراثية في علم اللغة ، ص 127.

(2) . عبد الرحمن أيوب، تحليل عملية التكلم ، ص 25 وما بعدها ،مجلة عالم الفكر ، العدد الثالث 1989.

ينعت الأول بـ: علم الأصوات العام " (Phonétique /Phonetics).
وينعت الثاني بـ : علم الأصوات الوظيفي(Phonologie /Phonology).
نورد ههنا مجددًا هذين المصطلحين لمقاربتهما الواحد تلو الآخر .

أولا : علم الأصوات العام (Phonétique/ Phonetics) :

علم الأصوات مصطلح لغوي وضع لمقابلة مصطلحات أجنبية :

المصطلح الإنجليزي: Phonetics.

المصطلح الفرنسي : .Phonétique

المصطلح الألماني : Phonetiks.

وهذه المصطلحات مشتقة من الكلمة اليونانية (Phonetikos)، المؤلفة من الكلمة (phone) تعني الصوت، واللاحقة (ikos) التي تعني العلم أو الفن.

يعد علم الأصوات العام علمًا قديمًا بالقياس إلى علم الأصوات الوظيفي، فقد بدأ هذا العلم ينشأ ويتطور منذ بدأ الاهتمام بملاحظة الظاهرة الصوتية في جانبيها الفيزيولوجي والفيزيائي، وأخذ يكتمل بفضل توافر نتائج علمية في رحاب معارف إنسانية مختلفة، الأمر الذي ساعد الدارسين على تقديم وصف دقيق لعملية إنتاج الأصوات اللغوية. فمن حيث التعامل العام مع الظاهرة الصوتية فإنَّ المقاربة الصوتية أسبق من اللسانيات التي كانت لا تعدو أنْ تكون دراسة تاريخية فحسب.

أخذ علم الأصوات طابعه العلمي ابتداء من عام 1850 وأكثر من ذلك عام 1870، بفضل تطور المحيط العلمي الذي أفاد منه علم الأصوات بخاصة في الجانب التشريحي، والتحليل الفيزيائي.[1]
موضوع علم الأصوات هو (PHONE) الصوت المفرد البسيط الذي يمكن له أنْ يخضع للقياس والتحليل الآلي[2]؛ أي أنَّ (PHONE) وحدة صوتية صغرى قابلة للقياس في ذاتها للقياس بالآلات الحساسة.

1- G.MOUNIN, Clefs pour la linguistique, P102.

(2)- ماريو باي، أسس علم اللغة ، ص 48.

يُعَّدُ علم الأصوات، حينئذ ، منوالاً إجرائيًا يتخذ الصوت (PHONE) موضوعًا له، فهو من ههنا دراسة علمية موضوعية تهدف إلى تقديم التفسير الكافي للأثر الصوتي من الناحيتين الفيزيولوجية والفيزيائية.
وتوضيحًا لما نحن بشأنه نحاول حصر مجال مبحث هذا العلم فيما يأتي :

1. يصف جهاز النطق عند الإنسان وصفًا تشريحيًا.
2. يحدد مخارج الأصوات، ويضبط عملها في التجويف الصوتي.
3. يبحث في الصوت من حيث جهاز الاستقبال، ويبين كيف تتلقى الأذن الصوت وتحوله عبر الأعصاب الناقلة إلى الدماغ.
4. يصف النشاط العصبي والعضلي أثناء إنتاج الأصوات واستقبالها.

نلاحظ حينئذ أنَّ علم الأصوات يتناول جوانب شتى من جوانب الظاهرة الصوتية، مما يجعل الفكر اللساني المعاصر يميز بين فروع مختلفة لهذا العلم، منها :

1. علم الأصوات الفيزيائي والتشريحي، وهو من اختصاص علماء الفيزياء والتشريح والأطباء .
2. علم الأصوات التجريبي : وهو يسعى بواسطة المخبر إلى تحويل الصوت إلى صورة مسجلة مكتوبة تبين الطَّيْفَ الصوتي وحالاته المختلفة.
3. علم الأصوات التاريخي : يهتم بالتحولات والتغيرات التي تطرأ على الأصوات اللغوية عبر التاريخ.
4. علم الأصوات الوصفي : يهتم بوصف جهاز النطق وتجاويفه، وتحديد مخارج الأصوات، وحصر عددها وصفاتها.[1]

أ - جهاز النطق عند الإنسان :

يقتضي الحديث عن الأصوات اللغوية بالضرورة العلمية وصف جهاز النطق عند الإنسان وصفًا تشريحيًا لكونه الآلية التي تنتج الصوت البشري، فإذا ما تأملنا ملياً المدرج الصوتي عند الإنسان من وجهة نظر فيزيولوجية سيتبين لنا أنَّ هذا المدرج يتكون أساسًا من العناصر العضوية الآتية :

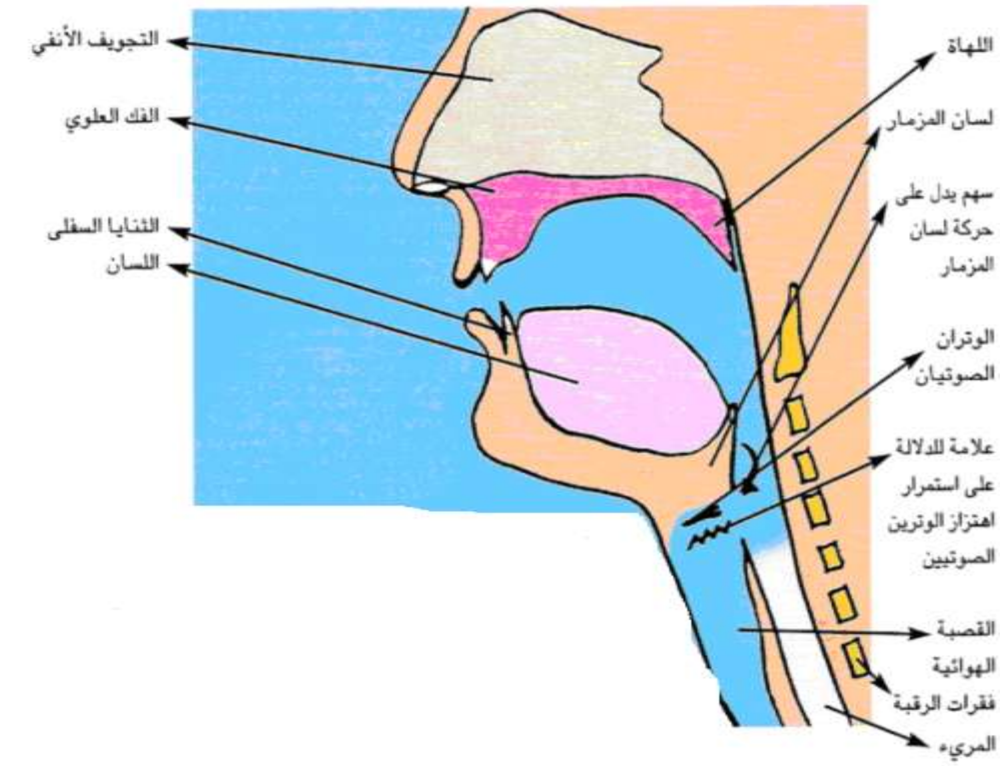
1. القصبة الهوائية:

---

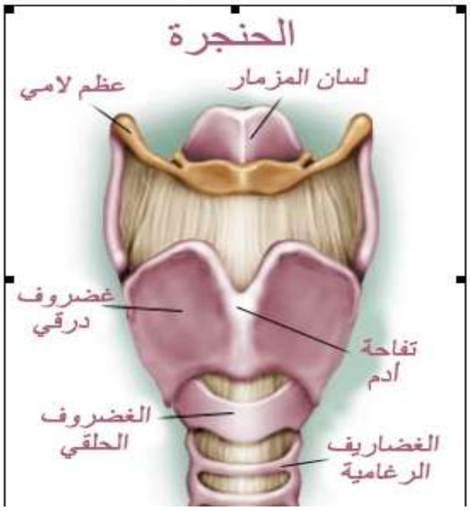
(1). ريمون طحان، الألسنية العربية، ص 23.

هي ممر عضوي يمر الهواء أو النَّفَسُ بواسطتها إلى الحنجرة، وهي إذ ذاك، فراغ رنان يقع موازيًا للعمود الفقري، وكان الدارسون الأقدمون يظنُّون أن القصبة الهوائية لا دور لها في إنتاج الأصوات، فهي لا تعدو أنْ تكون ممراً ليس إلا، بيد أنَّ الدراسات التحليلية المخبرية أثبتت بأنَّها عامل مباشر وأساس في تنويع درجة الصوت. (1)

رسم توضيحي لجهاز النطق



2.الحنـجرة :

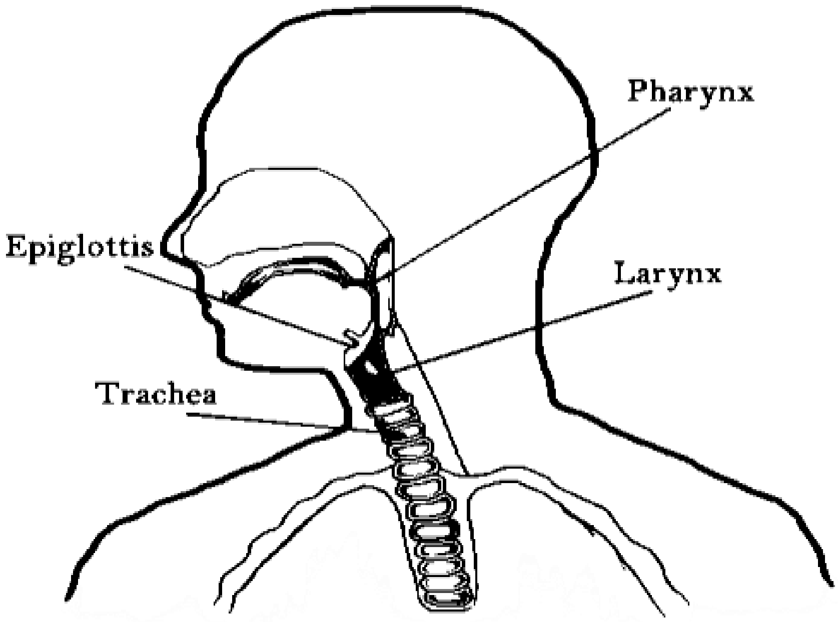


هي المصدر الأساس لحدوث الصوت عند الإنسان، حيث يتحول فيها النَّفَسُ الصاعد من الرئتين عبر القصبة الهوائية إلى أثر صوتي مسموع ، وهي تتكون عضويًا من ثلاث غضاريف يتصل بأعلاها الوتران الصوتيان، وهما يشبهان الشفتين من حيث الاستدارة ، ويمتدان من الخلف إلى الأمام، ويلتقيان عند

(1)ـ ريمون طحان، الألسنية العربية ، ص 32.

ذلك البروز الذي ينعت عادة بتفاحة آدم . أمَّا الذي بين هذين الوترين فيسمى المزمار، وله غطاء خارجي يلازمه يسمى لسان المزمار، وهو بمثابة صمام يسد طريق التنفس أثناء عملية البلع.(1)

3.الحلق :



رسم توضيحي لحلق الإنسان

1. **Pharynx** : البلعوم .
2. **Epiglottis** : لسان المزمار.
3. **Larynx** : الحنجرة.
4. **Trachea** : القصبة الهوائية .

هو تجويف يقع بين الحنجرة وأقصى الفم، وله وظيفة مباشرة في تضخيم الأصوات الناتجة عن ذبذبة الوترين الصوتيين ،يتحكم التجويف الحلقي في حركة النَّفَسِ، قد يؤدي انقباضه إلى توقف تيار الهواء توقفاً كاملاً أو جزئيًا ينتج عنه احتكاك في موضع معين.

---

(1)ـ ريمون طحان، الألسنية العربية ، ص 34.

4. اللسان :

اللسان عضو هام في عملية إنتاج الأصوات، ولذلك ينفرد عما سواه من الأعضاء الأخرى بنسبة اللسان إليه – نعني باللسان (Langue) الظاهرة اللغوية من حيث هي ظاهرة اجتماعية – فهو عضو مرن متحرك يساعد على تنويع الأصوات واختلافها، إذ إنَّه ينتقل من وضع إلى آخر فَيُكَيِّفُ الصوت اللغوي حسب أوضاعه المختلفة.

قَسَّمَ علماء الأصوات اللسان إلى ثلاثة أقسام :

أ- اللسان أو طرفه.

ب - وسط اللسان.

ج- أقصى اللسان.

5.الحَنَك: هو الجانب العضوي الذي يتصل به اللسان أثناء حركته، وينقسم إلى ثلاثة أقسام :

أ –أول الحَنَك: وفيه الأسنان وأصولها.

ب –وسط الحَنَك: وهو الجزء الصلب منه.

ج أقصى الحَنَك: وهو الجزء الخلفي الليِّن منه، ثم اللهاة.

6.التجويف الأنفي : يتصل بجهاز التنفس والنطق، وقد ينسد بعض الشيء بواسطة الشراع الذي ينتهي باللهاة، وقد تنغلق بعض الأحيان، وتعزل الحلق من التجويف الأنفي الذي يعد ممرًا يمر النَّفَسُ عبره عند النطق بصوتي الميم والنون لإحداث ظاهرة الغنة.

7.الشفتان :

هما عضلتان ظاهرتان في نهاية الفم الخارجي، وهما من أعضاء النطق المتحركة، لهما ثلاث خصائص عضوية :

1. **الانطباق**: تنطبقان انطباقًا محكمًا فلا يسمح للهواء بالخروج مدة معينة من الزمن.

2. **الانفراج**: قد تنفرجان أحيانًا ، فيندفع الهواء محدثًا صوتًا انفجاريًا مثل الباء.

3. **الاستدارة**: قد تستديران أثناء النطق بصوت الواو ، أو (O).

إنَّ نظرة عجلى إلى هذا الوصف التشريحي الذي ذكرناه تهدي إلى ما يلي :

1. بعض هذه الأعضاء التي ذكرناها ثابتًا وبعضها متحركًا.

2ـ معظم الأصوات اللغوية تحدث في تجويف الفم، باستثناء صوتي الميم والنون، فهما أنفيان(من الخيشوم).

3ـ العوائق العضوية التي يمكن أنْ تصيب عضوًا من أعضاء جهاز النطق عند الإنسان، قد لاتؤدي إلى تعذر النطق تمامًا.

4ـ إنَّ نَعْتَ هذه الأعضاء بأعضاء النطق نَعْتٌ طارئ وثانوي لأنَّ الأصل الطبيعي في هذه الأعضاء من الناحية الفيزيولوجية القيام بوظائف بيولوجية من أجل بقاء الكائن الحي. غير أنَّ الإنسان من حيث هو كائن مؤهل سلفًا لاستعمال اللغة، أقدره الله تعالى على استغلال هذه الأعضاء استغلالاً مناسبًا لإنتاج الأصوات، وبذلك أصبحت لها وظيفتان: وظيفة بيولوجية ووظيفة لغوية[1].

5ـ هذا الجهاز الغريب قادر في ذاته على إنتاج أنماط صوتية متنوعة، وتلك كفاية طبيعية يتميز بها الإنسان عما سواه من الكائنات الأخرى. يقول أحد العلماء في هذا الشأن: "هل لك أنْ تدلني على أحد يسطيع أنْ يستغل النفايات بطريقة أنفع وأكثر كفاءة وأهمية من استغلال الإنسان لنفايات التنفس؟ والجواب لا. فليس الكلام في واقع الأمر إلا اعتراضًا لسبيل الهواء الفاسد المطرود من الرئتين والمشبع بثاني أكسيد الكربون في أثناء صعوده في المجاري الهوائية، واستغلال هذا الفاسد أفضل استغلال، وهذا لايكلفنا الكثير من المشقة، فالهواء الفاسد هذا لم يعد ينفع الجسم، وهو خارج منه أردنا ذلك أم لم نرد، وكل ما نفعله هو أنْ نعترض سبيله، إما عند الحنجرة أو ما فوقها حتى اللسان والشفتين، ونصنع منه معجزة الكلام التي وهبها الله بني الإنسان".[2]

ب ـ جهاز الاستقبال (جهاز السمع):

يُلْتَقَطُ الصوت من حيث هو ظاهرة فيزيائية عامة بواسطة حاسة السمع، ولهذه الحاسة من الناحية التشريحية، جهاز عضوي مركب من عدة أعضاء تسهم في عملية استقبال الأصوات وترجمتها إلى مدركات عقلية، وهذا الجهاز المركب هو الأذن.

المكوّنات العضوية للأذن: تتكون الأذن من الأجزاء العضوية الآتية:

1ـ الأذن الخارجية: تشمل الصِّيوَان والصِّمَاخ والطبلة.

ـ **الصيوان:** وهو الجزء الثابت والظاهر من الأذن، وهو ثابت عند الإنسان متحرك عند الحيوان.

ـ **الصّمَاخ:** وهي قناة ناقلة للأثر الصوتي، وتسمى كذلك بالممر الصوتي.

---

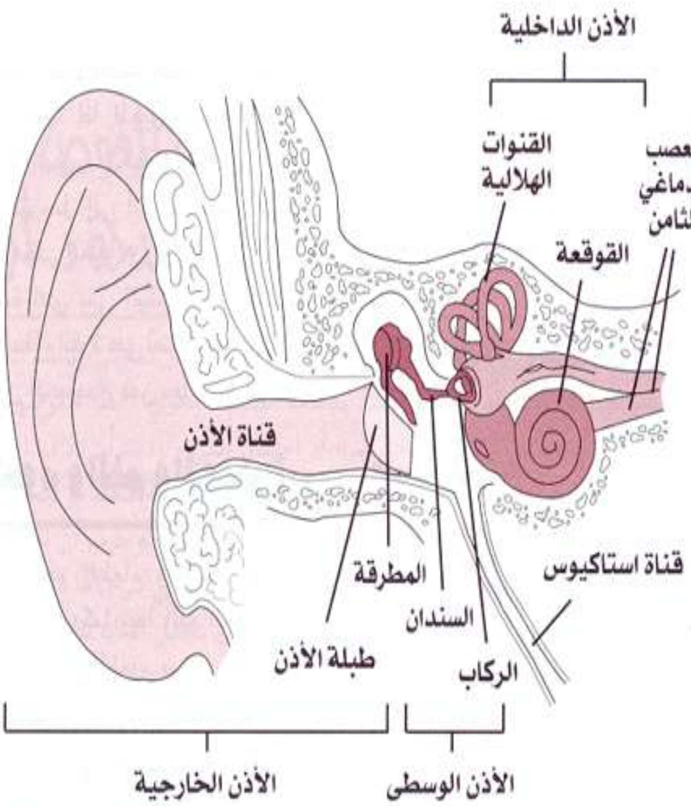
(1) ـ عاطف مدكور، علم اللغة بين القديم والحديث، ص96.

(2) ـ المرجع نفسه، ص 96.

ـ **الطبلة :** هي واسطة غشائية ناقلة للأثر، وتتصل بالصيوان بواسطة القناة المعروفة بالصماخ.

2ـ الأذن الوسطى : هي الجزء الذي يلي الطبلة مباشرة، وتشمل المطرقة والسِّنْدَان والرِّكاب وهي ثلاثة عظيمات تسهم في نقل الذبذبات الصوتية إلى الأذن الداخلية.

3ـ الأذن الداخلية: من أهم الأجزاء البارزة في الأذن الداخلية القَوْقَعَةُ، وهي جسم ملتف بأغشية صلبة، طوله حوالي 35 مم، وهي المنطقة التي يوجد فيها السائل المعروف بالسائل التيهي، الذي تنغمس فيه الألياف العصبية الناقلة التي تنقل الذبذبات الصوتية إلى المخ لترجمتها وتحويلها إلى دلالات.(1)



ج ـ تصنيف الأصوات اللغوية:

(1)ـ عبد الغفار حامد هلال ،أصوات اللغة العربية ، ص 63 .

تنقسم الأصوات اللغوية إلى زمرتين :

ـ زمرة الأصوات الصائتة (Vowels /Voyelles).

ـ زمرة الأصوات الصامتة (Consonnes/ Consonants).

أولا: الأصوات الصائتة:

تتبدى الخاصية التي تتميز بها الأصوات الصائتة في طبيعة الإنتاج الفعلي للصوت الصائت الذي يحدث – في الواقع – بعد خروج الهواء من الرئتين، حيث يمر النّفَسُ في مجراه الطبيعي دون أنْ يعترض سبيله أي عائق، فالصفة التي يتميز بها الصوت الصائت هي كيفية مرور النَّفَسِ في الحلق والفم وخلو مجراه من الحواجز العضوية التي تعترض سبيله.

الصوائت في اللسان العربي هي الحركات كما اصطلح عليها الأقدمون: الفتحة (a)، والضمة (o)، والكسرة (i) ونظائرها الطويلة: الألف والواو والياء . فالصوائت – بناء على ذلك – تتميز عما سواها بخلو المجرى الصوتي من أي عارض عضوي.

وقد تصنف الصوائت حسب العوامل الآتية :

1ـ أوضاع أعضاء النطق.

2ـ درجة انفتاح الممر الهوائي.

3ـ عمل بعض الأعضاء على جهر الصوت.

وهناك حالتان أساسيتان في تصنيف الصوائت هي :

1ـ وضع اللسان داخل الفم.

2ـ شكل الشفتين.

أ ـ فإذا ارتفع الجزء الأمامي من اللسان نحو مقدمة الحَنَك، أو هبط نحو قاع الفم تحدث الأصوات الصائتة الأمامية (Voyelles antérieures/ anterior vowels).

ب ـ وإذا تجمع اللسان في مؤخرة الحَنَك تحدث الأصوات الصائتة الخلفية (Voyelles postérieures (Voyoy)

.

ج ـ وإذا شغل اللسان منزلة بين المنزلتين السابقتين تحدث الصوائت المتوسطة، أو المركزية (Voyelles médianes- centrales) .

د ـ وإذا قامت الشفتان بحركة مستديرة، تحدث الصوائت المستديرة Rounded Vowels/ Voyelles arrondies.

هـ ـ إذا اتخذت شكل انفتاح أفقي تحدث الصوائت المنفرجة(voyelles / vowels stretched étirées).

ويلخص بعضهم ما أتينا عليه ذكرًا بهذا الترتيب:

1ـ الصوائت الأمامية المنفرجة.

2ـ الصوائت الأمامية المستديرة.

3ـ الصوائت المتوسطة المنفرجة.

4ـ الصوائت المتوسطة المستديرة.

5ـ الصوائت الخلفية المنفرجة.

6ـ الصوائت الخلفية المستديرة.

غير أنَّ هذه التصنيفات التي أوردناها، ههنا، لم تتحقق في جميع اللغات، فهي لاتعدو أنْ تكون نماذج قياسية. [1]

ثانيا :الأصوات الصامتة:

تتميز الأصوات الصامتة بكيفية النطق بها، إذ تعترض الهواء حواجز عضوية أثناء مروره عبر الممر الصوتي.

ويمكن لنا أنْ ندرس الأصوات الصامتة في الجوانب الآتية:

1ـ نتفحص مكان النطق ونلاحظ عمل أعضاء جهاز النطق وكيفية إنتاج الصوت، وهذه الأمور تتعلق بالمخرج الصوتي (Point d'articulation / Point of articulation).

2ـ نتفحص العائق العضوي، من حيث درجة انفتاح المجرى الصوتي، أو إقفاله (Degré d'aperture).

3ـ معاينة الأحداث الخاصة التي ترافق اجتياز العائق العضوي ومعرفة كيفية التلفظ بالأصوات الصامتة (Mode d'articulation).

4ـ قياس المدة الزمنية التي يستغرقها النطق بالصوت الصامت.

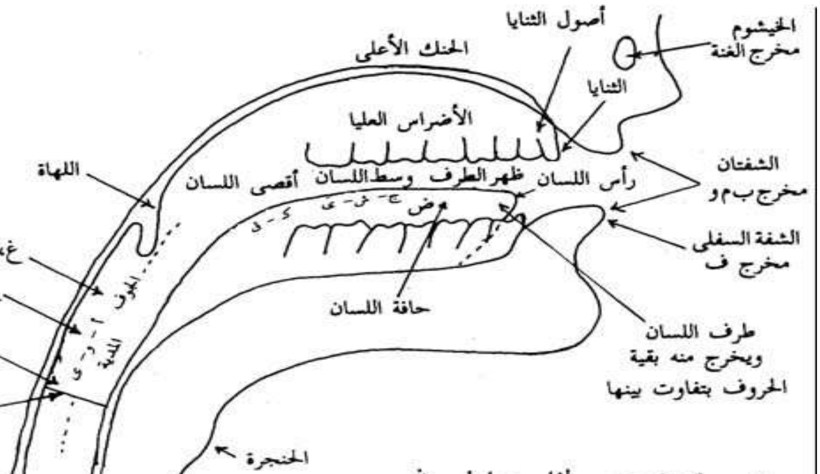
5ـ معاينة عمل بعض الفراغات الرنانة المساعدة في عملية النطق بالأصوات الصامتة.[2]

---

(1)ـ ينظر ريمون طحان، الألسنية العربية ، ص 41 .

(2)ـ ينظر المرجع نفسه ، ص 41 .

د ـ مخارج الأصوات:



رسم توضيحي لمخارج الحروف

المخرج في اصطلاحات علماء الأصوات هو: المكان الذي يحدث فيه الصوت، وتُصنَّف وفقه الأصوات اللغوية في الجهاز النطقي عند الإنسان. فهو، حينئذ، الموضع الذي يتم فيه اعتراض مسار الهواء. وكان يعرف عند بعض الدارسين العرب الأقدمين بـ:(المجرى) أو (المحبس). أمَّا عند علماء الأصوات الغربيين فيسمى موضع النطق Point d'articulation

نورد ههنا، تصنيفًا مفصلا لمخارج الأصوات التي نحن بسبيلها.

أولاً: مخارج الأصوات عند القدامى:

إنَّ متعقب الدرس الصوتي العربي من القديم إلى الحديث يلفي اختلافًا ملحوظًا في وصف بعض الأصوات، سواء أكان ذلك الاختلاف يتعلق بالمخرج أم الصفة. وهذا الاختلاف عادة مايكون ناتجًا عن حالة التطور الطبيعي الذي تخضع له جميع اللغات الإنسانية تحت تأثير عوامل معينة.

نحاول في هذا المقام إحضار نموذج من جهود الدارسين الأقدمين في تحديد مخارج الأصوات اللغوية، وقد يكفينا مؤونة الإفاضة في ذلك ابن الجزري، في كتابه النشر في القراءات العشر، ومسوغ الاجتزاء بهذا الكتاب يعود إلى أنَّ الحقل الخصب الذي ازدهرت في رحابه الدراسة الصوتية العربية هو حقل القراءات القرآنية.

مخارج الأصوات في كتاب النشر في القراءات العشر:

يقول ابن الجزري (833هـ) " وقد اختلفوا في عددها ، فالصحيح المختار عندنا ، وعند من تقدمنا من المحققين كالخليل بن أحمد(ت: 170 أو 175 هـ) ، ومكي بن أبي طالب (355 - 437 هـ) وأبي القاسم الهذلي (403 ـ 465 هـ) ، وأبي الحسن شريح ، (539 هـ) وغيرهم سبعة عشر مخرجًا . وهذا الذي يظهر من حيث الاختيار ، وهو الذي أثبته أبوعلي بن سينا في مؤلف أفرده في مخارج الحروف وصفاتها (...) واختيار مخرج الحرف محققًا هو أن تلفظ بهمزة الوصل ، وتأتي بالحرف بعدها ساكنًا ، أو مشدداً" .[1]

المخرج الأول: الجَوْفُ: وهو للألف والواو الساكنة المضموم ما قبلها ، والياء الساكنة المكسور ما قبلها ، هذه الحروف تسمى حروف المد واللين ، وتسمى أيضاً الهوائية والجوفية . قال الخليل مخرجها من الصدر وهو متصل بالجوف . غير أن الصواب في نظر ابن الجزري هو اختصاص هذه الثلاثة بالجوف دون الهمزة ؛ لأنهن أصوات لايعتمدن على مكان حتى يتصلن بالهواء بخلاف الهمزة.

المخرج الثاني: أقصى الحلق : وهو للهمزة والهاء ، فقيل على مرتبة واحدة ، وقيل الهمزة أول.

المخرج الثالث: وسط الحلق : وهو للعين والحاء ، فنص مكي على أنَّ العين قبل الحاء ، وهو ظاهر كلام سيبويه وغيره.

المخرج الرابع : أدنى الحلق إلى الفم ، وهو للغين والخاء ، ونص شريح على أنَّ الغين قبل. وهو ظاهر كلام سيبويه أيضًا ، ونص مكي على تقديم الخاء ، هذه الحروف الستة المتعلقة بالمخارج الثلاثة ، هي الحروف الحلقية.

المخرج الخامس: أقصى اللسان مما يلي الحلق وما فوقه من الحَنَك ، وهو للقاف. وقال شريح إنَّ مخرجها من اللهاة مما يلي الحلق ومخرج الخاء.

المخرج السادس : أقصى اللسان أسفل مخرج القاف من اللسان قليلاً وما يليه من الحَنَك ، وهو الكاف وهذان الحرفان (القاف والكاف) يقال لكل منهما لهوي ، نسبة إلى اللهاة ، وهي بين الفم والحلق.

المخرج السابع : للجيم والشين والياء غير المدية ، من وسط اللسان بينه وبين وسط الحَنَك ، ويقال إنَّ الجيم قبلها ، ويقال إنَّ الشين تلي الكاف ، والجيم والياء يليان الشين ، هذه الحروف الشَّجْرِيَّةُ.

المخرج الثامن : للضاد ، من أول حافة اللسان وما يليه من الأضراس من الجانب الأيسر عند الأكثر ومن الأيمن عند الأقل ، وكلام سيبويه يدل على أنَّها تكون من الجانبين ، وقال الخليل : إنَّها أيضا شَجْرِيَّةٌ ، يعني من مخرج الثلاثة قبلها.

---

(1)ـ ابن الجزري ، النشر في القراءات العشر ، 1 / 198 – 199 .

المخرج التاسع : اللام، من حافة اللسان، ومن أدناها إلى منتهى طرفه وما بينهما، وبين ما يليها من الحَنَك الأعلى مما فويق الضاحك والناب والرباعية والثنية.

المخرج العاشر: للنون، من طرف اللسان بينه وبين ما فوق الثنايا أسفل اللام قليلاً.

المخرج الحادي عشر : للراء، وهو من مخرج النون من طرف اللسان بينه، وبين ما فوق الثنايا العليا، غير أنَّها أدخل في ظهر اللسان قليلاً، وهذه الثلاثة يقال لها الذَّلَقِيَّةُ نسبة إلى موضع مخرجها وهو طرف اللسان، إذ طرف كل شيء ذَلَقُهُ. والحروف الذُّلْق: حروف طَرف اللسانِ. التهذيب: الحروف الذُّلْق الراء واللام والنون سميت ذُلْقاً لأنَّ مخارجها من طرف اللسان .

المخرج الثاني عشر : للطاء والدال والتاء، من طرف اللسان وأصول الثنايا العليا مصعدًا إلى جهة الحَنَك، ويقال لهذه الثلاثة: النِّطْعِيَّةُ، لأنَّها تخرج من نِطْعِ الغار الأعلى، وهو سقفه.

المخرج الثالث عشر: لحروف الصفير، وهي الصاد والسين والزاي، من بين طرف اللسان فويق الثنايا السفلى، وهذه الأحرف الثلاثة هي الأَسَلِيَّةُ، لأنَّها تخرج من أَسَلَةِ اللسان، وهو مستدقه.

المخرج الرابع عشر: الظاء والذال والثاء، من بين طرف اللسان وأطراف الثنايا العليا. يقال لها اللَّثَوِيَّة، نسبة إلى اللِّثة، وهو اللحم المركب فيه الأسنان.

المخرج الخامس عشر: للفاء، من باطن الشفة السفلى، وأطراف الثنايا العليا.

المخرج السادس عشر: للواو غير المدية والباء والميم، مما بين الشفتين فينطبقان على الباء والميم، وهذه الأحرف الأربعة (الفاء والواو و الباء و الميم)، يقال لها الشَّفَوِيَّةُ.

المخرج السابع عشر: الخيشوم، وهو للغنة، وهي تكون في النون والميم الساكنين، حالة الإخفاء، أو ما في حكمه من الإدغام بالغنة، فإنَّ مخرج هذين الحرفين يتحول من مخرجه في هذه الحالة.[1]

ثانيًا: مخارج الأصوات عند المحدثين:

انتقلت الدراسة الصوتية الحديثة من مرحلة الملاحظة المجردة إلى التحليل العلمي عن طريق المخابر الصوتية والآلات الحساسة، الأمر الذي جعل الدراسة الصوتية ترقى إلى مستوى الدراسة العلمية الموضوعية، على الرغم من اختلاف الحالات العضوية والعادات النطقية من مجتمع لغوي إلى آخر.

(1)- ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، 1 /199 – 201 .

ومن خلال تقصينا لكثير من الدراسات الصوتية المعروفة في الثقافة اللسانية العربية المعاصرة، تمكنا من الاستقرار على هذا التصنيف.

1ـ المخرج الشفوي(Labiale/ Labial): يتحقق هذا المخرج باقتراب الشفتين الواحدة من الأخرى، ويقسم هذا المخرج إلى قسمين :

أ- الشفوي المزدوج (Bilabiale/ Bilabial): يتحقق هذا المخرج عندما تنطبق الشفتان كليًا، وتسدان مجرى الهواء الصادر من الرئتين.

بـ الشفوي الأسناني (Labio-dentale / Labio-dental): يتحقق هذا المخرج عندما تتصل الشفة السفلى بالأسنان العليا، مع حدوث تضييق في مجرى الهواء .

2ـ المخرج الأسناني(Dentale / Dental): يتحقق هذا المخرج باتصال طرف اللسان بالأسنان، وينقسم هذا المخرج إلى أربعة أقسام :

أ- الأسناني المنبسط (Plate- apicale / Apical plate): وذلك بانخفاض اللسان نحو الأسفل.

ب - بين الأسناني (Interdentaire/Interdental): حينما يوضع اللسان بين الأسنان العليا والسفلى.

ج - **الأسناني اللثوي (Apicale- alvéolaire/ APICAL ALVEOLAR)**: يحدث عند اتصال طرف اللسان بالأسنان العليا، أو مقدمة اللسان باللثة، وهي أصول الثنايا.

د - **الأسناني الرجعي (Rétroflexe/ Retroflex):** يحدث في حالات خاصة لاحظها علماء الأصوات في لغات الهند.

3ـ المخرج الغاري (Palatale/ Palatal): يتحقق بقيام صلة بين سطح اللسان والحَنَك، ويقسم إلى ثلاثة أقسام :

أ- الغاري الأمامي (Prépalatale/ Prepalatal): ويكون ذلك عندما يتصل سطح اللسان بالجزء الأمامي من الحَنَك.

ب- الغاري الخلفي (Post-palatale): يكون ذلك عندما يتصل سطح اللسان بمؤخرة الحَنَك.

ج - **الطبقي (vélaire/ velar)** : يكون ذلك عندما يتصل سطح اللسان بالطبق، وهو الجزء الرخو من مؤخر سقف الحَنَك.

4ـ مخرج الصافرات والشينيات (sifflantes - chuintantes/ hushing- sibilants): يتحقق هذا المخرج بامتداد اللسان في قاع الفم، ويتخذ شكل مجرى يسمح بمرور الهواء وينقسم إلى قسمين :

أ- **الصافرات(Sifflantes/ Sibilants):** تحدث عندما تتصل مقدمة اللسان بالحَنَك الأمامي.

ب ـ الشينيات (Chuintantes/ Hushing): تحدث عندما تتصل مقدمة اللسان بالحَنَك الأوسط، وحدوث فراغ رنان يغير طبيعة الصوت.

5ـ المخرج اللهوي (Uvulaire/ Uvular): يتحقق هذا المخرج عندما تتصل مؤخرة اللسان باللهاة.

6ـ المخرج الحلقي (Pharyngale/ Pharyngeal): يتحقق هذا المخرج بتقلص جدران الحلق.

7ـ المخرج الحنجري (Laryngale / Laryngeal): ويحدث هذا المخرج بتوقف حركة الوترين الصوتيين، وتقلص الغشاء الداخلي للحنجرة.(1)

اعتمادًا على المخارج التي حددناها آنفًا، يمكن لنا تصنيف الصوامت في اللسان العربي حسب التوزيع الآتي :

1ـ الشفوية المزدوجة(Bilabiales/ Bilabial)، وهي : الباء والميم والواو.

2ـ الشفوية الأسنانية (Labio-dentale) وهي : الفاء.

3ـ بين الأسنانية (Interdentales) ، وهي : الظاء والذال والثاء.

4ـ الأسنانية اللثوية (Apicale - alvéolaires) وهي : الضاد والدال والطاء والتاء والزاي والصاد والسين.

5ـ اللثوية السائلة (Alvéolaire- liquides/ Alveolar liquid) وهي : اللام والراء والنون.

6ـ الغارية الأمامية (Prepalatatales)، وهي : الشين والجيم والياء.

7ـ الغارية الخلفية (Postpalatatale). وهي : القاف.

8ـ الطبقية (Vélaires) ، وهي : الكاف والغين والخاء.

9ـ الحلقية (Pharyngales)، وهي : العين والحاء.

10ـ الحنجرية (Laryngales) وهي : الهمزة والهاء.(2)

هـ ـ صفات الأصوات :

---

(1) ـ ريمون طحان، المرجع المذكور سابقًا، ص 45.

(2)ـ المرجع نفسه ، ص 46 .

أولاً: صفات الأصوات عند الأقدمين :

لقد اهتم الأقدمون بتصنيف الأصوات حسب صفاتها السمعية بقدر اهتمامهم بتصنيفها حسب مخارجها الفيزيولوجية، فالأصوات في نظر الأقدمين تخضع من حيث صفاتها السمعية إلى التوزيع الآتي :

1ـ المجهورة وضدها المهموسة، والهمس من صفات الضعف، كما أنَّ الجهر من صفات القوة. والمهموسة عشرة يجمعها قولك (سكت فحثه شخص)، والهمس الصوت الخفي، فإذا جرى مع الحرف النفس لضعف الاعتماد عليه كان مهموسًا، وإذا منع الحرف النفس أنْ يجري معه حتى ينقضي الاعتماد كان مجهورًا .[1]

2 ـ الحروف الرِّخْوَة وضدها الشديدة والمتوسطة، فالشديدة هي ثمانية (أجد، قط، بكت)، والشدة: امتناع الصوت أنْ يجري في الحروف وهو من صفات القوة.

3 ـ **المتوسطة بين الشدة والرخاوة** ، خمسة يجمعها قولك (لن عمر) وأضاف بعضهم إليها الياء و الواو.

ـ **المهموسة كلها رِّخْوَةٌ** ما عدا الكاف والتاء .

ـ **المجهورة الرِّخْوَة** خمسة : الغين ، الضاد ، الظاء ، الذال ، الراء.

ـ **المجهورة الشديدة** ستة: يجمعها قولك (طبق أجد).

4ـ المستفلة وضدها المستعلية، والاستعلاء من صفات القوة ، وهي سبعة يجمعها قولك (قظ، خص، ضغط). وهي حروف التفخيم على الصواب ،وأعلاها الطاء كما أن أسفل المستفلة الياء، وقيل حروف التفخيم هي حروف الإطباق ولاشك أنها أقواها تفخيمًا.[2]

5ـ الحروف المنفتحة، وضدها المنطبقة أو المطبقة، والانطباق من صفات القوة وهي أربعة : الصاد والضاد والطاء والظاء.

6ـ حروف الصفير، وهي ثلاثة، الصاد والسين والزاي، وهي الحروف الأسلية المذكورة في توزيع المخارج.

7ـ حروف القلقلة : وهي خمسة : يجمعها قولك (قطب جد)، وأضاف بعضهم إليها الهمزة ؛ لأنَّها مجهورة شديدة، وسميت هذه الحروف بذلك ؛ لأنَّها إذا سكنت ضعفت فاشتبهت بغيرها، فيحتاج إلى ظهور صوت يشبه النبرة حال سكونهن في الوقف وغيره، وإلى زيادة إتمام النطق بهن، أصل هذه الحروف القاف، لأنَّه لا يقدر أنْ يُؤتى به ساكنًا إلا مع صوت زائد لشدة استعلائه.[3]

8ـ المنحرفة : وهي اللام والراء على الصحيح، وقيل اللام فقط، سميا بذلك لأنَّهما انحرفا عن مخرجهما حتى اتصلا بمخرج غيرهما.

---

(1)ـ ابن الجزري ، المرجع المذكور سابقًا ، 1 / 202.

(2)ـ المرجع نفسه 203.202/1

(3) المرجع نفسه 1 / 203.

9. حرفا الغنة ، وهي : الميم والنون، ويقال : لهما الأغنان لما فيهما من الغنة المتصلة بالخيشوم.

10. المكررة: الحرف المكرر هو الراء، وهو حرف شديد يجري فيه الصوت لتكراره وانحرافه إلى اللام، فصار كالرِّخْوَة، ولو لم يكرر لم يجر فيه الصوت.

11. حروف التَّفَشِّي: وهو الشين اتفاقا لأنَّه تفشى في مخرجه حتى اتصل بمخرج الطاء، وأضاف بعضهم إليها الفاء والضاد، وبعضهم الراء والصاد والسين والياء والثاء والميم.[1]

12. الحرف المستطيل: وهو الضاد ؛ لأنَّه استطال في الفم عند النطق به حتى اتصل بمخرج اللام، وذلك لما فيه من القوة بالجهر والإطباق والاستعلاء.[2]

ثانيًا:صفات الأصوات عند المحدثين:

1 الأصوات الشديدة (الانفجارية أو الانسدادية):

تحدث هذه الصفة عند مرور الهواء عبر الممر الصوتي، وينسد ذلك الممر بفعل عائق عضوي ثم فجأة ينفرج، فيحدث انفجارًا وتظهر هذه الحالة مع هذه الأصوات :(الباء والتاء والدال والطاء والضاد والكاف والقاف والهمزة).

أما الجيم فهي انسدادية مزدوجة (مركبة أو معطشة).

مواقع انسداد الهواء في الممر الصوتي :

أ ـ الشفتان : في الباء العربية وأصوات (P.b.m) في كل من الفرنسية والإنجليزية .

ب ـ أصول الثنايا العليا : عندما يلتقي بها طرف اللسان أثناء النطق بـ(التاء والدال والطاء والضاد في اللسان العربي و(t.d) في الفرنسية والإنجليزية.

ج ـ أقصى الحَنَك الأعلى : إذ يلتقي به أقصى اللسان في أصوات (الكاف والجيم القاهرية) و (k.g) في الفرنسية والإنجليزية.

د ـ أدنى الحلق : إذ يلتقي به أقصى اللسان في صوت القاف.

ه ـ الحَنْجَرَة: وذلك في حالة النطق بهمزة القطع في اللسان العربي.[3]

---

(1)ـ ابن الجزري ، المرجع المذكور سابقًا ، 205/1.

(2)ـ المرجع نفسه ، 1 / 205 .

(3)ـ عاطف مدكور ، المرجع المذكور سابقًا ، ص 103 .

2. الأصوات الرِّخْوَة أو الاحتكاكية :

يتبدى الفرق بين الأصوات الشديدة والرِّخْوَة في كيفية النطق بالصوت، إذ لا ينغلق مجرى الهواء انغلاقًا تامًا عند النطق بهذه الأصوات، بل يضيق نسبيًا، حيث يسمح للهواء بأن يمر فيه، مع احتكاك بجانبه، فيُحدث الهواء نوعًا من الصفير أثناء مروره بمخرج الصوت، وبحسب نسبة الصفير في الصوت تكون رخاوته.

ولذلك فإنَّ أكثر الأصوات رخاوة أصوات الصفير، وهي في اللسان العربي: (السين والصاد والزاي) مما جعل بعض الدارسين يعمم مصطلح الصافرات على جميع الأصوات الرِّخْوَة. [1]

الأصوات التي نحن بشأنها هي (السين والزاي والصاد والشين والذال والثاء والظاء والفاء والهاء والعين والحاء والخاء والغين).

3- الأصوات المائعة (Liquides/ Liquid):

هي الأصوات التي يلتقي العضوان أثناء النطق بها، غير أنَّ الهواء يجد طريقًا له ليتسرب منه إلى الخارج، فيمر دون أنْ يحدث احتكاكًا، أو نوعًا من الصفير، لذلك تسمى هذه الأصوات بالأصوات المائعة، ومنها في اللسان العربي: (اللام و الراء).

4- الأصوات الأنفية:

وهي الأصوات التي تحدث عندما يمر النَّفَسُ من الممر الأنفي، كصوتي (الميم، والنون) في اللسان العربي.

5. الأصوات المجهورة :

قد يحدث أثناء النطق ببعض الأصوات أنْ يكون الوتران الصوتيان متقاربين، حيث لايسمحان للهواء الصادر من الرئتين بالمرور دون أنْ يهتزا اهتزازًا منظمًا، فيحدث حينئذ، ما ينعت عادة بالذبذبة (Vibration). ففي حالة الجهر تنقبض فتحة المزمار ويقترب الوتران الصوتيان أحدهما من الآخر فتضيق فتحة المزمار. ولكنها تسمح بمرور النَّفَسِ الذي يندفع فيها فيهز الوترين الصوتيين، هي الحالة التي تحدث فيها الأصوات المجهورة(Sonores/ Sounds)، كما هي مألوفة في اللسان العربي: (الباء و الجيم والذال و الراء و الزاي و الضاد و الظاء والعين و الغين و اللام والميم و النون و الهاء) تضاف إليها الصوائت بما في ذلك الواو والياء. [2]

---

(1)- عاطف مدكور ، المرجع المذكور سابقًا ، ص 104 .

(2)- ريمون طحان، المرجع المذكور سابقًا، ص 48.

يمكن لنا أنْ نشعر بحالة الجهر، وذلك بسد الأذنين عند النطق بالصوت المجهور فإنَّه، حينئذ، يسمع الرنين الذي تنشره الذبذبات الحَنْجَرِية في تجاويف الرأس. (1) ويمكن لنا أنْ نشعر به أيضًا، إذا وضعنا أصابعنا فوق تفاحة آدم ثم ننطق بالصوت، فإنَّنا نشعر باهتزازات الوترين الصوتيين. (2)

5 .الأصوات المهموسة:

الهمس عكس الجهر من حيث التقابل العضوي، يرتخي فيه الوتران الصوتيان ولايهتزان، كما هو شائع ومألوف عند النطق بهذه الأصوات (التاء و الثاء و الحاء والخاء و السين و الشين و الصاد و الطاء و الفاء و القاف و الكاف). أمَّا الهمزة فلها وضع خاص، لأنَّ مخرجها من المزمار نفسه، إذ عند النطق بها تنطبق فتحة المزمار انطباقًا تامًا، حيث لايسمح للهواء بالمرور إلى الحلق، ثم تنفرج فجأة فيسمع صوت انفجاري نتيجة اندفاع الهواء، فالهمزة في هذه الحالة صوت شديد، لاهو بالمجهور ولا هو بالمهموس. (3)

7- التفخيم والترقيق:

التفخيم: ظاهرة صوتية، أو أثر صوتي يصاحب نطق بعض الأصوات، بخاصة اللام والراء وتحدث هذه الظاهرة لوجود عاملين:

أحدهما: الإطباق، أو رفع مؤخر اللسان نحو الطبق.

والآخر: التحليق؛ أي رفع مؤخر اللسان نحو الحلق.

يتبدى الفرق بين الأصوات المفخمة والمرققة في الرنين الذي يصاحب الصوتين، فالفرق بين اللام المفخمة واللام المرققة يتجلى في حركة اللسان التي تُحدد هذه الفئة، إذ نجد اللام في اللسان العربي تُفَخَّمُ إذا سبقت بصوت مُطْبق مثل (ظلام وطلاق)، وإذ تُليت بفتحة مثل النطق بلفظ الجلالة (الله)، وترقق إذا سُبقت بكسرة مثل (بسم الله)، وكذلك الشأن في صوت الراء في اللسان العربي، إذ يرقق إذا وقع قبل كسرة مثل (ريم، فريد)، أو إذا وقع ساكناً بعد كسر مثل (حرمان). (4)

---

(1)- ريمون طحان، المرجع المذكور سابقًا، ص 49.

(2)- المرجع نفسه، ص 49.

(3)- عاطف مدكور، المرجع المذكور سابقًا، ص 102.

(4)- زكي حسام الدين، المرجع المذكور سابقًا، ص 166.

1 - الإطباق (Velarisation/ velarization):

تحدث ظاهرة الإطباق عندما يرتفع مؤخر اللسان نحو الطَّبَق دون أن يتصل به، والإطباق يُلون الصوت برنين خاص تتميز به الأصوات المطبقة عما سواها، وكان ينعت لدى الأقدمين بالاستعلاء أيضًا، وتحدث هذه الظاهرة في اللسان العربي عند النطق بالأصوات الآتية : (الصاد و الضاد و الطاء و الظاء)، ولهذه الأصوات نظائرها في الواقع اللغوي، وهي النظائر التي تتبدى في المقابلة الآتية :

الصاد يقابلها السين.

الضاد يقابلها الدال.

الطاء يقابلها التاء.

الظاء يقابلها الذال.

ثانيا: علم الأصوات الوظيفي (Phonologie/Phonology) :

يدرس علم الأصوات الوظيفي الأصوات اللغوية من حيث هي متوالية وظيفية في النسق الآتيفي أثناء الأداء الفعلي للكلام ؛ أي الخصائص الوظيفية للأصوات في الخطاب المنجز بمعزل عن طبيعتها الفيزيولوجية والفيزيائية.

1 . الفونام :

إنَّ العنصر الصوتي الذي يشكل موضوع علم الأصوات الوظيفي هو الفونام (Phonème) وهو : أصغر وحدة صوتية ليس لها معنى في ذاتها، لكنها قادرة على توليد المعنى وتفريعه وتنويعه.

أ . الفونام عند دي سوسير:

يبدأ دي سوسير دراسته للفونام انطلاقًا من التمييز بين جانبين من جوانب النشاط الكلامي: الجانب النطقي والجانب السمعي.حيث يقول في هذا الشأن: "يكاد كثير من علماء الفونولوجيا يقتصرون على الاهتمام بعملية التصويت ؛ أي إحداث الأصوات بواسطة الأعضاء (كالحنجرة والفم)، ويهملون الجانب السمعي (الأكوستيكي)، وليس هذا بالمنهج السليم، فنحن لا ندرك الانطباعات الحاصلة في أسماعنا

مباشرة بمثل صفة المباشرة التي ندرك بها صورة عمل الأعضاء بالعين فقط، بل إنَّ ذلك الانطباع هو الأساس الطبيعي لكل نظرية ".[1]

نستنتج من هذا القول أنَّ الصوت لا يتحدد بالوصف العضوي فحسب، لأنَّه يعسر على الدارس إدراك البداية والنهاية في السلسلة الصوتية المنطوقة، وما كان ذلك إلا لأنَّ نشاط الأعضاء النطقية أثناء عملية إنتاج الأصوات والتلفظ بها، يكون نشاطًا متواصلاً ومتسلسلاً باطراد رتيب، مما يسمح للملاحظ بإدراك الحركة الخطية للأثر الصوتي، لذلك يرى سوسير أنَّه لايمكن تعيين حدود الأصوات في السلسة المنطوقة إلا بالاعتماد على الانطباع السمعي.[2]

مفهوم الفونام في نظر دي سوسير مفهوم مركب، لابد من تصوره من اعتبار الجانبين النطقي والسمعي، فكل منهما شرط في وجود الآخر، كما أنَّ لكل فونام زمنًا يستغرقه، فإذا نطقنا مثلا بـ(ta) فهو مجموع زمنين متواليين: امتداد معين (t) + امتداد آخر هو(a).[3]

ب .الفونام عند بودوان دوكورتني(BAUDOUIN DE COURTENAY):

يجوز لنا أنْ نقول من الناحية التاريخية أنَّ الإرهاصات الأولى لعلم الأصوات الوظيفي بدأت مع أفكار بودوان دوكورتني(1845 – 1929)، وقد أومأ إلى ذلك جورج مونان إذ قال: "يرجع اهتمامنا الخاص ببودوان في أيامنا هذه إلى كونه استكشف الطبيعة اللغوية للفونام" [4]. ويتبدى هذا الوعي العميق بالقيمة اللسانية للفونام في المقال الذي نشر عام 1869 ، وكان مقالاً عميقًا، إذ عبر عن مدى إدراكه الوظيفة التمييزية للعناصر الصوتية في الكلام ، وهو المقال الذي يحمل عنوان: (Changement du S (ss) en CH en polonais)، وهو يرى في هذا المقال ضرورة التمييز بين الصوت الخام في الكلام، أو بتعبير آخر، بين ما يلفظه المتكلم حقًا، وشيء آخر هو الفونام؛ أي ما يظن المتكلم أنَّه يلفظه ، والمستمع أنَّه يسمعه.[5]

---

(1)ـ دي سوسير ، دروس في الألسنية العامة ، ترجمة صالح القرمادي ، ص 70.

(2)ـ ينظر المرجع نفسه .ص 72.

(3)ـ المرجع نفسه ، ص 71 ، وينظر عبد الصبور شاهين ، في علم اللغة العام ، ص120.

(4)ـ جورج مونان ، علم اللغة في القرن العشرين ، ص 30 .

(5)ـ المرجع نفسه ، ص31 .

ج – الفونام عند تروبتسكوي Nicolas Sergueevitch Troubetzkoy:

من حيث الشرعية المعرفية، فإنَّ تروبتسكوي (1890 – 1939) يعد المؤسس الأول لعلم الأصوات الوظيفي. ففي المؤتمر العالمي الأول للسانيات الذي انعقد في مدينة لاهاي عام 1928، تقدم بالاشتراك مع جاكبسون(R.JAKOBSON) وكارسفيسكي (KARCEVSKI) ببرنامج واضح للدراسة الفونولوجية، وهو البرنامج الذي نشأ حوله النادي اللساني في براغ وظهر في كتابه (1939) : مبادئ الفونولوجيا الذي نشر سنة 1939 بعد وفاته، و تُرجم إلى الفرنسية سنة 1949 [(1)]. Principes de phonologie

الفونام (Phonème) في نظر تروبتسكوي هو "أصغر وحدة فونولوجية في اللسان المدروس "،[(2)] وعلى الرغم من أنَّه أفاض في تحليل فكرته إلا أنَّه انتهى إلى مجموعة من القواعد تتعلق بهذا المفهوم، منها:

القاعدة الأولى :

إذا كان الصوتان من اللسان نفسه ويظهران في الإطار نفسه، وإذا كان من الممكن أنْ يحل أحدهما محل الآخر دون أن يُحْدِثَ هذا التبادل تغييرًا في المعنى، حينئذ، يكون هذان الصوتان صورتين اختياريتين لفونام واحد.

يمكن لنا أنْ نمثل لهذه القاعدة بما يلي :

1ـ صوت الجيم في اللسان العربي له صور نطقية مختلفة، غير أنَّ هذه الصور لا تغير المعنى، ومن ههنا يجوز لنا أنْ نقول إن هذه صور صوتية لفونام واحد هو الجيم.

2ـ تتحقق هذه القاعدة في القراءات القرآنية لكلمة (مسيطر) أحيانًا تُقرأ مرققة في شكل السين، وأحيانًا أخرى تُقرأ مفخمة في شكل الصاد، فالصوتان ، إذن ، هما صورتان لفونام واحد ، مادام ذلك لم يؤثر في تغيير المعنى.

القاعدة الثانية :

إذا كان الصوتان يظهران تمامًا في الموقع الصوتي نفسه، ولايمكن أنْ يحل أحدهما محل الآخر دون تغيير في المعنى، حينئذ، يكون هذان الصوتان صورتين واقعيتين لفونمين مختلفين، مثل: (حال ـ جال ـ قال ـ سال ـ نال) ، فالأصوات الأولى في الكلمات المذكورة فونيمات مستقلة، ليس لها معنى في ذاتها ولكنها قادرة على تغيير المعنى وتفريع الدلالة وتنويعها.

---

(1)ـ ميشال زكريا ، الألسنية (علم اللغة الحديث) مبادئها وأعلامها ، ص 336.

2 - TROUBEZKOY, Principes de phonologie. P 37.

القاعدة الثالثة :

إذا كان الصوتان من اللسان نفسه متقاربين فيما بينهما من الناحية السمعية أو النطقية، ولا يظهران مطلقًا في الإطار الصوتي نفسه، فإنَّهما صورتان تركيبيتان لوفونام واحد، مثال على ذلك فونام النون في اللسان العربي، إذ له صور متعددة تظهر كل واحدة منها في موقع معين، فالنون الساكنة قبل صوت أسناني كالثاء تُنطق أسنانية، والنون الساكنة قبل صوت لهوي كالقاف تُنطق لهوية، وهكذا تتعدد صور النون بتعدد الأصوات الآتية لها.(1)

د – الفونولوجيا (علم الأصوات الوظيفي) عند جاكبسون:

تنحصر أعظم أعمال جاكبسون بخاصة في تأسيس فونولوجيا براغ، فقد قام بكتابة الموضوعات المقدمة إلى مؤتمر لاهاي (1928)، وقد أسهم أيضًا في كتابة موضوعات المؤتمر الأول لفقهاء اللغة السلافيين(1929)، ومن المؤكد – كما يقول جورج مونان – لولا ديناميكية جاكبسون الفعالة، لما استطاعت الفونولوجيا (علم الأصوات الوظيفي) أنْ تحقق ذلك الانتصار العظيم في لاهاي أبدًا، وربما كانت انتظرت طويلاً لتفرض نفسها خارج براغ. (2)

لقد خصص جاكبسون قسمًا كبيرًا من كتابه (Essais de linguistique générale) للبحث عن الخصائص المشتركة بين جميع الأنساق اللسانية في المجال الفونولوجي(الصوتي الوظيفي)، وكان ذلك بمحاولة لحظ جميع الاختلافات الممكنة والقيام بحصرها وضبطها وفق التضاد القائم بينها، سواء أكان هذا التضاد في المستوى النطقي، أم في المستوى السمعي، فتوصل إلى وضع لائحة مفتوحة من السمات الفونولوجية، لكن ليس بالضرورة أنْ تكون هذه السمات ممثلة في جميع اللغات الطبيعية، وإنَّما يمكن لكل نظام لساني أنْ ينتقي ما يناسبه من هذه السمات التي يضبط مجالها على أساس التخالف، فإذا أردنا التمييز بين (الباء و الميم) نعمد إلى سمة الغنة التي تعد مميزًا فاصلاً بين الصوتين فنكتب الخلاف بالشكل الآتي :

1ـ (ب) ← (- غنة).

2ـ (م) ← (+ غنة).

---

(1) ـ عبد الصبور شاهين، المرجع المذكور سابقًا، ص 125 وما بعدها .

(2) ـ جورج مونان ، علم اللغة في القرن العشرين، ص 147.

تعد سمة الغنة، حينئذ، مميزًا فارزًا لفئات الوحدات الفونولوجية، فهي من ههنا سمة فونولوجية كلية تظهر في جميع الأنساق اللسانية.(1)

2.المقاطع الصوتية (Syllables/SYLLABES):

لقد اختلف علماء الأصوات في النظر إلى المقطع، ومن ذلك اختلفوا في تعريفه فاعتمد بعضهم على دراسة الجهد المبذول لنطق مقطع معين، فتبين لهم أنَّ المقطع يبدأ بضغط عضلي يتصاعد إلى القمة، ثم يهبط تدريجيًا. واعتمد آخرون على دراسة نوعية المقطع، فحدوه على أنَّه "كمية من الأصوات تحتوي على حركة واحدة ، ويمكن الابتداء بها، والوقوف عليها من وجهة نظر اللغة المعينة".(2)

ويعرفه آخرون "على أنَّه مجموعة من الأصوات المتتابعة، لها قمة، أو حد أقصى في الوضوح السمعي، وهذه القمة تقع بين حدين أقل منهما في الضوح السمعي".(3)

وخلاصة التعريف هو أنَّ المقطع يعد "أصغر وحدة صوتية يمكن أنْ تنفصل في تركيب الكلمة".(4)

انطلاقًا من هذا التعريف وصف علماء الأصوات المقطع على أساسين:

1ـ نهاية المقطع: فالمقطع الذي ينتهي بصوت صائت (قصير أو طويل) هو مقطع مفتوح، وذلك لأنَّه يقبل زيادة أصوات أخرى، أمَّا المقطع الذي ينتهي بصوت صامت فهو مغلق.

2ـ طول المقطع أو شدة النطق به: يقوم هذا الأساس على طول النطق، وهو ثلاثة أنواع:

أـ قصير: وهو المقطع الذي لايزيد عن صوتين.

ب ـ متوسط: هو المقطع الذي يتكون من ثلاثة أصوات، أو صوتين أحدهما طويل.

ج ـ طويل: هو المقطع الذي يتكون من أربعة أصوات، أو ثلاثة أحدها طويل.(5)

أنواع المقاطع في اللسان العربي:

في اللسان العربي ستة أنواع للمقاطع، ثلاثة منها أساسية، وأخرى ثانوية.

أولاً : المقاطع الأساسية:

---

(1)ـ أحمد حساني، السمات التركيبية والدلالية للفعل، 50.

(2) ـ رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة، ص 103 .

(3)ـ عاطف مدكور ، المرجع المذكور سابقًا ، ص 112.

(4)ـ المرجع نفسه ، ص 112.

(5)ـ المرجع نفسه ، ص 113.

1ـ النوع الأول: صامت + صائت قصير ← (كَتَبَ) ← (كَ ، تَ ، بَ)

2ـ النوع الثاني : صامت + صائت طويل ← (كَاتِبٌ) ← (كَا).

3ـ النوع الثالث : صامت . صائت قصير+ صامت ← (هَلْ ، لَمْ ، لَنْ).

ثانيا: المقاطع الثانوية :

تنحصر المقاطع الثانوية في حالتين (حالة الوقف، حالة الابتداء بالساكن).

أـ في حالة الوقف :

النوع الرابع : صامت + صائت طويل + صامت ← (كَانْ، قَالْ)

النوع الخامس : صامت + صائت قصير + صامتين←(نَهْرْ، بَحْرْ)

ب ـ في حالة الابتداء بالساكن:

النوع السادس : صائت + صامت ← استخراج.

يتعلق هذا النوع بهمزة الوصل في اللسان العربي، وهي الهمزة المساعدة على حمل الحركة للتخلص من الابتداء بالساكن، وهذا المقطع هو مقطع وظيفي فحسب لا اعتبار له في علم الأصوات العام، وما كان ذلك إلا لأنَّ المقطع العربي من الناحية الصوتية لابد له من الابتداء بصوت صامت متحرك.[(1)]

3.النبــر

مما لا يغرب عن أحد هو أنَّ العملية التلفظية أداء لساني تنشط فيه جميع أعضاء النطق بمكوناتها العضوية المختلفة، فينتج عن هذا الأداء أثر سمعي (الصوت)، تتحدد درجة هذا الأثرالسمعي بقوة النطق به، ويقاس بالطاقة التي يبذلها المتكلم لإخراجه إلى الوجود.

وبناء على هذه الآلية الطبيعية لإنتاج الصوت فإنَّ المتكلم (الناطق) عندما يمارس إنجاز الكلام بالفعل يميل عادة إلى الضغط على مقطع معين فيبرزه في نطقه، هذا الضغط الذي يتحول إلى أثر سمعي بارز هو الذي يسمى بالنبر، وهو: ارتفاع الصوت، وعلوه بعد ضغط ناتج عن نشاط زائد في عمل أعضاء جهاز النطق.

(1)ـ تمام حسان مناهج البحث اللغوي ، ص 164 ، 165.

أولا ـ التعريفات والحدود:

إنَّ نظرة عجلى في المعاجم اللغوية تهدي إلى أنَّ دلالة المدخل المعجمي (نبر) تفيد الارتفاع والعلو، جاء في لسان العرب لابن منظور أنَّ النَّبْرَ عند العرب ارتفاع الصوت. يقال: نَبَرَ الرجلُ نبْرَةً إذا تكلم بكلمة فيها عُلُوٌّ، والنَّبْرُ بالكلامِ: الهَمْز، وكلُّ شيء رفع شيئًا، فقد نَبَرَهُ، والنبْر: ُ مصدر، نَبَرَ الحَرْفَ يَنْبُرُهُ نَبْرًا هَمَزَه.(1)

أما الحد الاصطلاحي فيفيد في كل الأحوال معنى الوضوح، والطاقة، والجهد، والعلو والنشاط الزائد في عمل أعضاء جهاز النطق عند الإنسان.

نورد ههنا هذه الحدود والتعريفات الواحدة تلو الأخرى:

ـ **تمام حسان** : "النبر هو وضوح نسبي لصوت أو مقطع إذا قورن ببقية الأصوات أو المقاطع في الكلام". (2)

ـ **محمد علي الخولي** : " النبر هو قوة التلفظ النسبية التي تعطى للصائت في كل مقطع من مقاطع الكلمة ،أو الجملة ". (3)

ـ **كمال بشر** : "الصوت، أو المقطع المنبور ينطق ببذل طاقة أكبر (أكثر) نسبياً، ويتطلب من أعضاء النطق مجهوداً أشد". (4)

ـ **إبراهيم أنيس :** " النبر هو: نشاط في جميع أعضاء النطق في وقت واحد، فعند النطق بمقطع منبور نلحظ أنَّ جميع أعضاء النطق تنشط غاية النشاط، إذ تنشط عضلات الرئتين نشاطاً كبيراً، كما تقوى حركة الوترين الصوتيين (...)، فتعظم لذلك سعة الذبذبات ويترتب عليه أنَّ يصبح الصوت عالياً واضحاً في السمع". (5)

---

(1)ـ ينظر ابن منظور لسان العرب ، (نبر).

(2) ـ تمام حسان ، مناهج البحث في اللغة ، ص 160.

(3)ـ محمد علي الخولي ، الأصوات اللغوية ، ص 158.

(4)ـ الدكتور كمال محمد بشر، علم اللغة العام: الأصوات، القاهرة 1970 ص210.

(5)ـ المرجع نفسه ، 169.

ثانيا: الآليات الفيزيولوجية للنبر:

كما أومأنا إليه سابقًا هو أنَّ النطق بالمقطع المنبور يقتضي بذل جهد أكثر، وطاقة أكبر من الجهد المبذول في النطق بالمقطع غير المنبور، ويكون ذلك كالآتي:

1 ـ تنشط جميع أعضاء النطق المشتركة في نطق ذلك المقطع.

2 ـ تنشط عضلات الرئتين بشكل متميز لدفع الهواء بنشاط أكبر.

3 ـ تقوى حركة الوترين الصوتيين وتتسع الذبذبات، ويتقارب الوتران أكثر في حالة الأصوات المجهورة، ويبتعدان أكثر في حالة الأصوات المهموسة.

4 ـ يزداد نشاط الشفتين إذا اشتركتا في النطق.

5 ـ تصبح حركة اللسان دقيقة محكمة حتى يضمن وضوح مخارج الأصوات، وعدم التباسها مع غيرها.

6 ـ يزداد الجهد العضلي لأعضاء الكلام عامة.[(1)]

ثالثا: أنواع النبر:

النبر ثلاثة أنواع:

1 ـ نَبْرُ الكلمة: هو ذلك الوضوح النطقي لمقطع ما من مقاطع الكلمة الذي يجعله يختلف عن غيره من المقاطع الأخرى التي تشكل النسيج الصوتي للكلمة في حالة الإفراد.

2 ـ نَبْرُ الجملة: هو ذلك الأثر النطقي / السمعي البارز عند التلفظ بالجملة، بوصفها وحدة تلفظية كاملة تشبه الكلمة في حالة الإفراد، فيكون النبر للجملة وليس للكلمة.

عندما تساق الكلمات في بنية تركيبية واحدة (جملة)، تفقد هذه الكلمات خصائصها النبرية التي كانت عليها في حالة الإفراد، فإذا هي تستحيل إلى وحدات صغرى ليس إلا. فيتحقق النبر، حينئذ، في الوحدة

---

(1) ـ محمد علي الخولي، الأصوات اللغوية، ص 160.

الأكبر، وهي الجملة، وعادة ما يكون النبر في آخر الجملة ؛ أي على الكلمة الأخيرة، وعلى المقطع المناسب الذي يحمل النبر في الكلمة المعينة في حالة الإفراد بمعزل عن التركيب .

3 ـ يضيف بعضهم نوعًا آخر يسميه **النبر التقابلي**: يظهر هذا النبر في الجملة من أجل غرض خطابي أو تواصلي معين ، قد يريد المتكلم في بعض المواقف الخطابية أو التواصلية نفي حقيقة معينة أو تأكيدها، فيلجأ إلى النبر التقابلي ، ويكون النبر في هذه الحالة على الكلمة المقصودة داخل الجملة في أولها ، أو في وسطها ، أو في آخرها.(1)

مثال : الجملة العربية (قَدَّمَ أحْمَدُ بَحْثَ اللِّسَانِياتِ أَمْس.)

1 ـ **قَدَّمَ** أحْمَدُ بَحْثَ اللِّسَانِياتِ أَمْس ، إذا كان المتكلم يريد توكيد الفعل الذي حدث أمس فسيضغط على **(قَدَّمَ)** فيكون الفعل في هذه الجملة هو موقع النبر التقابلي.

2 ـ قَدَّمَ **أحْمَدُ** بَحْثَ اللِّسَانِياتِ أَمْس ، إذا كان القصد هو تأكيد فاعل الفعل **(أحمد)** دون سواه ، فإنّ النبر سيكون على **(أحمد)** .

3 ـ قَدَّمَ أحْمَدُ **بَحْثَ** اللِّسَانِياتِ أَمْس ،إذا كان المتكلم يريد تأكيد أنَّ أحمد قدم البحث ، ولم يقدم شيئًا آخر ، فسيكون النبر على **(بحث)**.

4 ـ قَدَّمَ أحْمَدُ بَحْثَ **اللِّسَانِياتِ** أَمْس ، إذا كان المقصود من الخطاب هو إعلام السامع بأنَّ البحث الذي قدم أمس هو بحث اللسانيات ، وليس بحث مادة أخرى ، فسيكون النبر على **(اللِّسَانِيات).**

5 ـ قَدَّمَ أحْمَدُ بَحْثَ اللِّسَانِياتِ **أَمْس** ، يكون النبر على (أمس) إذا كان المخاطب يريد تحديد الزمن وتوكيده .

رابعا ـ موقع النبر في النسيج المقطعي للسان العربي:

يقر كثير من الباحثين في الدراسات الصوتية الحديثة بصعوبة تحديد موقع النبر في الكلمة العربية ، لأنَّ أسلافنا الأقدمين لم يضعوا له ضوابط تحد من عشوائيته ، والسبب في ذلك هو أنَّ النبر ليس وحدة صوتية

(1)ـ ينظر محمد علي الخولي ، الأصوات اللغوية ، ص 167.

يُعَوَّلُ عليها في تحقيق الدلالة (المعنى) ؛ لذلك لم يلتفتوا إليه كالتفاتهم إلى الصوت، والحرف، والعناية بهما عناية لا تنكر ولا ترد.

يقول إبراهيم أنيس في هذا السياق الذي نحن في سبيله: " "ليس لدينا من دليل يهدينا إلى موضع النبر في اللغة العربية كما كان ينطق بها في العصور الإسلامية الأولى، إذ لم يتعرض له أحد من المؤلفين القدماء، أمَّا كما ينطق بها قراء القرآن الآن في مصر فلها قانون تخضع له، ولا تكاد تشذ عنه." (1)

غير أنَّ بروكلمان في إيماءة منه إلى النبر وعلاقته بالإيقاع والنغمة الموسيقية في الكلمة العربية، قد ذكر ضوابط محددة يمكن اعتمادها في تحديد موقع النبر. **يقول بروكلمان**: "في اللغة العربية القديمة يدخل نوع من النبر تغلب عليه الموسيقية، ويتوقف على كمية المقطع، فإنَّه يسير من مؤخرة الكلمة نحو مقدمتها، حتى يقابل مقطعًا طويلا، فيقف عنده فإذا لم يكن في الكلمة مقطع طويل، فإنَّ النبر يقع على المقطع الأول منها". (2)

يرى علماء الأصوات العرب المحدثون (3) أنَّ موضع النبر يمكن تحديده بالنظر إلى الآتي:

1ـ يُنظر أولاً إلى المقطع الأخير من الكلمة، فإذا كان من النوع الرابع أو الخامس فهو المقطع الذي يحمل النبر، ولا يتحقق ذلك إلا في حالة الوقف.

2ـ يُنظر إلى الكلمة فإذا كانت نهايتها مجردة من هذين النوعين (الرابع والخامس) كان النبر على المقطع الذي قبل الأخير بشرط ألا يكون هذا المقطع من النوع الأول مسبوقاً بمثله من النوع الأول أيضاً، **رَاقَبَ (را.قَ.بَ)، يَكْتُبُ (يَكْ.تُ.بُ)** المقطع الذي قبل الأخير في الكلمتين من النوع الأول (صامت + صائت قصير) لكنه غير مسبوق بمثله، ومادام هو كذلك فإنَّ النبر عليه .(قَ) في راقَب و(تُ) في يكتُب. أمَّا الفعل الماضي مثل كَـتَـبَ فالنبر يكون على المقطع الثالث عندما نعد المقاطع من آخر الكلمة. في (كَتَبَ) المقطع الحامل للنبر هو / كَ /.

---

(1) ـ إبراهيم أنيس ، الأصوات اللغوية ، ص 170.

(2) ـ بروكلمان ، فقه اللغة السامية ، ص 45 .

(3) ـ ينظر إبراهيم أنيس ، الأصوات اللغوية ، ص 171.

الخلاصة:

لمعرفة موضع النبر في الكلمة العربية :

- يُنظر أولاً إلى المقطع الأخير من الكلمة ، فإذا كان من النوعين الرابع والخامس كان النبر عليه.
- إذا لم يكن كذلك ينظر إلى المقطع الذي قبل الأخير، فإنْ كان من النوع الثاني أو الثالث كان النبر عليه.
- أما إذا كان المقطع ما قبل الأخير من النوع الأول ينظر إلى ما قبله ، فإن لم يكن مثله من النوع الأول أيضا كان النبر عليه.
- إذا كان المقطع الذي قبل الأخير من النوع الأول مسبوقًا بمثله ؛ أي من النوع الأول كان النبر على المقطع الثالث عندما نعد من آخر الكلمة.
- ولا يكون النبر على المقطع الرابع عندما نعد من الأخير إلا في حالة واحدة، هي أنَّ تكون المقاطع الثلاثة التي قبل الأخير من النوع الأول./حَـرَكَـةٌ/ (/ حَ / رَ / كَ / ةٌ/) فلما ننظر في هذه الحالة إلى المقطع الأخير(ةٌ) نجده من النوع الثالث، فهو لا يقبل النبر إذا كان في آخر الكلمة، ننظر إذن إلى المقطع ماقبل الآخير (كَ) فهو من النوع الأول لكنه مسبوق بمثله (رَ) في هذه الحالة يكون النبر حينئذ على المقطع الرابع (حَ).[1]

خامسا:انتقال النبر:

ينتقل النبر من مقطع إلى آخر إذا طرأ على بنية الكلمة أي تغيير بالحذف أو الزيادة أو التفريع الاشتقاقي الذي يؤدي إلى تغيير في النسيج المقطعي للكلمة.

إذا اعتمدنا الجذر الاشتقاقي (ك.ت.ب) فسنلاحظ أنَّ نسيجه المقطعي يتنوع بتنوع فروعه الاشتقاقية.

ـ كَتَبَ: النبر على (كَ) لأنَّ /كتب/ فعل ثلاثي مكون من ثلاثة مقاطع من النوع الأول.

ـ يكْتُبُ: النبر على (تُ) لأنَّه من النوع الأول غير مسبوق بمثله.

---

(1) ـ ينظر إبراهيم انيس، الأصوات اللغوية ، ص 172.

ـ مَكْتُوبْ(في حالة الوقف) : على (تُوبْ) لأنّه من النوع الرابع.

ـ كتابةٌ : على (بَ) لأنّه من النوع الأول غير مسبوق بمثله.

ـ كتاباتٌ : على (بَا) لأنّه من النوع الثاني.

نخلص من بعد الإطافة السريعة في هذا الحقل الخصب من حقول المعرفة الإنسانية إلى أنَّ الجانب الصوتي في الظاهرة اللسانية مهيأ بطبيعته الحسية لأنْ يكون موضوعًا علميًا يتيمز بالموضوعية في الوصف والدقة في التحليل، وهو من ههنا يمكن إخضاعه للتجربة والاختبار، الأمر الذي جعل الجهود تنصرف إلى هذا النوع من الدراسة، فنتج عن ذلك عطاء معرفي يمكن أن يُعَوَّلَ عليه في تأسيس نظرية لسانية قادرة في ذاتها على تقديم التفسير العلمي الكافي لكثير من المظاهر الصوتية من كل جوانبها الفيزيولوجية والفيزيائية والوظيفية.

ثانيًا: المبحث التركيبي.

توطئة:

يعد اهتمام المنظرين اللسانيين بوصف الجملة وتحليلها ظاهرة لسانية رافقت القرن العشرين، ويرتد هذا الاهتمام الملحوظ إلى طبيعة البنية التركيبية بوصفها آلية جوهرية قادرة على توليد عدد لاحصر له من البنى اللسانية، زيادة على كونها الرابط الضمني بين التمثيل الصوتي والتمثيل الدلالي للنظام اللساني.

وانطلاقًا من هذه الأهمية، أنشأ اللسانيون يطورون المعطيات العلمية للبحث عن أنجع المسالك لاستكشاف طبيعة الآلية التركيبية للبنى اللسانية المنطوقة بالفعل في البيئة اللغوية المتجانسة، مما أثرى الدراسة التركيبية بتكثيف نظري ظل ينمو ويتزايد في ظل التحول الذاتي للنظرية اللسانية إلى أنْ استمد سمة النظرية المتكاملة القائمة بذاتها في رحاب المنحى اللساني التوليدي والتحويلي المعاصر.

وقد يستعصي على الدارس فهم أصول هذا الإنتاج اللساني الغزير الذي تحقق في رحاب الدراسة التركيبية دون فهم طبيعة التحول المنهجي العميق الذي طرأ على منوال المقاربة العملية للظاهرة اللغوية، بعد أفول المنهج الفيلولوجي المقارن الذي ظلت الأبحاث اللغوية ترزح تحت وطأته إلى ماقبيل عام (1916)، وهو العام الذي يظهر فيه إلى الوجود كتاب دي سوسير (دروس في اللسانيات العامة) الذي أحدث تحولاً تاريخيًا

– بوصفه الأثل التنظيرى للظاهرة اللغوية - في مسار البحث اللساني بكل أبعاده. فالتحول المنهجي في ميدان اللسانيات بدأ بشكله الجنيني مع بدء نشر هذا الكتاب، وأياما يكن تعدد الاتجاهات اللسانية المعاصرة وتباينها فهي عيال على المبادئ النظرية التي جاء بها دي سوسير والتحديات التي طرحتها في رحاب البحث العلمي للظاهرة اللغوية.

لذلك فإنَّ من يتوخى معرفة التطور المرحلي في البحث اللساني فلا محيص له من أنْ يلم بأهم المفاهيم الأساسية التي قال بها دي سوسير لكونه المؤسس الأول لها، والتي أمست أساسًا نظريًا يعول عليه لدى نفر غير قليل من الباحثين الذين ينتمون إلى مدارس لسانية متلاحقة، تلك المدارس التي ما كان يمكن لها أنْ تكون على ما هي عليه لولا ظهور النظرية السوسيرية التي تعد مرجعًا لها.
ولهذا يقول ليونز (J. Lyons) في هذا الشأن : " يمكن لنا التمييز إلى حد الآن بين عدد كبير من المدارس في ميدان اللسانيات غير أنَّها كلها دون استثناء خاضعة للتأثير المباشر وغير المباشر لدروس دي سوسير". (1)

تنعت النظرية السوسيرية بذات التصنيف الثنائي، هذه الثنائية التي انفرد بها دي سوسير والتي ظلت تعيد إنتاج نفسها في الفكر اللساني المعاصر بأشكال متنوعة جعلته يبدو مولعًا إيلاعًا شديداً بهذا النمط من التصنيف الذي قد كان أثار انتباه كثير من الباحثين، وهو الأمر الذي جعل أحدهم يقول: يقوم مذهب سوسير على مجموعة من التقسيمات نسبت إلى هوس التقسيم لديه، وإذا كان سوسير مهوسًا فقد وعى تمامًا هذا الهوس. (2)

وقد تجلى هذا الوعي في كونه هيأ الإطار النظري اللائق لتناول كل من هذه الثنائيات على حدة، مما يسر السبيل للبحث اللساني في ظل المعطيات العلمية التي ساعدت على إبراز أهمية الدراسة البنيوية والوصفية، ولئن لم يستعمل سوسير في كتابه كلمة بنية (Structure) – لأنَّ المفهوم الأساس في نظره هو مفهوم النسق – فإنَّه هو "أول من أظهر للناس من خلال دروسه أهمية الدراسة البنيوية بوصفه لمفاهيمها ومناهجها، واحتجاجه المقنع لصحتها، وعظيم فائدتها". (3)

1- John Lyons, Linguistique générale ,p32.

(2) ـ جورج مونان ، علم اللغة في القرن العشرين ، ص 49 .

(3) ـ الحاج صالح ، مدخل إلى علم اللسان الحديث ، مجلة اللسانيات ، عدد 2 (1972) ص 40.

ومن ههنا أمست اللسانيات منوالاً علميًا يحتل موقعًا مركزيًا في ميادين شتى من ميادين العلوم الإنسانية، وهو الأمر الذي أدَّى إلى إثراء النموذج التحليلي والمعجم المفهومي بمصطلحات لسانية مثل النسق (Système / System)، التعارض(Opposition)، الدال (signifiant / signifier)،المدلول signified signifie / ، السيميائية (Sémiologie)، العلاقات الترتيبية (Rapports associatifs) العلاقات الركنية (Rapports syntagmatiques) [1]

لقد أشار دي سوسير مبكرًا إلى عقم الدراسة التركيبية التقليدية في نظره؛ لأنَّها قائمة على أصول معيارية،تتوخى مبدأ الخطأ والصواب، حيث أشار إلى ذلك بواضح العبارة في مقدمة كتابه السالف الذكر حين قال: " لقد بدأ اللغويون بوضع ما يسمى بالقواعد، فهذه الدراسات التي بدأت عند اليونان، وتابعهم في ذلك الفرنسيون بصورة خاصة، مبنية على المنطق، وخالية من كل تصور علمي (...) تهدف هذه الدراسات فقط، إلى توفير القاعدة للتمييز بين البنى الصحيحة وغير الصحيحة، إنَّها دراسات معيارية تبتعد عن الملاحظة الصرف".[2]

أول محاولة جادة قام بها دي سوسير في حقل الدراسة التركيبية تمييزه بين نوعين من العلاقات القائمة بين العناصر اللسانية:

أ- العلاقات الاستبدالية (Rapports Paradigmatiques) والتي تنعت لديه بالعلاقات الترتيبية (Rapports associatifs)

ب- العلاقات الركنية (Rapports syntagmatiques)

ومما لايغرب عن أحد هو أنَّ العناصر اللسانية في السياق المنطوق أو المكتوب ترتبط فيما بينهما بحكم الطبيعة الخطية للغة، مما يسمح بتوالي العناصر اللسانية في سلسلة الكلام، ولذلك فإنَّ التأليف بينها الذي يعتمد عليه في تطويل الكلام ينعت بالخط الركني (L'axe syntagmatique) الذي يتكون من عنصرين لسانيين فأكثر، والعناصر المرتبة والمتجاورة في الخط الركني لا تأخذ قيمتها إلا بالمقابلة بينها وبين العناصر التي تسبقها أو التي تلحقها أو بهما معًا، ومن جهة أخرى فإنَّ الكلمات بمعزل عن الأداء الفعلي للكلام، هي في علاقة قائمة على التشابه، من حيث ترتيب وحداتها في الذاكرة، وذلك ما يسميه دي سوسير بالعلاقة الترتيبية، وهي العلاقة التي تختلف عن العلاقة الأولى (العلاقة الركنية) من حيث إنَّ:

- هذه العلاقة لاتسهم في توسيع الخطاب وتمديده في السلسلة الكلامية الخطية.

---

1 - F. de Saussure, Cours de linguistique générale, p112.

(2) - الحاج صالح ، مدخل إلى علم اللسان الحديث ، مجلة اللسانيات ، عدد 2 (1972) ص 40.، ص 13 .

- هذه العلاقة مقرها الدماغ.
- هذه العلاقة هي جزء من الرصيد الداخلي الذي يُكَوِّنُ اللسان عند كل متكلم.(1)

يرى دي سوسير أنَّ العلاقات الترتيبية علاقات ذهنية بين مجموعة من العناصر اللسانية التي ترتبط فيما بينها ارتباطات مختلفة :

1. ارتباطات قائمة على أساس الأصل الاشتقاقي المشترك مثل : عَلِمَ ، مُعَلِّمٌ ، تَعْلِيمٌ . فالعنصر المشترك بين هذه الكلمات هو الأصل الاشتقاقي(علم) في اللسان العربي القابل للتفريع الداخلي والخارجي، وهو ما يقابل الجذر الثابت في اللسان الفرنسي (Radical) .(2)

2. ارتباطات قائمة على أساس الاشتراك في السوابق واللواحق. فكلمة (تعليم) ترتب مع الكلمات " تعميم - تعتيم - ترميم" ، وذلك لاشتراكها جميعًا في السابقة(ت).

3. قد تكون هذه العلاقة قائمة على أساس دلالي محض، كالعلاقة التي تربط بين الكلمات : "تعليم - تدريب - تربية".

يتضح ، حينئذ ، أنَّ العلاقة الترتيبية التي تربط بين العناصر اللسانية، قد تكون قائمة على أساس الشكل والمعنى، أو قد تكون قائمة على أساس واحد منهما دون الآخر.

لقد كانت هذه الأفكار في مرحلتها الجنينية تأسيسًا علميًا له تأثير واسع في المدارس اللسانية التي تلت ظهور كتاب دي سوسير المذكور، مما أثرى الدراسة التركيبية برصيد نظري، يتجلى أثره في المسار التحولي لوصف البنية التركيبية للغات، وتحليلها في ضوء المنحى المنهجي للاتجاهات اللسانية المختلفة التي طورت منوال بحثها تطويرًا ملحوظًا، تبدى أثره في النتائج المحصل عليها في ميدان وصف البنى التركيبية لاحقًا .

أولاً: الدراسة التركيبية التوزيعية:

أخذت الدراسة اللسانية في أمريكا طابعها الخاص الذي ميزها عن النشاط اللساني الأوروبي، ويظهر ذلك جليًا بخاصة عند ليونارد بلومفيلد (L.Bloomfield)(1887 – 1949) حين أصدر كتابه : اللغة (Language / Langage)، عام 1933 الذي هيأ الدراسة اللسانية في أمريكا منهجيًا لكي تنعت بالبنوية والوصفية تارة، والتوزيعية تارة أخرى.

(1) – De Saussure,CLG,p170.
(2)-Ibid,p131.

بعد أنْ استوحى بلومفيلد المعطيات النظرية لعلم النفس السلوكي الذي كان سائدًا آنذاك، في كل مجالات الفكر الإنساني، أسقطها على المنهج الوصفي اللساني مما أدى إلى ظهور نظرية لسانية متكاملة قائمة على أساس مفهوم الوظيفة (Fonction/ Function) ، بيد أنَّ مصطلح الوظيفة في أول أمره استخدم استخدامًا جزافيًا لأنَّه أُفْرِغَ من محتواه العلمي الذي عرف به؛ إذ كان المقصود بنعت عنصر لساني بأنَّه وظيفي هو الإشارة إلى موقعه بالنسبة إلى العناصر المحيطة به، أو بالأحرى توزيعه في السياق الكلامي، لذلك استبدلها سيوادش (Morris Swadesh)[1] بكلمة توزيع distribution ، ومنه وسم هذا الاتجاه بالتوزيعي (Distributionnalisme / Distributionalism)[2]

أ - مفهوم التوزيع:

يعد المنحى اللساني التوزيعي في الواقع رد فعل على الدراسة اللسانية التقليدية التي ما برحت ترسخ مبدأ الخطأ والصواب في التقعيد المعياري للغات، من هذا المنطلق فإنَّ اللسانيات التوزيعية تنفرد بالرؤية الوصفية الظاهرة في تعاملها مع الأشكال اللغوية، فهي تتوخى لتحقيق ذلك معاينة السياق الكلامي عن كثب، ومحاولة ضبط توارد المؤلفات اللغوية في هذا السياق حسب المواقع التي تتبدى فيها عادة.

يدل مصطلح التوزيع ،حينئذ، على الموقع الذي يحتله العنصر اللساني ضمن حواليته المألوفة، وقد "يحدد توزيع عنصر بأنَّه مجموع العناصر التي تحيط به، ومحيط عنصر (أ) يتكون من ترتيب العناصر التي ترد معه؛ أي العناصر الأخرى التي يتوافق كل منها في موقع معين مع العنصر في تركيب كلامي، والعناصر التي ترد مع العنصر (أ) في موقع معين تدعى انتقاء هذا العنصر لهذا الموقع".[3]

يشعر المتكلم – المستمع المثالي – للغته حين إحداثه الفعل الكلامي، كأنَّه يقوم بعملية انتقاء العناصر اللسانية التي تحقق المحتوى الفكري لكلامه في الواقع، بيد أنَّه في الحقيقة "ليس حرًا سوى في اختياره لوحدات الفئات التي ترد عادة معًا، ولا يقوم باختيارها إلا في الترتيب الذي ترد فيه هذه الفئات ".[4]

---

(1) ـ Morris Swadesh : لساني أمريكي (1909 ـ 1967).

(2) ـ ينظر الحاج صالح ، المرجع المذكور سابقًا ، ص57.

(3) ـ د. ميشال زكريا ، الألسنية (علم اللغة الحديث) قراءات تمهيدية ، ص 245 .

(4) ـ المرجع نفسه ، ص 246.

إنَّ العناصر اللسانية التي لها التواتر نفسه في السياق نفسه يقال إنَّ لها التوزيع نفسه، فهي بذلك بدائل توزيعية.[1] ومن ثم فإنَّ التحليل اللساني الذي يُعوّل على موقعية فئات الكلم وتوزيعها ضمن سياقها المألوف "يتوخى استكشاف آلية لغة من اللغات من خلال وضع لائحة للوحدات الأساسية في كل مستويات الدراسة اللغوية، ومن خلال تحديد الفئات التي تنتمي إليها واستكشاف تآلفها فيما بينها".[2]

ولذلك أخذ التوزيعيون – كما أخذ بعض النحاة العرب الأقدمين – يحددون كل جزء من أجزاء الكلام بما يمكن أنْ يوجد حوله من عناصر في السياق الذي يرد فيه عادة. فهم يعرِّفون أقسام الكلم تعريفًا موقعيًا. فكل العناصر التي تحتل الموضع نفسه في السياق تنتمي إلى القسم نفسه من أقسام الكلام.[3]

وتحسن الإشارة ههنا، إلى ما فعله ابن مالك(672 هـ) في ألفيته حين تعرضه لأقسام الكلام، فقد عرفها حسب موقعيتها تمامًا كما فعل التوزيعيون حيث جاء في ألفيته:

بِالْجَرِّ وَالتَّنْوِينِ، وَالنِّدَا، وَأَلْ   وَمُسْنَدٍ لِلاسْمِ تَمْيِيزٌ حَصَلْ
بِتَا فَعَلْتَ وَأَتَتْ وَيَا افْعَلِـي   وَنُونُ اقْبِلَنَّ فِعْلٌ يَنْجَلِي
سِوَاهُمَا الْحَرْفُ كَهَلْ وَفِي وَلَمْ   ....

لما نتأمل هذا التعريف نجد ابن مالك قد راعى في ذلك توزيع العناصر اللسانية، وجعل همه الأول أنْ يفي التعريف حقه بتحديد الحوالية اللسانية(Environnement) التي تتباين العناصر اللسانية وفقها من حيث تواترها في السلسلة الكلامية المنطوقة.

ب .إقصاء المعنى:

ليست الدراسة اللسانية في نظر التوزيعيين بحثًا عن موجودات مفترضة وراء الأشكال اللغوية تعد أسبابًا لها ولانتظامها. إنَّ كلَّ شيء في الوصف اللساني يجري على السطح المنطوق أو المكتوب، وكل محاولة تسعى إلى البحث عن أشياء خلف السطح هي وهم منهجي عقيم، ولهذا يصر التوزيعيون على " استبعاد المعنى استبعادًا كليًا من التحليل اللغوي، ليس لأنَّه لا أهمية له، بل لإيمان أصحاب هذه المدرسة بأنَّ المعنى لايمكن إخضاعه لنوع الدراسة الوصفية العلمية الدقيقة التي يمكن أنْ تخضع لها الأنساق الظاهرة الأخرى ".[4]

---

1 - Voir, Jean Dubois, Dictionnaire de linguistique. P 164.

(2)- د. ميشال زكريا ، المرجع المذكور سابقًا ، ص 15.

(3)- جورج مونان ، مفاتيح الألسنية ، ص 104 .

(4)- نايف خرما، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة ، ص 289 .

وكان بلومفيلد قد صرح بأهمية الدراسة الدلالية حين قال : "لكي نقدم تعريفًا صحيحًا علميًا عن معنى كل شكل لغوي ، لابد لنا من أنْ نملك معرفة صحيحة علميًا عما يكوّن عالم المتكلم ، إذ التطور الحالي للمعرفة الإنسانية غير كاف لتحقيق هذه الغاية".(1)

وكاد هذا التصريح منه يشي بما يعتقده في قرارة نفسه ، إلا أنَّ تلامذته اللاحقين استنتجوا من كلامه الظاهر أنَّ دراسة الدلالة "صعبة المنال علميًا ، وأنَّها ستظل كذلك ، كما رأوا أنَّه لابد من استبعاد علم الدلالة من الوصف اللغوي".(2)

ولذلك فهم يميلون إلى شطب الدلالة من اهتماماتهم المنهجية دون أدنى عناء لصالح النزعة الشكلية الناتجة عن التأثر الواضح بنظريات علم النفس السلوكي الذي يعوِّل كثيرًا على ظاهر الأشياء ، فالممكن في نظر التوزيعيين هو "ضبط السياقات المختلفة التي يظهر فيها العنصر اللغوي ؛ أي تسجيل توزيع هذا العنصر في السلسلة الكلامية ".(3)

ج – التحليل إلى مؤلفات مباشرة :

لقد انفردت الدراسة اللسانية التوزيعية باتخاذها منهجًا وأساليب محددة ، وأكثر وضوحًا ودقة ، مما كان مألوفًا آنذاك في الدراسة التركيبية التقليدية "فالتحليل التركيبي التوزيعي يمثل أولى المحاولات لوصف البنية التركيبية وصفًا بنيويًا تامًا".(4)

ينعت المنهج الأساس المعتمد في تحليل البنية التركيبية لدى التوزيعيين بالتحليل إلى مؤلفات ، فتفكك بنية الجملة عن طريق هذا التحليل ليس على أساس أنَّها مؤلفة من طبقات مرصوفة بعضها بجانب بعض ، بل على أساس أنَّها مؤلفة من طبقات من مكونات الجملة بعضها أكبر من بعضها الآخر ، إلى أنْ يتم تحليلها إلى عناصرها الأولية من المورفيمات(5). لكون المورفام (Morphème) وحدة دنيا تفيد دلالة يبرزها التحليل.

---

1 - L. Bloomfield ,Langage. P . 132 .

(2) ـ جورج مونان ، علم اللغة في القرن العشرين ، ص 121.

3 - Mortéza Mahmoudian , La Linguistique. P 147.

(4) ـ جورج مونان ، مفاتيح الألسنية ، ص 108.

(5) ـ ينظر نايف خرما ، المرجع المذكور سابقًا ، ص 290 .

وتحسن الإشارة، ههنا، إلى أنَّ أصفى صورة للفرق بين اللسانيات التوزيعية واللسانيات الأوروبية المعاصرة تتجلى في مفهوم مصطلح المروفام، فهو عند التوزيعيين له مفهوم خاص يختلف عن المفهوم الأوروبي الذي يدل على الوحدة النحوية مقابل الوحدة المعجمية، هذا المفهوم الذي يتوخاه بخاصة مارتيني (Martinet) ومن يقتفي أثره، حيث يستعمل هؤلاء جميعا مصطلح اللفظ (Monème) للتعبير عن معنى المورفام عند التوزيعيين.[1]

يطلق مصطلح مؤلف (Constituant /Constituent) في اللسانيات التوزيعية على كل مورفام، أو ركن كلامي يمكن له أنْ يدرج ضمن بناء أكبر.

تنقسم مؤلفات الكلام إلى قسمين:

أحدهما: المؤلفات المباشرة(Constituants immédiats / Immediate constituent)، وهي مكونات الجملة التي تقبل التحليل إلى مؤلفات أصغ.

والآخر: المؤلفات النهائية(Constituants terminaux/ constituents terminals)، وهي مؤلفات لا تقبل التحليل إلى مؤلفات أصغ.[2]

أصبح هذا النمط من التحليل سائدًا في كل منوال يسعى إلى وصف البنى التركيبية للغات سواء أكانت تلك اللغات معروفة كاللغات الهندو ـ أوروبية ، أم مجهولة كلغات الهنود الحمر.

كان هذا التحليل، إذن، وسيطًا يطغى على ما سواه في تحليل بنية الجملة إلى "العناصر التي تتألف منها، ومعرفة أي جزء من أجزاء الكلام يتبع كل عنص، وذلك بموجب سلوكه اللغوي في الجملة، والاهتداء إلى علاقة الكلمات بعضها ببعض".[3]

وليكن – مثلاً – النموذج الآتي من الجمل العربية تمثيلاً لهذا التحليل:

أَتَتْكُمْ فَالِيَّةُ الأَفَاعِي [1]

(1)ـ ينظر كاترين فوك ، مبادئ في قضايا اللسانيات المعاصرة ، ص 22.

2 - Voir ; Jean Dubois et autres , Dictionnaire de linguistique.p118.

(3)ـ د. نايف خرما ، المرجع المذكور سابقًا ، ص 291.

تتكون هذه الجملة من مؤلفين مباشرين هما :

(أتتكم) **(فالية الأفاعي)**

1 2

والمؤلفان (1) و (2) يمكن لنا تحليلهما إلى مؤلفين أيضًا :

(أتت) **(كم)**

3 4

(فالية) **(الأفاعي)**

5 6

والمؤلف (3) يمكن لنا تحليله إلى مؤلفين :

(أتى) **(ت)**

7 8

والمؤلف (6) يمكن لنا تحليله إلى مؤلفين:

(أل) (أفاعي)

9 10

يتبدى لنا من هذا التحليل أنَّ الجملة العربية — أنموذج التحليل — تتكون من عشرة مؤلفات يمكن لنا تصنيفها وفق التتابع الآتي :

أ - المؤلفات (1)، (2)، (3)، (6) مؤلفات مباشرة ؛ أي أنَّها تقبل التحليل إلى مؤلفات أصغر.

ب المؤلفات (4)، (5)، (7)، (8)، (9)، (10) مؤلفات نهائية ، أي أنَّها لا تقبل التحليل إلى مؤلفات أصغر منها ذات دلالة.

ويمكن لها ، حينئذ ، أنْ تندرج ضمن بناء أكب.

وتعميقا لذلك نمثل لهذه الجملة بواسطة مايسمى عند التوزيعيين بصندوق هوكات : [2]

---

(1) - مثل عربي ذكره الميداني في مجمع الأمثال"أَتتكم فالية الأَفاعي" ؛ يضرب مثلاً لأَول الشر يُنتظر، وجمعها الفَوالي، وهي هَناةٌ كالخَنافِس رُقْطٌ تأْلف العقارب والحيات، فإِذا رؤيت في الجحور علم أَن وراءها العقارب والحيات. ينظر: ابن منظور ، لسان العرب .

(2) صندوق هوكات (Boite de hokett) هو تمثيل خطي لبنية الجملة بواسطة التحليل إلى مؤلفات قدمه هوكات في كتاب : A COURSE. IN. MODERN LINGUISTICS. By Charles. F. Hockett. New York:. The Macmillan Company, 1958.

أتي	ت	كم	فالية	ال	أفاعي
أتت		كم	فالية	الأفاعي	
أتتكم			فالية الأفاعي		
أتتكم فالية الأفاعي					

يعد التمثيل التوزيعي للجملة حسب صندوق هوكات تمثيلاً تصاعديًا ، يبدأ من حيث أنْ ينتهي التحليل إلى مؤلفات ؛ أي ابتداء من العناصر الأولية التي لاتقبل التحليل إلى مؤلفات أصغر ، وهي المؤلفات النهائية للجملة ، ونهاية التحليل بالنسبة لنصدوق هوكات هي الجملة بوصفها وحدة لسانية تقبل التحليل إلى شطرين أساسيين ، ينعتان على التوالي بركن فعلي وركن اسمي ، أو مسند ومسند إليه.

وبهذه الطريقة وحدها يمكن للباحث في ميدان اللسانيات ضبط الأشكال اللسانية في أي لغة من اللغات وتصنيفها ؛ لأنَّ "النحو حسب هذه المدرسة هو علم تصنيفي غايتة ضبط الصيغ الأساسية في اللغة حسب درجة التواتر لا غير". (1)

ثانيا : الدراسة التركيبية الوظيفية:

اللسانيات الوظيفية هي منحى يَقْفُو أثر دي سوسير في إبراز أهمية الوظيفة الإبلاغية للغة ، وقد نشأ هذا الاتجاه مبكرًا في أحضان النزعة الفونولوجية في رحاب نشاط حلقة براغ اللسانية(Cercle linguistique de Prague) وتجلت مبادئ هذا الاتجاه اللساني بوضوح في الدراسة الفونولوجية، وكان هذا التحول طبيعيًا لكون الأصوات في تأليفها قائمة على الاختيار والمقابلة، مما يسهل عملية فرز العناصر المتشابهة والمتباينة، من حيث السمات الأساسية للنظام الصوتي، ويمثل هذا الاتجاه – في مجال الدراسة التركيبية – مجموعة من اللسانيين يتقدمهم اللساني الفرنسي أندري مارتيني.

أ–وظيفة اللغة عند مارتيني (2):

(1) د. عبد السلام المسدي ، الأسلوبية والأسلوب ، ص 204.

(2)ـ André Martinet: لساني فرنسي (1908ـ 1999) مؤسس الاتجاه الوظيفي في الثقافة اللسانية المعاصرة .

يرى مارتيني André Martinet أنَّ الوظيفة الأساسية للغة هي التواصل بين أفراد المجتمع اللغوي، هذه الوظيفة الإنسانية تؤديها اللغة بوصفها مؤسسة إنسانية على الرغم من اختلاف بنيتها من مجتمع لغوي إلى آخر. وهذا لايعني أنَّ مارتيني ينفي الوظائف الأخرى التي تؤديها اللغة، بل يقر بها إلا أنَّه يجعلها ثانوية، فالوظيفة الجوهرية للغة تتمحور حول الإبلاغ والتفاهم والاتصال بين أفراد المجتمع اللغوي.

ليست اللغة في نظر مارتيني نسخًا للأشياء كما هي في الواقع، بل هي بنى منظمة يتطلع المتكلم من خلالها إلى عالم الأشياء والأحاسيس، وبذلك تتكون الخبرة الإنسانية، ومن ثمة، فإنَّ تعلم لغة أجنبية ليس معناه وضع علامات (Etiquettes) جديدة لأشياء مألوفة لدى المتكلم، بل هو اكتساب نظرة تحليلية مفارقة في إطار التواصل بالتعرف على البنى اللغوية الجديدة التي يرى من خلالها الواقع بطريقة مختلفة عن لغته الأم.[1]

أ – التقطيع المزدوج:

تتمثل السمة البارزة التي تميز اللغة البشرية عن سائر الأنساق الإبلاغية الأخرى في كونها تقبل في ذاتها التقطيع المزدوج، يتبدى التقطيع في كون الإنسان الناطق يميل بطبيعته إلى التعبير عن أفكاره ورغباته الذاتية واهتماماته الشخصية التي تعد في جوهرها تجربة يرغب في إيصالها إلى الآخرين، وقد يكون ذلك بصيحة فرح أو ألم ، أو بحركة من الحركات الدالة، هذا السلوك الصادر من الفرد في هذه الحالة للتعبير عن تجربته لايرقى إلى مستوى الإبلاغ اللغوي فلابد، إذن، من تحليل التجربة الشخصية التي يستحيل نقلها في طابعها الفردي إلى وحدات متلاحقة معروفة لدى جميع أفراد المجتمع اللغوي، وذلك ما يسمى بالتقطيع الأول.[2]

تُبَلَّغُ أحداث التجربة إلى الغير عن طريق عملية التقطيع الأول، حيث تُحَلَّلُ هذه التجربة إلى وحدات متلاحقة لكل منها دال ومدلول، وتسمى هذه الوحدات بالألفاظ (Monèmes) التي تمكننا من التواصل، أو بالأحرى تمكننا من التعبير عن التجربة الإنسانية .

تُحَلَّلُ كل خبرة لغوية، أو حاجة يرغب الإنسان في إيصالها إلى الآخرين في التقطيع الأول عبر تتابع وحدات لسانية، وهي وحدات غير قابلة في ذاتها لأنْ تتجزأ إلى وحدات أصغر ذات دلالة، فكلمة (رأس)

1- André Martinet , Éléments de linguistique générale, p9 - 12

2- Ibid, p14.

تعني الجسم المعروف في جسم الإنسان ولايمكن تحليلها إلى وحدات أصغر (ر.أ.س) حيث يكون لكل منها معنى (رأس) .[1]

لقد كان للعرب فضل السبق في هذا النوع من التحليل. يقول سيف الدين الآمدي (631هـ) في سياق حديثه عن الألفاظ الدالة : "أمَّا حقيقته (أي اللفظ الدال) فهو ما دل بالوضع على معنى، ولاجزء له يدل على شيء أصلا كلفظ الإنسان، فإنَّ (إنْ) من قولنا (إنسان)، وإنْ دلت على الشرطية، فليست إذ ذاك جزءًا من لفظ (الإنسان) ".[2] ففي حالة (رأسٌ) فإنَّ وحدات التقطيع الثاني هي (ر + الحركة / + همزة في درجة الصفر + / س + الحركة والتنوين) . فالراء والهمزة والسين تسمى بالفونيمات (Phonèmes)،[3] ولذلك فإنَّ اللغات الإنسانية جميعها تتميز بهذا النمط من التحليل القائم على التقطيع المزدوج ، فقد يكون الاستفهام بالتنغيم دون الأداة للتمييز بين الإخبار والاستفهام ففي قول ابن أبي ربيعة :

ثُمَّ قالوا تُحِبُّها قُلتُ بَهراً عَدَدَ النَجمِ وَالحَصى وَالتُرابِ

لقد أغنى التنغيم الاستفهامي في قوله (تحبها) عن أداة الاستفهام، فحذفت الأداة ، وبقي معنى الاستفهام مفهومًا من السياق العام للخطاب.[4]

يؤدي التنغيم الوظيفة نفسها التي تؤديها أداة الاستفهام، إذ إنَّه في هذه الحالة له (مدلول) وهو الاستفهام، و(دال) وهو ارتفاع الصوت (الضغط على العنصر الأخير من الكلمة)، إلا أنَّ الدال (التنغيم) لايظهر في سلسلة الأصوات المنطوقة، لذلك يعد هامشيًا لايؤخذ بعين الاعتبار أثناء التقطيع.[5]

نخلص من كل ما ذكرنا أنَّ اللغة الطبيعية تقبل في ذاتها التحليل إلى مستويين:

أحدهما: مستوى الألفاظ (Monèmes) وهي الوحدات الدالة التي تقبل التحليل إلى وحدات أصغر عديمة الدلالة.

والآخر: مستوى الفونيمات (Phonèmes)، وهي الوحدات الصوتية الدنيا التي ليست لها دلالة في ذاتها ولكنها قادرة على تغيير المعنى .

وانطلاقًا من هذا التحليل يكون التقطيع المزدوج قانونًا أساسًا من قوانين اللغة البشرية.

---

1 - André Martinet , Éléments de linguistique générale,p14

(2)- الآمدي ، الإحكام في أصول الأحكام ،118.

3 -Voir: André Martinet , Éléments de linguistique générale ,p15.

(4) - د. تمام حسان ، اللغة العربية معناها ومبناها ، ص 227.

5-Voir: André Martinet , Éléments de linguistique générale ,p21 .

ج – مبادئ التحليل التركيبي عند مارتيني:

بلغت الدراسة التركيبية مرحلة متميزة من مراحل تطورها لدى مارتيني الذي عمل جادًا على السير بها معرفيًا ومنهجيًا في ضوء المعطيات العلمية لعلم الأصوات الوظيفي، فقد أشار مارتيني إلى أهمية الدراسة التركيبية في ضوء النتائج المحصل عليها في رحاب الدراسة الفونولوجية، حيث قال في مقدمة كتابه Éléments de linguistique générale "إنَّ مبادئ التحليل الفونولوجي قد وُضعت في متناول الناس منذ زمن طويل، وبالعكس ما قيل عن التركيب فهو جديد وجديد جدًا بالنسبة لهذا المؤلف، وأنَّ ضرورة تقديم منهجية وصفية تغطي بشكل منظم مجموعة المعطيات اللغوية جعلتنا نحرص على الجهد الجماعي (...) الذي يهدف إلى فرز ما تمثله الفونولوجيا في مستوى الوحدات التمييزية بالنسبة للوحدات الدالة".[1]

استطاع مارتيني ـ في ضوء ما تحقق من نتائج في حقل الدراسة الفونولوجية ـ أنْ يطور التحليل التركيبي للجملة بوضعه الخطوط الأولية لهذا التحليل الذي ينبنى على وظيفة العناصر اللغوية في التركيب، والكيفيات التي ترتب وفقها العناصر في الجملة.

يرى مارتيني أنَّ العلاقات التي تربط بين الألفاظ بوصفها وحدات التقطيع الأول في الملفوظ (Enoncé) في أي نظام لساني تتجلى في حالات مضبوطة بضوابط سياقية تكاد تكون عامة في جميع اللغات المعروفة وهذه الحالات هي:

1ـ الألفاظ المكتفية بذاتها: (Monèmes autonomes) : هي وحدات دالة تتضمن في بنيتها المستقلة دليل وظيفتها مثل (اليوم ـ غدا ـ أحيانا ـ غالبا، ....) ، فالعلاقة التي تربط اللفظ المكتفي بذاته ببقية الملفوظ ليست قائمة على أساس موقعه في الملفوظ، بل هي قائمة على أساس دلالته الذاتية بغض النظر عن موقعه في السياق الذي يرد فيه، فلفظ **(اليوم)** في الملفوظ: **(هم اليوم متقدمون في البناء الحضاري للإنسان).** غير مقيد بالموقع الوارد فيه، إذ يمكن له أنْ يظهر في مواقع أخرى:

- اليوم هم متقدمون.
- هم متقدمون اليوم.

1- André Martinet , Éléments de linguistique générale,p3.

نلاحظ أنَّ تواتر اللفظ المكتفي بذاته (اليوم) كان تواترًا حرًا في البنى التركيبية الثلاث ؛ أي غير مقيد بترتيب، وهذا يدل على أنَّه مستقل تمامًا عن الملفوظ، والعلاقة التي تربطه ببقية العناصر تعود إلى دلالته الذاتية فهو، حينئذ، قابل للظهور في أي موقع، وهذه القدرة على الانتقال من موقع إلى آخر ناتجة عن اكتفاء اللفظ بذاته.(1)

2ـ الألفاظ الوظيفية : هي الألفاظ التي تساعد على تحديد وظيفة عناصر أخرى لايمكن لها أنْ تستقل بنفسها في السياق اللساني الذي ترد فيه، فيكون دور الألفاظ الوظيفية، إذ ذاك، هو ضبط العلاقة التركيبية لهذه العناصر غير المستقلة.(2) كالوظيفة التي تؤديها حروف الجر في النسق اللساني العربي.

3ـ الركن المكتفي بذاته: يدخل ضمن مفهوم الركن المكتفي بذاته كل مؤلف من الألفاظ تكون العلاقة فيه وثيقة جدًا، وأكثر من تلك العلاقة القائمة بين العناصر الأخرى في الملفوظ ، والألفاظ الوظيفية هي التي تربط هذا المؤلف ببقية عناصر الملفوظ.

ويتألف الركن المكتفي بذاته (Syntagme autonome) من لفظين فأكثر، ولا تتوقف وظيفته على موقعه في الملفوظ، بل دلالة هذا الكل من الألفاظ هي التي تحدد علاقته بالسياق الوارد فيه، ولكن في الغالب يشترط وجود لفظ وظيفي لتحديد حرية المجموعة في السياق الذي ترد فيه مثال على ذلك : قوله تعالى:

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُواْۖ قَالُواْ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ (3) فالمؤلف (قلوبهم) لاتتحقق علاقتة بالملفوظ إلا بوجود لفظ وظيفي مرتبط به ولاينفك عنه، اللفظ (في) في هذه الآية هو اللفظ الوظيفي الذي يربط المؤلف (قلوبهم) ببقية عناصر الملفوظ، غير المستقل، بل قد يتأخر عنه، ففي اللغة الفلندية (finnois) الركن المكتفي بذاته كيركوسا (KIRKOSSA) (في الكينسة)، اللفظ الثاني (ssa) هو اللفظ الوظيفي الذي يحقق وظيفة اللفظ الأول(KIRKO).(4)

1-Voir: André Martinet , Éléments de linguistique générale ,p111.
2- Ibid.p112.

(3)ـ البقرة ، آية 93.

4- Voir: André Martinet , Éléments de linguistique générale ,p113.

4. الركن الإسنادي: الركن الإسنادي (Syntagme prédicatif) هو النواة التي ينبنى حولها الملفوظ، وتعقد العناصر اللسانية روابطها به بطريقة مباشرة أو غير مباشرة،[1] نمثل لذلك بقوله تعالى : ﴿ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ [2]

إنَّ أدنى تأمل في بنية هذه الآية يهدي إلى أنَّها تحتوي على لفظ مكتف بذاته (Autonome) وهو (اليوم)، وتحتوي أيضًا على ركن مكتف بذاته وهو(على أفواههم)، والاكتفاء الذاتي بالنسبة لكل عنصر من هذين العنصرين يعود في الأول إلى دلالة اللفظ الوظيفي (على)، وبما أنَّ الركن الباقي بعد عزل العنصرين المذكورين (نختم) وهو عنصر قادر على إنشاء الرسالة بذاتها دون إضافات وإلحاقات، فهو، إذن، ركن مستقل بذاته ، ومن ثمة فهو ركن إسنادي.[3]

كل مايضاف إلى النواة الإسنادية هو من الناحية التركيبية إلحاق (Expansion)، وهذا المفهوم للإلحاق يضارع مفهوم النحاة العرب للفضلة ؛ أي كل ما يضاف إلى العمدة في الكلام (المسند والمسند إليه) يعد فضلة يستقيم الكلام دونه من الناحية الوظيفية فحسب.

ومن ثمة فإنَّ الإلحاق – شكليًا – عنصر إذا أضيف إلى الملفوظ لايغير العلاقات بين العناصر السابقة. وقد ميز مارتيني بين ضربين من الإلحاق :

الضرب الأول الإلحاق بالعطف (Coordination):

وهو نوع من الإلحاق يبقى فيه الكلام مطابقًا في بنيته للجملة النواة بعد حذف العنصر الأولي (المعطوف عليه). يمكن لنا توضيح ذلك بهذا الملفوظ العربي :

(وأَمَرَ أنْ يَحْضُرَ العُظَمَاءُ وَالأَشْرَافُ).[4] فإذا حذفنا العنصر الأولي (العظماء) وعلامة الإلحاق (و) فإنَّ الملفوظ يصبح: **(وأَمَرَ أنْ يَحْضُرَ الأَشْرَافُ)**.فالبنية التركيبية للملفوظ الثاني مطابقة تمامًا للبنية التركيبية للملفوظ الأول.

---

(1)- جورج مونان ، مفاتيح الألسنية ، ص 115 .

(2)- يس، آية 65.

3 - Voir: André Martinet , Éléments de linguistique générale ,p124.

(4) - ابن المقفع ، كليلة ودمنة ، ص 50.

الضرب الثاني : الإلحاق بالتبعية (Subordination) :

يختلف الإلحاق بالتبعية عن الإلحاق بالعطف من حيث التطابق الوظيفي للعناصر الملحقة، ففي الإلحاق بالتبعية يتميز العنصر الملحق بوظيفة تختلف عن وظيفة العنصر الأولي (المتبوع). يمكن لنا توضيح ذلك بالملفوظ العربي :

(فأَمَرَ لَهُ بِجَائِزَةٍ عَظِيمَةٍ مِنَ المَالِ)[1] ، لا يجوز في هذا الملفوظ حذف العنصر الأولي (جائزة) ، وذلك لأنَّ وظيفته التركيبية تختلف عن العنصر التابع (عظيمة).

ويشمل مفهوم الإلحاق عند مارتيني وظائف مختلفة في القواعد التقليدية كالنعت والمضاف إليه، والمفعول والمعطوف ... الخ.

في ضوء هذا العرض المفصل لطريقة تحليل البنى التركيبية يُعَرِّفُ مارتيني الجملة بقوله: "هي كل ملفوظ تتصل عناصره بركن إسنادي وحيد أو متعدد عن طريق الإلحاق". [2]

ثالثًا: الدراسة التركيبية التوليدية والتحويلية :

أحدث التحول النظري للسانيات – في أمريكا خاصة – ثورة داخل الدراسة التركيبية البنيوية، أو بالأحرى الدراسة التركيبية التوزيعية، فكانت الإرهاصات الأولى لإعادة صياغتها وإخراجها في شكلها الجديد بدأت تتجلى في مرحلتها الجنينية مع فكرة التحويل التي تبناها اللساني الأمريكي ز.هاريس (Zellig Sabbetai Harris)[3]، مبكرًا وهو قطب من أقطاب المدرسة التوزيعية، وإنْ كانت هذه المحاولات تبدو ناقصة بإغفالها الجانب الدلالي، إلا أنَّها كانت تكفي مرحليًا لتقديم تجارب مفيدة أدت إلى الترميم الذاتي لتلك النظرية وتحسينها وإلى ولادة نظرية جديدة أكثر اكتمالا.

ولهذا فإنَّ فضل تشومسكي في السبق إلى هذا الترميم لايمارى فيه ولايرد، إذ كان للنظرية اللسانية التي جاء بها أثر بالغ في إنماء الدراسة التركيبية، وتوطيد منهجية خاصة لدراسة الجملة وتحليلها، واستكشاف بنيتها، في ضوء المعطيات النظرية للسانيات التوليدية والتحويلية التي أفردت لدراسة الجملة تكثيفًا نظريًا

---

(1)- ابن المقفع ، كليلة ودمنة ص 50.

2 - Voir: André Martinet , Éléments de linguistique générale, p121.

(3)- زليق هاريس (1909- 1992): لساني أمريكي ، ارتبط اسمه باللسانيات البنيوية وتحلبل الخطاب.

حتى أوشكت أن تكون هي إياها، فما انفكت تلك النظرية تتبلور وتضح معالمها الكبرى على إثر تراكم النتائج المحصل عليها في مجال تطبيقها.

كانت كتابة تشومسكي الأولى لا تتعدى حدود مبادئ اللسانيات التوزيعية بوصفه تلميذًا لهاريس، لكن ما أنْ أخرج كتابه الأول (1957) البنى التركيبية Syntactic Structures /Structures syntaxiques حتى أنشأت المفاهيم التوزيعية تتراجع عن مركز الصدارة لتحل محلها مفاهيم جديدة. ثم كان كتابه: أوجه النظرية التركيبية Aspects of the Theory of Syntax / Aspects de la théorie syntaxique الذي أصدره عام (1965) بلورة شبه مكتملة للنظرية التوليدية والتحويلية التي طرحتها في مجال تطبيقها.

وبهذا يكون تشومسكي قد حاول التعامل مع اللغة بهدف بناء نظرية لسانية بديلة قادرة في الظاهر على أقل تقدير أنْ تفي بمتطلبات الدال والمدلول على حد سواء، هذا الأخير الذي أُقصي من التحليل في رحاب المنوال التوزيعي، وذلك لأنَّ المنهج الذي كان سائدًا لدى المدرسة التوزيعية كان منهجًا شكليًا يتوخى الوصف السطحي للأشكال اللغوية كما هي منطوقة بالفعل، دون أدنى جهد لتفسير القدرة الضمنية التي تُظْهِرُ هذه الأشكال.

ولهذا كانت ثورة تشومسكي في إطار البحث اللساني مفارقة منهجية في الواقع، مفارقة بين النزعة العقلانية والنزعة التجريبية، ثم كرست النتائج المحصل عليها في مجال البحث اللساني لدحض الفكر السلوكي، والنزعة التجريبية حول طبيعة الذهن الإنساني.[1]

وقد رفض تشومسكي الوصف القائم على الملاحظة الشكلية للحدث اللغوي "لأنَّ التحليل اللغوي لاينبغي أنْ يكون وصفًا لما كان قد قاله المتكلمون الممارسون بالفعل للحدث اللغوي، وإنَّما شرح العمليات الذهنية وتعليلها، العمليات التي من خلالها يمكن للإنسان أنْ يتكلم بجمل جديدة".[2]

---

(1)- جون سيرل، تشومسكي والثورة اللغوية، مجلة الفكر العربي عدد 9،8 يناير، مارس (1979)، ص 124.

(2) - مازن الوعر، النظريات النحوية والدلالية في اللسانيات التحويلية والتوليدية، مجلة اللسانيات، عدد6 (1982)، ص 25.

ولذلك استطاعت النظرية اللسانية التوليدية والتحويلية أن تُعَرِّجَ بالبحث اللساني من منهج يتوخى معطيات علم النفس السلوكي إلى منهج عقلي همه إزاحة النقاب عن القدرة الكامنة وراء الفعل اللساني، والسعي من أجل تعليله وتفسيره بدلاً من وصفه وصفًا شكليًا.

ونظرًا لهذه الأهمية تعد النظرية اللسانية الأوسع انتشارًا، والأكثر توافقًا مع طبيعة اللغة البشرية، ولم تأت هذه النظرية دفعة واحدة ، بل مرت بمراحل اقتضتها طبيعة البحث العلمي المتجدد.

لقد ظهرت هذه النظرية بشكلها الأولي في المرحلة التأسيسية التي تُعْرَفُ بمرحلة البنى التركيبية، أو بالنظرية الكلاسكية، وهي المرحلة التي بدأت بصدور كتاب البنى التركيبية (1957) الذي استطاع تشومسكي من خلاله أنْ يحدد الإطار النظري لهذا التحول في مسار البحث اللساني، حيث أصبح الهدف المتوخى من البحث اللساني آلية استكشافية وتحليلية للبنى التركيبية، وتعليل القدرة الضمنية الكامنة وراء بناء الجمل؛ "لأنَّ البنى التركيبية للغات الإنسانية تنشأ عن الخصائص الفطرية للفكر الإنساني، ولاترتبط هذه البنى بأي علاقة مهمة مع الاتصال (...) على الرغم من أنَّ الأشخاص يستخدمونها – بالطبع – في سبيل عدة أمور منها الاتصال".[1] وبهذا أضحت الجملة المدار الرئيس للنظرية التوليدية والتحويلية، وركنًا ركينًا من بنائها النظري.

وفي ضوء هذا المنحى فإنَّ اللغة في نظر تشومسكي لا تعدو أنْ تكون "مجموعة متناهية، أو غير متناهية من الجمل، كل جملة منها طولها محدود، ومكونة من مجموعة متناهية من العناصر، كل اللغات الطبيعية في شكلها المكتوب والمنطوق تتوافق مع هذا التعريف، وذلك لأنَّ كل لغة طبيعية تحتوي على عدد متناه من الفونيمات، علمًا بأنَّ عدد الجمل غير متناه".[2]

وقد صرح تشومسكي بأنَّ هذه الفكرة ليست بجديدة، وإنَّما قال بها هبملد (HUMBOLDT) منذ ما يزيد عن قرن: "اللغة استعمال غير متناه بوسائل متناهية".[3] بيد أنَّ هذه الفكرة أقدم بكثير مما يتصور تشومسكي، فقد كان قال بها العرب الأقدمون منذ ردح قليل من الزمن، يقول سيف الدين الآمدي

(1) - جون سيرل ، المرجع المذكور سابقًا ، ص 134.

2 . Noam Chomsky, Structures syntaxiques,p22.

3 - Noam Chomsky, Aspects de la théorie syntaxique, p 9.

(631هـ) في هذا السمت: "إنَّ الأسماء، وإنْ كانت مركبة من الحروف المتناهية فلا يلزم أنْ تكون متناهية".[1]

وقد اقترح تشومسكي في كتابه البنى التركيبية ثلاثة نماذج من القواعد تتفاوت فيما بينها من حيث القدرة على تقديم التفسير الكافي للبنى التركيبية وهي:

1-القواعد ذات الحالات المحدودة (Etats finis):

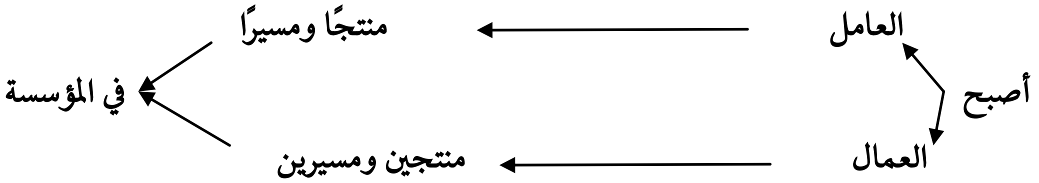
تنعت هذه القواعد عادة بالأنموذج الماركوي Modèle de Markov، هي سلسلة من الاختيارات تتم في السياق الخطي للكلام؛ أي كل اختيار لاحق يحدده اختيار العناصر السابقة.[2] وتتكون هذه الآلية المبرمجة من حالات أولية وحالات نهائية، يسمى تلاحق العناصر الحاصل بين الحالة الأولى والحالة النهائية بالجملة، ويمكن لنا توضيح الإجراء العملي لهذه القواعد بالملفوظين الآتيين:

1. أصبح العامل منتجًا ومسيرًا في المؤسسة.

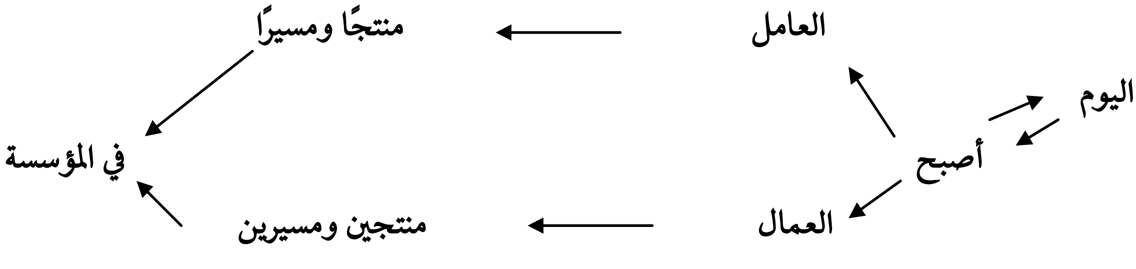
2. أصبح العمال منتجين ومسيرين في المؤسسة.

اختيار أصبح يؤدي إلى اختيار (العامل) أو (العمال)، لكن اختيار (العامل) يؤدي بالضرورة إلى اختيار (مسيرًا) و(منتجًا)، كما أنَّ اختيار (العمال) يترتب عنه حتمًا اختيار (مسيرين) و (منتجين)، واختيار (المؤسسة) يترتب عن كل الاختيارات السابقة.

ويحسن بنا أنْ نوضح ذلك أكثر بالرسم التوضيحي الآتي:



ويمكن لنا أيضاً أنْ نوسِّع الجملة بإضافة عنصرلساني (سابقة ظرفية):



(1)ـ الآمدي ، المرجع المذكور سابقًا ، ص 26.

(2)ـ ينظر ، ميشال زكريا ، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (النظرية الألسنية)، ص 127 .

يرفض تشومسكي هذه القواعد مبدئيًا ؛ لأنَّها غير قادرة على توليد عدد لاحصر له من جمل اللغة غير المتناهية ، وذلك لأنَّ هذه القواعد قائمة على أساس التلاحق المبني على اختيار العناصر اللغوية ؛ أي توليد الكلمة من اليمين إلى اليسار ، مما جعلها قاصرة ولا تتناسب مع القدرة التوليدية للبنى التركيبية.(1)

2-القواعد الركنية :

قصور القواعد ذات الحالات المحدودة جعل تشومسكي يقترح قواعد أخرى لها القدرة على توليد أكثر عدد ممكن من الجمل غير المتناهية، ولايتحقق ذلك إلا بالقواعد الركنية Les règles syntagmatiques.، وهي القواعد التي باستطاعتها أنْ تولد كل الجمل التي تولدها القواعد الأولى (ذات الحالات المحدودة)، والعكس غير صحيح ، إذ توجد جمل تعجز القواعد ذات الحالات المحدودة عن توليدها.

تعتمد القواعد الركنية بادئ ذي بدء، على التحليل إلى مؤلفات مباشرة ، وهو التحليل الذي كان سائدًا عند التوزيعيين ، إلا أنَّ النظرية التوليدية والتحويلية قد قلبت التحليل التوزيعي رأسًا على عقب ، ويعتمد تشومسكي في ذلك على قواعد توليدية تنعت بقواعد إعادة الكتابة Les règles de réécriture من نوع : س ——◄ع ؛ أي أعد كتابة س بواسطة ع ، وهذه القواعد هي : " مجموعة من القوانين التي تمكن الباحث من أنْ يفرع الجملة مبتدئًا بـ:(ج) رمز أولي إلى مختلف عناصرها في مختلف مستوياتها حتى تتولد الجملة ".(2)

وقد حاول تشومسكي أنْ يحدد مراحل تطبيق القواعد الركنية التي تقسم الجملة أولاً إلى المعادلة الآتية :

ج ——◄ ركن اسمي + ركن فعلي : P ——► sn + sv

لكونهما الركنين الرئيسين للجملة ، ثم تعاد كتابة كل ركن على حدة بواسطة قواعد إعادة الكتابة إلى أنْ تنتهي العملية بتوليد الجملة.

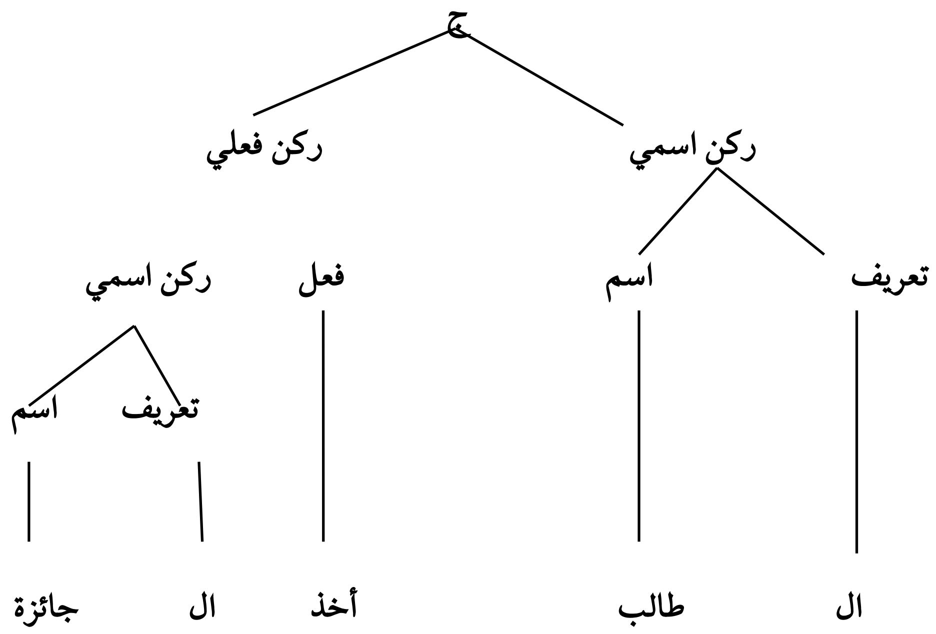
ولتوضيح ذلك أكثر نعتمد الشكل الآتي :

1- Voir, Chomsky, Structures syntaxiques,p 23 .

(2)- مازن الوعر ، المرجع المذكور سابقًا ، ص 130 .

ج	← ركن اسمي + ركن فعلي	P →	sn + sv
ركن اسمي	← تعريف + اسم	SN →	art +n
ركن فعلي	← فعل + ركن اسمي	SV →	v + sn
تعريف	← ال.	ART →	the

ويمكن لنا تمثيل هذه القواعد بالمشجر الآتي :



وتجدر الإشارة ههنا إلى أنَّ هذا المشجر يمثل البنية التركيبية للجملة الإنجليزية التي تختلف عن الجملة العربية في ترتيب عناصر الإسناد.

وعود على بدء نقول : إنَّ هذه القواعد ابتداء من القاعدة الأولى إلى القاعدة النهائية ، تدعى بقواعد إعادة كتابة رمز برمز آخر إلى أنْ يتم توليد الجملة.(1)

ولذلك فإنَّ القواعد الركنية بإمكانها توليد كل الجمل الأصولية البسيطة في اللغة ، بيد أنَّ هذه القواعد لاتستطيع تفسير بعض الجمل المتطابقة والمتداخلة ؛ أي الجمل ذات البنى المعقدة. مما دفع تشومسكي إلى

(1)ـ مازن الوعر ، المرجع المذكور سابقًا ، ص 30 .

الإقرار من الناحية النظرية بإمكانية توافر أكثر من قاعدة واحدة يمكنها توليد الجمل الأصولية للغة كلها،[1] وذلك بالتصرف في العناصر اللغوية للجملة من تقديم وتأخي.

1 القاعدة التحويلية:

تكمن أهمية القواعد التحويلية في قدرتها الذاتية على تفريع الجمل من خلال العلاقة التي تتبدى في ضوء ما تقدمه هذه القواعد من إجراءات تفسيرية من خلال"بيان العمليات التحويلية المسموح بها ضمن القواعد، وتحديد عددها وترتيبها، وتعداد القيود المتعلقة بتطبيقها".[2]

وتنقسم القواعد التحويلية إلى قسمين: قواعد تحويلية وجوبية، وقواعد تحويلية جوازية (اختيارية)، ويعرف هذا في التراث النحوي العربي بالوجوب والجواز، وجوب أو جواز تقديم عنصر أو حذف عنصر.

ويمكن لنا توضيح ذلك بما يلي:

إنَّ المتتالية الركنية للجملة الاسمية العربية لها في البنية العميقة المشير الركني:

مسند إليه (م إ) + مسند (م).

يمكن لنا إجراء قاعدة تحويلية جوازية على هذه المتتالية لحذف عنصر (المسند) في مثل قولهم: **(خَرَجْتُ فَإِذَا السَّبُعُ)**، فالعنصر المحذوف (المسند) مقدر في البنية العميقة بـ: (حاضر).

كما أنَّه يمكن لنا أنْ نجري أيضًا قاعدة تحويلية وجوبية على المتتالية الركنية نفسها لحذف (المسند) في مثل قولهم: **(لَوْلاَ زَيْدٌ لأَتَيْتُكَ)**،[3] فالعنصر المحذوف ههنا (المسند) مقدر في البنية العميقة بـ: (موجود)، وضابط هذه القاعدة التحويلية الوجوبية في مثل هذا الملفوظ هو توزيع العناصر اللسانية المتلاحقة، فتوزيع (لولا) وتوزيع (المسند إليه) بعد (لولا) يؤديان بالضرورة إلى حذف (المسند).

وتعتمد القواعد التحويلية لإخراج الجملة في شكلها النهائي على:

1 قواعد مرفو – فونولوجية تُحَوِّلُ الجملة الأصولية في اللغة إلى شكل منطوق.

2 قواعد مورفو – غرافية تُحَوِّلُ الجملة الأصولية المنطوقة إلى شكل مكتوب.

---

(1) ـ ميشال زكريا، المرجع المذكور سابقًا، ص 130.

(2) المرجع نفسه، ص 135.

(3) ـ ينظر مازن الوعر، المرجع المذكور سابقًا، ص 26.

يختلف مفهوم التحويل من اتجاه لساني إلى آخر، فهو "عند هاريس يختلف عما هو عليه عند تشومسكي، هو عند الأول مشروط بإجراء توزيع الكلمات واستبدالها، بينما هو عند الثاني مشروط بالجانب الذهني للمقولات النحوية".[1]

يتحقق التحويل عند هاريس، باشتقاق جملة من جملة أخرى منفصلة عنها تمامًا، بينما التحويل في اللسانيات التوليدية والتحويلية "ينظم الجمل في مجموعات فرعية من ناحية، ويصلها من ناحية أخرى بصورها المنطقية التحتية، قد تقدم الصورة الواحدة اشتقاقًا لشكلين ظاهرين اثنين أو أكثر".[2]

يستخلص مما سبق ذكره أنَّه لتحليل البنية التركيبية وفق المعطيات النظرية للسانيات التوليدية والتحويلية لابد من تطبيق القواعد الركنية أولاً، ثم الانتقال إلى القواعد التحويلية بأشكالها المختلفة، وفي نهاية المطاف تطبيق القواعد المورفو – فونولوجية، تؤدي هذه العملية مرتبة بالشكل المذكور إلى توليد الجملة في شكلها النهائي.[3]

لقد بلغ التحليل التركيبي أوجه في ضوء التطور الذاتي للنظرية التوليدية والتحويلية، كما أرادها صاحبها الذي ما انفك يسعى إلى تطويرها وتهذيبها حتى اكتملت، وآتت أكلها في كتابه (أوجه النظرية التركيبية) (1965)، وهو الكتاب الذي يعد مرحلة حاسمة في مجال التنظير الفعلي للسانيات التوليدية والتحويلية، حيث برزت هذه النظرية بصورة بائنة في مبادئها ومجال تطبيقها في ظل المدد التنظيرى الذي دُعِّمت به والذي غطى ما أغفلته نظرية البنى التركيبية(1957).

ومن المستحدثات المثيرة للانتباه في هذه النظرية التي أضحت تنعت عادة بالنظرية النموذجية أو النظرية المعيار Théorie standard/ Standard Theory التمييز بين الكفاية اللغوية Compétence والأداء الكلامي Performance.

---

(1)ـ صالح الكشو، الوضع الابيستمولوجي للسانيات ، مجلة المعرفة ، عدد 266.

(2)ـ المرجع نفسه ، ص 19 .

3-Voir: Noam Chomsky, Structures syntaxiques.P 52

- الكفاية اللغوية كما يفسرها تشومسكي هي: "معرفة المتكلم، المستمع المثالي للغته"(1)؛ أي القدرة الضمنية التي يمتلكها المتكلم التي تخول له إنتاج عدد لاحصر له من جمل لغته الأم.هي حينئذ "حقيقة عقلية كامنة وراء الأداء الكلامي" (2) أمَّا الأداء الكلامي فهو "الاستعمال الفعلي للغة في الظروف المحسوسة".(□)

ويرى تشومسكي أنَّ التمييز بين الكفاية اللغوية والأداء الكلامي يرتبط بالثنائية (لسان/ كلام) إلا أنَّه يرفض مفهوم سوسير للسان بصفته لائحة منظمة من العناص، ويرى من الأحسن الأخذ بمفهوم همبلد للمعرفة اللغوية بوصفها تنظيمًا توليديًا.(4) وتحسن الإشارة ههنا، إلى أنَّ مفهوم الملكة اللسانية عند ابن خلدون أقرب إلى مفهوم الكفاية اللغوية عند تشومسكي من مفهوم اللسان عند سوسير.(5)

مكونات النظرية التوليدية والتحويلية:

تتضمن النظرية التوليدية والتحويلية نسقًا من القواعد له القدرة على تقديم التفسير الكافي لكل البنى التركيبية التي تكون اللغة الطبيعية، ويتجزأ هذا النسق من القواعد إلى ثلاثة مكونات: المكوّن التركيبي والمكوّن الدلالي والمكوّن الفونولوجي.

1-المكوّن التركيبي:

يعد المكوّن التركيبي(Composant syntaxique/ Syntactic component) المكوّن التوليدي الوحيد الذي يفرد لكل جملة بنية عميقة DEEP STRUCTURE / Structure profonde التي تمثل التفسير الدلالي للجملة، وبنية سطحيةStructure de surface / Surface structure التي تمثل التفسير الفونولوجي للجملة.(6)

1- Noam Chomsky, Aspects de la théorie syntaxique ,p12

(2)- ميشال زكريا ، الألسنية (علم اللغة الحديث) ، قراءات تمهيدية ، ص 110.

3 - Noam Chomsky, Aspects de la théorie syntaxique,p12.

4 - Ibid,p14

(5)- ابن خلدون المقدمة ، ص711.

6- Noam Chomsky, Aspects de la théorie syntaxique,p32.

البنية العميقة هي : المشير الركني(L'indicateur syntagmatique /Phrase marker) الذي يحتوي على العناصر الأولية التي تكونها قواعد إعادة الكتابة ،[1] والمشير الركني في الواقع لايعدو أنْ يكون المشير الضمني الذي تولده القواعد الركنية و يتم إجراء التحويلات عليه لبناء الجمل في البنية السطحية. [2]

وتتميز البنية العميقة بما يلي :

1ـ إنَّهَا البنية المُوَلَّدَة في قاعدة التركيب بواسطة قواعد إعادة الكتابة ، والقواعد المعجمية.

2ـ إنَّهَا البنية التي تُمَثِّلُ التفسير الدلالي للجملة.

3ـ إنَّهَا البنية التي يمكن لها أنْ تُحَوَّلَ بواسطة القواعد التحويلية إلى بنية سطحية.[3]

أما البنية السطحية فهي نتاج العملية التوليدية التي يقوم بها المكوّن التركيبي ؛ أي هي الشكل الصوتي النهائي للتتابع الكلامي المنطوق فعلا. فهي إذن، "ترتبط بالأصوات اللغوية المتتابعة، ويتم تحديد التفسير الصوتي للجمل عبرها".[4]

ويتألف المكوّن التركيبي من مكونين :

أ ـ المكون الأساس Basic Component / Composant de base ويرتبط بالبنية العميقة.

ب ـ المكون تحويلي Transformational component / Composant transformationnel : يرتبط **با**لبنية السطحية.

أ ـ المكون الأساس :

يحتوي مكون الأساس على قواعد إعادة الكتابة التي بواسطتها يتم توليد المشير الركني الذي يعد البنية العميقة للجملة المولدة.[5]

1 - Noam Chomsky, Aspects de la théorie syntaxique,p34.

(2)ـ ميشال زكريا ، مباحث في النظرية الألسنية وتعليم اللغة ، ص111.

(3)ـ ينظر عبد القادر الفاسي الفهري ، اللسانيات واللغة العربية 168.

(4)ـ ميشال زكريا ، المرجع المذكور سابقًا ، ص 112.

5 - Noam Chomsky, Aspects de la théorie syntaxique ,p96.

نمثل ههنا ، لعمل قواعد إعادة الكتابة بالمشير الركني :

ج ← ركن الإسناد + ركن التكملة.

ركن الإسناد ← ركن فعلي + ركن اسمي.

ركن فعلي ← زمن + حدث.

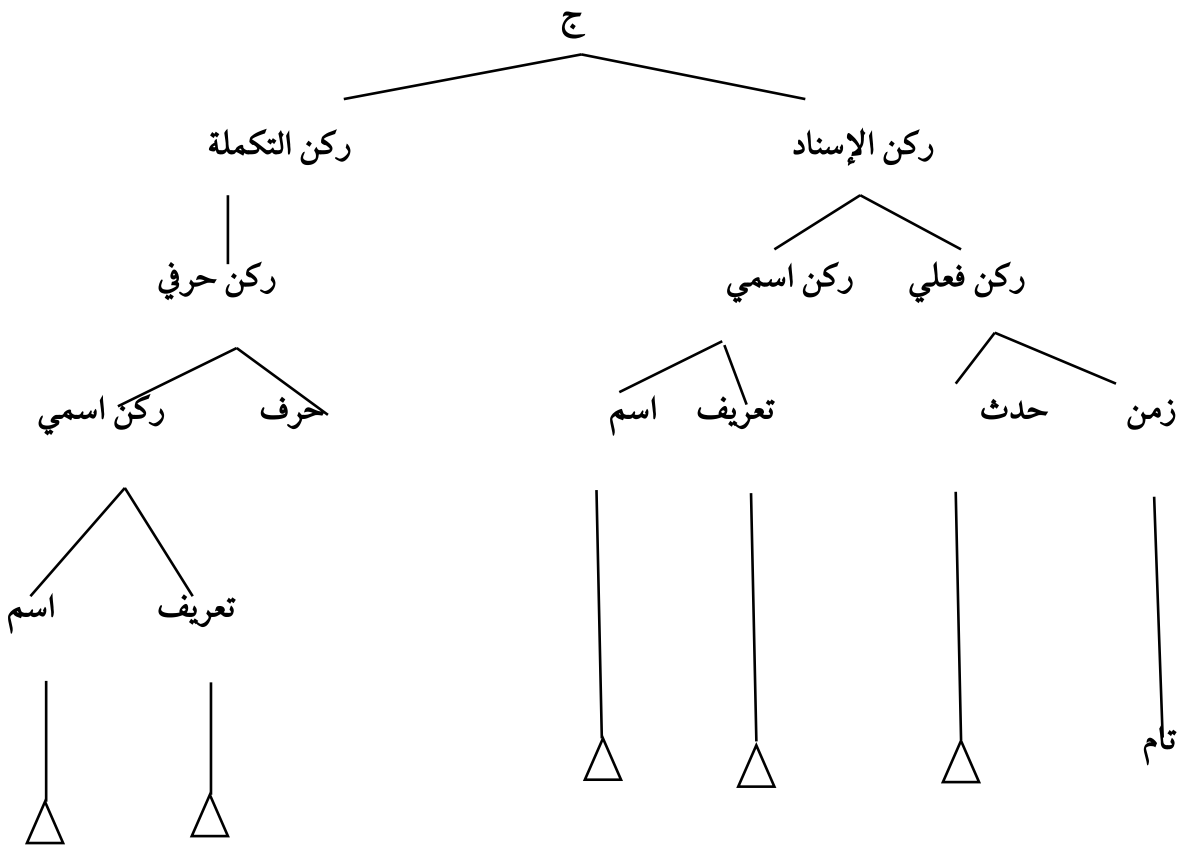
ركن اسمي ← تعريف + اسم.

ركن التكملة ← ركن حرفي.

ركن حرفي ← حرف + ركن اسمي.

ركن اسمي ← تعريف + اسم.

ويمكن لنا توضيح ذلك أكثر بالمشير الآتي :



يكن لنا إعادة كتابة العنصر المستعار △ بإدخال المفردة المعجمية المناسبة وفق السمات المختلفة التي يأخذها ذلك العنصر في التركيب ، وبهذا يتم توليد المتوالية الكلامية التي تأخذ شكلها النهائي في البنية السطحية بعد إجراء التحويلات عليه.[1]

(1) ـ ينظر ميشال زكريا ، الألسنية التوليدية والتحويلية ، وقواعد اللغة العربية(النظرية الألسنية). ص 150.

ب- المكوّن التحويلي :

يتكون المكوّن التحويلي من قواعد معينة تسمح بتحويل البنية العميقة المولدة بواسطة قواعد إعادة الكتابة إلى بنية سطحية في المتوالية الكلامية الفعلية، فهي تُخْضِعُ البنية العميقة إلى عدة تغييرات من تقديم وتأخير وحذف وزيادة، حتى تفضي بها إلى شكلها الصوتي النهائي الذي تأخذه في البنية السطحية.

2 ـ المكوّن الفونولوجي:

هو المكوّن الذي يحدد الشكل الصوتي للجملة المولدة في المكوّن التركيبي، ويضفي عليها تفسيرًا قائمًا على أساس قواعد فونولوجية خاصة بكل لغة.[1]

3 ـ المكوّن الدلالي :

بعد التمييز بين البنية العميقة بوصفها مخرجًا لقواعد المكوّن الأساس، والبنية السطحية بوصفها مخرجًا للقواعد التحويلية، أصبح من اللازم إدخال المكوّن الدلالي الذي أهملته الدراسات اللسانية التوزيعية والدراسة التوليدية والتحويلية في مرحلة البنى التركيبية (1957).

كانت أول محاولة جادة في ظل التطور الذاتي للنظرية التوليدية والتحويلية تلك المحاولة التي قام بها كل من كاتز (Katz) وفودور(Fodor) (1963) من أجل إدماج الدلالة في التركيب. وذلك ما تبناه فيما بعد كل من كاتز وبوسطال(Katz & Postal)(1964)، تعد هذه المحاولة من أبرز التغيرات التي طرأت على النظرية التوليدية والتحويلية.

تتم عملية إدماج الدلالة في التركيب عن طريق ما يسمى بقواعد الإسقاط Projection rules / Règles de projection (□) مما يؤدي إلى تخصيص كل جملة بتفسير دلالي.[1]

1- Noam Chomsky, Aspects de la théorie syntaxique , p 120

(2) ـ الإسقاط (La projection) هو مصطلح من المصطلحات الرياضية، إسقاط نقطة على مستقيم معلوم لتشكيل زاوية قائمة، ويدل في الفيزياء الضوئية على إرسال شبكة من الأشعة نحو مركز معين، وفي علم النفس التحليلي يستعمل في عبارة لوحة الإسقاط (La planche de projection)، وهي لوحة بيضاء تُلطخ بطريقة اعتباطية بنقاط سوداء، ويطلب من المريض التعبير عما يشاهده في هذه اللوحة، فالعملية التي يقوم بها المريض ههنا هي عملية إسقاط.

يعد المكوّن الدلالي – من وجهة نظر المدرسة التوليدية والتحويلية – مكونًا ثانويًا، وما ذلك إلا لأنَّ دوره ينحصر في التفسير الدلالي للبنى التي يُوَلِّدُهَا المكوّن الأساس بوصفه المكوّن التوليدي الوحيد. ومن ههنا كانت البنية العميقة المجال القاعدي لعمل المكوّن الدلالي، إذ من خلالها يقدم التفسير الدلالي للجملة. (2)

يتبدى المكوّن الدلالي في مجالين :

أحدهما : مجال المعجم، وهو قائمة من المداخل المعجمية تتميز بسمات فونولوجية وتركيبية ودلالية ، ويسند المعجم لكل كلمة معنى أوليًا.

والآخر : مجال قواعد الإسقاط، وهي القواعد التي تقرن بين الوحدات المعجمية والبنى التركيبية التي يولدها المكوّن الأساس، فيتوصل بهذه الطريقة إلى مدلول الجملة.(3)

لتوضيح ذلك أكثر نعتمد المشير الدلالي الآتي :

أكل ← / فعل / ← /+ تام / ، / + متعد / ، / + فاعل حي / الخ ....

ال ← /تعريف/ ← /+محدد/ ، /+ مفرد أو جمع/ ، /+ مذكر أو مؤنث/الخ..

رجل ← / اسم / ← /حي/ ، / إنسان / ، / + مذكر/ ، /+ راشد/ الخ ...

تفاحة ← / اسم / ← /طبيعي / ، / نبات / ، / + فاكهة/ ، /+مؤنث/ الخ..

ثم تمزج قواعد الإسقاط المشيرات الدلالية بالبنى التركيبية ، والكيفية التي تتم بها عملية المزج هي التي تحدد التفسير الدلالي للجملة.

يتجلى التوافق الملحوظ بين المشيرات التركيبية والدلالية لأركان الجملة في :

1 ـ العلاقة الانتقائية (السياقية) بين الركن الفعلي /أكل/ والركن الاسمي / الرجل/، تلك العلاقة التي تتمثل في التوافق التام بين السمة الذاتية /+متعد/للركن الفعلي، والتوافق التام أيضًا بين السمة

وفي الدلالة التوليدية يستعمل المصطلح في عبارة قواعد الإسقاط، وهي القواعد التي تُقْرِنُ بين البنى التركيبية والمداخل المعجمية لتقديم التفسير الدلالي للجملة . ينظر عبد السلام المسدي، المرجع المذكور سابقًا ، ص 162.

1 . J. Lyons, Sémantique linguistique. p47.

(2) ـ ميشال زكريا، مباحث في النظرية الألسنية وتعليم اللغة، ص 112.

(3) ـ ينظر عادل فاخوري، اللسانية التوليدية والتحويلية ، ص 54.

الانتقائية /+فاعل حي / في الركن الفعلي، والسمة الذاتية /+حي/ في الركن الاسمي (الرجل). بمعنى أنَّ السمة الذاتية /+حي/ في الركن الاسمي المذكور تخول له بأنْ يكون ركنًا اسميًا فاعلاً للركن الفعلي /أكل/.

2 ‌ العلاقة الانتقائية بين الركن الفعلي (أكل) والركن الاسمي (التفاحة) تتمثل في التوافق التام بين:

أ - السمة الذاتية /+متعد/ في الركن الفعلي، السمة الانتقائية /+مأكول/ في الركن الاسمي (التفاحة)، ويعود هذا التوافق إلى طبيعة البنية المورفولوجية /مفعول/ التي تتطلب بالضرورة فعلا يحمل سمة /+متعد/.

ب ‌ السمة الانتقائية /+فاعل حي/ في الركن الفعلي تتوافق دلاليا مع السمة الذاتية /+مأكول/ في الركن الاسمي (التفاحة).

تعيِّن قواعد الإسقاط بهذه الطريقة التوافق المحتمل بين المداخل المعجمية في تركيب معين.[1] ومن هنا تظهر أهمية التفريع التركيبي والدلالي للمداخل المعجمية وفق سمات ذاتية وانتقائية يحدد في ظلها التوافق بين العناصر اللغوية في سياقها المألوف الذي تتواتر فيه عادة.

ثالثًا : المبحث الدلالي.

توطئة :

إنَّ الحديث عن الدلالة يقتضي بالضرورة الحديث عن العلامة من حيث هي وحدة النسق السيميائي، والحديث عن العلامة ليس بالأمر الهين، إذ إنَّهُ إسقاط نظام من العلامات على العلامة نفسها، فيصبح الحديث – الذي نحن بشأنه – من ههنا ، مادة وموضوعًا، الأمر الذي يجعل الكلام يدور على نفسه، ويلتبس بعضه ببعض كما يقول أبو حيان .

منذ كان الوجود كانت العلامة، كان الإنسان صانعها ومؤولها، حين اتصاله بالكون كان القلق، وكان التفاعل من أجل التفسير والإخضاع، تفسير الظواهر الطبيعية كما هي في فضائها الكوني، وإخضاعها بتأويل دلالتها لتحقيق ظروف الاستئناس والاجتماع من حيث هو نزعة إنسانية، ولا تتحقق هذه النزعة في

(1) ـ ينظر ميشال زكريا ، المرجع المذكور سابقًا ، ص 135.

الواقع إلا بوجود نظام اصطلاحي من العلامات الدالة، وما كان ذلك إلا لأنَّ الإنسان مضطر بالتهيؤ الخِلْقِي والنفسي إلى المحاورة لاضطراره إلى المشاركة والمجاورة كما يقول ابن سينا.

إنَّ نظرة عجلى إلى المراحل الحضارية التي مر بها الإنسان عبر الحقب الزمنية المختلفة، تهدي إلى أنَّ مركز الاستقطاب في الحضارة الإنسانية كان العلامة، وسيظل العلامة، من حيث هي معطى نفسي وثقافي واجتماعي وحضاري بشكل عام، لذلك فلا جرم من أنْ تنصرف الجهود إلى تدارسها تدارسًا أوفر من أجل استكشاف حقيقتها الدلالية ومجالها الإجرائي، فشكلت العلامة موضوعًا للدرس لدى الفلاسفة والمفكرين الأقدمين، منذ أرسطو وأفلاطون، ومرورًا بالرواقيين، إلى أنْ استقلت بموضوعها في الفكر السيميائي المعاصر.

أولاً: الدلالة في التراث اللساني العربي

من مميزات التراث العربي أنَّه يتمركز حول الوحي (القرآن الكريم)، بأبعاده الروحية والاجتماعية والعلمية واللسانية، إذ منذ أنْ أنزل القرآن الكريم كان التأمل في العلامة واعتبار دلالتها بالنظر والتدبر والتفكير في بدئها ومآلها، وقد يتضح ذلك من خلال التوجيهات القرآنية الآتية :

قوله تعالى :

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾ (1)

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (2)

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾(3)

﴿ وَعَلَامَاتٍ ۚ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ (4)

---

(1)- الحجر .اية 75

(2) - الرعد اية3

(3)ـ الرعد، آية 4

(4)ـ النحل، آية 16.

﴿ فَٱعْتَبِرُواْ يَـٰٓأُوْلِي ٱلْأَبْصَـٰرِ ﴾ [1]

في رحاب هذا التوجيه القرآني كان التعامل مع العلامة من أجل تفسير دلالتها الكونية والروحية، والاستدلال بحاضرها على غائبها.

يقول القاضي عبد الجبار (415هـ): "إنَّ من حق الأسماء أنْ يعلم معناها في الشاهد، ثم يبنى عليه الغائب"[2]، وقد أومأ إلى ذلك أيضًا الراغب الأصبهاني (565هـ) حين حديثه عن الفقه حيث قال: "إنَّ الفقه هو معرفة علم غائب بعلم شاهد". [3] من هذا المنطلق تعامل – وبهذا الوعي – الفكر العربي مع العلامة من حيث هي حقيقة حسية حاضرة تحيل إلى حقيقة مجردة غائبة.

1 ـ الدلالة في المدونات اللسانية الكبرى:

سنسترفد منذ البدء لتحديد مفهوم الدلالة المدونات اللسانية الكبرى، ولا يتحقق ذلك إلا بالوقوف على الحدود والتعريفات التي وضعها المفكرون العرب الأقدمون على اختلاف الحقول المعرفية التي ينتمون إليها .

أ ـ ابن فارس (395هـ) معجم مقاييس اللغة:

دل /الدال واللام أصلان أحدهما :إبانة الشيء بأمارة تتعلمها، والآخر :اضطراب في الشيء؛ فالأول قولهم :دللت فلانًا على الطريق، والدليل الأمارة في الشيء، وهو بَيِّنُ الدِّلالَةِ والدَّلالَة، والأصل الآخر قولهم :تَدَلْدَلَ الشيء أي اضطرب". [4]

يظهر لنا من خلال هذا التعريف، أنَّ الدلالة ـ في نظر **ابن فارس** ـ هي الإبانة التي لا تتحقق إلا بواسطة علامة تكتسب بالتعلم ، فهذه، حينئذ، إيماءة مرشدة من ابن فارس إلى حقيقة الدلالة التي هي في جوهرها: إنباء يقتضي بالضرورة وجود وسيط لحصول الفهم والإدراك والعلم بالمعلوم.

---

(1) ـ الحشر ، آية 2.

(2) ـ القاضي عبد الجبار ، المغني 186/5.

(3) ـ الراغب الأصبهاني ، المفردات في غريب القرآن، مادة (فقه).

(4) ـ ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة . (دل).

ب ـ أبو هلال العسكري (400هـ) الفروق في اللغة:

يقول أبو هلال العسكري في سياق حديثه عن موضوع الدلالة والدليل: " فالدليل هو ما يمكن أنْ يُسْتَدَلَّ به، قَصَدَ فَاعِلُهُ ذلك، أم لم يقصد، والشاهد أنَّ أفعال البهائم تدل على حدثها، وليس لها قصد إلى ذلك".[1]

الدلالة - في نظر أبي هلال - هي سبيل الاستدلال لحصول الإعلام بإدراك المعلوم المقصود من فعل الدلالة، غير أنَّ الدلالة المقصودة ههنا قد تكون قصدية أو غيرقصدية، فهي تتحقق سواء أكان هناك قصد، أم لم يكن، فالمآل الدلالي ينتهي إلى تأويل المتلقي .

هذه، إذن، إيماءة واعية من أبي هلال إلى إشكالية القصدية في العلامة، وهي الإشكالية التي تعد الآن في الفكر السيميائي المعاصر موضوع جدل بين فريقين:

- فريق يؤكد الطبيعة التواصلية للعلامة، يمثل هذا الفريق كل من بريطو وجورج مونان ومارتيني في الثقافة السيميائية الفرنسية، وهم يرون أنَّ العلامة تتكون من الدال والمدلول والقصد.
- وفريق آخر يركز على الجانب الدلالي للعلامة من حيث قابليتها للتأويل.[2]

ج ـ الراغب الأصبهاني(565هـ) المفردات في غريب القرآن:

يقول الراغب :"الدلالة ما يتوصل به إلى معرفة الشيء، كدلالة الألفاظ على المعنى ودلالات الإشارات، والرموز، والكتابة، والعقود في الحساب، وسواء أكان ذلك بقصد ممن يجعله دلالة ، أم لم

(1) ـ أبو هلال العسكري ، الفروق في اللغة ، ص 59.

(2) ـ يمثل هذا الاتجاه رولان بارت ، وهو الاتجاه الذي ينعت باتجاه السيميائية الدلالية.

يكن بقصد، كمن يرى حركة إنسان فيعلم أنّه حي قال تعالى﴿ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ ﴾[1] وأصل الدلالة مصدر كالكِناية والإمارة، والدليل من حصل منه ذلك، والدليل في المبالغة كعالم وعليم، وقادر وقدير، ثم يسمى الدال والدليل دلالة كتسمية الشيء بمصدره".[2]

فيكون **الراغب** بهذا التصور للدلالة قد وسع المجال الإدراكي للعلامة لتشمل أنماطًا لسانية وسيميائية (اللفظ، والإشارة، والرموز، والكتابة، وعقد الحساب)، ثم يؤكد هو الآخر قضية القصدية وعدمها في الدلالة، إذ تتحقق دلالة العلامة في محيطها الطبيعي والاجتماعي والثقافي، سواء أكان هناك قصد، أم لم يكن. وقد كان الأصبهاني على وعي عميق عندما جسد ذلك بصورة النبي سليمان عليه السلام، كما ورد ذلك في الآية الكريمة: ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُواْ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴾.[3] إذ بعد وفاته ظل حولاً كاملاً واقفًا ومتكئًا على عصاه، هذه الهيئة هي علامة دالة أوّلتها الجن بدلالة الحياة، لذلك ظلت تسعى وتعمل كأنها مأمورة، ولكن الأمر ههنا ليس بالنطق أو بالإشارة، وإنّما الأمر كان بالهيئة أو النصبة، كما يقول الجاحظ ؛ فهي ،إذ ذاك، علامة دالة على الحياة لدى الكائن الحي(مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ)، بالتقادم بدأت الأرضة تنخر عصاه أو منسأته، وحين ذاك خر ساقطًا ، هذه الهيئة هي أيضًا علامة فناء وانتهاء.

د ـ الشريف الجرجاني(816هـ) كتاب التعريفات:

يقول **الشريف الجرجاني** بشأن الدلالة: "الدلالة : هي كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم

---

(1)ـ سبأ،آية 14.

(2)ـ الراغب الأصبهاني، المفردات في غريب القرآن ، (مادة دل) ، ص 247.

(3)ـ سبأ،آية 14.

بشيء آخر، والشيء الأول هو الدال، والثاني هو المدلول". [1]

إذا ما تأملنا جيدًا في هذا التعريف نجده يحيط إحاطة شاملة بشروط حدوث الدلالة، سواء أكان ذلك يتعلق بالدلالة اللفظية، أم بالدلالة العقلية، فهي في ذلك كله سواء. وذلك واضح وجلي من خلال استخدامه لفظ (شيء) في قوله: /كون الشيء /، فالشيء المذكورههنا هو الدال، وهو في تصوره شيء من الأشياء الممكنة التي يلجأ إليها الإنسان لاتخاذها علامات بديلة (أصوات أو إشارات أو رموز أو أشكال أو أشياء دالة.) تنوب عن الشيء الثاني المذكور في التعريف في قوله / يلزم من العلم به العلم بشيء آخر / ، فهذا الشيء الآخر هو المدلول القائم في الذهن ، بحكم أنَّ العلامة شيء محسوس يستدعي شيئًا آخر بوصفه بديلا له.

فهناك ،إذن، تلازم قائم بين الدال من حيث هو معلوم أول، و المدلول من حيث هو معلوم ثان، فالعلم شرط ضروري لإدراك العلاقة التلازمية بين الدال،والمدلول، والانتقال من أحدهما إلى الآخر.

حقيقة الدلالة، إذن، هي فهم شيء من شيء آخر، وقد عبر عن ذلك الشريف الجرجاني (816هـ) في سياق حديثه عن الدلالة بقوله:" هي جعل شيء بإزاء شيء آخر، حيث إذا فهم الأول فهم الثاني ". [2]

إنَّ نظرة عجلى في تصور الجرجاني للدلالة، تقودنا إلى حقيقة الصلة القائمة بين الدال والمدلول، فهي صلة اقتضائية، وما كان ذلك إلا لأنَّ أصل الجعل هو عقد تلازمي يجعل الدال يستلزم بالضرورة وجود المدلول الذي وضع له واقترن به في عرف الاستعمال الفعلي لنمط معين من العلامات الدالة.

أضحت الدلالة، حينئذ، ناتجة عن اقتران الدال من حيث هو متصور حسي بالمدلول، من حيث هو متصور عقلي. ومن ثمة فإنَّ الدلالة ، كما يقول ابن عبد الشكور (111هـ):" هي الوجود ذهنًا بتوسيط الدال ".[3] فهي التصورات، والمفاهيم، والأفكار الماثلة في الذهن التي لا تتحقق في الواقع الحسي إلا باتخاذ وسيط، وهو الدال من حيث هو وسيلة حسية حاضرة.

---

(1)ـ الشريف الجرجاني ، التعريفات ، ص46.

(2)ـ الجرجاني، علي بن محمد ، حاشية على شرح الشمسية ، ص 176.

(3)ـ الأنصاري عبد العلي محمد بن نظام الدين ، فواتح الرحموت ، بهامش المستصفى للغزالي 1/ 418.

يجوز لنا أنْ نشير من الآن - في هذا السبيل الذي نحن بشأنه- إلى أنَّ الموجود في الأذهان، أو صوغ العقل، يلازم الموجود في الألفاظ، أو صوغ اللسان، ملازمة اقتضائية، إذ إنهما متضايفان من حيث الصلة الذهنية، فأضحى أحدهما يقتضي بالضرورة وجود الآخر بوصفه المعادل له دون سواه، فكلما أورد الحس دالا معينًا، مهما كانت نوعيته المادية، على المتلقي لعلامة معينة بوصفه مؤلها، التفت إلى معناها باستدعاء المدلول المناسب. وذلك بموجب العلم بوضع هذا الدال إزاء ذلك المدلول، وإذا حضر في ذهن شخص ما مدلول ما، استلزم حضور صورته السمعية، أو الحامل المادي له، المعروف في عرف الاستعمال. ففي كلتا الحالتين المنسوب إليه واحد.

لقد تنبه الدارسون العرب الأقدمون - في فترة مبكرة جدًا - إلى أنَّ العلامة اللسانية، ليست اقترانًا ثنائيًا بين دال ومدلول واحد فقط يظل يلازمه في اطراد رتيب، بل العلامة فضاء مفتوح من الدلالات؛ لأنَّ السياق قد يوجب ما لا يُنْكَرُ ولا يُرَدُّ إيجابًا ملحوظًا، فتتوسع الدلالة، ويتحول المدلول إلى علامة ثانية تحيل إلى دلالة أخرى وهكذا. ولا نستطيع في كثير من الأحيان الوصول إلى الدلالة الثانية أو الثالثة إلا بالتأويل، وبوجود قرائن مساعدة.

2 – تصنيف العلامات من حيث الإجراء:

لقد أفضى التأمل الواعي، في المجال الإجرائي للعلامة لدى الدارسين الأقدمين، إلى إدراك حقيقة تصنيف العلامات اللسانية وتفريعها الدلالي، فتحقق لديهم أنَّ التفريعات المحتملة للعلامات اللسانية يمكن أنْ ينظر إليها من خلال المجالات الآتية:

1 ـ من حيث العلاقة النسبية بين الدال والمدلول.

2 ـ من حيث الطابع الاجتماعي للعلامة.

3 ـ من حيث نوعية الدال.

4 ـ من حيث العلاقات الإدراكية بين الدال والمدلول.

5 ـ من حيث انتقال الذهن بين الدلالات المحتملة.

نورد ههنا مجددًا هذه التفريعات لتدارسها، ومقاربتها عن كثب، لتعميقها، وإيضاح آراء الأقدمين بشأنها.

التصنيف الأول: من حيث العلاقة النسبية بين الدال والمدلول:

لما نظر الباحثون العرب القدامى إلى حقيقة فعل الدلالة الناتج من الاقتران الثنائي بين الدال والمدلول، تبيَّن لهم أنَّ العلامات اللسانية يمكن لها أنْ تُصنف التصنيفات الآتية :

أ - العلامات (الألفاظ) المتواطئة.

ب - العلامات (الألفاظ) المتزايلة.

ج ـ العلامات (الألفاظ) المترادفة.

د ـ العلامات (الألفاظ) المشتركة.

1 ـ العلامات المتواطئة [(1)] : هي تلك العلامات التي تدل على مفهوم عام وشامل، يتضمن في ذاته مجموعة من المفاهيم والمدلولات الجزئية التي تندرج ضمنه. مثال على ذلك : لفظ / حيوان/[(2)] الذي هو علامة لسانية تدل على مفهوم عام، وهو الكائن الحي ؛ لأنَّه يمكن له أنْ يطلق على الإنسان، وعلى الفرس، باعتبار الدلالة العامة . يقول الغزالي بشأن هذا النوع من العلامات : " أما المتواطئة فهي التي تدل على أعيان متعددة بمعنى واحد مشترك بينها، كدلالة اسم الإنسان على زيد وعمرو، ودلالة اسم الحيوان على الإنسان والفرس والطير، لأنَّها متشاركة في معنى الحيوانية ".[(3)]

2 ـ العلامات المتزايلة (المتباينة) : هي تلك العلامات المنفردة التي ليس لها نسبة مع علامات أخرى، فهي كما يرى الغزالي : " الأسماء المتباينة التي ليس بينها شيء من هذه النسب كالفرس، والذهب، والثياب، فإنها ألفاظ مختلفة تدل على معاني مختلفة بالحد والحقيقة ".[(4)]

---

(1) ـ المتواطئ (Univoque) ما صدق على شيء أو أكثر بمعنى واحد، كانطباق اسم النوع على أفراده يقول: الجرجاني " المتواطئ هو الكلي الذي يكون حصول معناه وصدقه على أفراده الذهنية والخارجية على السوية ." التعريفات.

(2) ـ الحيوان : هو الجسم النامي الحساس المتحرك بالإرادة . ينظر الجرجاني، التعريفات .

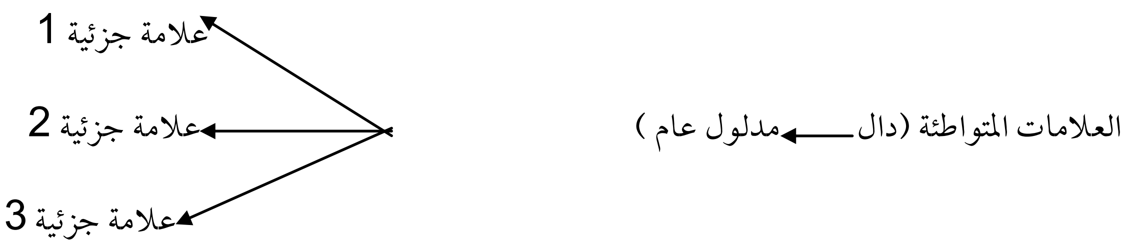
(3) ـ الغزالي ، معيار العلم ، ص81.

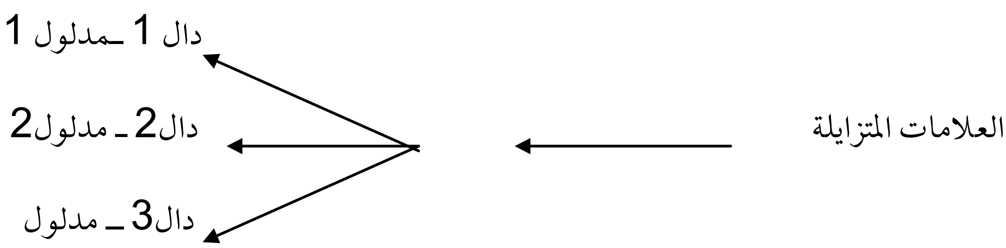
(4) ـ المرجع نفسه ، ص 81.

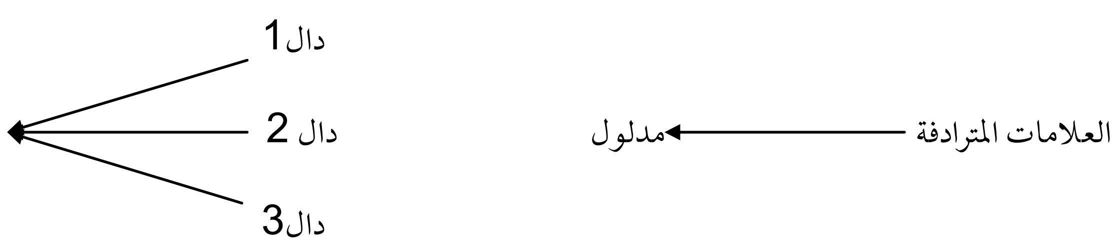
3 ـ العلامات المترادفة: هي تلك العلامات التي تتقاطع فيما بينها في مدلول مشترك فهي كما يقول الغزالي : " الأسماء المختلفة الدالة على معنى يتدرج تحت حد واحد كالخمر ، والراح ، والعقار. فإنَّ المسمى بهذه يجمعه حد واحد ، وهو المائع المسكر المعتصر من العنب ، والأسامي مترادفة عليه". [1]

4 ـ العلامات المشتركة: هي تلك العلامات التي تشترك في دال واحد وتختلف من حيث المدلول فهي – كما يقول الغزالي – " اللفظ الذي يطلق على موجودات مختلفة بالحد والحقيقة إطلاقًا متساويًا ، كالعين تطلق على العين الباصرة ، وينبوع الماء ، وقرص الشمس ، وهذه مختلفة الحدود والحقائق". [2]

فإذا جنحنا إلى الأشكال لتوضيح ما نحن بسبيله يتبين لنا ما يلي :

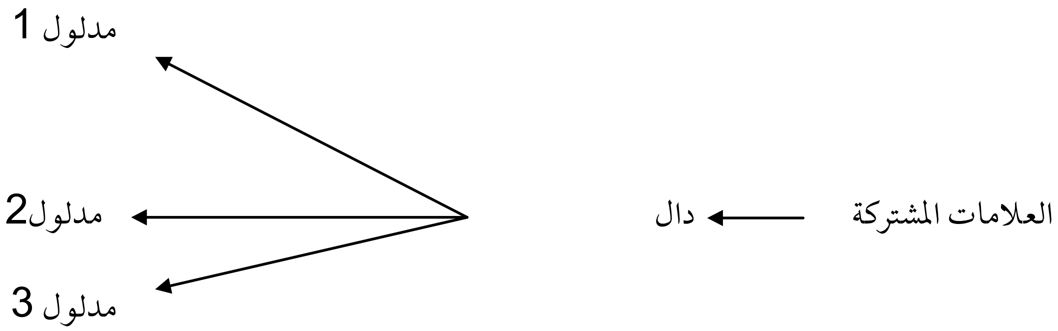






(1) ـ الغزالي ، معيار العلم ، ص 81.

(2)ـ المرجع نفسه ، ص 81.



التصنيف الثاني : من حيث الطابع الاجتماعي للعلامة.

لقد أدرك العلماء العرب الأقدمون على اختلاف اهتماماتهم العلمية، ونزعاتهم الفلسفية والمذهبية، أنَّ العلامة اللسانية قابلة في ذاتها للتصنيف إلى أنواع وفروع مختلفة. ولذلك فهم منذ البدء أقروا بالطابع الاجتماعي للعلامة من حيث هي عقد بين فئة بشرية معينة لها خصوصيات ثقافية واجتماعية وحضارية متجانسة، فبعد تأمل عميق تبين لهم أنَّ العلامة بديل حسي حضوري اصطنعه الإنسان لتحقيق التواصل من حيث هو ضرورة للمشاركة في الحياة الاجتماعية، لكن هذا البديل يختلف عن الموجودات التي تشكل المحيط الطبيعي والاجتماعي للإنسان، بوصفه كيانًا ثنائيًا يتكون من شيئين متلازمين يلزم من العلم بالأول العلم بالثاني، ينعت الأول بالدال، والثاني بالمدلول، والصلة القائمة بينهما هي الاصطلاح، غير أن هذه الصلة ليست بماكثة في سكونية دائمة، بل هي قابلة للاختراق كلما اقتضى عرف الاستعمال ذلك.

وانطلاقًا من هذا التصور لحقيقة العلامات اللسانية من حيث هي وسائط بديلة تخضع للتواضع الاجتماعي وعرفه، تنبه الدارسون االأقدمون إلى أنَّ هناك ثلاثة أصناف من العلامات:

أ ـ علامات وضعية.

ب ـ علامات عرفية.

ج ـ علامات شرعية.

1 العلامات الوضعية: هي تلك العلامات التي تواضع عليها المجتمع اللغوي لتحقيق العملية التواصلية، وهي العلامات الشائعة، والمتداولة بين أفراد مجموعة بشرية معينة فهي من ثمة بالضرورة علامات استخدمها الإنسان، بحكم الاستعمال الفعلي للكلام.

2 ـ العلامات العرفية[1] : هي تلك العلامات التي تحولت من دلالتها الوضعية إلى دلالة أخرى في عرف من يستخدمها. يقول أبو هلال العسكري (400هـ) : " الاسم العرفي ما نقل عن بابه بعرف الاستعمال نحو قولنا دابة ، وذلك أنَّه صار في العرف اسمًا لبعض ما يدب ، وكان في الأصل اسمًا لجميعه. وكذلك الغائط ، كان اسمًا للمطمئن من الأرض ، ثم صار في العرف اسما لقضاء الحاجة حتى ليس يعقل عند الاطلاق سواه."[2] فالعلامة العرفية ـ في نظر أبي هلال ـ هي علامة منقولة عن دلالتها التي وجدت من أجلها .

وقد وضح ذلك الغزالي(505هـ) أكثر بقوله : " الاسم يسمى عرفيًا باعتبارين ؛ أحدهما : أن يوضع الاسم لمعنى عام ثم يخصص عرف الاستعمال من أهل اللغة ذلك الاسم ببعض مسمياته ، كاختصاص اسم الدابة بذوات الأربع ، مع أن الوضع لكل ما يدب ، واختصاص اسم المتكلم بالعالم بعلم الكلام ، مع أن كل قائل ومتلفظ متكلم ، وكاختصاص اسم الفقيه والمتعلم ببعض العلماء وبعض المتعلمين ، مع أن الوضع عام قال تعالى : ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾[3] ﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴿٤﴾ ﴾[4] وقال عز وجل : ﴿ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴾[5]. الاعتبار الثاني : أن يصير الاسم شائعًا في غير ما وضع له أولاً ، بل فيما هو مجاز فيه كالغائط للمطمئن من الأرض (...) فصار أصل الوضع منسيًا ، والمجاز معروفًا سابقًا إلى الفهم بعرف الاستعمال ، وذلك بالوضع الأول ، فالأسامي اللغوية إما وضعية ، وإما عرفية ."[6]

يلاحظ ، إذن، مما أورده الغزالي في هذا المقام، أنَّ العلامات اللسانية تسمى عرفية بسبيلين :

---

(1) ـ العرف : ما استقرت النفوس عليه بشهادة العقول ، وتلقته الطبائع بالقبول ،وهو حجة أيضًا لكنه أسرع إلى الفهم، وكذا العادة وهي : ما استمر الناس عليه على حكم المعقول ،وعادوا إليه مرة بعد أخرى . الجرجاني التعريفات (العرف).

(2) ـ أبو هلال العسكري ، المرجع المذكور سابقًا ، ص57.

(3) ـ البقرة ، آية 31 .

(4)ـ الرحمن ، الآيتان 3، 4 .

(5) ـ النساء ، آية 78 .

(6) ـ الغزالي، المستصفى من علم الأصول ، 1/ 325ـ 326.

أحدهما: التخصيص؛ أي أنَّ العلامة تدل حسب أصل الوضع على مدلول عام، ثم يخصصها عرف الاستعمال في جزء ذلك المدلول، فيشتهر به لدى المستخدمين لنمط معين من العلامات اللسانية.

والآخر: الاتساع ؛ أي يصير الاسم شائعًا في غير ما وضع له عن طريق المجاز .

3 ـ العلامة الشرعية : تتعلق العلامة الشرعية في الاستعمال اللساني العربي، بالكلمات الشرعية التي كانت قبل الإسلام دالة بحكم الوضع على أشياء وأحداث مألوفة في البيئة العربية، ثم انقلبت بعد الإسلام للدلالة على أمور شرعية، مخصوصة ، فأصبحت دلالتها الأصلية منسية، وهي وإن استعملت فيها لا يكون ذلك إلا عن طريق المجاز ، فأصبح الأصل مجازًا والدلالة المنقول إليها أصلاً.

يقول أبو هلال العسكري (400هـ): " إنَّ الاسم الشرعي ما نقل عن أصله في اللغة، فيسمى به فعل أو حكم حدث في الشرع، نحو : الصلاة، والزكاة، والصوم، والكفر والإيمان، والإسلام، وما يقرب من ذلك. وكانت هذه أسماء تجري قبل الشرع على أشياء، ثم جرت في الشرع على أشياء أخرى، وكثر استعمالها حتى صارت حقيقة فيها وصار استعمالها على الأصل مجازًا". [1]

نخلص إلى أنَّ العلامات اللسانية بحكم طابعها الاجتماعي في النسق اللساني العربي هي ثلاثة أنواع:

1 ـ العلامات الوضعية : هي العلامات التي تكوِّن النسق اللساني بحسب الوضع والاصطلاح ، وهي من ثمة العلامات الشائعة والطاغية في الإنجاز الفعلي للخطاب.

2 ـ العلامات العرفية : وهي تلك العلامات التي انتقلت بحكم الاستعمال العرفي لتدل على حقائق أخرى، فأضحت دلالتها منسية، ويتم ذلك بسبيلين:

أ ـ التخصيص : تكون العلامة دالة على مفهوم عام حسب أصل الوضع، ثم يخصص العرف الاجتماعي ذلك المفهوم.

ب ـ الاتساع : ويكون ذلك عن طريق انتقال العلامة من دلالتها الأصلية إلى دلالة مجازية ، فتشيع فيها بحكم الاستعمال العرفي ، وتصير دلالتها الوضعية منسية .

(1) ـ أبو هلال العسكري ، المرجع المذكور سابقًا ، ص 56.

3 ـ العلامات الشرعية: تتعلق هذه العلامات بالأفعال والأحداث والحقائق التي أوجبها الشرع، فانتقلت هذه العلامات من دلالتها التي وجدت من أجلها إلى أخرى طارئة، وهي الدلالة الشرعية.

ويمكن لنا أنْ نمثل لهذه المتوالية الثلاثية من العلامات بالمدخل المعجمي /كفر/، بوصفه علامة لسانية قابلة في ذاتها لأنَّ تتبدى في ثلاث علامات نوعية:

أ ـ حسب الدلالة الوضعية: فإنَّ المدخل المعجمي / كفر/ يدل على الستر والتغطية. يقول ابن فارس (395هـ): " الكاف والفاء والراء أصل صحيح يدل على معنى واحد، وهو الستر والتغطية، يقال لمن غطى درعه بثوب: قد كفر درعه، والمكفر الرجل المتغطي بسلاحه."(1)

ب ـ حسب الدلالة العرفية: فإنَّ المدخل المعجمي / كفر/ يدل على زراعة الأرض وفلاحتها. يقول ابن فارس: " ويقال: للزارع كافر، لأنَّه يغطي الحَبَّ بتراب الأرض ".(2) والدليل على ذلك قوله تعالى:

﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا﴾ (3)

ج ـ حسب الدلالة الشرعية: فإنَّ المدخل المعجمي / كفر/ يدل على جحود وحدانية الله سبحانه وتعالى، فهو ضد آمن، وسمي بذلك كما يقول ابن فارس: " لأنَّه تغطية الحق، وكذلك كفران النعمة وجحودها، وسترها ".(4) وهذا المدلول الأخير نلفيه واضحًا في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ (5)

يظهر لنا من خلال هذا التعقب للانتقال الدلالي لعلامة لسانية واحدة، أنَّ العلامات النوعية (الوضعية، والعرفية، والشرعية) ثابتة في النسق اللساني العربي، فهي حقيقة لا يمارى فيها ولا ترد، غير أنَّ الحدود

(1) ـ ابن فارس معجم مقاييس اللغة (كفر).

(2) ـ المرجع نفسه، (كفر).

(3)ـ الحديد، آية 20.

(4) ـ ابن فارس، معجم مقاييس اللغة (كفر).

(5) ـ البقرة، آية 161.

بين حقولها الدلالية مرنة، فهي قابلة للاختراق كلما دعت الضرورة السياقية إلى ذلك، فتظل الصلة الدلالية قائمة بين هذه العلامات.

وقد يختلف التفاوت في استخدامها من سياق إلى آخر ، ومن ثمة تظل العلامات الشرعية في السياق الديني هي السائدة، فالأولوية للدلالة الشرعية إلا إذا توافرت قرينة تصرفها إلى دلالة أخرى.

وقد كان أشار إلى هذا الأمر أبو هلال العسكري (400هـ) بقوله :" وعند الفقهاء أنَّه إذا وقع عن الله خطاب قد وقع في اللغة لشيء، واستعمل في العرف لغيره، ووضع في الشرع لآخر، فالواجب حمله على ما وضع في الشرع ؛ لأنَّ ما وضع له في اللغة قد انتقل عنه، وهو الأصل فما استعمل فيه بالعرف أولى بذلك. وإذا كان الخطاب في العرف لشيء وفي اللغة بخلافه، وجب حمله على العرف لأنه أولى، كما أنَّ اللفظ الشرعي يحمله على ما عدل عنه". [1]

قد يصل إلى أفهامنا من هذا القول أنَّ العلامات في السياق الديني والاجتماعي واللساني درجات :

الدرجة الأولى: للعلامة الشرعية (في السياق الديني)، فلا ينصرف الذهن إلى العلامة العرفية أو الوضعية، فالدلالة الشرعية أولى في هذا المقام .

الدرجة الثانية: للعلامة العرفية أثناء الأداء الفعلي للكلام في السياق الثقافي والاجتماعي، فالعلامة العرفية في هذا المقام هي أولى من العلامة الوضعية ؛ لأن الدلالة الأصلية صارت منسية بعرف الاستعمال .

الدرجة الثالثة: للعلامة الوضعية، وذلك في السياق اللساني العادي، في هذه الحالة ينصرف الذهن مباشرة إلى الدلالة الوضعية التي وجد اللفظ من أجلها ودون سواها .

التصنيف الثالث : من حيث نوعية الدال:

لما تأمل أسلافنا العلامات الدالة في هذا الكون أدركوا جيدًا، وبوعي علمي عميق، أنَّ العلامات وسائط دالة، تتنوع بتنوع الدلالات التي يدركها الإنسان بكفايته العقلية. جعلهم هذا الوعي ينصرفون إلى تصنيف الدلالات، وضبط مجالها الإدراكي ضبطًا دقيقًا.

---

(1) ـ أبو هلال العسكري ، المرجع المذكور سابقًا ، ص 57.

وكان الجاحظ من الذين أولعوا إيلاعًا شديدًا بتصنيف العلامات من حيث طبيعة الدال، وحصر مجالها كما هي موجودة في هذا الكون، إذ انفرد عمن سواه برؤية عميقة لحقائق الوسائط الدالة في المحيط الطبيعي والاجتماعي للإنسان.

ولذلك فإنَّ أقل الناس إلمامًا بالرصيد المعرفي لمدونة الجاحظ الأدبية، يدرك بلا ريب أنَّ الجاحظ ينفرد بكثير من التجليات الفكرية الرائدة في الحضارة العربية الإسلامية، إذ إنَّه انماز من غيره بالوعي العميق، والرؤية العلمية النافذة حين تناوله القضايا الفكرية والأدبية بعامة، والقضايا اللسانية بخاصة.

عندما انبرى الجاحظ يقارب الدلالات في إطارها العقلي والإبلاغي الشامل، توصل وبوعي علمي عميق إلى تصنيف الدلالات تصنيفًا تقتضيه فاعلية العلامة في محيطها الطبيعي والاجتماعي والحضاري بشكل عام، حيث نلفيه يقول في هذا السبيل: " جميع أصناف الدلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ خمسة أشياء لا تنقص ولا تزيد، أولها اللفظ، ثم الإشارة، ثم العقد، ثم الخط، ثم الحال التي تسمى نصبة؛ والنصبة هي الحال الدالة التي تقوم مقام تلك الأصناف ".[1]

يكون حريًا بنا أنْ نعيد مجددًا تلك العلامات كما تصورها الجاحظ حسب ترتيبها في النص:

1 ـ اللفظ: يعنى به الجاحظ العلامة اللسانية الاصطلاحية المتواضع عليها بين أفراد المجتمع اللغوي، والتي تتكون من دال (الصورة السمعية)، ومدلول (المفهوم الذهني الذي وضع الدال بإزائه).

2 ـ الإشارة: هي جميع الحركات والإيماءات الدالة؛ فهي علامات مرئية بحكم طبيعتها التواصلية الحضورية، بيد أنَّها علامات من نوع خاص، إذ إنَّها لا تخضع للتقطيع المزدوج الذي هو خاصية من خصائص العلامة اللسانية. يقول الجاحظ: " الإشارة واللفظ شريكان، ونعم العون هي له، ونعم الترجمان هي عنه، وما أكثر ما تنوب عن اللفظ، وما تغني عن الخط (...)، وفي الإشارة بالطرف والحاجب، وغير ذلك من الجوارح مرفق كبير، ومعونة حاضرة في أمور يسترها بعض الناس من بعض، ويخفونها من الجليس وغير الجليس، ولولا الإشارة لم يتفاهم الناس معنى خاص الخاص ".[2]

---

(1) ـ الجاحظ، البيان والتبيين، 76/1.

(2)ـ المرجع نفسه، 78/1.

3 ـ العقـد: وهو الحساب دون اللفظ والخط، فهو وسيلة من وسائل البيان، غير أنَّ دلالته محدودة في عقد الحساب بالأصابع.[1] ويرى الجاحظ أنَّ العقد كاللفظ والإشارة في كونه ذا دلالة مباشرة في إيصال المعنى. يقول الجاحظ :"والحساب يشمل على معاني كثيرة ومنافع جليلة، ولولا معرفة العباد بمعنى الحساب في الدنيا لما فهموا عن الله عز وجل معنى الحساب في الآخرة، وفي عدم اللفظ وفساد الخط والجهل بالعقد، فساد جل النعم، وفقدان جمهور المنافع، واختلال كل ما جعله الله عز وجل لنا قوامًا ومصلحة ونسقًا".[2]

4 ـ الخط [3] **:** وهو الدلالة البيانية الرابعة عند الجاحظ، وفاعليته عنده تتعدى الزمان والمكان، وقد يتبدى ذلك واضحًا من قوله: " فاللسان مقصور على القريب الحاضر، والقلم مطلق في الشاهد والغائب، وهو للغابر الحائن مثله للقائم الراهن".[1]

---

(1) ـ هو نظام بديل من العلامات العرفية التي لها القدرة على أن تنوب عن النظام اللساني في كثير من المواقف والسياقات التي تقتضيها عملية المساومة ،والبيع السري الذي يتعذر التصريح به لأسباب مختلفة. يمكن لنا ، حينئذ، أن نوجز بعض أنواع هذا النظام التواصلي فيما يلي:

ـ قد يضع شخص ما يده في يد شخص آخر، ويقوم بإحداث حركة معينة، تم الاصطلاح عليها بين أفراد المجتمع، فتصبح هذه الحركة المتواضع عليها علامة قائمة بذاتها ، وتحمل دلالة معينة تنوب عن التلفظ بخطاب كامل من أجل ستر ما اتفق عليه من سعر وغيره.

ـ فإذا وضع شخص ما طرف السبابة اليمنى في أصل يد شخص آخر، وضمها ضمًا محكمًا تنطوي عقدتاها ، فتصبح هذه الحركة علامة دالة على عقد التسعين.

ـ فإذا ضم بطرف الإبهام طرف السبابة ، كالذي يمسك شيئًا لطيفًا كالإبرة مثلاً ، قد تصبح هذه العملية علامة دالة على عقد الثلاثين.

ـ فإذا وضع طرف ظفر الإبهام بين عقدتي السبابة ، ولوى طرف السبابة عليها مثل ناقد الدينار عند النقد ، دل على عقد السبعين وهكذا. ينظر إسحاق موسى الحسيني ، اللغة الصامتة ، مجلة مجمع اللغة العربية القاهرة ج 45، ماي 1980، ص 23ـ 24.

2ـ الجاحظ ، البيان والتبيين ، 80/1.

3 ـ يعد الخط أو نظام الكتابة من أهم الأنظمة المرئية البديلة، إذ إنه يحتل حيزًا رحبًا في المسار التحولي للحضارة الإنسانية، والمحوج إلى هذا النظام هو أن الإنسان مضطر إلى إعلام الغائبين بتدوين ما تم علمه، فجنح ،حينئذ، إلى نظام الكتابة التصويرية في مرحلة معينة من بدء الرسم والتدوين، وكان ذلك بتصوير الأشياء الموجودة في الأعيان كما هي في الواقع الحسي تصويرًا عاكسًا لحقيقتها كما يرسمها حسه دون أن يضفي عليها لونًا جماليًا أو فنيًا؛ فالصورة ببعدها الفني

5 ـ النصبة : وهي هيئة دالة على نفسها من غير وسيلة ، ودلالتها قائمة على إعمال العقل والتأمل فيها ، فهي إذن" الحال الناطقة بغير اللفظ ، والمشيرة بغير اليد ، وذلك ظاهر في خلق السموات والأرض ، وفي كل صامت و ناطق ، وجامد ونام ، ومقيم وظاعن ، وزائد وناقص ، فالدلالة التي في الموات الجامد كالدلالة التي في الحيوان الناطق ، فالصامت ناطق من جهة الدلالة ، والعجماء معربة من جهة البرهان ".(2)

هذا التصنيف الذي اعتمده الجاحظ للعلامات اللسانية المحتملة في محيط الإنسان، يدل على إدراك واع بالمجال الدلالي للوسائط التي يسستخدمها الإنسان للتعبير عما في ضميره من جهة ، وحصول المعرفة والبيان بإنباء الأشياء عن نفسها من جهة أخرى .

التصنيف الرابع: من حيث العلاقات الإدراكية بين الدال والمدلول:

لقد أفضى التأمل بالعلماء العرب الأقدمين إلى الاهتداء إلى تصنيف العلامات بناء على العلاقة(3) الإدراكية بين الدال والمدلول، باعتبار أنَّ هذه العلاقة كما يدركها ذهن المتلقي بوصفه مفسر العلامة ومؤلها ، هي مركز استقطاب لطبيعة الصلة القائمة بين طرفي العلامة ؛ فهذه الصلة قد تكون جعلية عن طريق المواضعة ، وقد تكون تلازمية عن طريق صلة العلة بالمعلول ، وقد تكون سببية طبيعية ، وقد تكون فعلية حدثية حضورية في هيئة حالية.

انطلاقًا من هذه العلاقات الإدراكية ، تأتَّى لأسلافنا تقسيم العلامات إلى وضعية وعقلية ،وطبيعية، وفعلية.

والجمالي ليست هي الغاية ، بل الشيء الذي تمثله أو تنوب عنه هو الأثر المتوخى من هذه العملية ، فتصبح الكتابة التصويرية نوعًا بدائيًا من العلامات الأيقونية كما تصورها بيرس لاحقًا في مجال السيميائيات.

وقد اخترع الإنسان وسائل تسعفه على توسيع المجال الإجرائي لهذا النوع من العلامات، فأصبحت ألواح الطين (الرُّقُمُ) تشكل مادة الكتابة عبر الحقب الزمنية المختلفة التي عرفتها الكتابة المسمارية ، وهي الكتابة التي استمر حضورها وملازمتها لوجود الإنسان حتى عام خمسين بعد الميلاد ، فكانت العلامات المسمارية تشكل نسقًا تواصليًا يطبع على الرقم وهي طرية تعرض على النار حتى تجف ويشتد صلبها لكي تحفظ ويصعب تهشيمها .ينظرهبو أحمد الأبجدية نشأة الكتابة .دار الحوار اللاذقية 1984. ص 34.

(1) ـ الجاحظ ، البيان والتبيين ، 81/1.

(2) ـ المرجع نفسه ، 81/1.

(3) ـ العلاقة : هي شيء بسببه .

1 ـ العلامة الوضعية: هي تلك العلامات التي تواضع عليها أفراد المجتمع اللغوي لتحقيق عملية التواصل عن طريق المواضعة والاصطلاح ، وهي جعل شيء بإزاء شيء آخر، متى أُدرك الأول أُدرك الثاني. ولاصطناع هذه العلامة لابد من توافر أربعة أشياء :

1 ـ اللفظ : وهو نوع من الكليات المسموعة .

2 ـ المعنى : الذي جعل اللفظ بإزائه.

3 ـ إضافة أولى : تكون عارضة بينهما هي الوضع.

4 ـ إضافة ثانية : تكون عارضة بعد عروض الإضافة الأولى، وهي الدلالة، فإذا نسبت إلى اللفظ قيل :إنَّه دال على معنى كون اللفظ يفهم منه العالم بالوضع عند إطلاقه، وإذا نسبت إلى المعنى قيل: إنَّه مدلول اللفظ بمعنى كونه متفهمًا عن إطلاقه. فكلا المعنيين لازم لهذه الإضافة، فأمكن تعريفهما بأيهما كان .[1]

2 ـ العلامة العقلية : يقصد بهذا المفهوم دلالة الأثر على المؤثر، كدلالة الدخان على النار، والسحاب على المطر. فتنحصر هذه الدلالة في علاقة العلية، أو السببية ؛ أي أنْ يجد العقل علاقة ذاتية بين الدال والمدلول، فهي إذ ذاك تقابل مفهوم القرينة (Indice) في الفكر السيميائي المعاصر.

الدلالة العقلية ـ في نظر التهانوي ـ" هي دلالة يجد العقل بين الدال والمدلول علاقة ذاتية ينقل لأجلها منه إليه، والمطلوب بالعلاقة الذاتية ، استلزام المعلول للعلة، كاستلزام الدخان للنار أو العكس، كاستلزام النار للحرارة أو استلزام أحد المعلولين للآخر، كاستلزام الدخان للحرارة ".[2]

3 ـ العلامة الطبيعية : يقصد بالطبيعة مفهوم الطبع،[3] فالمراد بالعلامة الطبيعية: العلامة الناتجة عن إحداث طبيعة من الطبائع، سواء أكانت طبيعة المتكلم، أم طبيعة مصدر الدلالة الحاصلة، فكل العلامات التي تعكس أصوات الطبيعة تندرج ضمن هذا الصنف، وكذلك الصيحات المصاحبة للانفعالات، والتبدلات الفيزيولوجية كتغير ملامح الوجه بتبدل لونه من حالة إلى أخرى .[4]

---

(1) ـ ينظر، التحتاني قطب الدين الرازي ، لوامع الأسرار، ص28.

(2) ـ التهانوي ، المرجع المذكور سابقًا ، ص 487.

(3) ـ الطبع : ما يقع على الإنسان بغير إرادة ، وقيل الطبع الجبلة التي خلق الإنسان عليها. الجرجاني ، التعريفات (طبع).

(4) ـ ينظر عادل فاخوري علم الدلالة عند العرب ، ص 18 وما بعدها .

يقول التهانوي (1135هـ) بشأن الدلالة الطبيعية :" هي دلالة يجد العقل بين الدال والمدلول علاقة طبيعية ينتقل لأجلها منه إليه ، والمراد من العلاقة الطبيعية إحداث طبيعة من الطبائع ، وسواء أكانت طبيعة اللافظ أم طبيعة المعنى ، أم طبيعة غيرهما ، عروض الدال عند عروض المدلول كدلالة (أح أح) على السعال ، وأصوات البهائم عند دعاء بعضها بعضًا ، وصوت العصفور عند القبض عليه ، فإنَّ الطبيعة تنبعث بإحداث تلك الدوال عند عروض تلك المعاني ، فالرابطة بين الدال والمدلول هو الطبع ".[1]

وقد انصرف جهد عصبة من الدارسين إلى توضيح هذه الدلالة أكثر ، وقد يكفينا مؤونة ذكر هذه الآراء كلها السيالكوتي [2](1067هـ) الذي يرى أنَّ " الطبع والطباع في اللغة السجية التي جبل عليها الإنسان ، وفي الاصطلاح يطلق على مبدأ الآثار المختصة بالشيء ، سواء كان للشعور أم لا. وعلى الحقيقة ، فإنْ أريد طبع اللافظ ، فالمقصود به المعنى الأول ، فإنَّ صورته النوعية أو نفسه تقتضي التلفظ به عند عروض المعنى ، وإنْ أريد طبع معنى اللفظ ؛ أي مدلوله ، فالمطلوب به المعنى الثاني ، وإنْ أريد طبع السامع فالمراد به مبدأ الإدراك في النفس الناطقة أو العقل".[3]

ثم جنح السيالكوتي إلى الميز بين الدلالة العقلية والدلالة الطبيعية ، فيرى أنَّ " تلفظ (أخ) لا يصدر عن الوجع ، وكذا الأصوات الصادرة عن الحيوانات عند دعاء بعضها لبعض لا تصدر عن الحالات العارضة لها ، بل إنما تصدر عن طبيعتها ، بخلاف ماعدا اللفظ فإنَّه يجوز أنْ تكون تلك العوارض منبعثة عن الطبيعة بواسطة الكيفيات النفسانية والمزاج المخصوص فتكون الدلالة الطبيعية ، ويجوز أنْ تكون آثارًا لنفس تلك الكيفيات والمزاج ، فلا يكون للطبيعة مدخل في تلك الدلالة فتكون عقلية. وبهذا يتبين الفرق بين العقلية

(1) ـ التهانوي ، المرجع المذكور سابقًا ، ص 488.

(2) ـ هو عبد الحكيم بن شمس الدين السيالكوتي نسبة إلى سيالكوت **Sialkot** مدينة في باكستان ، كان رئيس العلماء عند سلطان الهند شهاب الدين جهان ، له :

- الحاشية على تفسير البيضاوي.
- حاشية على شرح العقائد النسفية.
- حاشية على الجرجاني في المنطق.
- حاشية على القطب على الشمسية في المنطق . الأعلام 55/4.

(3) ـ السيالكوتي ، حاشية على حاشية الجرجاني ، 10/1.

والطبيعية ، فإنَّ العلاقة في الأولى التأثير ، وفي الثانية الإيجاب ، والتأثير أقوى من الإيجاب. وأيضًا يتبين الفرق بينهما ، بأنَّ المدلول في العقلية هو المؤثر ، وفي الطبيعية الحالة العارضة للمؤثر." [1]

يمكن لنا ملاحظة الآتي :

أ ـ تكون العلاقة بين الدال والمدلول في العلامة العقلية علاقة تأثيرية ؛ أي علاقة سببية. أما في العلامة الطبيعية ، فهي استجابية بإيجاد مؤثر ما.

ب ـ فإذا نظرنا إلى هذه العلاقة من حيث طبيعة المدلول ، فهو في العلامة العقلية المؤثر ذاته لفعل السبب ، وفي العلامة الطبيعية هو الحالة العارضة نفسها.

4 ـ العلامة الفعلية : لقد انفرد بهذا النوع من العلامات الأنصاري (926هـ)[2] في التراث العربي ، حيث إنَّه أضاف الدلالة الفعلية التي تقتضيها علامة نوعية ما ، لأنَّها تتعلق بالحدث الإنجازي الذي له أثر مرئي حضوري. فالدلالة ـ في نظر الأنصاري ـ " تنقسم إلى فعلية كدلالة الخط والإشارة ، وعقلية كدلالة اللفظ على لافظه ، وطبيعية كدلالة الأنين على الوجع ، ووضعية ، وهي كون اللفظ حيث متى أطلق فهم منه المعنى ". [3]

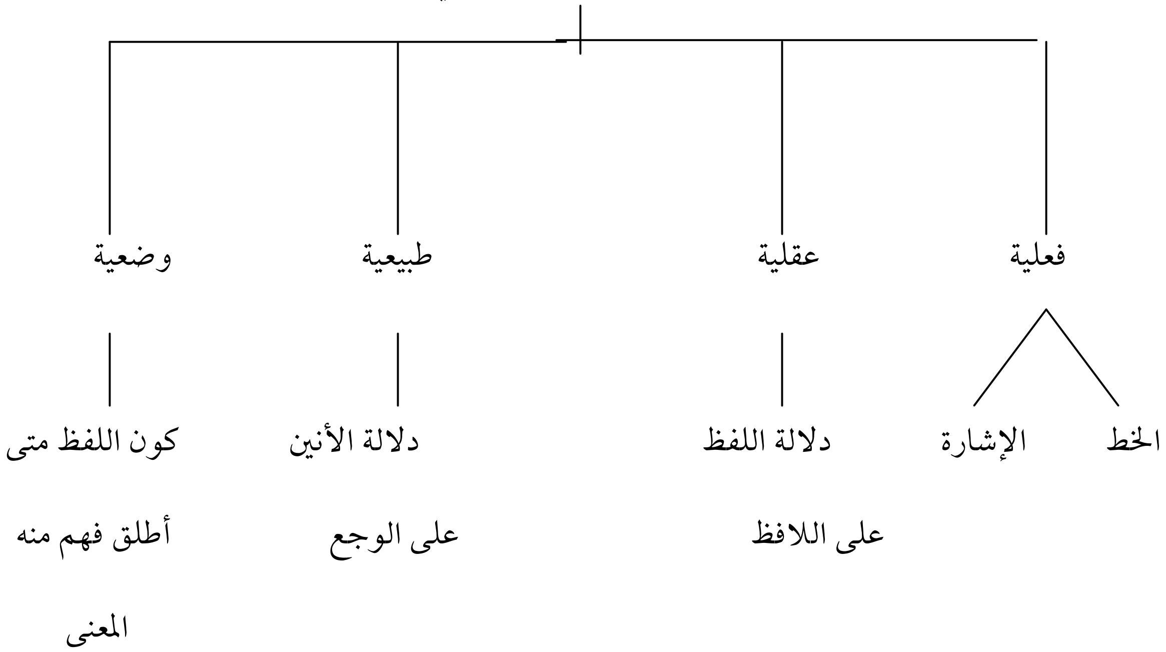
---

(1) ـ السيالكوتي ، حاشية على حاشية الجرجاني ، 75/1.

(2) ـ هو زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري قاض ومفسر ، ويعد من حفاظ الحديث ، له تصانيف كثيرة منها : ـ فتح الرحمن ، في التفسير . ـ تحفة الباري على صحيح البخاري . ـ شرح كتاب إيساغوجي Isagogie في المنطق ، وهو كتاب في الفلسفة معروف باسم المقولات الخمس ألفه بور فيروس الصوري تلميذ أفلوطين الذي اختصره الأبهري أثير الدين السمرقندي (635هـ) حكيم ومنطقي له اشتغال بالحكمة والطبيعيات والفلك. ينظر الزركلي ، الأعلام 80/3. و 208/8.

3 ـ الأنصاري ، شرح إيساغوجي ، ص 11.

العلامة عند الأنصاري



يعود هذا الاختلاف في تفريعهم العلامات إلى كيفية إدراك العلاقة القائمة بين الدال والمدلول، لأنَّ الدلالة قائمة أساسًا على إدراك الصلة التي هي جوهر الاقتران الثنائي بين طرفي العلامة، وبهذا التصور فإنَّ الدلالة ـ في نظر التهانوي ـ بخلاف التعريف المشهور: " هي كون الشيء بحالة، يلزم من العلم به العلم بشيء آخر عند العلم بالعلاقة".[1] فلزوم[2] العلم بالأول والثاني غير كاف، فلابد من العلم بالعلاقة، لأنَّ المطلوب هو : " اللزوم بعد العلم بالعلاقة، أو بوجه الدلالة؛ أعني الوضع ، أو اقتضاء الطبع ، أو العلة والمعلولية، أو بوجه القرينة كما في دلالة اللفظ على المعنى المجازي".[3]

لا يكون انتقال ذهن المتلقي مفسر العلامة ومؤولها إلى الدلالة المقصودة من استخدام علامة ما، إلا بادراك العلاقة بين الدال والمدلول؛ أي هل هذه العلاقة ترتد إلى:

1 ـ المواضعة.[4]

---

(1) ـ التهانوي ، المرجع المذكور سابقًا ، ص 285.

(2) ـ اللزوم : هو علاقة منطقية تتلخص في أن فكرة أو قضية تستلزم ، بالتجربة والفعل ، فكرة أو قضية أخرى ،وما يصدق على الكل يصدق على الجزء . ينظر المعجم الفلسفي ، ص 161.

(3) ـ المرجع نفسه ، ص 285.

(4) ـ المواضعة (**Convention**): ما تعارف الناس عليه واصطلحوا عليه .

2 ـ اقتضاء الطبع.[1]

3 ـ العلة والمعلولية .(دلالة عقلية).[2]

4 ـ وجود قرينة تسوغ انصراف الذهن الى الدلالة المطلوبة.

التصنيف الخامس : من حيث انتقال الذهن بين الدلالات المحتملة:

لقد التفت الفكر اللساني العربي ـ في فترة مبكرة جدا ـ إلى العلاقات القائمة بين الدال والمدلول لمعرفة المجال الإدراكي لهذه الثنائية، وضبطه ضبطًا دقيقًا باعتبار مجال الدلالة فضاء مفتوحًا يسمح بتوليد عدد لا حصرله من الدلالات المحتملة، فالمدلول، في نظر العرب الأقدمين، ليس تصورًا ذهنيًا واحدًا فحسب، بل هو كل الاحتمالات التي يمكن لها أن تحقق فعل الدلالة، وهذه النظرة الواعية للمفهوم لدى أسلافنا تطابق نظرة بيرس للمؤول باعتباره ثالثية لها القدرة على تمثيل عدد غيرمحدود من الدلالات .

ولذلك تهيأ لهم منذ البدء، أنَّ العلاقة بين الدال والمدلول أنواع ثلاثة :

ـ علاقة المطابقة .

ـ علاقة التضمن.

ـ علاقة الالتزام.

---

(1) ـ الطبع : هي الجبلة التي خلق عليها الإنسان . الجرجاني التعريفات (طبع).

(2) ـ العلة : ما يؤثر في غيره ويقابل المعلول . وقد آثر الفلاسفة المسلمون لفظ (علة) واستعمل الغزالي والمتكلمون لفظ (سبب). ينظر المعجم الفلسفي ، ص 122. والمعلول: هو ما يحدث عن علة ويقابلها تمامًا، وهو أحد طرفي العلاقة بين العلة والمعلول (**Cause et effet**). ينظر المعجم الفلسفي ، ص 187.

وكان الغزالي (505هـ) قد عبر عن هذه العلاقات الدلالية بقوله: " الألفاظ تدل على المعاني من ثلاثة أوجه متباينة :

الوجه الأول: الدلالة من حيث المطابقة كالاسم الموضوع بإزاء الشيء، وذلك كدلالة لفظ الحائط على الحائط.

والآخر: أنَّ تكون بطريق التضمن، وذلك كدلالة لفظ البيت على الحائط، ودلالة الإنسان على الحيوان، وكذلك دلالة كل وصف أخص على الوصف الأعم الجوهري .

الثالث: الدلالة بطريق الالتزام والاستتباع، كدلالة لفظ السقف على الحائط، فإنَّه مستتبع له استتباع الرفيق الملازم الخارج عن ذاته، ودلالة الإنسان على قابل صفة الخياطة، وتعلمها".[1]

يحسن بنا أنْ نردف ما أورده الغزالي، ههنا، بما ذكره الماجري(668هـ)[2] في سياق تدارسه للعلاقات المنطقية في اللغة حيث قال: " اللفظ يدل بالمطابقة وبالتضمن وبالالتزام، ولا رابع لهذه الثلاثة ؛ فدلالة المطابقة: إرشاد اللفظ إلى فهم كمال مسماه، نحو إرشاد الإنسان على فهم الحياة والنطق وهما كمال مسماه. ودلالة التضمن: إرشاد اللفظ على فهم جزء مسماه كدلالة الإنسان على فهم الحياة وحدها أو على النطق وحده، ودلالة الالتزام: إرشاد اللفظ على فهم لازم مسماه الذهني، كدلالة الإنسان على الضحك. فالمطابقة لفظية، والتضمن والالتزام عقليتان".[3]

انطلاقًا من هذه التفريعات التي عمد إليها كل من الغزالي والماجري، يجوز لنا أنْ نقول: إنَّ هناك ثلاث علامات فرعية بالنظر إلى المدلول:

ـ علامة تطابقية: وهي تلك العلامة التي يطابق فيها الدال المدلول الذي وجد من أجله، ووضع بإزائه حسب أصل الوضع.

(1) ـ الغزالي ، معيار العلم ، ص 72 .

(2) ـ الماجري هو الحافظ أبو علي الحسن بن أبي الحسن علي بن حسون، وهو من المناطقة المسلمين . له أسهل الطرق إلى فهم المنطق.

(3) ـ ينظر، الماجري، أسهل الطرق إلى فهم المنطق ، تحقيق محمد بن شريفة مجلة المناظرة عدد2 السنة الأولى ديسمبر 1989 الرباط المغرب.

ـ علامة تضمنية: هي تلك العلامة التي تحصل دلالتها بوصفها جزءًا من المدلول الذي يطابقه الدال، فهي دلالة وضعية من جهة، وعقلية من جهة أخرى، فهي من ثمة بإشتراك الوضع والعقل معًا".[1]

ـ علامة تلازمية: هي تلك العلامة التي ينصرف فيها التأويل إلى اللازم الخارجي للمدلول الحاصل من العلامة اللسانية التطابقية.

غير أنَّ ما تجدر الإشارة إليه هنا هو أنَّ العلامات التلازمية لا حصر لها، فهي سلسلة من العلامات الخارجية القائمة على الاستتباع، وهو الأمر الذي جعل الغزالي (505هـ) يقترح إبعاد العلامات التلازمية من التعريفات المحكمة، باعتبار أنَّ التلازم غير منته، حيث يقول: " والمعتبر في التعريفات: دلالة المطابقة والتضمن، أمَّا دلالة الالتزام فلا، لأنها ما وضعها واضع اللغة بخلافهما، لأنَّ المدلول فيها غير محدود".[2]

يتناول الآمدي(631هـ) هذه الدلالات الثلاث من وجهة نظر أخرى، وهي التمييز بين الدلالة اللفظية وغير اللفظية. فاللفظية ـ في نظره ـ " إما أنْ تعتبر بالنسبة إلى كمال المعنى الموضوع له اللفظ، أو إلى بعضه، فالأول: دلالة المطابقة كدلالة لفظ الإنسان على معناه، والثاني: دلالة التضمن كدلالة لفظ الإنسان على ما في ما معناه من الحيوان أو الناطق، والمطابقة أعم من التضمن لجواز أن يكون المدلول بسيطًا لا جزء له".[3]

أما دلالة الالتزام فهي ـ في نظره ـ غير لفظية. وجاء ذلك في قوله: " أما غير اللفظية، فهي دلالة الالتزام، وهي أنْ يكون اللفظ له معنى، وذلك المعنى له لازم من خارج، فعند فهم مدلول اللفظ من اللفظ، ينتقل الذهن من مدلول اللفظ إلى لازمه، ولو قدر عدم هذا الانتقال الذهني لما كان ذلك اللازم مفهومًا، ودلالة الالتزام، وإنْ شاركت دلالة التضمن في افتقارهما الى نظر عقلي يعرف اللازم في الالتزام، والجزء في دلالة التضمن، غير أنَّه في التضمن لتعريف كون الجزء داخلاً في مدلول اللفظ، وفي الالتزام لتعريف كونه خارجًا عن مدلول اللفظ. لذلك كانت دلالة التضمن لفظية بخلاف دلالة الالتزام ".[4]

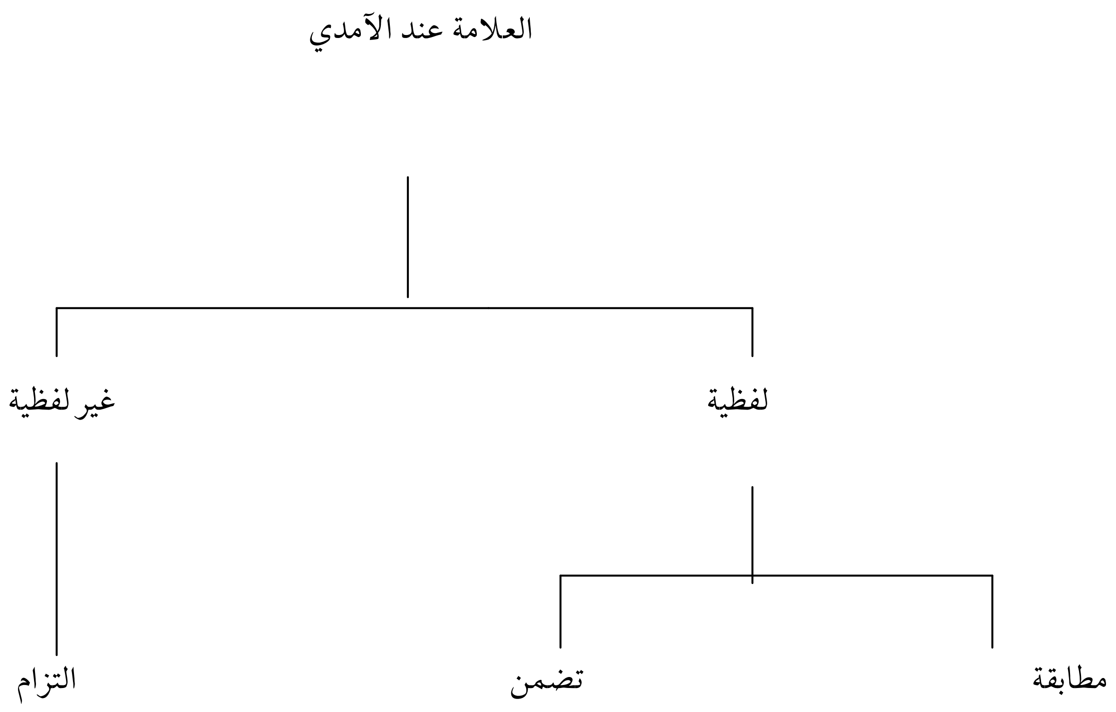
---

(1) ـ الحفني يوسف، حاشية على شرح إيساغوجي، ص 13.

(2) ـ الغزالي، معيار العلم، ص 72.

(3) ـ الآمدي، الإحكام في أصول الأحكام، 1/36.

(4) ـ المرجع نفسه، 1/ 36.



ومن ههنا ، فإنَّ كيان العلامة اللسانية قائم أساسًا على نوع العلاقة القائمة بين الدال والمدلول ، فعندما يدرك الإنسان هذه العلاقة ، يدرك لامحالة دلالة علامة معينة بالتفات الذهن إلى المدلول المقصود ، فقد يكون هذا المدلول :

ـ هو المفهوم الذي وضع اللفظ بإزائه حسب أصل الوضع.

ـ هو جزء من المفهوم الذي وضع اللفظ من أجله.

ـ هو لازمة خارجة عن المدلول الأساس.

يقول التحتاني (755هـ) في شأن هذه العلاقات الثلاث : " إنَّ ما يدل عليه اللفظ بطريق الوضع ، إما تمام المعنى الموضوع له ، أو جزؤه ، أو أمر خارج عنه". [1]

لقد انصرف جهد الدارسين الأقدمين إلى تعقب المجال الإدراكي للعلامة التلازمية ، وحرصًا منهم على الدقة في التحري والتقصي ، انبروا يبحثون عن المسوغات العقلية لضبط الدلالة التلازمية فهي ، حينئذ ، في نظرهم أربعة أصناف :

(1) ـ التحتاني قطب الدين الرازي ، لوامع الأسرار في شرح مطالع الأنوار ، ص 19.

الأول : أنْ يلزم وجود كل واحد من المتلازمين وجود الآخر، وذلك لانعكاسهما في الحمل، فهما يتلازمان في الدلالة اللفظية تلازمهما في الوجود.

الثاني: أنْ يكون المتقدم يلزم عن وجود المتأخر، و لا ينعكس، فلذلك يلزم في الدلالة لزومه في الوجود ، وذلك من طرف واحد مثاله لزوم النار عن وجود الدخان.

الثالث: لزوم المتأخر عن وجود المتقدم، ولا يلزم المتقدم عن وجود المتأخر، فيلزم أيضًا ـ بحسب ذلك ـ في الدلالة لزومه في الوجود، مثاله أنَّ النار يتبعها اللمعان والضوء، وليس يلزم عن وجود اللمعان والضوء وجود النار، لأنَّه قد يوجد لغير النار.

الرابع : تغطية القسمة: وهو أنْ لا يلزم عن وجود واحد منهما صاحبه، وهذا لا يلزم دلالة كما لا يلزم وجودًا، فلا تترتب فيه دلالة لفظية، كما لا يترتب فيه وجود لزومي.(1)

وقد جنح بعضهم إلى تصنيف آخر للزوم، فهو ينقسم إلى قسمين: لازم بيِّن، ولازم غير بيِّن " البين: ما يلزم فيه من تصور المتلازمين تصور اللزوم بينهما بأنْ لا يحتاج إلى دليل، وغير البين: ما لا يلزم فيه ذلك بأن يحتاج إلى دليل، والبين ينقسم إلى:

أ ـ ذهني: وهو ما يلزم فيه من تصور الملزوم تصور اللازم كالشجاعة للأسد.

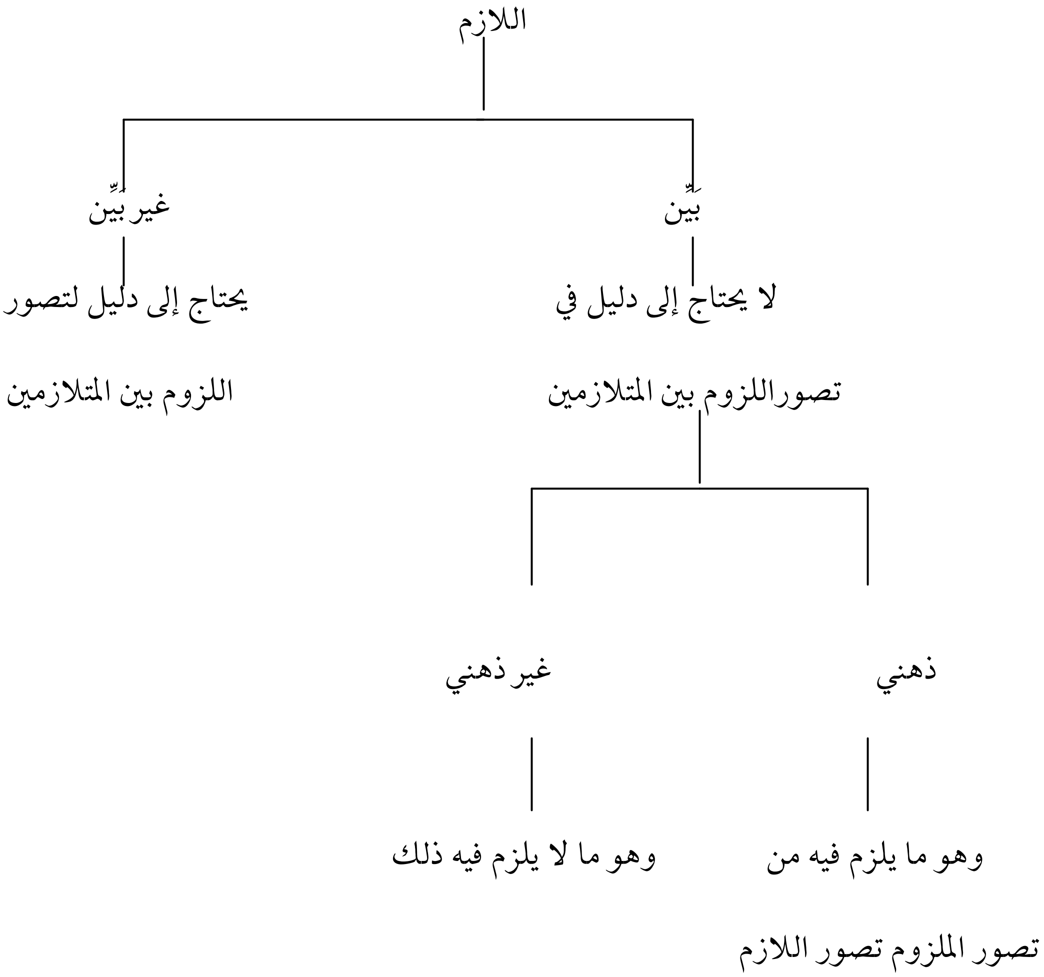
ب ـ غير ذهني: وهو ما لايلزم فيه ذلك، كمغايرة الإنسان للفرس، فإنَّه لا يلزم من تصور الإنسان تصور غيره فضلا عن كونه مغايرًا له.(2)

وقد يتوضح ذلك أكثر باستخدامنا الشكل الآتي :

---

(1) ـ ينظر السجلماسي ، المنزع البديع ، ص 214.

(2) ـ الملوي ، شرح السلم المنورق ، ص 55.



الدلالة التلازمية التي يعول عليها، هي الدلالة التي تتعلق بالتلازم الذهني، وما كان ذلك إلا لأنَّ التلازم الخارجي وحده لا يكفي.

يقول التحتاني (755هـ) :" لما كانت الدلالة الالتزامية دلالة اللفظ على ما خرج عن المعنى الموضوع له، ولا خفاء أنَّ اللفظ لا يدل على كل أمر خارج عنه، فلابد لدلالته من شرط هو اللزوم الذهني ؛[1] أي كون الأمر الخارجي لازمًا لمسمى اللفظ، حيث يلزم من تصور المسمى تصوره، فإنَّه لو لم يحقق هذا الشرط، لامتنع فهم الأمر الخارجي من اللفظ على المعنى بحسب الوضع من أحد أمرين: إمَّا لأنَّه موضوع بإزائه، أو لأجل أنَّه يلزم من فهم المعنى الموضوع له فهمه. واللفظ ليس بموضوع للأمر الخارجي، فلو لم يكن حيث يلزم من تصور المسمى تصوره، لم يكن الأمر الثاني أيضًا متحققًا، فلم يكن اللفظ دالاً عليه،

(1) ـ اللزوم الذهني : كونه حيث يلزم من تصور المسمى في الذهن تصوره فيه فيحقق الانتقال منه إليه . الجرجاني ، التعريفات (اللزوم الذهني) .

ولا اشترط اللزوم فيها اللزوم الخارجي، [1] وهو كون الأمر الخارجي حيث يلزم من تحقق المسمى في الذهن تحققه في الذهن، لأنَّه لو كان اللزوم الخارجي شرطًا لم تتحقق دلالة الالتزام دونه". [2]

إنَّ نظرة واحدة من الرائي المتأمل في هذا النص تهدي إلى أنَّه يتضمن الحقائق الآتية :

1 ـ الدلالة الالتزامية : هي دلالة اللفظ على ماخرج عن المعنى الذي وضع اللفظ له.

2 ـ من الأمور المسلم بها أنَّ اللفظ لا يدل على كل أمر خرج عنه.

3 ـ لكي تتحقق الدلالة التلازمية، لابد من شرط، وهو اللزوم الذهني.

4 ـ اللزوم الذهني هو كون الأمر الخارجي لازما لمسمى اللفظ، حيث يلزم من تصور المسمى تصوره.

5 ـ إذا لم يتحقق شرط اللزوم الذهني امتنع فهم الأمر الخارجي من اللفظ، فلم يكن دالاً عليه.

6 ـ مسوغ الشرط السابق يعود إلى أنَّ دلالة اللفظ على المعنى بحسب الوضع لأحد أمرين :

ـ إمَّا لأنَّه موضوع بإزائه.

ـ أو لأجل أنَّه يلزم من فهم المعنى الموضوع له فهمه.

7 ـ لم يوضع اللفظ للأمر الخارجي، فلولا لزوم تصور المعنى لما دل اللفظ عليه.

8 ـ ولا يشترط في الدلالة الالتزامية اللزوم الخارجي فحسب، وإنَّما اللزوم الذهني، أو الذهني الخارجي ..

يظهر لنا، حينئذ، أنَّ الدلالة في العلامة التلازمية هي دلالة حاصلة بين الدال ولازم المدلول الذي وضع الدال بإزائه حسب أصل الوضع، وتلك الدلالة لا تحصل إلا باللزوم الذهني، فهي دلالة عقلية، وليست وضعية، لأنَّ الدال لم يوضع لها مواضعة واصطلاحًا، وإنَّما هي لازمة من اللوازم التي يدركها العقل ليس إلا.

---

(1) ـ اللزوم الخارجي : كونه حيث يلزم من تحقق المسمى في الخارج تحققه فيه ، ولا يلزم من ذلك انتقال الذهن كوجود النهار وطلوع الشمس .

(2) ـ التحتاني ، قطب الدين الرازي ، القواعد المنطقية على شرح الرسالة الشمسية ، ص 15.

إنَّ أدنى تأمل في العلاقات الدلالية التي أومأنا إليها، يرشدنا إلى أنَّ دلالة التضمن والالتزام، تستلزم بالضرورة دلالة المطابقة، إذ إنَّ المجال الإدراكي الذي يتم فيه الانتقال من دلالة إلى أخرى، يقتضي بالضرورة وجود المواضعة من حيث هي بداية لوضع صلة تطابقية بين دال معين ومدلول معين لحصول فعل الدلالة، بيد أنَّ هذه الصلة ليست انغلاقًا أبديًا للمجال الدلالي، بل هي بداية لتوارد الدلالات التي قد تحصل من انتقال الذهن من دلالة إلى أخرى، ولا يتم هذا الانتقال إلا بوجود المطابقة التي قد تستحيل إلى علامة تضمنية في حال دلالة الدال على جزء مدلوله الذي وضع من أجله، وقد تستحيل أيضًا إلى علامة تلازمية في حال انصراف الدال في ذهن المتلقي إلى لازمة خارجية للمدلول الذي وضع الدال بإزائه.

يمكن لنا القول في نهاية المطاف: إنَّ التضمن والالتزام دلالتان تبعيتان؛ لأنَّهما يقتضيان وجود المطابقة أولاً، فيوجدان بوجودها، وينعدمان بانعدامها. أمَّا دلالة المطابقة، فهي في غنى عنهما، فهي، عندئذ، دلالة مستقلة.

ينتهي بنا مآل هذا التبحث، في محطة أخرى من محطات المسار المنهجي الذي اعتمدناه، إلى أنَّ أسلافنا اعتمدوا في تصنيهم العلامات مرجعية فلسفية ولسانية في الوقت نفسه، إذ إنَّهم بقدر حرصهم على نمطية العلامة، وجودًا وإمكانًا، حرصوا أيضًا على التفريع التصنيفي للعلامات بناء على تصورهم المنطقي[1] واللساني للدلالة، من حيث هي الوجود ذهنا بتوسيط الدال. وبالنظر إلى العلاقة التلازمية بين الدال والمدلول اهتدوا إلى التصنيفات التي تطرقنا إليها في مبحثها.

بيد أنَّ العلامات اللسانية، بأصنافها المختلفة، لا يتحقق وجودها الإبلاغي، ولا يكتمل مسارها الوظيفي والدلالي إلا داخل نظامها المألوف الذي يضفي عليها شرعية الوجود، من حيث هي وحدات ذات خصائص قارة وثابتة تستمد فاعليتها من بنية النسق اللساني نفسه .

---

(1)ـ المنطقي: نسبة إلى المنطق وهو علم يبحث في قوانين التفكير التي ترمي إلى تمييز الصواب من الخطأ، فيظهر البرهنة، ويقود إلى اليقين، فهو آلة قانونية تعصم مراعاتها الذهن من الخطأ في الفكر، سماه أرسطو التحليل **(Analotica)**، ثم أطلق عليه الاسكندر لفظ **(Logica)** وسماه الغزالي معيار العلم وعلم الميزان . والمنطق ضربان : صوري وهو الذي يبحث في الأحكام والبراهين من حيث صورتها بصرف النظر عن مادتها ، ويطلق عادة على منطق أرسطو أو على المنطق القياسي . ومنطق رمزي : يبحث في القواعد العامة والرموز الدالة ويسمى أيضًا المنطق الرياضي . ينظر المعجم الفلسفي ، ص 194

ثانيا: النظرية الدلالية الحديثة :

لقد ظلت الدراسة الدلالية إلى نهاية القرن التاسع عشر تعالج ضمن اهتمامات فكرية متشعبة ، فما انفكت كذلك إلى أنْ تحدد المنوال العلمي للبحث الدلالي حين تبلور المصطلح، وظهر في ساحة النشاط الفكري الإنساني على يد ميشال بريال [1](Michel Jules Alfred Bréal حين كتب سنة 1897 بحثًا تحت عنوان (*Essai de sémantique*) فيكون بريال، حينئذ، أول من استعمل مصطلح (*Sémantique*) بوصفه مبحثًا لسانيًا يقابل المبحث الفونولوجي والمبحث التركيبي.[2]

كانت البداية الجادة لعلم الدلالة بمفهومه المعاصر انطلاقًا من نتائج التحول المنهجي الذي أحدثه دي سوسير في مجال البحث اللساني بكل أبعاده ، ويظهر أثره في :

1ـ التمييز بين الدراسة التاريخية والدراسة الوصفية الآنية ، وهو الأمر الذي لفت نظر الباحثين في علم الدلالة إلى أهمية المنهج الآني في التعامل مع البنية الدلالية للنظام اللساني.
2ـ جَعْلُ اللسان نسقًا متكاملاً أو مجموعة مؤلفة من عدة أنظمة متشابكة، نشأ عن هذا التصور ظهور مدارس بنيوية مختلفة في أوروبا وأمريكا ، مما كان له أثر كبير في الدراسة الدلالية .[3]

أضحت المقاربة العلمية للدلالة في ضوء النظرية اللسانية الحديثة تختلف عن المنوال الدلالي في مرحلة ما قبل اللسانيات من عدة نواح أهمها :
1ـ تطبيق المنهج الوصفي الآني ، والابتعاد تدريجيًا عن المنهج التاريخي.
2ـ الاهتمام بالبنية الدلالية العميقة للتركيب.
3ـ تأكيد دور السياق في إبراز العلاقات الدلالية الانتقائية في الخطاب اللساني.

---

(1) ـ ميشال بريال Michel Jules Alfred Bréal (1832–1915): لساني فرنسي مؤسس علم الدلالة الحديث ، إذ ظهر مصطلح (Sémantique) على يده في كتابه Essai de sémantique سنة 1897.

(2) ـ ينظر فايز الداية ، علم الدلالة العربي ، ص 6.

(3) ـ نايف خرما، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، ص 316.

وبهذا التحول المنهجي أخذ علم الدلالة مساره الطبيعي، فأصبح حينئذ يحتل حيزًا رحبًا ضمن اهتمامات الفكر اللساني بوصفه علمًا قائمًا بذاته يتناول جانبًا هامًا من جوانب اللغة الإنسانية .

لكن على الرغم من ذلك اصطدمت الدراسة الدلالية في بداية أمرها بعوائق حالت دون تحقيق الأهداف المتوخاة في هذا المجال، وأعظم هذه العوائق شأنا في تعثر الدراسة الدلالية يرجع إلى طبيعة المعنى في ذاته الذي لم يكن من اليسير حصره في مجال معين، وضبطه ضبطًا مانعًا للبس والتشعب الذي يلاحظ في طريقة التفسير، ويعود ذلك إلى الصور المختلفة التي يظهر فيها ، ومنها :

1. مدلول المداخل المعجمية بمعزل عن السياق.
2. مدلول المداخل المعجمية في إطار السياق اللساني.
3. مدلول المداخل المعجمية من خلال البنية التركيبية.
4. أثر الجوانب الثقافية والحضارية في التفسير الدلالي.[1]

وهو الأمر الذي جعل الباحثين اللسانيين إلى عهد قريب يتجنبون الولوج في موالج البنية الدلالية في وصفهم النسق اللساني، وتحليله معولين في ذلك كله على الجانب الظاهر الملحوظ دون سواه، وهو المنهج الذي كان مألوفًا لدى اللسانيين التوزيعيين.

لقد أخذ التفسير الدلالي للعناصر اللسانية ـ في ظل التحول المنهجي للنظرية اللسانية بكل أبعادها ـ مسارات تختلف باختلاف الاتجاهات اللسانية، مما أثرى الدراسة الدلالية بزخم كثيف من النظريات المتباينة طورًا، والمتقاربة طورًا آخر.

ويكون حريًا بنا ههنا أنْ نشير باقتضاب شديد إلى أهمها :

1. النظرية السلوكية :

يرتكز التفسير السلوكي للظاهرة اللغوية على المعطيات العلمية للسلوكية **Béhaviorisme** وهي نظرية من نظريات علم النفس، شاعت في النصف الأول من القرن العشرين، وتوغلت في كل الميادين العلمية آنذاك، حتى أوشكت أنْ تكون المنهج الفريد المعتمد في تقصي مظاهر النشاط الإنساني، فإذا هي تقتحم الميدان اللساني، فتضفي عليه طابعها الخاص، فأمست الأشكال اللغوية حينئذ تحلل كما هي ملحوظة في

(1) ـ نايف خرما، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة ، ص 317.

الواقع اللغوي دون أي اعتبار للبنية الضمنية المتوارية خلف البنية الظاهرة؛ [1] لأنَّ العملية التواصلية من وجهة نظر النظرية السلوكية، لاتعدو أنْ تكون آلية تقوم على مفهوم المثير والاستجابة.

تطورت النظرية السلوكية، وأخذت مسارها الطبيعي في الوصف اللساني على يد اللساني الأمريكي بلومفيلد Leonard Bloomfield [2] الذي كان جادًا في تطبيقها ومتهيئًا لنتائجها وانعكاساتها على وصف بنية النسق اللساني وتفسيرها تفسيرًا آليًا.

ترتكز هذه النظرية في جوهرها على بعض الأسس العلمية منها :

1. عدم الاهتمام بالجوانب الذهنية مثل: العقل، والتصور، والفكرة، ودحض كل تحليل نفسي يعول على الاستبطان، وإبراز ما يمكن ملاحظته ملاحظة مباشرة بالاعتماد على السلوك الظاهر دون سواه. وعندما يطبق هذا المنهج على الظاهرة اللغوية ينصب التحليل على الأشكال اللغوية الظاهرة، والمواقف المباشرة التي أدت إلى إنتاجها في الواقع اللغوي. لذلك أطلق بعضهم على اللغة مصطلح السلوك النطقي، أو السلوك اللغوي.

2. التقليص من دور الدوافع والقدرات الفطرية في الظواهر السلوكية، وإعطاء أهمية قصوى لعملية التعليم في اكتساب النماذج السلوكية.

3. التواصل اللغوي في نظر السلوكيين لايعدو أنْ يكون نوعًا من الاستجابات Réponses لمثيرات ما Stimulus تقدمها البيئة أو المحيط L'environnement.

ما انتهى إليه بلومفيلد من إسقاطات سلوكية على الظاهرة اللغوية إنَّما بناه على تلك الأسس المشار إليها سالفًا فكانت حصيلة ذلك كله أنْ أقر مبدئيًا بأنّ الجوانب الدلالية للعناصر اللسانية لاتعدو أنْ تكون الموقف الذي يقوم فيه المتكلم – المستمع المثالي للغته بالإنتاج الفعلي للكلام، ورد الفعل أو الاستجابة التي يتطلبها ذلك من المستمع.[3]

---

1 - Voir ; Jean Dubois et autres , Dictionnaire de linguistique .p63.

(2) - Leonard Bloomfield (1887 ـ 1949): لساني أمريكي ينسب إليه الاتجاه اللساني البنيوي في أمريكا، طبق المرجعية السلوكية في علم النفس على الوصف اللغوي.

(3) ـ ينظر ميشال زكريا. مباحث في النظرية الألسنية وتعليم اللغات، ص 144 ، وما بعدها.

إنَّ المتكلم ـ في نظر الاتجاه السلوكي ـ حين أدائه الفعلي للكلام يكون قد قام باستجابات نطقية لمثيرات ما تخضع خضوعًا مطلقًا لحافز البيئة، دون أنْ ترتبط هذه الاستجابات بأدنى قدر من التفكير؛ "لأنَّ الاستجابة الكلامية مرتبطة بصورة مباشرة بالحافز، ولاتتطلب تدخل الأفكار"؛[1] وذلك لأنَّ اللغة في نظر السلوكيين لاتعدو أنْ تكون "عادات صوتية يكفيها حافز البيئة".[2]

ترتكز المعطيات العلمية للتفسير السلوكي – كما هو معلوم – على التجارب المخبرية التي أجريت على الحيوانات، والنتائج المحصل عليها في هذا المجال جعلت السلوكيين يعممونها على المظاهر السلوكية لدى الإنسان، فتبدو اللغة – وفق هذا المنظور – سلسلة من الاستجابات المتتالية.[3]

ويمكن لنا القول: إنَّ التفسير السلوكي للدلالة اللسانية، قد يكون ناجعًا إلى حد ما في تفسير بعض الكلمات ذات الإحالات المحسوسة التي يمكن لنا معايشتها في الواقع اللغوي بناء على مظاهرها الفيزيائية المميزة، لكن على الرغم من ذلك سيظل هذا التحليل محدودًا، لأنَّه لا ينطبق على الجانب الأعظم من الكلمات اللغوية، ربما تلك هي المعضلة التي جعلت بلومفيلد يقلل من شأن التحليل الدلالي، ويستبعده مؤقتًا من منهجه الوصفي، على أساس أنَّ أي تفسير علمي دقيق لمدلولات الأشكال اللسانية، يتطلب معرفة علمية بعالم المتكلم، ولكن مستوى المعرفة حاليًا لايسمح بتحقيق ذلك.[4] وهو الأمر الذي جعل تلامذته فيما بعد يتخلون عن التحليل الدلالي في وصفهم النسق اللساني، لا لعدم أهميته – كما يبدو من ظاهر المنهج الوصفي – بل لعدم توافر نظرية دلالية متكاملة قادرة علميًا على أقل تقدير أنْ تفي بمتطلبات الدال والمدلول على حد سواء.

نخلص بعد هذه الإطافة السريعة إلى أنَّ الاتجاه اللساني الذي يتبنى النظرية السلوكية في التحليل الدلالي، لم يسهم في تطوير الدراسة الدلالية، بسبب تلك النظرة الآلية إلى المعنى.

2. النظرية السياقية:

---

(1) ـ ميشال زكريا، الألسنية (علم اللغة الحديث). مبادئها وأعلامها، ص 73.

(2) ـ المرجع نفسه، ص 73.

(3) ـ المرجع نفسه، ص 73.

4 - Voir ; Jean Dubois et autres , Dictionnaire de linguistique ,P 37.

إنَّ أقل الناس معرفة بما تحقق في رحاب الدراسة الدلالية ليدرك أنَّ اعتماد السياق في استجلاء دلالة العناصر اللسانية، قد أولع به اللسانيون إيلاعًا شديدًا، إذ أمسى الأساس المعول عليه لدى عصبة غير قليلة من الباحثين الدلاليين، غير أنَّ الذي اهتم اهتمامًا كبيرًا بالسياق في الثقافة اللسانية المعاصرة هو الباحث الإنجليزي فيرث(Firth) الذي ارتبط اسمه بهذه النظرية، فهو يرى أنَّ الميزة الجوهرية التي تتميز بها اللغة الإنسانية هي وظيفتها الاجتماعية، وأنَّ إنتاج الملفوظات اللسانية يتم في إطار سياق الموقف الاجتماعي والثقافي، وبذلك يبرز المتكلم – المستمع للغته دوره وشخصيته في البيئة اللسانية المتجانسة.[1]

يعد المعنى في نظر فيرث مجموعة مركبة من العلاقات السياقية، وعلى الدراسة الفونولوجية والتركيبية والمعجمية والدلالية أنْ تعالج مكونات هذه المجموعة في إطار سياقها، فالدراسة الدلالية حسب مفهومه ينبغي لها أنْ تربط الملفوظات اللسانية بسياقها الموقفي الذي تنتج فيه بالفعل، ولذلك فإنَّ عملية التحليل الدلالي تتم وفق سياقية منسقة من الأحداث، بتداخل سياقات مختلفة، تنتمي في مجموعها إلى سياق عام، ينعت بالسياق الثقافي، وهو الإطار العام الذي يحتوي المواقف اللسانية.[2]

إنَّ إبراز أهمية السياق الثقافي، ههنا، ترتد إلى أنَّ فيرث كان شغوفًا بالفكرة التي كانت سائدة في الأوساط اللسانية والأنثربولوجية التي تقر بوجود علاقة أساسية بين النسق اللساني، وثقافة المجتمع المستعمل لذلك النسق، وبذلك أصبحت الملفوظات اللسانية عسيرة التفسير إلا بردها إلى سياقها الثقافي.

يتبين مما ذكر أنَّ التفسير الدلالي في ظل النظرية السياقية ينبنى مبدئيًا على حصر السياقات المختلفة التي يظهر فيها عادة العنصر اللساني، بوصفه مدخلا معجميًا غير ثابت يتغير بتغير المواقف والسياقات المختلفة التي يرد فيها، سواء أكانت هذه السياقات لسانية، أم غير لسانية.

لقد صنفت السياقات في رحاب هذه النظرية تصنيفات متنوعة منها:

أ ـ السياق اللساني:

---

1 -John Lyons. Sémantique linguistique.P233.

2 .Ibid, p235.

السياق اللساني هو الحوالية، أو المحيط الدلالي الذي يحدد مدلول العناصر اللسانية، فيختلف المدلول باختلاف السياقات التي يرد فيها.[1] ويمكن لنا أنْ نمثل لذلك بالمدخل المعجمي (ضرب) الذي يختلف مدلوله من سياق لساني إلى آخر، كما يظهر ذلك في قوله تعالى: ﴿ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ﴾ [2]

فمدلول المدخل المعجمي (ضرب) في الآية المذكورة هو الإصابة ؛ أي إصابة الحج.

وقوله تعالى:

﴿ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ كَانُوا۟ لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾[3]

فـ (ضربتم) ، ههنا، في هذا السايق بمعنى سافرتم.[4]

وقوله تعالى: ﴿ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴾ [5]

فالمدخل المعجمي في هذا السياق بمعنى (أنمناهم) [6]

وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴾ [7]

بمعنى: اجعل لهم طريقًا في البحر.

ويقولون في البيئة اللسانية العربية:

- ضربت الطير: أي ذهبت تبتغي الرزق.
- ضرب الدرهم: بمعنى سبكه وطبعه.

---

(1) - ينظر أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص 69.

(2) - البقرة، آية 60.

(3) النساء، آية101.

(4) - السيوطي، تفسير الجلالين .

(5) - الكهف،آية 11.

(6) - السيوطي، تفسير الجلالين.

(7) - طه، آية 77.

- ضرب الجزية عليهم : أي أوجبها.

ويقولون في الإسراع إلى السير أيضًا (ضرب)، وهو المدلول الذي ورد في الملفوظ الشعري :

فإنَّ الذي كنْتُم تحذرونَ أَتَتْنا عيونٌ به تَضْرِبُ [1]

والضرب بمعنى الصقيع، فيقال للذي أصابه الضرب (مضروب) كما جاء في قول الشاعر :

ذ ومضروبٍ يَئِنُّ بغيرِضَرْبٍ يُطَاوِحُهُ الطِّرافُ إلى الطِّراف [2]

ويقال للرجل ذي الجسم الخفيف (ضرب) ومنه قول طرفة :

أنا الرجل الضَّرْبُ الذي تعرفونه خَشاشٌ كرأس الحيّة المتوقِّدِ [3]

يستخلص من كل ذلك أنَّ المدخل المعجمي المتمثل في البنية المورفولوجية (ضرب) في اللسان العربي يختلف مدلوله من سياق لساني إلى آخر، وقد ينطبق هذا التحول على أغلب المداخل المعجمية التي تكوِّن الرصيد المعجمي العربي.

ب ـ السياق العاطفي أو الانفعالي:

يختلف هذا السياق عن السياقات الأخرى في كونه يرتبط بدرجة قوة الانفعال المصاحبة للأداء الفعلي للكلام، من حيث ما يقتضيه الكلام من تأكيد أو مبالغة أو اعتدال. [4] يقول ستيفن أولمان : "السياق وحده هو الذي يوضح لنا ما إذا كانت الكلمة ينبغي أن تؤخذ على أنَّها تعبير موضوعي صرف، أو أنَّها قصد بها أساسًا التعبير عن المواقف العاطفية والانفعالات، ويتضح هذا بخاصة في مجموعة معينة من الكلمات المستعملة في الحياة اليومية العادية قد تكتسب نغمة عاطفيه قوية وغير متوقعة في المواقف الانفعالية. [5]

ويمثل ستيفن أولمان لذلك بكلمة (جدار) في هذه القطعة من حلم ليلة في منتصف الصيف.

وأنت أيَّها الجدار. أيَّها الجدار الحلو الجميل.

أنت الذي تحول بين بيت أبيها وبيني.

---

(1) ـ ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة ، مادة (ضرب).

(2) ـ الزوزني ، شرح المعلقات السبع ، ص 87.

(3) ـ ابن فارس ، المرجع المذكور سابقًا ، مادة (ضرب).

(4) ـ ينظر أحمد مختار عمر ، المرجع المذكور سابقًا ، ص 70.

(5) ـ ينظر ستيفن أولمان ، دور الكلمة في اللغة ، ص 62.

أنت أيُّها الجدار أيُّها الجدار الحلو الجميل.
ألا تتصدع من أجلي فألمحها بعيني؟
شكرًا لك أيها الجدار المهذب، رعاك الله من أجل هذا المنع.
لا. أنت أيُّها الجدار اللئيم الذي لا أرى من خلاله رحمة.
لعنة الله على كل حجر فيك لقد خدعتني. [1]

نلفي هذه الصورة أيضًا واردة عند امرئ القيس:

وَلَيْلٍ كَمَوْجِ البَحْرِ أَرْخَى سُدُوْلَهُ

عَلَيّ بِأَنْوَاعِ الهُمُوْمِ لِيَبْتَلِي

فَقُلْتُ لَهُ لَمّا تَمَطَّى بِصُلْبِهِ

وأَرْدَفَ أَعْجَازاً وَنَاءَ بِكَلْكَلِ

أَلاَ أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيْلُ أَلاَ انْجَلِي

بِصُبْحٍ، وَمَا الإِصْبَاحُ مِنِكَ بِأَمْثَلِ

ومن هنا فإنَّ الألفاظ الدالة على الانفعالات المختلفة تتفاوت من حيث درجة الانفعال وفق السياقات العاطفية التي تتواتر فيها عادة، ومن ذلك التفاوت الدلالي بين (الغضب) و(السخط)، على الرغم من انتمائهما إلى مجال دلالي مشترك، إلا أنَّهما يختلفان من حيث التواتر السياقي بدرجة الانفعال المقيدة لكل منهما. فالغضب كما يقول أبو هلال العسكري: "من الصغير إلى الكبير، ومن الكبير إلى الصغير، والسخط لايكون إلا من الكبير على الصغير، يقال: سخط الأمير على الحاجب، ولايقال: يسخط الحاجب على الأمير". [2]

---

(1) ـ ينظر ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللغة، ص 62، 63.
(2) ـ أبو هلال العسكري، الفروق في اللغة، ص 123.

كما أنَّ هناك أيضًا تفاوتًا دلاليًا من حيث درجة الانفعال بين الغضب، والغيظ. يقول أبو هلال في هذا الشأن: "إنَّ الإنسان يجوز أنْ يغتاظ من نفسه، ولايجوز أنْ يغضب عليها، وذلك أنْ الغضب إرادة الضرر لمغضوب عليه، ولايجوز أنْ يريد الإنسان الضرر لنفسه، والغيظ يقرب من باب الغم ".[1]

ج ـ السياق الموقفي:

يُطلق مصطلح السياق الموقفي في رحاب النظرية الدلالية السياقية على الإطار الخارجي الذي يحيط بالإنتاج الفعلي للكلام في المجتمع اللغوي؛ أي الحيز الاجتماعي الذي ينتج فيه لفظ ما. ويمكن لنا أنْ نمثل لذلك بلفظ "عملية" الذي يتغير مدلوله في النسق اللساني العربي بتغير السياق الموقفي الذي يرد فيه، فإجراء العملية في سياق موقفي تعليمي، يعني إجراء عملية حسابية مألوفة من ضرب أو جمع أو طرح، وفي السياق الطبي يعني إجراء عملية جراحية لاستئصال ورم أو غيره، أمَّا إجراؤها في السياق الموقفي العسكري فيعني تنفيذ خطة عسكرية معينة.

وكان اللغويون العرب الأقدمون قد أشاروا إلى أهمية سياق الموقف أو الحال في إيضاح الألفاظ الدالة المتواضع عليها في المجتمع اللغوي وتأثيلها، وفي هذا السمت نلفي ابن جني (392هـ) – حين تعرضه لأسباب التسمية – يقول: " (...) يكون الأول الحاضر شاهد الحال، فعرف السبب الذي له ومن أجله وقعت عليه التسمية، والآخر لبعده عن الحال لم يعرف سبب التسمية" [2].

يشير ابن جني، ههنا إلى أهمية سياق الحال في تحديد المدلولات المتعلقة بالمداخل المعجمية، بوصفها ألفاظًا دالة متواضعًا عليها في البيئة اللغوية المتجانسة، ثم يستطرد موضحًا ذلك بقوله: " ألا ترى إلى قولهم للإنسان إذا رفع صوته قد رفع عقيرته، فلو ذهبت تشتق هذا بأنْ تجمع بين معنى الصوت، وبين معنى (ع ق ر) لبعد عنك وتعسفت، وأصله أنَّ رجلا قُطِعَتْ إحدى رجليه، فرفعها ووضعها على الأخرى، ثم صرخ بأرفع صوته، فقال الناس رفع عقيرته ".[3]

---

(1) ـ أبو هلال العسكري، الفروق في اللغة ، ص 123.

(2) ـ ابن جني الخصائص، ص 166.

(3) ـ المرجع نفسه ، ص 166.

نلفي ابن جني في هذا المقام يستحضر سياقًا موقفيًا تم فيه توليد دلالي للفظ مألوف في البيئة اللغوية العربية بتوسيع حقله الدلالي، لأنَّ المعنى المعجمي للأصل الثلاثي"ع. ق. ر" هو الجرح، يقول الخليل "العقر كالجرح، يقال عقرت الفرس، أي كسعت قوائمه بالسيف، وفرس عقير، ومعقور، وخيل عقرى".(1)

وإذا نظرنا في العلاقة الدلالية بين "الصوت" و"العقيرة" نلاحظ أنَّ هناك تحولاً قد طرأ على مدلول لفظ "عقيرة"، وذلك بتوسيع مجاله الدلالي ليشمل المجال الدلالي للفظ (الصوت)، وقد تم هذا التحول في رحاب سياق موقفي معين بالتناسب بين الحدث والصوت المصاحب له.

وقد كان أومأ إلى هذا التناسب ابن فارس (395هـ) حين قال: "أمَّا قولهم رفع عقيرته إذا تغنى، أو قرأ، فهذا أيضًا من باب المجاورة، ولذلك فيما يقال رجل قُطِعَتْ إحدى رجليه فرفعها ووضعها على الأخرى، وصرخ بأعلى صوته، ثم قيل لكل من رفع صوته. والعقيرة هي الرِّجْلُ المعقورة ، ولَّما كان الصوت عندها سمي الصوت بها".(2)

د ـ السياق الثقافي:

يدل مصطلح السياق الثقافي في ظل النظرية الدلالية السياقية على المحيط الثقافي بمفهومه الواسع في المجتمع اللغوي، حيث يختلف المفهوم الذهني للمداخل المعجمية باختلاف السياقات الثقافية.(3)

ويمكن لنا أنْ نُمَثِّلَ لذلك في النسق اللساني العربي بالمدخل المعجمي "كفر" الذي يتغير مدلوله من سياق ثقافي إلى آخر، ففي المحيط الثقافي للبيئة الزراعية يعني المزارع الذي يفلح الأرض، وقد أومأ إلى ذلك ابن فارس بقوله: "ويقال: للمزارع "كافر"، لأنَّه يغطي الحَبَّ بتراب الأرض".(4) والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا﴾ (5)

---

(1) ـ ابن فارس، المرجع المذكور سابقًا، مادة (عقر).

(2) ـ المرجع نفسه (عقر).

(3) ـ ينظر أحمد مختار عمر ، المرجع المذكور سابقًا ، ص 71.

(4) ـ ابن فارس ، المرجع المذكور سابقًا ، (عقر).

(5) ـ الحديد ، آية 20.

أما في المحيط الثقافي الديني فيعني الجاحد لوحدانية الله، وهذا المدلول الأخير نلفيه في قوله تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةُ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ﴾ (1)

لقد مررنا عَرَضًا على الأمثلة السابقة، وهدفنا من إبرازها هو أنْ نقدم الدليل على أهمية عملية تسييق المداخل المعجمية لتحديد مدلولاتها، فلنجتزئ، إذن، بما أسلفنا ذكره ههنا، إذ ليس من شأننا التوسع في هذه النظرية، بل حسبنا الإيماءة إلى دور السياق في إيضاح دلالة الألفاظ اللغوية بوصفها مداخل معجمية تتواتر في سياقات مختلفة، وقد تزداد أهمية الفرضية السياقية حينما نلاحظ أنَّ التحول الدلالي للألفاظ يخضع خضوعًا ملحوظًا إلى ما يضفيه السياق عليها من دلالات، قد تبعدها عن معناها التأثيلي (معناها الأصلي)، إلا أنَّ ما هو جدير بأنَّ يشار إليه ههنا هو أنَّ الفرضية السياقية قد تجازف حتما حينما تعول على السياق دون سواه في التحليل الدلالي، وذلك لأن السياقات المختلفة يستحيل على الباحث حصرها وضبطها على نحو لايبقي ولايذر.

3. نظرية الحقول الدلالية:

يكون حريا بنا، في هذا السبيل الذي نحن بشأنه، أنْ نعرج صوب تحول منهجي آخر في مسار الدراسة الدلالية، وهو التحول الذي يهدف إلى تصنيف المداخل المعجمية في أنساق بنيوية وفق علاقات دلالية مشتركة، حيث تبلورت في ظل هذه المقاربة المنهجية نظرية تنبنى على علاقات لسانية مشتركة، يمكن لها أنْ تكوِّن بنية من بنى النسق اللساني. (2) كحقل الألوان، وحقل القرابة العائلية، وحقل مفهوم الزمان، وحقل مفهوم المكان، إلى غير ذلك من الحقول التي يعسر على الدارس حصرها في هذا المقام.

إنَّ نظرة واحدة إلى واقع النظرية اللسانية المعاصرة تهدي إلى أنَّ فكرة الحقول الدلالية لم تتبلور وتأخذ مسارها الطبيعي، في رحاب الدراسة الدلالية، إلا في الأعوام العشرين أو الثلاثين من القرن العشرين. (3) ويعود الفضل في ذلك إلى دي سوسير الذي كان قد وضع اللبنة التأسيسية الأولى لهذا التوجه، حينما أومأ

---

(1) ـ البقرة، آية 161.

2 - Georges Mounin, Clefs pour la linguistique.P160 .

(3) ـ أحمد مختار عمر ، المرجع المذكور سابقًا ، ص 82.

مسبقًا إلى وجود علاقات دلالية بين الألفاظ بإمكانها أنْ تصنف النسق اللساني إلى مجموعة من الأنساق، يختلف بعضها عن بعض، وهو ما يسميه بالعلاقات الترتيبية Rapports associatifs.[1]

غير أنَّ هذا لايعني أنَّنا نقلل من جهود اللغويين العرب الأقدمين، في محاولة الاضطلاع بدراسة معجمية، تعول على الحقول الدلالية، حين تصنيفهم المداخل المعجمية التي تكون الرصيد المعجمي للسان العربي، فقد تنبه نفر غير قليل من أسلافنا إلى أهمية هذا المبحث، فأدَّى بهم ذلك إلى وضع معاجم حقلية، وهو ما أضحى يسمى عندهم بمعاجم الموضوعات، تلك المعاجم التي تزخر برصيد ثري من الحقول الدلالية التي فيها من الدقة ما لاينكر ولا يرد.

ساق هؤلاء اللغويون الأقدمون جمًا من الحقول الدلالية المستنبطة من البيئة اللغوية على شكل معاجم خاصة، تغطي مجالات مختلفة. منها:

1. خلق الإنسان : كتب في هذا الحقل :

- النضر بن شميل (204هـ).
- قطرب (206هـ).
- أبو عبيدة (210هـ).
- أبو زيد (215هـ).
- أبو حاتم السجستاني (255هـ)[2].

2. الخيل : كتب في هذا الحقل :

- أبو عبيدة.
- الأصمعي.

3. الحشرات : كتب في هذا الحقل :

- أبو عبيدة (كتاب الحيات والعقارب).
- الأصمعي (كتاب النحل والعسل).
- أحمد بن حاتم (231هـ)(كتاب الجراد).
- أبوحاتم السجستاني (كتاب الحشرات والجراد والنحل والعسل)[3].

1- Ferdinand de Saussure, Cours de linguistique générale. P 173

(2) ـ ابن النديم ، الفهرست ، ص 72.

(3) ـ عبد الحميد الشلقاني، رواية اللغة، ص 123.

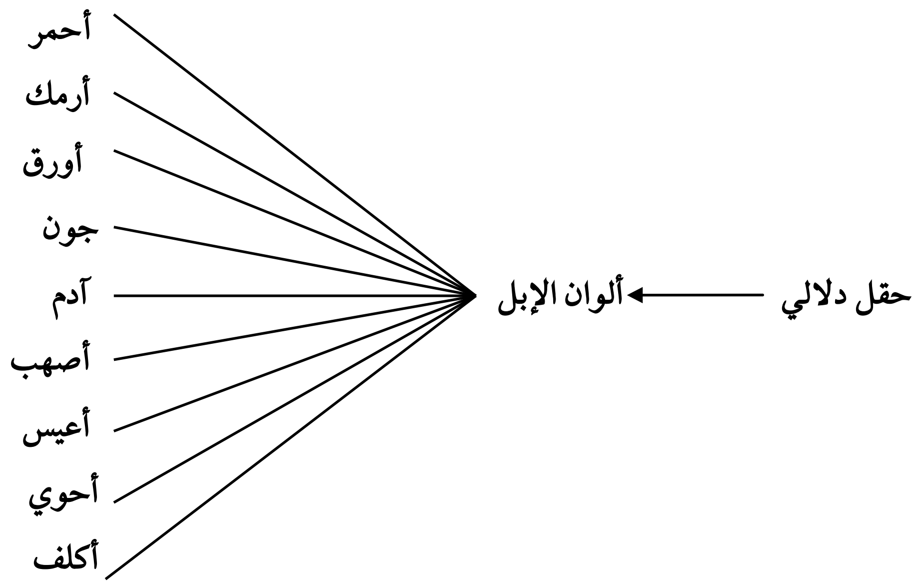
4. النبات: أول من عني بالتدوين اللغوي في مجال النبات: النضر بن شميل الذي خص الزرع، والكرم، والبقول، والأشجار، والرياح ، والسحاب، والأمطار بالجزء الخامس من مجموعته اللغوية الموسومة بـ(الصفات).[1]

وكان الثعالبي (430هـ) من الذين أولعوا إيلاعًا شديدًا بهذا النوع من التصنيف في الموروث اللساني العربي في كتابه: فقه اللغة. وكذلك وابن سيده (458هـ) في كتابه: المخصص. أفرد هذان اللغويان قسمًا كبيرًا من كتابيهما المذكورين إلى حقول مختلفة، نجتزئ بذكر نموذج منها، ورد في كتاب فقه اللغة للثعالبي.

يقول الثعالبي في الحقل الدلالي الذي أفرده لألوان الإبل :

"إذا لم يخالط حمرة البعير شيء فهو أحمر، فإنْ خالطها السواد فهو أرمك، فإنْ كان أسود يخالط سواده بياض كدخان الرمث فهو أورق، فإنْ اشتد سواده فهو جون، فإنْ كان أبيض فهو آدم ، فإنْ خالطت بياضه حمرة فهو أصهب، فإنْ خالطت بياضه شقرة فهو أعيس، فإن خالطت حمرته صفرة وسواد فهو أحوى، فإنْ كان أحمر يخالط حمرته سواد فهو أكلف".[2]

يتبدى مما أومأ إليه الثعالبي في حقل ألوان الإبل، أنَّ هناك حقلين دلاليين يتضمن أحدهما الآخر، أولهما يعد حقلاً رئيسًا، وهو حقل الألوان المطلقة كالبياض والسواد ونحوهما، والآخر يعد حقلاً فرعيًا؛ لأنَّه مقيد بألوان الإبل دون سواها، ولإيضاح ذلك أكثر نعتمد الشكل الآتي:



(1) ـ ابن النديم ، المرجع المذكور سابقًا، ص 53.

(2) ـ الثعالبي، فقه اللغة، ص 54.

تتمثل المعضلة التي تواجه الباحث اللساني، حينما يعمد إلى تبني منوال الحقول الدلالية في كيفية تحديد الحقول التي تكون النسق اللساني، وكيفية حصر الوحدات الأساسية التي تكون الحقل المراد دراسته ، وهو الأمر الذي جعل طريقة التناول تختلف من باحث لساني إلى آخر، وإذا ما تأملنا ملياً محاولات الدارسين اللسانيين في رحاب التحليل الدلالي الذي يعتمد تصنيف الحقول الدلالية نلفيها لاتتجاوز المجال الإجرائي الآتي:

أولاً: تحديد الحقل :

قد تدلنا تظرة سريعة في جهود الباحثين اللسانيين في حصر الحقول الدلالية للأنظمة اللسانية المختلفة إلى أنَّ تحديد المفهوم التصوري للحقل المراد دراسته يقوم على تصور ذاتي اعتباطي ؛ أي أنَّ تصور الحقول الدلالية التي تكوِّن نسقًا لسانيًا ما، يختلف من باحث إلى آخر، وما ذلك إلا لأنَّ تحديد الحقل يخضع خضوعًا إلزاميًا لذاتية الباحث نفسه دون تدخل أي عامل موضوعي أو لساني بحت، قد نلفي ذلك واضحًا في تصنيف بعض الحقول الشائعة في الدراسة اللسانية، مثل:

1ـ السكن، والحيوانات الأليفة، والألوان في اللغة الرومانية Angela Bidu-Vranceanu

2ـ السكن، والحيوانات الأليفة Georges Mounin [1]

يلاحظ، إذن من خلال هذه الحقول أنَّ تحديد الحقل يقوم أساسًا على انتقاء مفهوم تصوري عام بكيفية اعتباطية، وذلك باعتماد معطيات علمية خارجة في أغلب الأحيان عن المجال اللساني المحض، ثم يخضع المفهوم التصوري المنتقى للإجراءات التجريبية المختلفة قصد تحديد الوحدات الأساسية التي تكون بنية الحقل المراد دراسته.[2]

ثانيا: تحديد الوحدات:

1 ـ لساني فرنسي (1910-1993).

2 - Claude Germain, La sémantique fonctionnelle. p 80.

تختلف المقاييس المعتمدة في تحديد المداخل المعجمية التي تغطي المجال الدلالي لحقل ما من باحث إلى آخر، بيد أنَّه على الرغم من ذلك يمكن لنا في ضوء ما تم تحقيقه في مجال الإجراءات التجريبية أنْ نشير إلى أنَّ هناك سبيلين لاستجلاء نسق بنية الحقل الدلالي، سبيلا يعتمد على الحدس الذاتي للباحث، وسبيلاً آخر ينحو نحو البحث عن مقاييس موضوعية، سواء أكانت تلك المقاييس ذات طبيعة ما فوق لسانية، أم لسانية محضة، نقترح إيراد هذين السبيلين لتدارسهما الواحد تلو الآخر.

1.اللجوء إلى الحدس:

يتفق جل الباحثين اللسانيين على أنَّ تحديد الوحدات البنيوية للحقل الدلالي يرجع إلى حدس الباحث نفسه دون اعتماد أي معايير لسانية، وذلك لأنَّ العلاقات المشتركة بين الوحدات الأساسية التي تكون بنية الحقل لا تظهر في الشكل الترميزي للنظام اللساني، وهو الأمر الذي جعل بعض الباحثين، يرى أنَّه لكي يتسنى للباحث الدلالي حصر الوحدات التي تكون حقلا دلاليًا يجب ألاَّ يعتمد كثيرًا على مجموعة النصوص الموجهة، حسب طبيعة الحقل المدروس، بل يجب عليه أنْ ينطلق من مدونة تم انتقاؤها بالمصادفة، وهو ما فعله اللساني الفرنسي جورج مونان، حينما أراد حصر الوحدات الأساسية التي تكون بنية الحقل الدلالي للحيوانات الأليفة، إذ نجده قد اعتمد على تسجيل كل المصادفات التي لها علاقة بالحقل من خلال معايشته الوسط اللساني، أو من خلال قراءاته النصوص غير المقيدة بالمجال الدلالي للحقل، فتم له حينئذ حصر ما يزيد عن المئتين من المصطلحات التي تغطي في مجملها الحقل الدلالي المذكور.[1] غير أنَّ جوهر الانتقاء، ههنا ينبني على الحدس دون سواه ؛ أي بمعزل عن أي معيار لساني محض.

2.البحث عن مقاييس موضوعية:

توجه بعض الباحثين في تحديد الوحدات الأساسية التي تكون بنية الحقل الدلالي إلى البحث عن مقاييس موضوعية، يمكن لها أنْ تكون ثابتة، وعامة، قد تسهم في حصر الأنساق الدلالية، وضبطها ضبطًا علميًا، فظهر في ظل هذا الاهتمام نسق من المقاييس نجتزئ بذكر بعضها لأهميته:

أ- مقاييس ما فوق لسانية:

1- Claude Germain, La sémantique fonctionnelle, pp81-82.

ترى عصبة من الباحثين اللسانيين، أنَّه لتحديد بنية الحقل يمكن اعتماد مقاييس خارجة عن بنية النسق اللساني ذاته، غير أنَّها مقاييس موضوعية ،كما نجد ذلك شائعًا عند الأنثروبولوجيين، وبخاصة عند الأمريكيين، حين ضبطهم بعض الحقول الدلالية، كحقل القرابة العائلية، حقل الألوان، حقل مصطلحات الإثنوغرافيا (Ethnographie) وحقل علم النبات الأهلي ... ففي هذا السبيل يمكن لنا أنْ نتفحص مليًا شجرة نسب الهنود التي ضبطها الأنثروبولوجي – اللساني Floyd G. Lounsbury[1](1964 – 1966)، فإذا ما فعلنا ذلك نجدها تصل إلى تحليل مفاهيم القرابة تحليلا بنيويًا بواسطة مقياسين غير لسانيين لكنهما موضوعيان، وهما على التوالي:

- القرابة بالمصاهرة.

والقرابة بالدم .[2]

ذلك هو الأمر الذي جعل الباحثين اللسانيين بعامة، والدلاليين بخاصة يميزون بين ما يرتبط بالبنية اللسانية، وما يرتبط بالبنية الاجتماعية والثقافية، بل قد نجد بعضهم ينفي تمامًا النمط اللساني للمفاهيم المحصل عليها في الحقل الدلالي، بحجة أنَّ العلاقات المشتركة بين الوحدات التي يعوّل عليها كثيرًا في ضبط بنية الحقل الدلالي، تخلو من الترميز اللساني، فالعلاقة بين الابن والعم التي تعد وحدة أساسية لتكوين الحقل الدلالي للقرابة العائلية، إنَّما هي علاقة ما فوق لسانية، وينبنى هذا التوجه على مسلمة مفادها أنَّ المداخل المعجمية هي انتساخ لبناء من نوع آخر، أي خارج عن بناء النسق اللساني.

ب ـ مقاييس لسانية :

لقد انصرفت اهتمامات بعض اللسانيين إلى البحث عن مقاييس لسانية، انطلاقًا من بنية النسق اللساني نفسه الذي يهيئ مجالات تأسيسية، تسمح بتكوين مجموعة من المعايير تعتمد في تصنيف الحقول،وتوزيعها، وفق ما يسمح به النسق اللساني المعين.

ومن المقاييس اللسانية التي شاع استعمالها في رحاب التحليل الدلالي ما يأتي :

(1)ـ Floyd G. Lounsbury (1914 ـ 1998): أنثروبولوجي و لساني أمريكي.

2 - Claude Germain, La sémantique fonctionnelle. p84.

1.المعاني المعجمية:

إننا إذا ما تفحصنا مليًا ما تحقق من إجراءات تجريبية في ظل نظرية الحقول الدلالية، نجد تحولاً منهجيًا صوب بنية المعجم، وما يوفره من تفسيرات قادرة على ضبط حدود المداخل المعجمية التي تعد وحدات لسانية، يمكن لها أن تكوِّن عددًا لاحصر له من الحقول الدلالية، ويقوم هذا التوجه المنهجي على فرضية لسانية تُنسب إلى يلمسلف Hjelmslev، والتي مؤداها أنَّ المعاني المعجمية تكون قاعدة مناسبة للتصنيف البنيوي للمعجم [1].

وظلت هذه الفرضية مشروعًا للبحث عند يلمسلف، ومن يقتفي أثره إلى أنْ جاء جورج مونان، فحاول حينئذ روز هذه الفرضية في الواقع اللساني، أثناء تصنيفه البنيوي لمعجم السكن (1965)، وتسمية الحيوانات الأليفة (1965)، إذ حاول مقاربة مفهوم (Domestique/ Domestic) بعرضه على المعاجم السائدة في بيئته اللسانية، فوجد المفهوم يختلف من معجم إلى آخر، فتبين له في ظل هذا الإجراء التجريبي أنَّ التفسير المعجمي لايمكن لنا اتخاذه مقياسيًا دقيقًا في تحديد بنية الحقل الدلالي، وما ذلك إلا لأنَّ الاختلاف في المفاهيم، من معجم إلى آخر، يعود إلى أنَّ التفسير المعجمي لايعدو أنْ يكون حديثًا بيداغوجيًا(تربويًا) ناتجًا عن تصور معين، لايرقى إلى التفسير الدلالي أو المنطقي أو العلمي البحت.

ولذلك لجأ بعضهم إلى التفسير بتوسيع المفهوم، فتبين أيضًا أنَّ هذا السبيل ليس بمجد، طالما أنَّ هناك تفاوتًا في القيمة المفهومية من بيئة إلى أخرى، وذلك ما حدث لجورج مونان، عندما تبنى التفسير بتوسيع المفهوم لضبط بنية الحقل الدلالي للحيوانات الأليفة، فاعتمد لتحقيق ذلك مجموعة Que sais-je?، بوصفها مدونة أولية لمقاربة المفاهيم المحتملة، فوجد (النحلة) تعد حيوانًا أليفًا عند بعضهم، ولاتذكر إطلاقًا عند بعضهم الآخر ضمن هذا التصنيف .[2]

كما أنَّ التفسيرات العلمية المحضة، لايمكن لها أيضًا أنْ تقدم تحديدًا كافيًا لبنية الحقل الدلالي ، وذلك لسببين :

أولهما : اعتباطية العلامة اللسانية.

والآخر : غياب تغطية معجمية لكثير من ميادين الخبرة غير اللسانية.[3]

---

1 - Claude Germain, La sémantique fonctionnelle. p85.
2 - Ibid. p86.
3- Ibid .p87.

ولهذا كله يقترح بعض الباحثين توجهًا آخر في مجال المقاربة المعجمية، وهو اللجوء إلى التفسير المرجعي؛ أي تعريف الأشياء التي تحيل إليها الكلمات، ويقوم هذا التوجه على بدهية معروفة، وهي أنَّه بقدر ما يمكن الوصول إلى المعنى عن طريق التفسير اللساني، يمكن الوصول إليه عن طريق التفسير الأنتولوجي **Ontologie** (الوجودي)، وقد أشار إلى أهمية هذا التفسير جورج مونان، حينما أفرد فصلاً خاصًا في كتابه (المشاكل النظرية للترجمة) عنونه بـ:(الأنتولوجيا ترجمة)، ومرد ذلك إلى أنَّه لمعرفة المفهوم الذهني للصور السمعية، لايكفي معرفة الكلمات، وإنَّما ينبغي لنا تجاوز ذلك إلى الولوج في جوهر الأشياء التي تحيل إليها الكلمات؛ لأنَّه قد يعسر علينا فهم هذه الكلمات فهمًا جيدًا بمعزل عن الظواهر الاجتماعية والثقافية التي ترمز إليها.

ومن ههنا، فإنَّ أي رفض أو تقليل من القيمة العلمية للتفسير المرجعي، يعد رفضًا لآلية اكتساب اللغة عند الطفل، كما أنَّه في الحين نفسه، يعد رفضًا لتعلم اللغة الأجنبية بمعايشة الوسط اللغوي.(1)

2.التفريع المورفو-فونولوجي:

أضحى التفريع المورفو-فونولوجي في ظل النظرية الدلالية مقياسًا يعتمد عليه في توزيع بنى النسق اللساني إلى مجموعات متميزة، تكوِّن في مجملها النسق الشكلي لهذا النسق، نلفي هذا المقياس شائعًا لدى الدارسين الأقدمين، إذ نجد عصبة منهم تبنت هذا المقياس منذ ردح غير قليل من الزمن في تصنيف حقول دلالية انطلاقًا من بنية مورفو-فونولوجية تعد نواة التشكيل، وهو الأمر الذي جعل بعضهم يفرد كتابًا خاصًا لحقل من حقول البنى اللسانية ككتاب المقصور والممدود لابن دريد (321هـ) الذي ضمنه مجموعات فرعية قائمة على التقابل المورفو – فونولوجي، ويمكن لنا توضيح ذلك بالشكل الآتي :

حقل المقصور والممدود

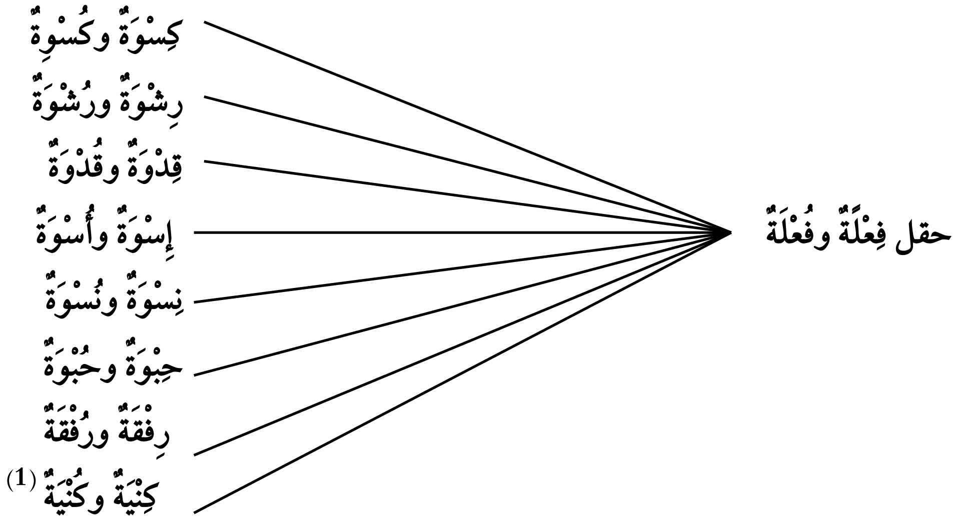
- **ما يفتح أوله فيقصر ويمد والمعنى مختلف.**
- **ما يكسر أوله فيقصر ويمد والمعنى مختلف.**
- **ما يكسر أوله فيقصر ويفتح ويمد والمعنى واحد.**
- **ما يضم أوله فيقصر ويكسر فيمد والمعنى واحد**
- **ما يفتح أوله فيقصر ويكسر فيمد والمعنى واحد.**(2)

---

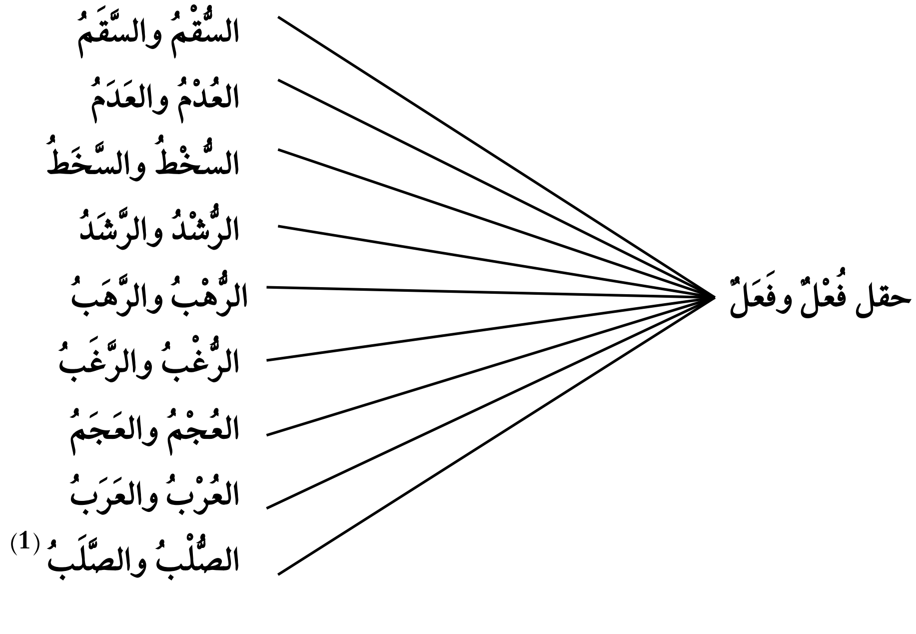
1 - Claude Germain, La sémantique fonctionnelle. p88.

(2)- ابن دريد، المقصور والممدود، ص 21 وما بعدها.

نجد هذا المنوال مألوفًا عند ابن قتيبة (276هـ) في كتابه أدب الكاتب، الذي تضمن مجموعة من الحقول القائمة على التوزيع المورفو- فونولوجي، من ذلك حقل الثنائية **(فِعْلَةٌ وفُعْلَةٌ)** الذي يمكن لنا توضيحه بهذا الشكل:



نجد أصولا رائدة لهذا المنوال كذلك، عند ابن سيدة (458هـ) في كتابه: المخصص الذي يعد معجمًا حقليًا دون منافس في التراث اللغوي العربي، حيث يتضمن هذا الكتاب في ثناياه زخمًا كثيفًا من الحقول المصنفة، وفق مقاييس متنوعة منها: مقياس التفريع المورفو- فونولوجي الذي أفرد له قسمًا هامًا، فإذا هو يتنوع بتنوع الأبنية المحورية للتفريع. من ذلك مثلاً حقل خاص بالثنائية **(فُعْلٌ وفَعَلٌ)** الذي يمكن لنا توضيحه بالشكل الآتي:



---

(1) - ابن قتيبة، أدب الكاتب، 504.

3.التفريع الاشتقاقي:

هناك اتجاه لساني يميل إلى توزيع الحقول الدلالية حسب الأصول الاشتقاقية، وهي نزعة منهجية مألوفة في التراث اللغوي العربي، فقد أضحت مقياسًا لاينهى عنه لدى نفر غير قليل من أسلافنا حين وضعهم المعاجم اللغوية.

وقد تظهر هذه النزعة في أصفى صورة لها لدى ابن فارس(395هـ)، في معجمه مقاييس اللغة الذي صنفه وفق أصول اشتقاقية، وهو من ههنا يعد أول معجم اشتقاقي في اللغة العربية، فلنقارب عن كثب منهجه، بإيراد نموذج من نماذجه لتوضيح ما نحن في سبيله.

يقول ابن فارس في مادة (ب. ش .ر) : "الباء والشين والراء أصل واحد هو ظهور الشيء مع حسن وجمال، فالبشرة ظاهر جلد الإنسان، ومنه باشر الرجل المرأة، وذلك إفضاؤها ببشرته إلى بشرتها، وسمي البشر بشرًا لظهورهم، والبشير الحسن الوجه، والبشارة الجمال ، ويقال بشرت فلانًا أبشره تبشيراً ... يقال أَبْشَرَتِ الأَرْضُ، إذا أخرجت نباتها، وتباشير الصبح أوائله، وكذلك أوائل كل شيء، والمبشرات الرياح التي تبشر بالغيث".(2)

وإذا تأملنا مليًا هذا النموذج، نلفيه يبرز بوضوح، منهج ابن فارس حين تفريعه الأصول الاشتقاقية التي تعد من وجهة نظر لسانية حقولاً دلالية، يمكن تفريعها إلى فروع تكوِّن في معظمها بنية دلالية، تتمحور حول نواة اشتقاقية واحدة.

يمكن لنا حينئذ – في ضوء النموذج المذكور سابقًا– حصر منهجه في المراحل الآتية :

1ـ تحديد الأصل الاشتقاقي، وهو متوالية صامتية مجردة من الصوائت، والسوابق واللواحق.

2ـ تحديد المفهوم المطلق الذي يرتبط بالأصل الاشتقاقي، حيث يتحقق هذا المفهوم في الواقع اللغوي بواسطة التفريع.

3ـ تفريع الأصل بإدخال صوائت، وإضافة سوابق، ولواحق تنوع المعنى.

---

(1) ـ ينظر ابن سيده ، المخصص ، 1 /477 .

(2) ـ ابن فارس ، المرجع المذكور سابقاً، مادة (بشر).

نلفي هذا المنهج نفسه مألوفًا عند ابن منظور (711هـ)، في معجمه الموسوم بلسان العرب، إلا أنَّه يختلف عن ابن فارس في كونه لايربط الأصل الثلاثي بمعنى عام، يتحقق في كل الفروع المحتملة التي يمكن توليدها، وهو ما قد يتوضح من خلال هذا النموذج:

يمكن لنا أنْ ننتقي اعتباطًا حقلا من الحقول الواردة في معجمه، وليكن حقل المتوالية النواة(عرب) الذي نحاول حصر فروعه المحتملة في التفريع الآتي: (1)

عَرَبٌ	عَرِبي	عَرْبَاءُ	الإعْرَابُ
عَرّبَ	عَرِيبٌ	أَعْرَبِي	الإعْرَابَة
عُرْبٌ	عِرَابَة	عُرُوبِيَّة	الْعَرَّابُ
عَرِبَ	عُرُوبَة	أعْرَاب	الْعَرَبِيَّة
عَرُبَ	عَرُوبَة	أَعَارِيب	العِرَابَة
تَعَرَّبَ	عَارِبَة	عَرْبَنَ	الْعَرَبَة
أَعْرَبَ	اسْتَعْرَبَ	الْعَارِبُ	الْعَرَبَات
أعْرُب	مُسْتَعْرِب	الْعَرْبُونُ	التَّعَرُّبُ
يَعْرُب	اسْتِعْرَابٌ	الْعَبْرَبُ	التَّعْرِيبُ
عَرُوبٌ	مُسْتَعْرِبَةٌ	الْعَرَبُ	الْعِرْبُ
عِرَابٌ	مُتَعَرِّبَةٌ	الْمُعَارَبَةُ	الْعَرُوبُ

المعضلة التي تواجه نظرية الحقول الدلالية حاليًا، والتي تجعل التماسها سيظل قصيًا عن التحقيق، تظهر – بشكل عام – فيما يأتي:

1. صعوبة حصر الحقول الدلالية في النسق اللساني وتصنيفها.
2. صعوبة التمييز بين المداخل الأساسية، والمداخل المعجمية الهامشية في كل حقل.
3. صعوبة تحديد العلاقات الدلالية بين المداخل المعجمية في كل حقل.(2)

ولكن مهما يكن من أمر فإنَّ نظرية الحقول الدلالية، كانت قد مهدت السبيل منهجيًا للنظريات الدلالية اللاحقة.

---

(1). ابن منظور، لسان العرب، مادة (عرب).

(2). ينظر أحمد مختار عمر، المرجع المذكور سابقًا، ص66.

4. النظرية التفسيرية:

تقترن النظرية التفسيرية في علم الدلالة بالتحول المنهجي لمسار الدراسة اللسانية الذي حدث في ظل النظرية التوليدية والتحويلية، وهو التحول الذي يعد قفزة نوعية في مجال الدراسة التركيبية ،والدلالية على حد سواء.

وما هو جدير بأنْ يشار إليه، بادئ ذي بدء، هو أنَّ النظرية اللسانية التوليدية والتحويلية في مرحلتها الجنينية، أهملت الجانب الدلالي في النموذج التحليلي، وما كان ذلك إلا لأنَّها تأثرت بالنزعة اللسانية التي كانت سائدة آنذاك، في رحاب المنهج الوصفي التوزيعي الذي هيَّأ منوالا وصفيًا ينحو نحو مقاربة الأشكال اللسانية دون أدنى اعتبار لما يتوارى خلف الأشكال الظاهرة من بنى عميقة مقدرة.

غير أنَّ تشومسكي، رائد اللسانيات التوليدية والتحويلية، استدرك ذلك في كتابه: (أوجه النظرية التركيبية) (1965)، وهو الكتاب الذي ضمنه مباحث شتى تفي في مجملها بمتطلبات الدال والمدلول معًا، سواء أكان ذلك يتعلق بالبنية الإفرادية أم، البنية التركيبية.

كانت أول محاولة جادة لإدماج التحليل التركيبي في التحليل الدلالي تلك المحاولة التي قام بها كاتزوفودور Katz et Fodor (1963)، وكاتز وبوسطال Katz et Postal (1964)، وهي المحاولة التي تبناها تشومسكي فيما بعد لإعادة صياغة منوال النظرية التوليدية والتحويلية التي أضحت تنعت، حينئذ، بالنظرية النموذجية (Standard Theory / Théorie standard).

لقد افترض كاتز وبوسطال مبدئيًا أنَّ التفسيرات الدلالية للتركيب، تتم في المجال الإجرائي للبنية العميقة دون سواها، ولذلك كل المعلومات الدلالية التي يقدمها المكوّن الدلالي تتوافر في مستوى البنية العميقة، أمَّا التحويلات التي يحتمل إجراؤها على هذه البنية فلن تغير شيئًا من المحتوى الدلالي للتركيب.[1]

لقد أوحت الفرضية اللسانية التي أرسى أساسها الثلاثي (كاتز، وفودور، وبوسطال) إلى تشومسكي بأنْ يعيد النظر في منواله التركيبي الذي وضعه سنة 1957، فاستدرك بذلك ما فاته في مجال التفسير الدلالي للبنى التركيبية، حيث ملأ الفجوة المنهجية؛ أي إدماج التركيب في الدلالة، تلك الفجوة التي ما فتئت تَعُوقُ

(1) ـ ينظر أحمد مختار عمر ، المرجع المذكور سابقًا ، ص66 .

الجهود اللسانية، حيث انصرف إلى استكشاف العلاقات التركيبية والدلالية للنظام اللساني حسب الفرضية الجديدة.

ومن ههنا أصبحت النظرية اللسانية التوليدية والتحويلية منوالا لسانيًا ذا مكونات ثلاثة: مكون تركيبي، ومكون دلالي، ومكون فونولوجي، أمَّا المكوّن التركيبي، فهو المكوّن التوليدي الوحيد القادر على توليد عدد لاحصر له من البنى التركيبية دون سواه، وهو إذ ذاك يخضع لنوعين من القواعد:

أولهما: القواعد الأساسية، وهي القواعد التي تحدد مؤشر الأركان التركيبية للجملة، وتسمى هذه القواعد بقواعد إعادة الكتابة؛ أي إعادة تفريع الركن النواة إلى الأركان الفرعية التي يمكن له أنْ يتألف منها إلى أنْ ينتهي إلى الصورة النهائية التي لا يتجلى فيما عداها، وما ينبغي له ذلك، وهي الصورة القابلة لإدخال المداخل المعجمية، وقابلة أيضًا لإجراء القواعد التحويلية المختلفة.

ويمكن لنا توضيح ذلك أكثر بالمشير الآتي:

جملة ← **ركن الإسناد + ركن التكملة.**
ركن الإسناد ← **ركن فعلي + ركن اسمي.**
ركن فعلي ← **حدث + زمن.**
ركن اسمي ← **تعريف + اسم.**

أمَّا النوع الآخر من القواعد، فهي القواعد التحويلية التي بواسطتها ينتهي التركيب إلى بنيته السطحية، وهي نوعان قواعد إجبارية، وأخرى اختيارية، وهي تختلف من لسان إلى آخر، إذ إنَّها الفيصل الذي يطغى على ماعداه في التمييز بين الأنساق اللسانية المختلفة، وأمَّا المكونان الدلالي والفونولوجي فهما مكونان تفسيريان ليس إلا.[1]

ويمكن لنا توضيح جهاز النظرية التوليدية والتحويلية بالشكل الآتي:

1- Noam Chomsky, Aspects de la théorie syntaxique. p31.

قواعد أساسية ← بنية عميقة ← قواعد دلالية ← تفسير دلالي

↓

قواعد تحويلية

↓

بنية سطحية ← قواعد فونولوجية ← تفسير فونولوجي

إنَّ ما يمكن لنا استخلاصه من الشكل المشار إليه أعلاه، هو أنَّ القواعد الدلالية التي ترتد إلى المكوّن الدلالي – وهو مكون تفسيري كما ذكر في حينه – تعمل بمعزل عن القواعد التحويلية التي ترتد إلى المكوّن التركيبي، إذ لا يتعدى إجراؤها الحيز اللساني للبنية العميقة، ومن ثمة فإنَّ القواعد التحويلية سواء أكانت اختيارية، أم إجبارية لاتغير شيئًا من المحتوى الدلالي للتركيب، وما كان ذلك إلا لأنَّ البنى السطحية المشكلة بواسطة القواعد التحويلية ترتد في مجملها إلى بنية عميقة واحدة، وهي البنية الجوهرية القادرة على تقديم التفسير الكافي للتركيب.

وكان ذلك؛ لأنَّ المنوال التوليدي والتحويلي يعوِّل في تأسيس منهجه على فرضية لسانية مؤداها أنَّ المتكلم - المستمع المثالي للغته أثناء أدائه أو تلقيه الفعلي للكلام، يفسر الجملة على نحو تركيبي؛ أي يقوم بعملية إسقاط معاني المداخل المعجمية على الأركان التركيبية.

إذا ما التفتنا لنتفحص مليًا التراث اللغوي العربي، نجد هذه الفرضية كانت مألوفة لدى اللغويين العرب الأقدمين، فقد كان الجرجاني أومأ ما مرة إلى أهمية التركيب في العملية التواصلية، يقول في هذا الشأن: "لايتصور أن يتعلق الفكر بمعاني الكلم أفرادًا ومجردة من معاني النحو. فلا يقوم في وهم، ولايصح في عقل أن يتفكر متفكر في معنى فعل من غير أنَّ يريد إعماله في اسم، ولا يتفكر في معنى اسم من غير أنْ يريد إعمال فعل فيه، وجعله فاعلاً له أو مفعولاً (...) واعلم أنَّني لست أقول إنَّ الفكر لايتعلق بمعاني الكلم المفردة أصلا، ولكنَّني أقول إنَّه لايتعلق بها مجردة من معاني النحو". [1]

(1) ـ الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 314.

لم يقل الجرجاني هذا القول عفوًا واعتباطًا، بل قاله عن وعي عميق بحقيقة اللغة الإنسانية، وهي اللغة التي حدَّها ابن جني(392هـ) بقوله: " أمَّا حدها فإنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم" [1]، وهي إيماءة صائبة تنبعت من أعماق القرن الرابع الهجري لتضفي على التدارس الحديث مسحة التوارث الفكري عبر الأجيال المختلفة.

لا يتم التواصل بين أفراد المجتمع اللغوي عن طريق ما يوفره لهم الرصيد المعجمي من مداخل معجمية التي هي في حقيقتها وحدات لسانية عجماء مكبلة بقيود حقلها، بل يتم التواصل الحقيقي بين أفراد المجتمع عن طريق التركيب بين الوحدات اللسانية، وفق ما يسمح به طابع اللغة الخطي في ظل الكفاية اللغوية التي يمتلكها المتكلم المستمع المثالي للغته، وهي الكفاية التي يتميز بها الإنسان عما عداه عن الكائنات الحية الأخرى، وأصفى صورة لهذه الكفاية تتجلى في التحكم في الآلية التركيبية التي تعد نواة النسق اللساني.

ومن هذا المنطلق يمكن لنا القول: إنَّ الجرجاني قد تنبه في حقبة تاريخية مبكرة جدًّا إلى أهمية المكوّن التركيبي، وأدرك بوعي عميق دوره في عملية توليد البنى التركيبية، بوصفه آلية فاعلة لإنتاج الملفوظات، وهذا الإدراك لأهمية المكوّن التركيبي يعد – في ظل تطور النظرية اللسانية – من مبتكرات القرن العشرين، إذ كان قطب الرحى في النظرية التوليدية والتحويلية إلى درجة أنْ أصبح المتتبعون للمسار التطوري للسانيات يحسبون هذه المقاربة المنهجية بكرًا لم تعرف من قبل، بيد أنَّ هؤلاء لو التفتوا التفافة عجلى إلى الرصيد المعرفي للتراث اللغوي العربي، لوجدوا أرضية صلدة، تزخر بزخم علمي كثيف ذي إنجازات معرفية يمكن لها أن تسهم في حل كثير من المشاكل العلمية في الثقافة اللسانية المعاصرة.

ويكون حريًا بنا أنْ نردف ما ذهب إليه الجرجاني بقول ابن مالك في خطبة (الكافية

وبعد؛ فالنحوُ صلاحُ الألسنهْ والنفسُ إنْ تُعْدَمْ سناهُ فِي سنهْ
بِهِ انكشافُ حُجُبِ المَعَانِي وجَلْوَةِ المَفْهُومِ ذا إذعانِ[2]

تهدي هذه الإيماءة من ابن مالك إلى أنَّ الفكر النحوي العربي ليس بفكر شكلي همه الوحيد هو وصف العلاقات الوظيفية بمعزل عن البنية الدلالية الضمنية التي يولدها المكوّن التركيبي، بل هو فكر ينحو صوب

(1) ـ الجرجاني، دلائل الإعجاز، 133.

(2) ـ ابن مالك، شرح الكافية الشافية، 155/1.

تجلية المعاني الكامنة في ذهن المتكلم المستمع المثالي للغته، وهذا هو جوهر النظرية التوليدية والتحويلية، وإنْ اختلفت طريقة العرض، وهي النظرية التي تجعل من النحو "المستوى العميق للجملة الذي يمدها بمعناها الأساسي، ويحدد هذا المعنى ".(1)

وعود على بدء نقول: إنَّ التفسير الدلالي في رحاب النظرية التوليدية والتحويلية لايتعدى حيز البنية العميقة التي هي نتاج إجراء آلية التوليد التركيبي للمكوّن الأساس، ومن ههنا، فإنَّ إجراء القواعد التحويلية المطبقة على البنية العميقة سوف لاينال المحتوى الدلالي وما ينبغي له ذلك،ومن ثمة، فإنَّ كل تفسير دلالي محتمل للتركيب، يتم في رحاب ما يوفره المكوّن الدلالي من قواعد، يتم إجراؤها بمعزل عن القواعد التحويلية التي هي:" قواعد حافظة للمعنى؛ أي أنَّها قواعد لاتغير معنى التركيب، وأنَّ لها من القوة ما يجعلها تضيف أو تحذف أو تبدل أو تنقل ".(2) ولذلك فإنَّ كلا من المكوّن التحويلي والمكوّن الدلالي، يشكل آلية مستقلة تعمل في حيز يختلف عن الآخر.

وبناء على ما تم ذكره، فإنَّ البنى السطحية للنظام اللساني مهما اختلف نسقها فإنَّها ترتد إلى بنية عميقة، وهي البنية الفريدة القادرة دون سواها على تقديم التفسير الكافي للتركيب. ومن ثمة فإنَّ التحويلات المحتمل إجراؤها، مهما تعددت، فإنَّها لاتغير شيئًا من المحتوى الدلالي للتركيب.(3)

يتبين من خلال ما وفرته النظرية التوليدية والتحويلية من مفاهيم أنَّ المكوّن الدلالي - بوصفه مكونًا تفسيريًا – يرتكز على ضربين أساسيين من أضرب الدعم اللساني:
أولهما : المعجم، وهو جرد مفتوح من المداخل المعجمية تتفاوت فيما بينها مبنى ومعنى في ظل التمايز من حيث قبولها سمات فونولوجية، وتركيبية، ودلالية.
والآخر: قواعد الإسقاط، وهي القواعد التي بواسطتها يتمكن المتكلم أو المستمع من إسقاط معاني المداخل المعجمية على العقد الركنية في التركيب، ومن ههنا، يتم تفسير الجملة على نحو تركيبي.(4)

---

(1) ـ حماسة عبد اللطيف ، النحو والدلالة ، ص 27.
(2) ـ مازن الوعر ، نحو نظرية لسانية عربية حديثة ، ص 55.
(3) ـ ينظر عادل فاخوري ، اللسانية التوليدية والتحويلية ، ص 54.
(4) ـ ينظر ميشال زكريا ، الألسنية التوليدية والتحويلية (النظرية الألسنية) ص 140.

يكون من المستساغ في هذا المقام أنْ نوضح ما نحن بسبيله بملفوظ شاع استعماله في ثنايا المؤلفات التراثية، ذلك الملفوظ الذي ما فتئ يتخذ أنموذجًا للتدليل على دور العلاقات الوظيفية للعناصر اللسانية في الجملة العربية التي تقترن بتغير المميزات الوظيفية (حركات الإعراب) الملحقة بأواخر الكلمات، وهي خاصية وظيفية يتميز بها اللسان العربي.

بيد أنَّنا نلفي نزرًا من العناصر اللسانية الدالة تنفر من الاقتران بالمميزات الوظيفية، وتأبى إلا أنْ تظل محافظة على بنيتها المورفولوجية، مهما كانت الأدوار الوظيفية التي تقوم بها في النسيج الوظيفي للتركيب، فهي، حينئذ، تنفر من أي إلحاق فونولوجي ذي طابع وظيفي، مهما كان مسوغه، وهو الأمر الذي يجعل من العسير ضبطها وظيفيًا على نحو لايدع ولايذر، فاقتضت الضرورة أنْ يوسع مجال النمط القواعدي المميز للنظام اللساني العربي ليشمل نمطين تركيبيين شاعا في الأنساق اللسانية الأخرى.
أولهما: التزام الرتبة المحفوظة، وهي الرتبة التي تعد فيصلاً وظيفيًا فارزًا في كثير من الأنساق اللسانية، إذ يتم بواسطتها تحديد الوظائف التركيبية لكل عنصر لساني، فيكون من اليسير، حينئذ، التمييز بين المسند والمسند إليه، والمفعول. وقد تبنى النحاة العرب الأقدمون هذا النمط الترتيبي في تحديد الأدوار الوظيفية لبعض الملفوظات التي يصعب تفسيرها بواسطة المميزات الوظيفة(حركات الإعراب)، من ذلك هذا الملفوظ:

ضَرَبَ عِيسَى مُوسَى.

إنَّ الالتباس الناتج عن عدم وجود المميزات الوظيفية في هذا الملفوظ، أدَّى بالفكر النحوي العربي إلى أنْ يبحث عن معيار آخر يمكن اعتماده لتحديد الوظائف التركيبية للعناصر اللسانية الدالة، فكان معيار الرتبة المعيار المعوَّل عليه دون سواه في استكشاف العلاقات الوظيفية التي تكوِّن البنية التركيبية للملفوظ السابق، فاتضح عندئذ، أنَّ المتوالية التركيبية لتلك العناصر تشكل هذا المشير:

ضرب ←———— **مسند**

عيسى ←———— **مسند إليه**

موسى ←———— **مفعول**

والآخر: وجود مفسرة دلالية(قرينة معنوية حسب تعبير النحاة الأقدمين). إذ إنَّ هناك ملفوظات يعسر تحديد أدوار عناصرها الوظيفية الدالة بواسطة معيار الرتبة، فاقتضى ذلك اللجوء إلى المكوّن الدلالي، وما يقدمه من معلومات حول مدلول كل عنصر لساني على حدة، بالاعتماد على ما يوفره المعجم من معطيات أولية، وبالاعتماد أيضًا على ما توفره قواعد الإسقاط من إجراءات، لإدماج المعاني الأولية في المعاني الوظيفية للتركيب.

ولتعميق ما نحن بشأنه نعتمد هذا الملفوظ .

أَكَلَ كُمَّثْرَى عِيسَى [1]

يظهر لنا جليًا في الملفوظ أنَّ المتلقي قد يعسر عليه تفسير شفرته الدلالية ، وتفكيكها على نحو تركيبي في ظل ما يوفره النسق النحوي المحض ، وكان ذلك لسببين :

أحدهما : العناصر اللسانية للملفوظ تخلو من المميزات الوظيفية (حركات الإعراب).

والآخر : اعتماد معيار الرتبة المحفوظة يؤدي حتمًا إلى استقبال جملة غير أصولية (أي غير مقبولة دلاليًا).

يبرز في ظل هذه الإشكال دور المكوّن الدلالي الذي يُعَوَّلُ عليه كثيرًا في مثل هذه الحالات ، وهنا يسهل على المتلقي تفسير الملفوظ على نحو تركيبي. وينحصر عمل المكوّن الدلالي في شيئين :

أحدهما : المعجم ، وهو لائحة مفتوحة من المداخل المعجمية التي يتم تفريعها عن طريق سماتها المميزة ، من هذه السمات ما هو ذاتي ، يرتد إلى البنية الذاتية للمداخل ، ومنها ما هو انتقائي يخضع لما يقتضيه السياق اقتضاء.

والآخر : قواعد الإسقاط ، ولهذه القواعد هدفان :

أ- التمييز بين الجمل الأصولية والجمل غير الأصولية (أي غير المقبولة مبنى ومعنى).

ب - تقديم مواصفات وظيفية لدلالة الجملة المقبولة.[2]

فلنبدأ بادئ ذي بدء بالمعجم ، لمعرفة المعاني الأولية التي يقدمها لنا حول العناصر اللسانية المكوّنة للملفوظ. كما أشرنا إليه في مقام آخر من هذا البحث ، أنَّ المعجم يوفر عددًا من السمات التفريعية ، منها ما هو فونولوجي ، ومنها ما هو دلالي ، ومنها ما يقع بين ذلك تركيبًا ، فنقصي من اهتمامنا السمات الفونولوجية في هذا المقام ، لأنَّها لا تعنينا ، ونجتزئ بالسمات التركيبية والدلالية ؛ لأنَّها ذات صلة مباشرة بآلية التفسير والإسقاط الدلالي.

ولذلك فإنَّ من يطلب السمات التفريعية التي تميز العناصر اللسانية الواردة في الملفوظ المذكور سالفًا ، يجدها تتجلى في هذا المشير:

---

(1)- ابن يعيش ، شرح المفصل 172.

(2)- ينظر جون لايز ، اللغة والمعنى والسياق ، ص 171.

أكل ←——— / + تام / +متعد / ، / +فاعل /.

كمثرى ←——— /+اسم/ ، / - حي / ، /+مأكول/ ، /+فاكهة/.

عيسى ←——— /+اسم/ ، /+حي/ ، /+إنسان/ ، /+آكل/.

نحاول، حينئذ، إجراء مقارنة بين العناصر من حيث التوافق أو التنافر بين السمات المميزة لها :

1ـ مقارنة بين الركن الفعلي /أكل/ والركن الاسمي /كمثرى/ :

أ. أكل ←——— /+متعد/ و / كمثرى/ ←——— / +مأكول / ←——— تنافر من حيث الإسناد

ب ـ أكل ←——— / +فاعل حي/ كمثرى ←——— / - حي / ←——— تنافر من حيث الإسناد

2ـ مقارنة بين الركن الاسمي /كمثرى/ ، الركن الاسمي /عيسى/

أ. كمثرى ←——— /- حي/ ، عيسى/ ←——— / +حي / ←——— تنافر .

ب ـ كمثرى ←——— /- فاعل حي/ ،عيسى ←——— / + حي / ←——— توافق .

3ـ مقارنة بين الركن الفعلي /أكل/والركن الاسمي /عيسى/.

أ. أكل ←——— /+متعد/ ، عيسى ←——— / +آكل / ←——— توافق.

ب ـ أكل ←——— /+فاعل حي/ ،عيسى ←——— / + حي / ←——— توافق.

لقد وفر لنا المعجم تتابعًا من السمات المتوافقه طورًا، والمتنافرة طورًا آخر، يأتي بعد ذلك دور قواعد الإسقاط التي تهدف – كما أومأنا إليه سابقًا – إلى تمييز الجمل الأصولية عن الجمل غير الأصولية، فتقوم هذه القواعد بعملية إسقاط المعاني الأولية على الأركان الوظيفية عن طريق التوافق، والتنافر بين السمات التفريعية المميزة، وتتم عملية الإسقاط وفق الصورة الآتية :

1ـ أكل ←——— /+فاعل حي/ وبما أن كمثرى/- فاعل حي/إذن.(كمثرى) ليس من خصائصة الدلالية أنْ يكون فاعلا لـ(أكل).

2ـ أكل ←——— /+فاعل حي/ وبما أنَّ (عيسى)/+فاعل حي/إذن.(عيسى) يمكن له أنْ يكون فاعلا لـ(أكل).

3ـ كمثرى ←——— /+مأكول/ وبما أنَّ (عيسى)/+ آكل /إذن.(عيسى) فاعل لـ(أكل) في هذا الملفوظ.

في ظل المعطيات الإسقاطية القائمة على الفرز والانتقاء، يمكن لنا إعادة تشكيل المشير الركني لبنية الملفوظ:

جملة ⟵ ركن الإسناد + ركن التكملة

ركن الإسناد ⟵ ركن فعلي + ركن اسمي + ركن اسمي.

ركن فعلي ⟵ مسند.

ركن اسمي ⟵ مسند إليه.

ركن اسمي ⟵ مفعول.

مسند ⟵ أكل .

مسند إليه ⟵ عيسى.

مفعول ⟵ كمثرى.

وبعد إجراء قاعدة تحويلية اقتضت أنْ يلي العنصر اللساني (المفعول) الفعل رتبة وتجاورًا، انتهى التركيب إلى ما هو عليه في بنيته السطحية:

أَكَلَ كُمَّثْرَى عِيسَى

يلاحظ أنَّ الملفوظ ظل محافظًا على مدلوله، على الرغم من إجراء القاعدة التحويلية الخاصة بالتقديم والتأخير.

يستخلص من كل ما تقدم ذكره أنَّ المنوال الدلالي الذي ينعت بالمنوال التفسيري في رحاب النظرية التوليدية والتحويلية، يرتكز أساسًا على المكوّن الدلالي بوصفه مكونًا تفسيريًا للبنية العميقة التي يولدها المكوّن الأساس للتركيب، فهو من ههنا المكوّن الوحيد القادر على تقديم التفسير الكافي للتركيب، بمعزل عن القواعد التحويلية التي لاينبغي لها أنْ تغير شيئًا من المحتوى الدلالي للبنية العميقة.

بيد أنَّ عصبة من اللسانيين كانت تقتفي أثر تشومسكي أخذت تبتعد رويدًا رويدًا عن فرضية كاتز وبوسطال، تلك الفرضية التي طورها تشومسكي في النظرية المعيارية، حيث انبرى نفر غير قليل من هؤلاء يقلل من شأن البنية العميقة، وما تقتضيه من تفسيرات بمعزل عن القواعد التحويلية، فالصحيح في نظر هذه الطائفة هو القول بوجود بنية دلالية تحدد التمثيل الدلالي للجملة، وهي بنية قابلة في ذاتها لأنَّ تخضع لعدة تحويلات يتم من خلالها إدخال المداخل المعجمية إلى أنْ تنتهي كما هي عليه في بنيتها السطحية.[1]

(1) - ينظر عادل فاخوري، اللسانية التوليدية والتحويلية، ص 61.

لقد أدَّى هذا التحول المنهجي إلى ظهور منوال جديد يعرف بالدلالة التوليدية، والاختلاف بين المنوالين يرتد إلى الخلاف حول البنية الأساس، فهي بنية تركيبية لدى تشومسكي ومن تبعه، بينما هي بنية دلالية لدى المنشقين عنه.

يمكن لنا توضيح الاختلاف بين المنوالين بالشكلين الآتيين:

الشكل الأول: الدلالة التفسيرية (تشومسكي):

قواعد أساسية ← بنية عميقة ← قواعد دلالية ← تفسير دلالي.

↓

قواعد تحويلية

↓

بنية سطحية ← قواعد فونولوجية ← تفسير فونولوجي.

الشكل الثاني: الدلالة التوليدية:

بنية دلالية ← قواعد تحويلية ← بنية سطحية ← قواعد فونولوجية.

↓

تفسير فونولوجي.

تهدي المقارنة بين الشكلين إلى أنَّ (الشكل الأول) ذو قاعدة تركيبية في حين أنَّ (الشكل الثاني) ذو قاعدة دلالية، وتهدي هذه المقارنة أيضًا إلى أنَّ القواعد التحويلية في الشكل الأول لاتغير من المحتوى الدلالي للتركيب، بينما هي في الشكل الثاني ذات دور حاسم في إضفاء الدلالة على التركيب.

خاتمة

إنَّ المنهج الذي اعتمدناه في التعقب المرحلي للمسار التطوري للمقاربة العلمية للظاهرة اللغوية من جهة، والوصف الدقيق لمستويات الدراسة اللسانية من جهة أخرى، قد بَيَّنَ أنَّ التفكير في الظاهرة اللغوية تفكير قديم بقدم الإنسان نفسه، وأنَّ هذا التفكير مرَّ بمحطات بارزة، وظل يتشكل عبر المسار التحولي للحضارات الإنسانية المتعاقبة، إلى أنْ استقر، واكتمل معرفيًا منهجيًا، في النظرية اللسانية الحديثة التي أضحت قطب الرحى في الحركة التأسيسية لمرتكزات الفكر الإنساني المعاصر بكل تجلياته.

ومما لا ريب فيه هو أنَّ اللسانيات من حيث إنَّها الدراسة العلمية والموضوعية للسان البشري من خلال الألسنة الخاصة بكل مجتمع أضحت تتوخى العالمية أو الكلية، فهي تتعامل مع اللغة من حيث كونها ظاهرة عامة في الوجود البشري، فإذا هي تستحيل إلى علم شمولي يشكل إطارًا نظريًا لكثير من المعارف والعلوم في الثقافة الإنسانية المعاصرة، من حيث التأطير النظري، والمفاهيم والاصطلاحات، والإجراءات التطبيقية.

يمكن لنا، حينئذ، أنْ نجمل القول فيما وقفنا عليه في المباحث الثلاثة:

ـ اهتم الفكر الإنساني في فترة مبكرة جدًا من عمر الحضارة الإنسانية بالظاهرة الصوتية، ويعود ذلك في جوهره إلى دور الأصوات في اكتمال النسق التواصلي بين أفراد المجتمع البشري، إذ إنَّ الطبيعة الإنسانية تقتضي بالضرورة العضوية والنفسية والاجتماعية استعمال الصوت لتحقيق عملية التواصل والإبلاغ.

ـ إنَّ الجانب الصوتي في الظاهرة اللسانية مهيأ بطبيعته الحسية لأنْ يكون موضوعًا علميًا يتميز بالموضوعية في الوصف، والدقة في التحليل، وهو من ههنا يمكن إخضاعه للتجربة والاختبار، الأمر الذي جعل الجهود تنصرف إلى هذا النوع من الدراسة، فنتج عن ذلك عطاء معرفي يمكن أن يُعَوَّلَ عليه في تأسيس نظرية لسانية قادرة في ذاتها على تقديم التفسير العلمي الكافي لكثير من المظاهر الصوتية من كل جوانبها الفيزيولوجية والفيزيائية والوظيفية.

ـ استقطبت البنية التركيبية اهتمام الدارسين منذ أنْ أدركوا أهميتها في الأداء الفعلي للخطاب ، من حيث إنَّها مكون أساس للعلاقات الوظيفية في اللسان البشري ، فأدَّى هذا الاهتمام إلى اكتمال حصيلة معرفية يمكن أنْ يُعول عليها لتفسير الآلية التركيبية عند المتكلم – المستمع المثالي للغة.

ـ اهتم الباحثون اللسانيون اهتمامًا كبيرًا بالبنية التركيبية ، لذلك انصرفت جهودهم إلى البحث عن أنجع المسالك لاستكشاف طبيعة الآلية التركيبية للبنى اللسانية المنطوقة بالفعل في البيئة اللغوية المتجانسة ، مما أثرى الدراسة التركيبية بتكثيف نظري ظل ينمو ويتزايد في ظل التحول الذاتي للنظرية اللسانية إلى أنْ استمد سمة النظرية المتكاملة القائمة بذاتها في رحاب المنحى اللساني التوليدي والتحويلي المعاصر.

ـ لقد انشغل المفكرون الأقدمون على اختلاف انتماءاتهم المدرسية والمذهبية بالدلالة من حيث هي معطى عقلي ، وظل هذا الاهتمام يسلك سبيله ، ويقدم إنجازات معرفية ومنهجية أضفت على المنوال الدلالي طابعًا علميًا ، ظل يسهم في النفاذ إلى البنية الدلالية الضمنية للأنظمة اللسانية ، وسبر أغوارها سبرًا عميقًا لاستجلاء الخصائص الفكرية المشتركة بين أفراد المجتمع البشري ، ومن ههنا أمسى المنوال الدلالي ينحو نحو استكشاف الأنساق التركيبية ، والدلالية للأنظمة اللسانية العالمية.

ـ مرت الدراسة الدلالية في الثقافة الإنسانية المعاصرة بمحطات فكرية متميزة في رحاب حركة العلوم بعامة والعلوم الإنسانية بخاصة ، أدَّى ذلك كله إلى ظهور نظريات دلالية متلاحقة ، تضطلع في مجملها بتقديم التفسير الكافي والدقيق للدلالة في أي خطاب منجز في الثقافة الإنسانية.

البيبليوغرافيا

أولاً : القرآن الكريم

ثانيًا: المراجع العربية.

الآمدي سيف الدين أبو الحسن علي بن أبي علي (631هـ):

الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق سيد الجميلي ط2 دار الكتاب العربي، بيروت 1986.

ـ إبراهيم أنيس:

الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الثالثة 1976.

ـ أحمد حساني :

1 ـ البنية التركيبية في رحاب اللسانيات التوليدية والتحويلية، مجلة تجليات الحداثة، معهد اللغة العربية وآدابها، جامعة وهران، العدد الأول، 1992 ، الجزائر.

2ـ دراسات في اللسانيات التطبيقية ـ حقل تعليمية اللغات ـ ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2000.

3ـ السمات التفريعية للفعل في البنية التركيبية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر1993.

- **أحمد مومن :**

اللسانيات، النشأة والتطور ط2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 2005.

- **أحمد يوسف:**

1 - بين الخطاب والنص، مجلة تجليات الحداثة، عدد 1 (1992) معهد اللغة العربية وآدابها، جامعة وهران، الجزائر.

2 - القراءة النسقية، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2003.

- **الأنصاري، عبد العالي محمد بن نظام الدين(1180هـ) :**

فواتح الرحموت، بهامش المستصفى من علم الأصول للغزالي ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، دت.

- **أيوب عبد الرحمن :**

1 - تحليل عملية التكلم، مجلة عالم الفكر، العدد الثالث، 1979.

2 - الكلام، إنتاجه وتحليله، جامعة الكويت 1984.

- **التهانوي ، محمد علي بن علي بن محمد (1158هـ) :**

كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تحقيق لطفي عبد البديع وعبد المنعم حسين، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1972.

- **التوحيدي أبو حيان (380هـ) :**

الإمتاع والمؤانسة، تحقيق أحمد أمين، بيروت، دت.

- **الثعالبي أبو منصور (430 هـ):**

فقه اللغة وسر العربية، مكتبة الحياة، بيروت، دت.

- **الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر (255هـ):**

البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون ط4 ،مكتبة الخانجي القاهرة 1975.

- **الجرجاني عبد القاهر ، (471 هـ):**

1 - أسرار البلاغة، تحقيق عبد المنعم خفاجة، القاهرة، 1972.

2 - دلائل الإعجاز، دار المعرفة، بيروت، 1984.

- **الجرجاني علي بن محمد، (816هـ):**

1 - التعريفات ، طهران إيران دت.

2 - حاشية على شرح المطالع في التحتاني ، قطب الدين الرازي ، لوامع الأسرار في شرح مطالع الأنوار ، مطبعة البسناوي دت.

3ـ حاشية على شرح الشمسية ، في مجموعة شروح وحواشي الشمسية ، نشره الكردي ، القاهرة 1905.

ـ ابن جني أبو الفتح عثمان (392 هـ) :

1 - الخصائص ، تحقيق محمد علي النجار ، دار الكتاب ، بيروت .دت.

2 - سر صناعة الإعراب ، تحقيق حسن هنداوي ، دار القلم ، دمشق. 1985.

- **الحاج صالح :**

1 - أثر اللسانيات في النهوض بمستوى مدرسي اللغة العربية ، مجلة اللسانيات عدد 4 سنة 1974 الجزائر.

2 - مدخل إلى علم اللسان الحديث ، مجلة اللسانيات ، عدد 2 (1972) ، الجزائر.

- **حسان عطوان:**

اللغة والتربية ، وسيلة تواصل وتطور حضاري ، مجلة التربية عدد120 (1997).

- **الحفني يوسف :**

حاشية على شرح إيساغوجي نشره الحلبي القاهرة دت.

- **حماسة عبد اللطيف:**

النحو والدلالة ، ط1 مطبعة المدينة ، القاهرة 1983.

- **حنون مبارك :**

مدخل للسانيات سوسير، دار توبقال ، الدار البيضاء ، المغرب 1987.

- **خرما نايف :**

أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، عالم المعرفة، الكويت 1978.

- **ابن خلدون عبد الرحمن (808 هـ) :**

المقدمة، الدار التونسية للنشر والتوزيع، تونس، 1984.

- **الخليل بن أحمد الفراهيدي (175):**

كتاب العين، تحقيق الدكتور مهدي المخزومي والدكتور إبراهيم السامرائي، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت، لبنان 1988. 1/ 57.

- **الداية فايز:**

علم الدلالة العربي، دار الفكر، دمشق 1985.

- **ابن دريد محمد بن الحسن الأزدي (321 هـ):**

شرح المقصور والممدود، تحقيق ماجد حسن الذهبي. دار الفكر، دمشق 1985.

- **الراغب الحسين بن محمد الأصبهاني (565 هـ):**

المفردات في غريب القرآن، تحقيق محمد أحمد خلف الله ، مكتبة الأنجلو مصرية. دت .

- **رمزية غريب:**

التعلم دراسة نفسية، تفسيرية، توجيهية. القاهرة 1977.

- **زكريا ميشال:**

1 - الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (الجملة البسيطة)، ط1 المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، .1983

2 - الألسنية (علم اللغة الحديث) مبادئها وأعلامها، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت.1980

3 - الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية(النظرية الألسنية)، ط2 المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت .1986

4 - مباحث في النظرية الألسنية وتعليم اللغة العربية، ط1 المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت .1984

- **سام عمار:**

نحو رؤية جديدة لتدريس النحو العربي على المستوى الجامعي، مجلة التربية عدد 132 مارس 2000 قطر.

- **السجلماسي أبو محمد القاسم (704هـ):**

المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع، تحقيق علال الغزي، مكتبة المعارف، الرباط المغرب 1980.

- **سعد مصلوح :**

دراسة السمع والكلام ، عالم الكتب، القاهرة 2000.

- **سيبويه، أبو بشر عمرو بن قنبر (180هـ):**

الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، عالم الكتب، بيروت ، دت.

- **السيالكوتي عبد الحكيم الهندي المعروف بابن شمس الدين (1067هـ):**

حاشية على حاشية الجرجاني على الشمسية، في مجموعة شروح وحواشي الشمسية، نشره الكردي القاهرة .1905

- **سيزا قاسم، وناصر حامد أبو زيد:**

أنظمة العلامات (مدخل إلى السيميوطيقا) دار إلياس العصرية، القاهرة . 1986.

- **ابن سينا أبو علي الحسين بن عبد الله (428هـ):**

1 - أسباب حدوث الحروف، تحقيق: محمد حسن الطيان، و يحيى مير علم، مجمع اللغة العربية ، دمشق ، 1983.

2 - الشفاء (العبارة)، تحقيق محمود الخضيري ، القاهرة ، 1970.

- **شاهين عبد الصبور:**

في علم اللغة العام ، مؤسسة الرسالة ، ط3 ، 1980.

ـ طحان ريمون :

1 ـ الألسنية العربية ط2 ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، 1981.

2 ـ فنون التقعيد وعلوم الألسنية ، بيروت ، دت .

ـ عبد القادر المهيري وآخرون:

أهم المدارس اللسانية ، منشورات المعهد القومي لعلوم التربية ، تونس 1986 .

ـ العسكري أبو هلال(400هـ):

الفروق في اللغة ط4، دار الآفاق الجديدة بيروت 1963.

ـ الغزالي أبو حامد (505هـ) :

1 ـ المستصفى من علم الأصول ط1 القاهرة 1322.

2 ـ معيار العلم ، تحقيق سليمان دنيا ، ط2 دار المعارف القاهرة دت.

ـ فاخوري عادل :

1 ـ علم الدلالة عند العرب، دار الطليعة ، دت .

2 ـ اللسانية التوليدية والتحويلية ، ط1 ، بيرت، 1980.

ـ الفارابي أبو نصر (339هـ) :

إحصاء العلوم ، تحقيق عثمان أمين ، القاهرة 1931.

ابن فارس أحمد بن زكريا (395هـ) :

معجم مقاييس اللغة ، تحقيق عبد السلام هارون ، بيروت ،دت.

ـ الفاسي عبد القادر الفهري :

اللسانيات واللغة العربية ، دار توبقال ، الدار البيضاء ، 1985.

ـ القاضي عبد الجبار أبو الحسن الأسد آباي (415هـ) :

المغني في أبواب التوحيد والعدل تحقيق محمود الخضيري ، مراجعة إبراهيم مدكور ، تحت إشراف طه حسين ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، القاهرة 1965.

ـ القاضي (عاطف) :

1 ـ الدلالة عند الأنصاري ، مجلة الفكر العربي المعاصر ، عدد 25 ، .1985

2 ـ علم الدلالة عند العرب (السيمياء) ، مجلة الفكر العربي المعاصر ، عدد 18 ، 19 (1982).

ـ كريم زكي حسام الدين :

أصول تراثية في علم اللغة ، القاهرة ، 1985.

ـ الكشو صالح :

الوضع الابيستمولوجي للسانيات ، مجلة المعرفة ، عدد 266 ، أبريل 1984 ، دمشق.

ـ الماجري ، الحافظ أبو علي الحسن(668هـ) :

أسهل الطرق إلى فهم المنطق ، تحقيق محمد بن شريفة مجلة المناظرة عدد2 السنة الأولى ديسمبر 1989 الرباط ، المغرب.

ـ مازن الوعر:

1 ـ نحو نظرية لسانية حديثة وواقعية لتحليل التراكيب الأساسية في اللغة العربية ، مجلة المعرفة ، عدد 266، أبريل 1984 ، دمشق .

2 ـ نحو نظرية لسانية عربية حديثة لتحليل التراكيب العربية الأساسية ، دار طلاس، دمشق، 1987.

3 ـ النظريات النحوية والدلالية في اللسانيات التحويلية والتوليدية ، مجلة اللسانيات ، عدد 6 (1986)، الجزائر.

ـ محمد الخولي:

الأصوات اللغوية ، مكتبة الخريجي، ط1 1987.

ـ محمد صالح الضالع :

علوم الصوتيات عند ابن سينا ،دار غريب ، القاهرة 2002.

ـ محمد وطاس:

أهمية الوسائل التعليمية في عملية التعلم عامة ، والعربية للأجانب خاصة، المؤسسة الوطنية للكتاب 1988. الجزائر.

ـ مختار أحمد عمر:

1 ـ البحث اللغوي عند العرب ط4، القاهرة 1982.

2 ـ علم الدلالة ، ط1 دار العروبة ، الكويت ، 1983.

ـ المخزومي مهدي:

في النحو العربي نقد وتوجيه ، المكتبة المصرية ، بيروت ، دت.

ـ مدكور عاطف:

علم اللغة بين القديم والحديث ، جامعة القاهرة ، دت.

ـ مرتاض (عبد الملك) :

نظرية التبليغ بين الحداثة الغربية والتراث العربي ، مجلة تجليات الحداثة ، العدد الأول ، 1992 ، معهد اللغة العربية وآدابها ، جامعة وهران ، الجزائر .

بين السمة والسميائية ، مجلة تجليات الحداثة ، عدد 2 (1993).

ـ المسدي عبد السلام :

1 ـ الأسلوبية والأسلوب ، نحو بديل ألسني في نقد الأدب ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا ـ تونس 1977.

2 ـ التفكير اللساني في الحضارة العربية ، الدار العربية للكتاب 1986.

3 ـ اللسانيات وأسسها المعرفية ، الدار التونسية للنشر ، دت .

ـ نعمان بوقرة :

المدارس اللسانية المعاصرة ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، 2003.

ـ ابن يعيش ، موفق الدين (643 هـ) :

شرح المفصل ـ عالم الكتب / بيروت / د ت .

ثالثًا: المراجع المترجمة.

ـ آن إينو :

مراهنات دراسة الدلالات اللغوية ، ترجمة خليل أحمد وأسعد علي ، دار السؤال للطباعة والنشر ، دمشق ، سوريا ، 1980 .

ـ أرنست فيشر :

ضرورة الفن . ترجمة : أسعد حليم . الهيئة المصرية العامة للكتاب . القاهرة 1998.

ـ أندري مارتيني :

مبادئ اللسانيات العامة ، ترجمة أحمد الحمو ، دمشق 1985.

ـ إيلوار رونالد :

مدخل إلى اللسانيات ، ترجمة بدر الدين قاسم ، منشورات وزارة التعليم العالي ، سوريا ، 1980 .

ـ أولمان ستيفن :

دور الكلمة في اللغة : ترجمة كمال بشر ، القاهرة ، 1988.

ـ بارت رولان :

1 ـ مبادئ في علم الدلالة ، ترجمة محمد البكري ، دمشق ، دت.

2 ـ درس السيميولوجيا ، ترجمة بنعبد العالي ، توبقال ، المغرب ، 1986.

ـ بنفنيست (إميل) :

اللغة والتجربة الإنسانية ، مجلة المعرفة ، عدد 266 أبريل ، 1984 ، دمشق .

ـ بيار غيرو :

1 ـ علم الدلالة ، ترجمة أنطوان أبو زيد ، منشورات عويدات ، بيروت .

2 ـ السيمياء ، ترجمة أنطوان أبو زيد ، بيروت ، 1984.

ـ جورج مونان :

1 ـ علم اللغة في القرن العشرين ، ترجمة غزاوي مؤسسة الوحدة ، دمشق ، دت.

2 ـ مفاتيح الألسنية ، ترجمة الطيب البكوش ، تونس ، 1981.

ـ دي سوسير:

دروس في الألسنية العامة ، ترجمة صالح القرمادي وآخرين ، الدار العربية للكتاب، تونس ـ ليبيا ، 1985.

ـ روبنز:

موجز تاريخ علم اللغة (في الغرب)، ترجمة أحمد عوض ،سلسلة عالم المعرفة.الكويت نوفمبر.1997.

ـ رومان ياكبسون :

1 ـ قضايا الشعرية ، ترجمة محمد الولي ومبارك حنون ، دار توبقال الدار البيضاء ط1 المغرب 1988.

2 ـ ما الشعر ؟. ترجمة د. بسام بركة ، مجلة العرب والفكر العالمى ، مركز الإنماء القومى . العدد الأول سنة 1988 . ص 2 – 13 .

ـ سافان (دافيد):

الأصول السيميائية في فكر شارل بيرس ، ترجمة عبد الملك مرتاض.مجلة علامات في النقد العربي ، يونيو 1993 ، المملكة العربية السعودية.

ـ سيرل (جون):

تشومسكي والثورة اللغوية ، مجلة الفكر العربي ، عدد 8 ، 9 (1979) بيروت .

ـ فرانك بالمر:

مدخل إلى علم الدلالة، ترجمة خالد محمود جمعة، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع، الكويت الطبعة الأولى 1997.

ـ فوك كاترين وقوفيك بيارلي :

مبادئ في قضايا اللسانيات المعاصرة، ترجمة المنصف عاشور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر. 1984.

ـ كوردير:

مدخل إلى اللغويات التطبيقية، ترجمة جمال صبري، مجلة اللسان العربي، الرباط 1986.

ـ ليونز جون :

1 ـ اللغة والمعنى والسياق ، ترجمة عباس صادق الوهاب ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد .1987

2 ـ نظرية تشومسكي اللغوية ، ترجمة حلمي خليل ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، 1985.

ـ لودال (جيرار):

بيرس أو سوسير، ترجمة عبد الرحمن بوعلي، مجلة العرب والفكر العالمي، العدد الثالث، 1986 ، بيروت.

ـ ميشيل ماكارثي:

قضايا في علم اللغة التطبيقي ،ترجمة عبد الجواد توفيق محمود ، ط1 المجلس الأعلى للثقافة القاهرة .2005

رابعًا: المراجع الأجنبية بلغتها الأصلية.

- **Alfred Metraux**: *Bronislaw Malinowsky ,in journal de la societe des oceanistes . Tome 2, 1946.*

- **André Petit Jean**, *La transposition didactique en Français. Pratiques, N97-98.Juin 1998.*

- **Beveniste (Emile):** *Problèmes de linguistique générale. 1974.*

- **Charles Bouton**, *La linguistique appliquée, 3 edi,PUF . Paris 1993.*

- ***Chevallard.Y :***

1 - (1991) : Concepts fondamentaux de la didactique : perspectives apportées par une approche anthropologique, Recherches en didactique des Mathématique .Vol:12/1 pp73- 112 éd:La Pensée Sauvage, Grenoble.

2 - (1985) : La transposition didactique du savoir savant au savoir enseigné.éd:La Pensée Sauvage, Grenoble (1991, 2eme édition.)

3 - (1989) : Sur l'enseignement des fractions au Collège .Publication de l'IREM d'Aix_Marséille, n°15.

CHISS Jean-Louis, FILLIOLET Jacques, MAINGUENEAU Dominique, *Linguistique française, Hachette, 1993.*

Chomsky (Noam):

1-Aspects de la théorie syntaxique tra: Jean-Claude Milner Éditions du Seuil 1991.

2 - Structures syntaxiques: trad de l'anglais par michel braudeau, , Éditions du Seuil, 1969 .

- **Christian Purent**: *La didactique des langues _ cultures étrangères entre méthodologie Et didactologie. Les langues modernes Paris 1999.*

- **Claudine Garcia** -- *De banc: Transpositions didactiques et chaîne de*

reformulation des savoirs Pratiques n° 97-98 , juin 1998 .

- **Daniel (Delas) et Jacques filiolet** : *Linguistique et poétique. Larousse. Paris 1973.*

- **Denis Girard** : *Linguistique appliquée et didactique des langues. Paris Armand colin1972.*

- **Domerc J**. *La glossématique et l'esthétique In : Langue Française , n° 3, 1969.*

- **Ducrot et Tzvetan Todorov**, *Dictionnaire encyclopédique des sciences du langage, Paris, 1972 .*

- **Ferdinand de Saussure**, **Cours de linguistique générale**. **Édition** *critique préparée par Tullio de Mauro.* **Paris**: *Payot 1983.*

- **Georges Mounin**, *La Linguistique du XXe siècle, P.U.F., Paris, 1972.*

- **Germain (Claude),** *la semantique fonctionnelle,* **Paris**: **P.U.F** *1980.*

- **Jacob Daniel (1989) :** *Reformulation et transposition dans les manuel scientifiques .Les cahiers du CRELEF. N°28.*

- Jakobson: (Roman):

1- Essais de linguistique générale: Paris, Ed. de Minuit1963.

2- Questions de poétique, Seuil, Paris 1973.

- **Jens Holt**, *Contribution à l'analyse fonctionnelle du contenu linguistique , Langages (1967) Volume 2 No 6 .*

- *Jean Dubois et autres : Dictionnaire de linguistique, Paris, Larousse, 1973.*

- ***Jean Paul Bronckart, Itziar Plazaola Giger** : La transposition didactique .Histoire et perspectives d'une problématique. Pratiques, n°97 - 98 juin1998.*

- ***Jacob Daniel (1989)** :Reformulation et transposition dans les manuel scientifiques .Les cahiers du CRELEF. N°28.*

- ***Lerat (pirre):** Sémantique descriptive, Paris, Hachette, 1983.*

- ***Michel Verret (1974)** :Le temps des études ,Mémoire de soutenance de thèse ,Université .Paris 5.*

- ***Philippe Perrenoud** :La transposition didactique à partir de pratiques :Des savoirs aux compétences (Sciences de l'éducation)n°3 pp 487-514 Montréal 1998.*

- ***Paul Adolf** :Linguistique contrastive et didactique de l'anglais ,Revue de linguistique et de didactique, Nancy ,n° 17/1 mars 1999.*

- ***Robert Galisson. et D. Coste** : Dictionnaire de didactique des langues, librairie Hachette (1976) paris .*

- ***Terrisse André et Leziart**. Y (1997) :L'émergence d'une notion : La transposition didactique .Entretiens avec Michel Verret, les sciences de l'éducation, n°3/1997.*

- ***Véra Fosty**, Le formalisme russe, une théorie de la littérature, in Le Langage et l'Homme, Janvier 1969.*

فهرس الموضوعات